

الكتاب: الخصائص الفاطمية
المؤلف: الشيخ محمد باقر الكجوري
الجزء: ٢
الوفاة: ١٢٥٥
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق: ترجمة : سيد علي جمال أشرف
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٣٨٠ ش
المطبعة: شريعت
الناشر: انتشارات الشريف الرضي
ردمك: ٩٦٤-٦٠٤٦-٤٠-١
ملاحظات: ٩٦٤-٦٠٤٦-٤٠-X : الدورة

الخصائص الفاطمية

تأليف:

الشيخ الواعظ محمد باقر الكجوري

١٣١٣ - ١٢٥٥

ترجمة:

سيد علي جمال أشرف

انتشارات الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم
شابك: ١ - ٤٠ - ٤٦ - ٦٠٤٦ - ٩٦٤
ISBN: ٩٦٤ - ٦٠٤٦ - ٤٦ - ٤٠ - ١
شابك الدورة: ٩٦٤ - ٦٠٤٦ - ٤٦ - ٤١ - X
ISBN: ٩٦٤ - ٦٠٤٦ - ٤٦ - ٤١ - X
الكتاب: الخصائص الفاطمية سلام الله عليها - ج ٢
المؤلف: الشيخ الواعظ محمد باقر كجوري
المترجم: السيد علي جمال أشرف
الناشر: انتشارات الشريف الرضي
عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة، مجلدين
سنة الطبع: ١٣٨٠
الطبعة: الأولى
عدد الصفحات ١٢٦٤ صفحة وزيري
المطبعة: شريعت
السعر: ٥٠٠٠ تومان ثمن الدورة (المجلدين)

الخصيصة الخامسة عشر من الخصائص الخمسين
في شرح حديث «ما كمل من النساء...»
وبيان كمال فاطمة (عليها السلام) عقلا وإيمانا وإرثا
ينبغي أن نذكر هذا المطلب الشريف (١) في هذه الخصيصة الفاطمية بمناسبة
الحديث عن كمال الصديقة الطاهرة إيمانا وعملا، واشتراك النساء الثلاثة معها في
هذا الشرف الشامل والعقل الكامل والإرث الكامل، وإن كان الفرد الكامل التام
ينحصر دائما في فاطمة الطاهرة.
والأفضل أن نجعل عنوان البحث ما رواه الفريقان بسند صحيح عن
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باختلاف في الألفاظ بين الشيعة والسنة. وإليك
صورتيه:
ورد في البحار أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ما كمل من النساء إلا أربعة:
آسية بنت
مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه
وآله وسلم)». رواه
بعض علماء السنة أيضا.
وفي بعض مصادر السنة: «كامل من الرجال كثير، وما كمل من النساء أحد
إلا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد».

(١) لم أجد في كتب المناقب بحثا مستقلا يتعرض لهذا المطلب.

ولم تذكر بعض مصادرهم فاطمة وخديجة، بل ذكرت عائشة بدل «فاطمة وخديجة»، فنقل عنه أنه قال: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» ولا نريد مناقشة الخبر هنا. والآن لنعرف ما هو معنى الكمال في هذا الحديث؟ وما هو كمال فاطمة الزهراء (عليها السلام)؟
أولاً: الكمال في اللغة التمام، وضده النقصان. قال الجوهري في الصحاح: «كمال من كمل، وفيه ثلاث لغات - يعني في الحركات الثلاث - والكسر أولى» (١).

وكمل الشيء كمولاً من باب قعد، والاسم الكمال؛ وقوله تعالى (والله متم نوره) (٢) أي مكمله، وقوله (أكملت لكم دينكم) (٣) أي أتممت، وأيضا (ولتكملوا العدة) (٤) أي لتتموا. فالكمال التمام، وضده النقص والنقيصة وهو العيب كما في المجمع، قال: فلا ينتقص فلانا أي يقع فيه ويعيبه (٥).
قال المرحوم السيد علي خان (رحمه الله) في شرح الدعاء العشرين من الصحيفة السجادية: الكمال بمعنى التمام، وإكمال الشيء إتمامه. ومنهم من فرق بينها، فالإتمام لإزالة الأصل، والإكمال لإزالة النواقص العارضة والفروع بعد إتمام الأصل؛ قال

(١) في الصحاح «والكسر أرواها» وكذا في المجمع عن الصحاح.

(٢) الصف: ٨.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) البحار ٢٤ / ٢١٣ ح ٤٦ باب ١٤.

تعالى: (تلك عشرة كاملة) (١) وكاملة أفضل من تامة، لأن التمام من العدد معدود ومعلوم... إلى آخر ما قيل.
وقيل: الكمال اسم لاجتماع الأجزاء الموصوفة، والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف. وبعبارة أخرى: الكامل هو من لا عيب فيه والناقص المعيوب. إذن فقد كمل من الرجال كثير، أما النساء فكن نواقص إلا أربعة. وإذا أردنا معرفة نواقص النساء ينبغي أن نسمع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنه نعرف كمال الرجال، قال (عليه السلام): «إن النساء نواقص العقول نواقص الإيمان نواقص

الحظوظ» (٢) وفي بعض النسخ آخر «نواقص العقول». أما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام الحيض. وأما نقصان عقولهن فشهادة المرأتين فيهن كشهادة الرجل. وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانتصاف من مواريث الرجال. ثم قال: اتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر» (٣). فمتعلق الكمال إما أن يكون الدين أو الدنيا أو كلاهما، والإيمان والعقل يتعلقان بالدين والآخرة، والحظوظ والمواريث تتعلق بالدنيا، فالنساء ناقصات بالنسبة إلى الرجال في عدة جهات دنيوية وأخروية. عقل زن ناقص است و دينش نيز * هرگزش كامل اعتقاد مكن گر بد است از وی اعتبار بگير * ورنكو بر وی اعتماد مكن (٤)

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) البحار ٣٢ / ٢٤٧ ح ١٩٥ باب ٤.

(٣) البحار ٣٢ / ٢٤٧ ح ١٩٥ باب ٤.

(٤) يقول: عقل المرأة ناقص، ودينها كذلك، فلا تظنن أبدا كمالها.

إن كانت سيئة فاتعظ بها، وإن كانت جميلة فلا تعتمد عليها.

وقال (عليه السلام) أيضا: عقولهن في جمالهن، وجمال الرجال في عقولهم (١). قال العلامة المجلسي: الجمال الحسن في الخلق والخلق، وقوله «عقول النساء في جمالهن» لعل المراد أنه لا ينبغي أن ينظر إلى عقلهن لندرته، بل ينبغي أن يكتفى بجمالهن، أو المراد أن عقلهن غالبا لازم لجمالهن، والأول أظهر (٢).
أعود إلى الموضوع فأقول:

إن أولئك النساء الثلاثة، يعني مريم وخديجة وآسية، إما أن يكن كاملات في العقل والإيمان والحظ، أو إنهن كاملات في بعضها وناقصات في بعض، أو إنهن ناقصات بالنسبة إلى فاطمة (عليها السلام)، كاملات بالنسبة إلى غيرها، أو إنهن - الأربعة -

في مصاف رجال الله في الكمال بعد رفع الموانع، بحيث يكون كمالهن مساويا لكمالهم

في كل المراتب الكمالية.

أما الإرث فهو من مختصات هذه الشيعة المطهرة (للمذكر مثل حظ الانثيين) (٣).

أما رؤية دم الحيض فهو مرفوع وممنوع في مريم (عليها السلام) للنصوص العديدة لصريح آية الاضطفاء والتطهير.

ولم أجد نصا في خديجة وآسية فيكون، الأمر مختصا بفاطمة ومريم كما قدمنا الحديث عن معنى «التول».

نعم ورد في رواية سنية أن الحيض مكروه في بنات الأنبياء مطلقا.

(١) البحار ١ / ٨٢ ح ١ باب ١.

(٢) البحار ١ / ٨٢ ح ١ ب ١.

(٣) النساء: ١١.

وروي في البحار: «إن أول من طمئت سارة» (١) وهي في الخامسة والسبعين، قال تعالى: (وامرأته قائمة فضحكت) (٢) أي حاضت، وقالت: (أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا) (٣) فرأت الدم حينها ليكون دليلا على صدق البشارة، ولتعلم سارة أن المحل سيكون قابلا منفعا من جديد بإرادة الله وقدرته، وإن كان من قبل فاقدا للقابلية. وهذا من خوارق العادات التي تظهر بها قدرة الحكيم العليم.

والتعبير ب «ضحكت» كناية عن الحيض، أو إنها ضحكت تعجبا لأنها رأت شيئا خلاف العادة.

واليهود يسمون إسحاق - ابن سارة - بالصاد، ويعني بالعبرية الضحك، لأنه ولد ضاحكا خلافا لعادة المولود، وإنما ضحك إسحاق تعجبا من ولادته في غير الوقت المعتاد، فكان ضحكه تأسيا بأمه، وكأنه يقول بضحكه: لا يبعد عن القدرة الإلهية المطلقة أن تطمئين في هذا السن، وتلدن في سن اليأس!!
وأما كمال العقل في النساء الثلاثة، واعتبار شهادتهن كشهادة الرجال، فلا كلام فيه، لأنهن من أهل الجنة، ومن كان من أهل الجنة فلا بد أن تكون له فضيلة خاصة وامتياز على الآخرين، ويشهد بذلك احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على

أبي بكر بأن «أم أيمن من أهل الجنة»، ويشهد له أيضا شهادة مريم لوحدها دون الرجال.

(١) البحار ٤٣ / ٢٥ ح ٢١ باب ٣.

(٢) هود: ٧٢.

(٣) هود: ٧٢.

ويمكن الاستفادة من الأخبار المعتبرة الأخرى الدالة على جلالة قدر خديجة وسارة على تعادل شهادتهن مع شهادة الرجال فضلا عن فاطمة (عليها السلام) ومريم (عليها السلام)، والفرد الأكمل بين هذه النسوة فاطمة الطاهرة (عليها السلام) حيث إنها في أعلى درجة الكمال من حيث العقل والإيمان والإرث، وقد رفعت عنها الموانع والنواقص من أساسها حتى ساوت أكبر الرجال وأعظم الأنبياء المرسلين، والأكمل من الأولياء الصالحين.

وعبارة الحديث «ما كمل من النساء إلا أربعة» مطلقة تنطبق على معيار حق كثيرة، إلا أن كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خصصها في مصاديق معينة، وحصرها في ثلاثة: «العقل» و «الإيمان» و «الإرث».

وبيان أوضح: قال في الحديث: «ما كمل من النساء إلا أربعة» وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «نقصان المرأة من ثلاث جهات، هي العقل والإيمان والإرث»

وفاطمة الزهراء (عليها السلام) دخلت بيت أمير المؤمنين منزهة عن هذه النواقص، وصارت

زوجة له وهي كاملة أتم الكمال.

وإنما ذكرنا هذا الأمر في هذه الخصيصة ليتضح أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت

في حد واحد من الاعتدال، ومستوى واحد من الكمال في البداية والنهاية، والصغر والكبر؛ كما نعتقد بأن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) حالهم واحد في الصغر والكبر، والموت

والحياة. والأفضل أن نشير إلى الموارد الثلاثة إشارة إجمالية لنبين كمال فاطمة (عليها السلام) فيها.

أما كمال عقلها (عليها السلام) وتميزها في ذلك دون النساء. مرد بايد تا كه اقدامی كند* در طريقت غيرت تامی كند

چون نه ای کامل زمردی دم مزن * چون نه ای دلبر مگو از حسن تن
زن که کامل شد زمردان دست برد * مرد ناقص چون زن ناقص بمرد (۱)
ولا يمكن للمرأة الناقصة أن تصل إلى مقام الرجل الكامل فتساويه، بل
تفوقه بأن تكون أكمل منه، إلا أن تكون تلك المرأة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي
استطاعت أن تكون من جهة كمال القوة العاقلة بإزاء بعلمها أمير المؤمنين (عليه
السلام)،

وحاشا لعقلها أن يقاس بالعقول الناقصة لنساء العالمين.
يعني أن هذا الوجود المقدس الذي كان في أعلى مراتب الكمال منذ أول
فيض أفاضه ذو الجلال، فعرفوه بأنه «ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان»،
وجعلوه أشرف المخلوقات وأفضلها، ووجدوا حقيقته كالروح في البدن، وقال
بعضهم: إن اتحاده بالروح اتحاد الصورة بالهيولى، يستحيل أن لا يوجد فرده
الأكمل الأشرف في تلك المخدرة المكرمة مع إفاضات تامة وإشراقات خاصة.
فإذا كمل العقل اتحد معه الروح، فتجد النفس صفاء من خلال استفاضتها
وارتباطها بالروح المتحد بالعقل، فتذهب كدوراتها وظلماتها، ثم يصير البدن
مظهرا للآثار العقلية، ومنورا بأنوار الأخلاق الزكية باعتباره مركبا للروح ومدبرا
من قبل النفس، فيتأدب مركب البدن بتربية الروح والنفس الصافية. فتصل القوة
العاملة إلى المقام بواسطة مدد الإيمان وإعانة القوة العاقلة وإفاضاتها، فتطرد
شهوات النفس الأمارة، وتتورع عما يشتهي الجاهل ويطلبه الأراذل، فيشتغل

(۱) يقول: على الرجل أن يكون مقداما، تاما في الغيرة في أمر الدين والطريقة.
وإلا - فلا تتحدث - يا مدعي الكمال - عن الرجولة؛ ولا تتحدث - يا مدعي الجمال - عن الحسن.
فالمراة إذا بلغت مرحلة الكمال فاقت الرجال؛ والرجل إذا بقي ناقصا مات كالمراة الناقصة.

البدن دائما دؤوبا في عبادة الرحمن واكتساب الجنان ورضوان الله.
ومن علامات هذا العقل الكامل أن يقوم بالأعمال الشاقة والخارقة للعادة
والرياضات البدنية، وتضمحل فيه الجهات الباطلة، ويصير محضا في رضا الحق،
بحيث لا يلحظ في أي لحظة وأن وبأي عضو من أعضائه وجزء من أجزائه سوى
الحضرة الكبرى والعظمة اللامتناهية الإلهية، والساحة الربوبية.
وعليه نقول في حق فاطمة الطاهرة (فبأي حديث بعده يؤمنون) (١):
«وبأي عقل يهتدون، وهي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه
بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموعة صور العالمين، وهي المختصرة
من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل
جاحد، وهي الصراط المستقيم إلى كل خير، والصراط الممدود إلى الجنة والنار».
* * *

وفي الحديث: «العقل هو أول خلق من الروحانيين» فإذا أضاء وأفاض في
أي وجود حفظه من الهلاك.
والعقل من العقال، وهو الحبل الذي تشد به ركة البعير ليبرك ولا يتحرك،
والتعقل إشارة إلى هذا المعنى أيضا. ولقد أجاد من قال:
إذا أكمل الرحمان للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه ومآربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله * وليس من الأشياء شيء يقاربه
قال أمير المؤمنين (عليه السلام): العقل يصعد بصاحبه إلى عليين (٢).

(١) المرسلات: ٥٠.

(٢) بحار الأنوار ١ / ٨٢ ح ٢ باب ١.

وقال (عليه السلام) أيضا: «أصل الإنسان لبه، وعقله دينه، ومروته حيث يجعل لنفسه، والأيام دول، والناس إلى آدم شرع سواء» (١).
وقال (عليه السلام) أيضا: «العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء» (٢).

وعلى ما هو المعلوم فإن الأعمال الخيرية والأفعال البرية كلما زادت في الإنسان كانت دليلا على كمال عقله، لأن القوة العاقلة محرّكة ومؤدبة للقوة الفاعلة، والعمل يتبع العلم.

هرچه را استا بدو موصوف شد * جان شاگردان بدون موصوف شد (٣)
والعقل مسلك الشرع وصراط الإنسان المستقيم الذي يوصله إلى كعبة المقصود، والعقل والشرع حجتنا الحق على الإنسان من الداخل والخارج، قال تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (٤) ف «النور» العقل؛ و «الكتاب المبين» الشرع، والعقل آلة أعطيت لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية، والعقل كالمصباح، والشرع كالزيت، والعقل كالأساس، والشرع كالبناء، والعقل كالعين، والشرع كالنور لها (فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) (٥).
وصورة العقل العدل، وضوؤه وهادييه العلم، بل إن دعامة الإنسان عقله، وبه صار إنسانا.

(١) البحار ١ / ٨٢ ح ٢ باب ١.

(٢) البحار ١ / ٩٦ ح ٤٠ باب ١.

(٣) يقول: كل ما وصف به المعلم، اتصف به تلاميذه.

(٤) المائدة: ١٥.

(٥) البقرة: ٦٤.

وقد قسم الحكماء الإنسان حسب اصطلاحهم إلى: إنسان طبيعي، وإنسان
نفساني، وإنسان عقلائي، وإنسان لاهوتي، وهذا التقسيم مبني على المراتب
الأربعة: الجمادي، والنباتي، والحيواني، والإنساني، وبين هذه المراتب برازخ
ومراتب، فإذا طوى الإنسان هذه الدرجات والمقامات (١) وصل إلى مرتبة
الإنسانية وعندها يصير صاحب عقل كامل، وإلا ف (إن الإنسان لفي خسر) (٢)
و (إن الإنسان لكفور) (٣) و (كان الإنسان قتورا) (٤) و (إنه كان ظلوماً) (٥).
والإنسان مرآة ذات وجهين: أحدهما تعكس خصائص الربوبية،
والأخرى نقائص العبودية، فهو بلحاظ أتفه الأشياء، وبلحاظ أعظم الأشياء.
چون در خود از أوصاف تو بینم اثری * حاشا که بود نکوتر از من دگری
وآنکه که فتد بحال خویشم نظری * در هر جهان نباشد از من بتری (٦)
فالإنسان في صورته الجسمانية له معنويات روحانية عبر عنها بالسر والجهر

(١) كما قال المولوي:

از جمادی مردم و نامی شدم * وز نما مردم ز حیوان سر زدم

(٢) العصر: ٢.

(٣) الحج: ٦٦.

(٤) الإسراء: ١٠٠.

(٥) الأحزاب: ٧٢.

(٦) يقول: إذا نظرت في ذاتي أثرا من أوصافك، قلت حاشا أن يكون في الكون أفضل مني.

وإذا وقع نظري على حالي، علمت أن ليس في العالم أسوأ مني.

في قوله تعالى: (ويعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) (١) فإذا بقي في الصورة الجهرية فسوف لن يصل إلى عالم السر المعنوي (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل) (٢).
ز دورانديشى عقل فضولي* يکی شد فلسفي ديگر حولی (٣)
(صم بكم عمي فهم لا يعقلون) (٤).

وهناك اختلاف في مراتب العقول من المطبوع والمسموع واصطلاحات المتكلمين والحكماء الإلهيين يقصر عنها عقلي، ولكنني أعلم أن المراتب الكمالية للعقول غير متناهية، وأن كمال العقول الناقصة سيكون في زمان ظهور الفرج الأعظم كما في الكافي:

«إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت أحلامهم» (٥). باعتبار أن الكمال في ذلك الوقت يكون بواسطة ظهور الولاية الحقة، فتصل الجهة العالية المواجهة للحق إلى نهايتها، وتكون نهاية قوس النزول وبداية قوس الصعود ويكون يومها إمام العصر - وهو حقيقة العلم - ودليل كل العقول ومرشدتها ومسددتها، ظاهرا وباطنا، وسرا وجهرا.
فصدق قولهم: أن أثر العقل التجافي عن دار الغرور إلى دار السرور، والزيادة والنقصان في الآثار العقلية نتيجة العقل الغريزي والعقل الإكتسابي

(١) الأنعام: ٣.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) يقول: من تعمق الفكر الفضولي صار واحدا فيلسوفا والآخر حوليا.

(٤) البقرة: ١٧١.

(٥) البحار ٥٢ / ٣٢٨ ح ٤٧ باب ٢٧.

(التجارب). وقد ذهب البعض إلى أن الأول ليس فيه كمال ونقص، وأن الزيادة والنقصان في العقل الثانوي فحسب، ولذا قالوا: العقل ما عقلك عما لا يعينك، والعاقل من يضع الشيء في موضعه، وأن التجربة مرآة العقل - كما يقول الخواص والعوام - وهو ما قصد بالمعنى اللغوي للعقل، وهو تعريف توصيفي من قبيل «العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان»، وإلا ففي حقيقته خلاف من أنه نور، أو قوة، أو ملكة، أو نفس ناطقة... وغير ذلك.

والعقل ضده الحمق، والحمق الكساد، يقال أحمقت السوق أي كسدت، والأحمق كاسد العقل، وبعبارة أخرى: الأحمق: من لا عقل له، والحمق داء لا دواء له كما قال الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به * إلا الحماسة أعيت من يداويها
والعقل أعز الأشياء فإذا فقد الشخص هذا الجوهر الشريف صار أبغض
الناس عند الله وأحمقهم عند الخلق و (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (١).
وأجد - أنا الفقير العاجز الجاهل - نفسي فقدت زمام قلبي في هذه
الخصيصة العقلية، فسرحت ألتقط من كل مشرب ومذهب نظما ونثرا وكلمة
مستطرفة، وأسجلها دون الإستمداد من مورد مرتب أو عنوان مبوب، فابتعدت
عن المقصود، والأفضل أن أعود إليه من جديد فأقول:

إن العقل النوراني الفاطمي كان في كمال التمام، وتمام الكمال منذ بدو الإيجاد والإبداع، والسبب الكلي في ذلك ارتباطه واتصاله بجوهر العقل النبوي والعلوي

(١) الرعد: ٤، النحل: ١٢ و ٦٧.

معنى وصورة؛ وهذا الاتصال لا يتم بدون الجنسية والسنخية والاتحاد، ومثاله الحسي: أن الكبريت يصير ناراً إذا جاور النار لأدنى مناسبة، وذلك للسنخية والجنسية الموجودة بينهما، فهذه الجنسية جعلته يشابه النار ويتغير وضعه دفعة واحدة ليصير منها. وبديهي أنه كلما قلت المناسبة بين الشيء وبين النار، قل قبول أثرها، حتى تصل الحالة إلى المباينة والمغايرة كلية، فتصير كمجاورة الماء للنار. وانظر الآن إلى جوهر الذات القدسية الفاطمية وصفاء باطنها وانجلاء نفسها مع الذات الأقدس النبوية والوجود المقدس العلوي، واتصالها في العوالم العلوية، فلقد كانت هناك ولا بد أن تكون هنا في العالم العنصري كما هيتهها في العالم العلوي، ولا مناص من القول بالسنخية والجنسية والاتصال، وبذلك صارت مصدراً للكرامات ومظهراً للمعجزات، وقد ذكر مثلهم في القرآن في قوله تعالى (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) (١).

فمعيتها مع الشخص الأول أعطاها إمكان الوصول إلى كل المراتب الكمالية للعقل، ومصاحبة روح القدس والروح الأمين والملائكة المقربين مكنها من معرفة دقائق عوالم اللاهوت، وحقائق وأعيان الملك والملكوت، وغرائب وعجائب ما كان وما هو كائن، وحوادث ما يكون. وكل شيء إذا بلغ حده الأعلى من الكمال شبه بالبدر ليلة الرابع عشر، فيقال إنه «كالبدر ليلة تمامه». والحق أن العقل الكامل لتلك المخدرة كان كالبدر التام مستنيراً بنور شمس

(١) النور: ٣٥.

فلك النبوة وقد بلغ غاية الكمال و «ليس وراء عبادان قرية» و (إن في ذلك ذكرى لمن كان له قلب) (١).

فنقول: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن شهادة النساء نصف شهادة الرجال لأنهن ناقصات العقول، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) شهادتها تعادل شهادة الرجل، بل تعادل شهادة رجال العالمين ونسائهم اعتمادا على عصمتها، واستنادا إلى حديث «ما كمل من النساء إلا أربعة».

وكذا الأمر بالنسبة إلى خديجة ومريم.

والعجب كل العجب من الملا علي القوشجي - عليه ما عليه - حيث قال: إذا كانت فاطمة معصومة وذهبت مع معصوم إلى الحاكم وشهدت، فإن للحاكم أن يقضي برأيه ويرد شهادتها!! وسيأتي الرد على قوله في قصة فدك. أما كمال إيمان سيدة نساء العالمين، فقد أشرنا إليه في الخصيصة السابقة أثناء الحديث عن إيمان آسية، وشرحنا معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن ابنتي فاطمة ملاء الله قلبها وجوارحها إيمانا إلى مشاشها».

أما كمال حظها في الإرث من أبيها: فاعلم أن حكمة الباري اقتضت أن لا يبقى للنبي ولد - ذكرا كان أو أنثى - إلا فاطمة (عليها السلام)، لكي تتفرد بالإرث، قال الله

تعالى في شأن زيد بن حارثة الذي دعي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما كان محمد أبا

أحد من رجالكم) (٢) فنفى أبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لزيد، وأثبتها لولد فاطمة (عليها السلام) في آية المباهلة. وكان للنبي من الذكور إبراهيم، وقد فدا الحسين (عليه السلام) به.

(١) ق: ٣٧.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

وقالوا (عليهم السلام): لو بقي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولد ذكر، لزاحم أمير المؤمنين (عليه السلام) على الخلافة، فاقترضت الحكمة الحقة أن لا يقدر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولد منذ اليوم الأول، لتنتهي تمام الفضائل والفواضل والعواطف والشرائف إلى العصمة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ولا أدري لو كان إبراهيم بن مارية القبطية باقيا، فهل سيكون له شرف سوى شرف الإنتماء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع وجود فاطمة المعصومة وابنيها المعصومين (عليهم السلام)؟ وهل سيكون له امتياز في المعارف الإلهية والعلوم اللدنية على أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسينين (عليهما السلام)؟ وكيف سينتفع من إرث النبوة؟ وبأي دليل كان يتصرف بمواريث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أو يمتلكها؟ ففاطمة الطاهرة لم ترث الكراع والسلاح وما خلفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أمر الله لها فحسب، بل كان لها حظ وافر في وراثة الكتاب والحكمة والعلم والنبوة. وقد أودعت فاطمة أغلب المواريث النبوية المهمة، وما وصل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) كان في يدها الشريفة أيضا، تعرفها جملة وتفصيلا، تعلم ممن؟ وإلى من؟ وأين؟ وإلى أين تصرف تلك الذخائر والمواريث؟ وهذا فضل لا يمكن أن يكون لأبنائه الآخرين.

وقد قالت مطالبة بحقها في إرثها المغصوب ردا على الحديث الموضوع الذي ادعاه أبو بكر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة» (وسياتي الحديث عنه في باب الإرث) قالت (عليها السلام): «بلى قد تجلى لكم الشمس الضاحية أني ابنته؛ أيها المسلمون أغلب على إرثه؟! يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث

أبي! (لقد جئت شيئاً فرياً) (١).
ولا أدري هل كان للذين وضعوا هذا الحديث على النبي وحصروا موارِيثه
في الكتاب والحكمة والنبوة نصيب منها؟ وهل تعلموا شيئاً منها؟!
ومن البديهي الواضح أنهم عراة فارغون من العلم، وهم على يقين أن
أمير المؤمنين (عليه السلام) أفضلهم وأعلمهم وأفقههم.
ولا شك أن الموارِيث المعنوية أولى وأشرف من الموارِيث المالية
والمتروكات الدنيوية، ومن ملك تلك كان أولى بالتصرف في الأمتعة الدنيوية،
وأدري بمصارفها حسب علمه وحكمته وأقوى في حفظها...
الخلاصة: أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كان لها فضلان في إرثها من أبيها:
الأول: ليس لها منازع ولا مانع من أخ أو أخت، حتى تشارك في الإرث.
الثاني: أن موارِيث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الظاهرية والباطنية انتقلت إليها
وأنها شاركت أمير المؤمنين أيضاً فيما انتقل إليه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
وهذا هو كمال الإرث وكمال الإيمان وكمال العقل.
وهي الكاملة، العاقلة، المؤمنة، المطيعة لله ولرسوله في الأقوال والأفعال
والأحوال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) مريم: ٢٦.

الخصيصة السادسة عشر من الخصائص الخمسين
في النساء الممدوحات في القرآن الكريم
لقد ذكر الله سبحانه في القرآن المجيد والفرقان الحميد النساء ومدحهن
وجعلهن في صف الرجال في عشر صفات، وأراد منهن ما أراد منهم، وساواهن
بالرجال في السعي والاجتهاد لاكتساب هذه الخصال الحميدة.
قال الطبرسي في مجمع البيان: لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع
زوجها جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) دخلت على نساء رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) فقالت: هل نزل
فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا
رسول الله! إن
النساء لفي خيبة وخسار، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا
يذكرن بخير كما
يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه الآية (١): (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات
والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين
فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا
عظيما) (٢).

(١) مجمع البيان ٨ / ١٥٨ ذيل الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

فلنفتش الآن في أخبار أهل البيت (عليهم السلام) وآثارهم وتفاسيرهم لنرى هل نعثر على رجل وامرأة أفضل وأكمل من سلطان الولاية علي وسيدة النساء فاطمة (عليهما السلام)

في الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والإنفاق والصيام والحفظ ودوام الذكر؟!!

هل وجد - أو يوجد - في العالم مثلهما، حتى من ذريتهما وأبنائهما؟ لا والله، فقد بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) أعلى مراتب الكمال، واقتدت به الصديقة فاطمة (عليها السلام) في كل شيء.

وقد مر في حديث الكفاءة أن الله خلق عليا لفاطمة، ولولاه لما كان لفاطمة كفاء، وهو أقوى دليل على جلالة قدر فاطمة الزهراء (عليها السلام). وعليه فكما أن عليا (عليه السلام) كان أول المسلمين والمؤمنين ... إلى آخر الآية فكذلك فاطمة (عليها السلام) كانت أول المسلمات والمؤمنات ... إلى آخر الآية، ولولا ذلك لما

كانت سيدة النساء، بل إنها اتصفت بصفات النساء الاثني عشر اللواتي ذكرهن القرآن - صراحة أو كناية - بصفات مميزة، حيث ذكر حواء بالتوبة؛ وسارة بالجمال؛ ورحمة - زوجة أيوب - بالحفظ؛ وآسية بالحرمة؛ وزليخا بالحكمة؛ وبلقيس بالعقل؛ وبرحانة - أم موسى - بالصبر؛ ومريم بالإصطفاء؛ وخديجة بالرضا؛ وفاطمة بالعلم.

وكل هذه الصفات والمقامات بآثارها تجتمع في الإنسان الكامل بدلالة العلم، ومن العلم يصل الإنسان إلى مقام الرضا ودرجة الإصطفاء. وبالعلم يعرف البلاء فيبلغ رتبة الصابر، ويسلك مسلك العقل ويدرك خيرا كثيرا، فيرزق الحكمة وتكون له في العوالم العلوية حرمة، ويحفظ بحفظ الحق، ويتزين بالجمال المعنوي

والصوري، ويسبق دائما بالإكثار من الإنابة والتوبة، فوصف العلم والطهارة أشرف وأفضل الأوصاف، والعلم أرفع المقامات وأعلاها. وقد عد العلامة المجلسي فاطمة الزهراء (عليها السلام) في عداد الأنبياء العظام في إجابة

الدعوة، يعني في عداد آدم ونوح ويوسف وموسى وهارون وأيوب وزكريا وخاتم الأنبياء عليهم صلوات الله، فقد استجاب الله دعائها استجاب دعاءهم. وسيأتي الكلام عن ذلك في باب الآيات الكريمة إن شاء الله تعالى. فنقول: انتهت سلسلة الرجال والعبيد من آدم أبي البشر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ وانتهت سلسلة النساء والإماء من حواء إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام)؛ فلم نجد في الرجال خيرا من أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم تلد الأمهات مثل فاطمة في النساء.

والمراد بالرجال العظام من الكاملين، يعني الأنبياء عموما، ومقصودي من الكاملين الفرد الكامل، والأفضل الأكمل في عقيدة المسلمين من كان إبراهيم الخليل من شيعته، وهو أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو أفضل من إبراهيم. ومريم أفضل

النساء وهي الفرد الكامل فيهن، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) أفضل منها، وقد تتساوى

امرأتان في العصمة ولكن أحدهما أفضل من الأخرى، كما أن أولي العزم أفضل من باقي الأنبياء - من المرسلين وغير المرسلين - مع أن الجميع متساوون من جهة العصمة والتسيد بروح القدس.

ثم إن الزمان يشرف بأهله، فمنذ زمن آدم (عليه السلام) إلى زمن الخاتم تشرفت الأزمان بوجود الأنبياء، وتشرف زمن الخاتم بمقدار شرف الخاتم والمعصومين الأربع عشر الذين معه، وشرف الظرف من المظروف، كما أن شرف المكان

بالمكين، وعليه فشرف شريعة النبي وأمته وذريته يكون بمقدار مقام ذات النبي وعلو قدره ومكانته، إضافة إلى ما يتميزون به من جهة النسبة والإصالة الذاتية. فتمام المغفرة والأجر العظيم من حظ الرجل والمرأة المتصفين بهذه الصفات العشرة، ومن حظ المرأة المتصفة بصفات النساء الإثنتي عشرة. بلى، من كان في مقام العصمة لا بد أن يكون محيطاً إحاطة جامعة بهذه المراتب والمقامات، بل يكون هو الأشرف فيها، وبديهي أن الأجر العظيم مقابل العمل العظيم، والمغفرة الخاصة مختصة لأعظم الدين وخيار العباد من المعصومات والمعصومين، كما قال الله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) (١).

تذليل فيه تجليل

ذكرنا أن الله مدح عشر نساء بعشر صفات في القرآن الكريم، فلا بأس أن نطبق هذه الصفات - إجمالاً - على الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام): قال تعالى في حق آدم وحواء: (ربنا ظلمنا أنفسنا) (٢).

وقال تعالى في شوق آسية بنت مزاحم: (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) (٣).

وقال تعالى في ضيافة سارة: (وامراته قائمة فضحكت) (٤).

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) الأعراف: ٣٣.

(٣) التحريم: ١١.

(٤) هود: ٧١.

وقال تعالى في عقل بلقيس: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) (١).
وقال في حياء امرأة موسى: (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) (٢).
وقال تعالى في إحسان خديجة: (ووجدك عائلا فأغنى) (٣).
وقال تعالى في نصيحة عائشة وحفصة: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) (٤).
وقال في عصمة فاطمة الزهراء (عليها السلام): (ونساءنا ونساءكم) (٥).
وغرضي من هذا البيان أن نعرف أن جميع هذه الصفات موجودة في الصديقة الطاهرة بمستوى الكمال، إضافة إلى صفاتها الممدوحة الأخرى.
أما توبة حواء فهي على قسمين:
القسم الأول: المراد بالتوبة رجوع آدم وحواء إلى الله بشهادة قوله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا) وإقرارهما بذنبيهما وهو أكلهما من ثمرة الشجرة المنهي عنها، وهو ما يسميه الإمامية «ترك الأولى».
القسم الثاني: قبول التوبة، قال تعالى: (فتاب عليه) (٦).
وقد تحققت التوبة بكلا قسميها في حواء، سواء التوبة أو قبولها، وكلاهما

(١) النمل: ٣٤.

(٢) القصص: ٢٥.

(٣) الضحى: ٨.

(٤) الأحزاب: ٣٢.

(٥) آل عمران: ٦١.

(٦) البقرة: ٣٧.

ممدوح؛ أما الأول فلحسن التوبة، وأما الثاني فلقبول الله وإدخالها في رحمته، وإعادتها إلى الدرجات العالية والمقامات الرفيعة. ولا نريد إطالة الكلام في هذا المقام، ومن أراد التفصيل فليراجع تفاسير أهل البيت (عليهم السلام). ولكن هل يجوز أن تتصف فاطمة الزهراء (عليها السلام) بهذه الصفة، فتتوب وتقبل توبتها، مع أنها معصومة ومطهرة من الذنوب؟
الأفضل أن نشير إلى الجواب إشارة إجمالية:

إن التوبة أول منازل السالكين، وهي توجب السعادة الأخروية للمعصوم وغير المعصوم، بل قيل: تجب التوبة على المذنب وغيره وذلك لأن من لا ذنب له يوجبها على نفسه ويعتقد أنها فريضة عليه في كل آن، ومعنى توبته رجوعه إلى الله بالإرادة، فالمعصوم لا بد أن يكون دائما في هذه الحالة، وهذه الحالة المستمرة في الرجوع إلى الحق والتوجه إلى الله لا تيسر مع الاهتمام بأداء المقتضيات البشرية، وكل واحدة من المقتضيات البشرية قصور لا مناص للإنسان من إصلاحه، من قبيل الأكل والشرب والنوم وأمثالها، لذا اعتقد الإمامية الاثني عشرية أن أئمتهم المعصومين عدوا هذه الأمور معصية وحجابا وغينا ورينا يتوبون منها وينيبون، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين

مرة» (١) فإذا استولى الغبار على مرآة القلب فلا بد من جلاءها بالتوبة والإنابة والاستغفار، بل إن التائب يريد أن يخرج نفسه عما سوى الله، حتى من وجوده هو كما قيل: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب» فالسالك التائب يريد أن يرفع كل حجاب بينه وبين الله لكي يسمى تائبا حقيقيا، وهذه هي التوبة النصوح، وهو

(١) البحار ٢٥ / ٢٠٤ ح ١٦ باب ٦.

مقام لا يكون لغير المعصوم، وهو للمعصوم فرض وحتم بمفاد «والمخلصون في خطر عظيم» (١).

ومن البديهي أن الالتفات إلى الذات «الأنا» من أعظم المعاصي والذنوب، لأنه التفات لغير الحق، فالأكل والشرب والمنام عند الأنبياء العظام وأئمة الأنام (عليهم السلام) ذنب ومعصية، ومواظبتهم على صيام الأيام وقيام الليالي وإعطائها حقها إشارة منهم للإعراض عما لم يرده الله، وتوبتهم وإنابتهم وبكائهم من قصورهم في عبادتهم على حسب معرفتهم، لأن كل واحد من هذه الأعمال يعد حجاباً في عرفهم.

وبناء على ذلك، فإن نفس المعنى الذي يصح معه استغفار النبي وقوله «أتوب إلى الله» مع تنزهه عن الذنوب مطلقاً، يصح أيضاً في حق فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وقبول توبتها؛ يعني إجابة دعوتها؛ وهو دليل على كمال قربها. وللشيخ بيتان في هذا المجال، حيث يقول:

عذر تقصير خدمت آوردم * كه ندرام به طاعت استظهار

عاصيان از گناه توبه كنند * عارفان از عبادت استغفار (٢)

وقال علي بن الحسين (عليه السلام): «إلهي بك هامت القلوب الوالهة، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة، فلا تطمئن القلوب إلا بذكرك، ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك، أنت المسبح في كل مكان، والمعبود في كل زمان، والموجود في كل أوان،

(١) البحار ٧٠ / ٢٤٥ ح ١٨ باب ٥٤، وفيه «... وإن الموقنين لعلی خطر عظیم...».

(٢) يقول: أتيتك بعذر تقصيري، إذ لست مستظهاً بطاعتي.

فالعصاة يتوبون من ذنوبهم، والعرفاء يستغفرون لقصورهم في العبادة.

والمعظم في كل جنان، فأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك، ومن كل راحة بغير
انسك، ومن كل سرور بغير قربك، ومن كل شغل بغير طاعتك» (١).
قال المجلسي (رحمه الله): ذكر الله عشرة في القرآن بإجابة الدعاء:
الأول: نوح (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) (٢).
الثاني: يوسف (فاستجاب له فصرف عنه كيدهن) (٣).
الثالث: موسى وهارون (قد أجيبت دعوتكما) (٤).
الرابع: يونس (فاستجبنا له) (٥).
الخامس: أيوب (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) (٦).
السادس: يحيى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) (٧).
السابع: (أدعوني أستجب لكم) (٨) للمخلصين.
الثامن: (أمن يجيب المضطر) (٩) للمضطرين.
التاسع: (وإذا سألك عبادي) (١٠) للداعين.

-
- (١) البحار ٩٤ / ١٥١ ح ٢١ باب ٣٢.
(٢) الصافات: ٧٥.
(٣) يوسف: ٣٤.
(٤) يونس: ٨٩.
(٥) الأنبياء: ٨٨.
(٦) الأنبياء: ٨٤.
(٧) الأنبياء: ٩٠.
(٨) غافر: ٦٠.
(٩) النمل: ٦٢.
(١٠) البقرة: ١٨٦.

العاشر: (فاستجاب لهم ربهم) (١) فاطمة وزوجها.
قال المجلسي (رحمه الله): ورأس التوايين في القرآن أربعة:
الأول: آدم (عليه السلام): (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) (٢).
الثاني: يونس: (سبحانك إني كنت من الظالمين) (٣).
الثالث: داود: (وخر راعيا وأتاب) (٤).
الرابع: فاطمة الزهراء (عليها السلام): (الذين يذكرون الله قياما وقعودا) (٥).
أما حفظ رحمة زوجة أيوب:

فقد مدحها القرآن بهذه الصفة وهي «الحفظ»، وللحفظ ثلاث معان:
الأول: أن يحفظها الله.

الثاني: حفظها زوجها أيوب.

الثالث: حفظها نفسها.

ويمكن أن يقال: أن حفظ أيوب (عليه السلام) من الشدائد كان من حفظ الله سبحانه،
أي أن الله حفظ أيوب باطنا وحفظته رحمة ظاهرا ولم تقصر في خدمته وملازمته،
وإذا حفظ الله أحدا من الشرور والمفاسد الدنيوية لا بد أن يتخلق بالأخلاق
الإلهية، والتخلق الحسن في المرأة هو حسن التبعل والمودة والرحمة للزوج، قال

(١) آل عمران: ١٩٥.

(٢) الأعراف: ٣٣.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) ص: ٢٤.

(٥) آل عمران: ١٩١.

تعالى: (وجعل بينكم مودة ورحمة) (١)، وأثر المودة والرحمة القلبية الاهتمام والالتزام بالخدمة، وبالتالي يكون هذا الحفظ راجعا إلى الله الحق، يعني أن الله حفظ أيوب من أذى قومه، والأمر الآخر بواسطة أهله «رحمة».

ورحمة الممدوحة في القرآن هي بنت افرائم بن يوسف بن يعقوب (عليه السلام)، وقد بالغت في خدمة أيوب ومداراته، حتى قال عنها الإمام (عليه السلام): «رحم الله رحمة امرأة

أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفف عنها» (٢).
وقد ذكرت تفاسير أهل البيت وأخبارهم قصة أيوب وما فيها من نصائح وعبر من حيث توالي النعم والمواهب الحميدة وتواترها عليه وشكره الذي بلغ أعلى مراتب الكمال وفقدان كل شيء في فترة قصيرة جدا ليختبر في ذلك، وما لاقاه من قومه من جفاء وهجر بعد ما ابتلي بالدمامل والبثور إلا زوجته الكريمة «رحمة»، فإنها صبرت على كل تلك البلايا، إن في ذلك لآيات وعبر يهتدي بها المهتدون ويعتبر بها المعترفون.

وقد حفظت «رحمة» نفسها من الوسوس النفسانية والتسويلات الشيطانية؛ وذلك لعفتها الشديدة من جهة، ولإنتسابها إلى النبوة من جهة أخرى. ولو أمعنا النظر لوجدنا أن المراد من الحفظ الذي مدحت به رحمة هو القسم الثالث، أي حفظها نفسها، وهو برزخ بين حفظ الله وحفظ أيوب (عليه السلام)، فرحمة

حفظت نفسها من الالتفات إلى غير زوجها وأدت حقه، فأعانها الله وسددها ومدحها على هذه السعادة العظمى، فقال في سورة الأنبياء: (وأيوب إذ نادى ربه

(١) الروم: ٢١.

(٢) البحار ١٢ / ٣٧٠ ح ٢٥ باب ١٠ ولم ينسب القول إلى أحد.

أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين* فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه
وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) (١).
وإني أعتقد في قضية حفظ «رحمة» بحكاية خاصة رواها أهل السنة في
قصص الأنبياء، قالوا: لما جزع الشيطان من صبر أيوب أراد أن يأتيه من قبل
امراته بمفاد «النساء حبائل الشيطان»، فتعرض لرحمة وقال لها: إن شئت
فاسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والأولاد وأعافي زوجك،
فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها قال: لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك؛ ثم
أقسم إن عافاه الله تعالى ليضربها مائة جلدة، فقال الله: (وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث) (٢) (٣).

إن حفظ الباري «رحمة» من إغواء الشيطان يدل على حسن حالها، حيث
كانت هذه المرأة الموقرة - التي يحكي اسمها عن علو مقامها - تماما عكس أولئك
الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه
ليؤوس كفور) (٤).

وفي كتب الشيعة إنها باعت صفائرها لامرأة أجنبية وحفظت نفسها لحفظ
الوجود المقدس النبوي.

ومن نظر في حال هذه المرأة المحترمة عرف منزلتها عند الله ومدى صبرها في
خدمة النبي (عليه السلام)، حيث تابرت سبع سنين في تمريض النبي (عليه السلام)
وصبرت على أذى

(١) الأنبياء: ٨٣ - ٨٤.

(٢) ص: ٤٤.

(٣) البحار ١٢ / ٣٥٦ ح ٢٥ باب ١٠.

(٤) هود: ٩.

القوم، حتى امتن الله عليها فقال: (فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا) إلى آخر القصة الشريفة.

أما حفظ فاطمة الصديقة الطاهرة ففي عصمتها الملازمة لوجودها المباركة فهي لم تغفل دقيقة واحدة. وقد ذكرنا في الخصيصة السابقة أن لطف الله وفضله شمل الصديقة الكبرى وكفلها في كل حال، كيف لا وقد قضت عمرها الشريف في كلائة الولاية دائما، وما قصرت ولا فرطت قط في حفظ أمير المؤمنين، بل كانت في منتهى غاية في الرحمة والمودة. وكانت فاطمة (عليها السلام) أولى من رحمة في الحفظ - على

المعاني الثلاثة - وكان الشيطان مخذولا محروما كمال الخذلان والحرمان في ساحتها المقدسة؛ وكانت هي في أعلى درجات القبول في إطاعة زوجها، وفي منتهى درجات القرب لشكرها النعم وصبرها على المصائب والألم، فصلوات الله عليها وعلى آله الكرام.

أما حرمة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون المذكورة في القرآن الكريم، فهي على قسمين: حرمة عند الله وحرمة عند زوجها فرعون، أما الثانية فكانت نهايتها مأساوية حيث انتهت إلى الاستشهاد تحت التعذيب، وكانت آسية محترمة عند بني إسرائيل - قبل أن تعلن إيمانها - احتراما شديدا يلي احترام فرعون لشدة قربها من فرعون، وكان فرعون يلبي لها كل ما تطلب ليكسب ودها، ولئلا يعكر عليها أو يزعجها ولو لحظة واحدة.

ولم تكن ثمة امرأة استولت على رجل - في الأمور الدنيوية والمشتهيات النفسانية - كما استولت آسية على زوجها، وكان فرعون راضحا مستسلما لها مأمورا بأمرها مقهورا لها، وإنما قتلها لأنها آمنت بالله ورسوله موسى بن

عمران (عليه السلام) إيماناً راسخاً ثابتاً ما تزحزح أمام ألوان العذاب والتهديد، فدخلت بصمودها وصبرها وثباتها على الإيمان في عداد النساء الكاملات في الدنيا، وحظيت بسعادة خدمة موسى وحضارته، ودافعت عنه ومنعت فرعون مراراً عن قتله (عليه السلام)، ومنعت جواريتها وأهل بيتها عن الإقرار بربوبية فرعون، وكان فرعون

يحاول جاهداً صرفها عن رب العالمين وكان حاضراً أن يدفع كل شيء في سبيل ذلك، ولكن دون جدوى، فقد ذهلت عن كل شيء في الدنيا إلا عن إيمانها القلبي بالنحو المذكور.

أما حرمة فاطمة الزهراء عند الله وعند الرسول وعند أمير المؤمنين وعند الخلق فهو بديهي كما مر، ويأتي في الأحاديث والأخبار المعتبرة، وقد عانت ما عانت من ظلم فراعنة زمانها، وكانت لها مكاشفات عند الوفاة، وسيأتي الإستدلال بها إن شاء الله.

ومن نماذج حرمتها عند الله تعظيم الرب لها منذ بدو الإيجاد إلى زمان الولادة، فقد أتحنفها بتلك الهدايا والتحف السماوية، وأنزل النساء المكرمات والهوريات، وأرسل إليها الرسل المكرمين والملائكة المقربين ليلة زفافها يحملون الحلل من الجنة، وخصها بما كان تحت العرش وشجرة طوبى وجنة عدن بالنحو المذكور، وكشف لها عند الموت عن علو الدرجات ونزول الملائكة وسكان السماوات والمقامات المحمودة التي وعدت بها في القيامة من الشفاعة وغيرها. ومن نماذج حرمتها عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): شمهها وتقبيل يدها وعنقها ووجهها

وجبهتها وارتشاف ريقها كما يرتشف العسل، واستقبالها وتشيعها كلما دخلت أو خرجت، ووضع وجهه في صدرها قبل النوم، وإعلان مناقبها على رؤوس

الأشهاد، وأمر الناس بمعرفتها ومحبتها والاعتداء بها، وغير ذلك مما لا يصفه بيان. ومن نماذج حرمتها عند أمير المؤمنين (عليه السلام) تحريم النساء عليه ما دامت فاطمة حية، وخدمته في البيت رعاية للحرمة، وعدم مخالفته أوامر فاطمة، ومخاطبتها ب «السيدة» دائماً، وإفشاء أسرارها الخفية لها؛ دنيوية وأخروية، وعوده في بيته بعد وفاتها حزناً عليها وبكاؤه عليها وملازمته قبرها.

ومن نماذج حرمتها عند أهل المدينة أنهم لم يتعرضوا إلى علي ولم يطالبونه بالبيعة ما دامت فاطمة (عليها السلام) على قيد الحياة.

وأما عقل بلقيس: بنت شراحيل ملكة سبأ في مأرب التي ورثت السلطنة من أبيها وكانت تحكم اثني عشر ألف قائد، تحت إمرة كل واحد منهم مائة ألف نفر.

وقد عاشت بلقيس في عصر النبي سليمان بن داود، وكان لها عرش عظيم طوله ثمانون ذراعاً، وقوائمه عن الذهب والفضة، مرصع بالجواهر النفيسة، بحيث وصفه القرآن بالعظمة فقال: (ولها عرش عظيم) (١).

وقال تعالى: (وأوتيت من كل شيء) (٢) حيث جمعت تمام مستلزمات السلطنة إضافة إلى الكمالات الصورية والمعنوية، وكانت غاية في الحسن والجمال وعارفة باللغات وصاحبة خط حسن، ولم تر لها كفواً في جميع ملوك الأرض، ولم يكن لها نظير قط في تدبير الملك والسلطان. وكانت وقومها يعبدون الشمس من دون الله، قال تعالى: (وجدتها وقومها

(١) النمل: ٢٣.

(٢) النمل: ٢٣.

يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) (١).

فلما سمع سليمان بن داود (عليه السلام) خبر بلقيس، بعث إليها مع الهدهد رسالة يدعوها إلى الإسلام: «من عبد الله سليمان بن داود إلى ملكة سبأ بلقيس: (بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلقو علي وأتوني مسلمين) (٢).

فلما قرأت بلقيس - الأميرة المطاعة - الرسالة وفهمت ما فيها، أحضرت ثلاثمائة وثلاثة عشر من الأعيان وكبار الجيش والدولة واستشارتهم، وطلبت منهم إبداء الرأي الصائب في كيفية التعامل مع سليمان (عليه السلام)، وقرأت عليهم الكتاب

الكريم، فقالوا في جوابها: (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) (٣) فقالت: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) (٤).

وهذا هو العقل والمعرفة والنظر في عواقب الأمور، حيث إن بلقيس مع أنها امرأة يلازمها نقصان العقل، إلا أنها لم تتعجل في محاربة سليمان وهي في موقع القوة تملك كل مستلزمات الحرب والقتال والدفاع، إلا أنها نظرت إلى عاقبة رعاياها ومآل أمرهم فقالت (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) (٥) فقررت اختبار سليمان بالهدية، فإن قبلها فهو ملك يحارب،

(١) النمل: ٢٤.

(٢) النمل: ٣١.

(٣) النمل: ٣٣.

(٤) النمل: ٣٤.

(٥) النمل: ٣٤.

وإن ردها فهو نبي، ومحاربة الأنبياء لا تحمد عقباه، فقالت: (إني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) (١). فلما أرسلت الهدية ردها سليمان (عليه السلام) وأحضرها وعرشها عنده، فاعترفت بالعجز وأقرت بوحدانية الحق تعالى (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) (٢). ويكفي بلقيس - في حسن نظرها في عواقب الأمور وحسن تدبير عقلها الغريزي - أنها نالت شرف المثل بين يدي سليمان والتوفيق للإسلام (قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (٣). وهذا هو معنى قوله (عليه السلام):

«العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان» كما أشرنا سابقا. وقد اختلفت الأقوال في زواج بلقيس، والمشهور أنها تزوجت رجلا من التبابعة ملوك اليمن، فأعادها إلى مقر سلطنتها في مأرب. على أي حال، قال أهل الحق: قسم العلم ألفي جزء، أعطي منه الأنبياء والملائكة ألفا، وأعطى النبي الخاتم تسعمائة تسعة وتسعين جزءا، وقسم الجزء الباقي أربعة أجزاء، فجعل جزء في الناس عامة، وجزء في العلماء، وقسم جزء منه إلى نصفين، فنصف في أهل القرى والرساتيق، وجزء في النساء. ومن هنا عبر بعض أهل العقل عن العقل بأنه «تمام العلوم»، فإذا جمعت صار صاحبها عاقلا كاملا، باعتبار أن هذه العلوم تعقل صاحبها من الوقوع في المهالك وتحفظه وتمنعه.

(١) النمل: ٣٥.

(٢) النمل: ٤٢.

(٣) النمل: ٤٤.

وفي نهج البلاغة: أوحى الله إلى داود «إذا رأيت عاقلا كن له خادما». فالعقول مختلفة، ومراتب العقل غير متناهية، وبعقل المعاد يحصل عقل المعاش.

وفي عيون أخبار الرضا (عليه السلام): «صديق كل امرء عقله وعدوه جهله» (١). وهذه المراتب والدرجات والكمالات بأجمعها ترجع إلى العلم، وقد مدح الله عز وجل في القرآن الكريم فاطمة الزهراء (عليها السلام) بالعلم، والعلم - كما قال العلامة

المجلسي (رحمه الله) - أفضل من الدنيا وما فيها، وهو دليل العقل وسراجه. وقد اطلعت بلقيس على بعض العلوم، فاهتدت بأنوارها واستدلّت بدلالاتها فوصفت بالعقل، وشرفت في عاقبة الأمر بالإسلام.

والصديقة الطاهرة هي معدن العقل والإيمان، جمع فيها علوم ما كان وما يكون، وكمالها العلمي أشرف من كمالها العملي؛ لأن التقصير من جهة العلم أشد من التقصير في العمل، وإفاضة الحكمة الإلهية والعلوم اللدنية عليها أكثر من الآخرين، مع كل ذلك تبقى فاطمة (عليها السلام) رشيحة من رشحات الوجود المحمدي،

وحسنة من حسنات الذات المقدسة العلوية صلوات الله عليها. نقل مطابق مع العقل

شرحنا فيما مضى معنى إيمان فاطمة الزهراء (عليها السلام) ضمن الحديث عن آسية خاتون، وبيننا حقيقة العقل إجمالاً ضمن حديث «ما كمل من النساء إلا أربعة» فلا بد من الإشارة في هذا المقام للعقول حسب مراتب الاختلاف؛ والعقل بجميع

(١) البحار ١ / ٨٧ ح ١١ باب ١.

معانيه المختلفة يصاحب العلم ويلازمه، فهما لا ينفكان ولا يفترقان، كما ورد في الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال: «يا هشام... إن العقل مع العلم» (١) فقال: (وتلك

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) (٢).

وفي كتاب الإثني عشرية: العقل قسمان: عقل غريزي، وهو العقل الطبيعي، وليس فيه زيادة ولا نقصان ولا يحصل بالإكتساب، وعقل اكتسابي أدبي وهو الذي قيل فيه:

ألم تر أن العقل زين لأهله * ولكن تمام العقل طول التجارب
وقيل: الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وأكثر فهما وأرجح معرفة. والعقل الإكتسابي قابل للزيادة والنقصان، وقيل: التجربة مرآة العقل.

وإذا أردت معرفة العقل فانظر فيه علامة واحدة: «إذا عقلك عقلك عما لا يعينك فأنت عاقل». وقال علي (عليه السلام): «العاقل من يضع الشيء موقعه» (٣). وقيل: كل شيء إذا كثر قلت قيمته، إلا العقل كلما ازداد صار أثنى. ولكل شيء حد إلا العقل، فإنه لا حد له.

على أي حال: إن العلامات التي ذكرت للعاقل لا يمكن أن توجد بتمامها إلا في المعصوم (عليه السلام). سيما إذا كان غير المعصوم امرأة؛ وكانت بلقيس ملكة سبأ تعبد

الشمس من دون الله إطاعة لهواها، فوضعت عبادتها وعملها في غير موضعها، وابتعدت عن الله (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء

(١) البحار ١ / ١٣٤ ح ٣٠ باب ٤.

(٢) العنكبوت: ٤٣.

(٣) البحار ١ / ١٦٠ ح ٣٦ باب ٤ عن نهج البلاغة، قيل له (عليه السلام): صف لنا العاقل. فقال: هو الذي يضع

الشيء مواضعه. قيل له: فصف لنا الجاهل. قال: قد فعلت.

صم بكم عمي فهم لا يعقلون) (١) حتى أدركتها الهداية ببركة سليمان النبي، الحجة الإلهية الظاهرة، فقبلت الإيمان تدريجاً، وقبولها الإيمان بمعنى حصول العلم اليقيني بالله وبالיום الآخر. فانجرت الآثار الكمالية لعقلها الأول إلى الصراط المستقيم والسيرة الربانية العادلة، واستنار جوهر عقلها باقتناء المعرفة واليقين ونور العلم، وكأن قوله «العقل حياء من الله» (٢) صادق في حقها بالمآل نتيجة لحسن الحال، ولذا

قال (عليه السلام): «ولا مال أعود من العقل» (٣) لأن العقل يوجب الكثير من الحظوظ

والمنافع والخيرات التي لا تحصل بالمال ألبتة، ويمكن اكتساب المال بالعقل ولا عكس، فالفقير حقيقة هو من لا عقل له وإن كان متمولاً، ولنعم ما قيل: ليس الفقير فقير المال والحشم* بل الفقير فقير العقل والأدب والغني من كان ذا عقل وإن كان مفلساً؛ وفي الحديث «العقل غطاء ستير»، يستر عيوب الإنسان.

نعود ولا نطيل فنقول:

أولاً: إن بلقيس لم تكن معصومة.

ثانياً: إن نقصان العقل من لوازم النسوان.

ثالثاً: إنما وصفت بلقيس بالعقل الإكتسابي وعقل التجارب - على اختلاف أسمائه - لا بالعقل الطبيعي النوراني الرباني، فلما رأت نفسها وعرشها بين يدي سليمان، ورأت إعراضه عن الهدايا، استنارت وأفيض عليها ابتداء العقل

(١) البقرة: ١٧١.

(٢) البحار ٧٨ / ٣٤٢ ح ١ باب ٢٦.

(٣) البحار ١ / ٩٤ ح ١٧ باب ١.

الرحماني، فدخلت دائرة الإسلام، وبعثت الروح في قواها الظاهرة والباطنة بواسطة نور الإيمان، فوصلت إلى المقصود بفضل عقل المعاد. أما فاطمة الزهراء (عليها السلام) فإنها كانت منذ بدو الإيجاد في حضانة العقل الأول، وتربت في ظل إفاضاته اللامتناهية، واكتست وهي في خلعة البشرية بنور العلم القذفي اللدني والإيمان المؤيد والعقل المجرد، فأمنت العوالم بنور وجودها، وولدت في هذا العالم بالإيمان الكامل و «أين التراب من رب الأرباب».

وأما حكمة زليخا:

فقد ذكر للحكمة معان عديدة في كتب اللغة وكتب التفاسير والأخبار. والحكمة في اللغة هي الحديد الذي يوضع في أنف الفرس ليضبطه صاحبه ويمنعه عن مخالفة مقصوده، ولعل هذه هي جهة تسمية الحكيم بالحكيم باعتبار اتصال الحكمة بالرأس ومنع صاحبها عن الضلالة، أي أن ما في رأسه يمنعه من أن يضل، وفي الحديث: «ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها» (١).

وفي تفسير قوله تعالى: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (٢) قالوا: للحكمة معان منها: النبوة، ومنها العلم الذي يمنع الإنسان من فعل القبيح، ومنها: العلم الموافق للعمل، ومنها: القرآن، ومنها: الفقه، ومنها: طاعة الله، ومنها: معرفة الإمام، ومنها: فهم المعاني، فإذا فهم الحكيم كل المعاني امتنع عن الجهل. والحكمة على قسمين: عملية وعلمية، والحكمة العملية ما كانت متعلقة

(١) البحار ٧٣ / ٢٢٤ ح ١٦.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

بالعمل، مثل علم الطب، والحكمة العلمية ما تعلقت بالعلم، مثل العلم بأصول الموجودات الثمانية، كواجب الوجود، والعقل، والنفس، والهيولى، والصورة، والجسم، والعرض، والمادة.

وقال أهل الحكمة: هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.
وقال تعالى في لقمان: (ولقد آتينا لقمان الحكمة) (١) أي الفهم والعقل، أو الفطنة وإتقان العمل.

والمراد من الحكمة التي وصفت بها زليخا هو الفهم والفطنة، لأنه المعنى الوحيد الذي يمكن أن يصدق في حقها.

وفي عين المعاني: زليخا بضم الزاي وفتح اللام لقب راعيل بنت رعائيل، وقيل: اسمها طيموس بنت سلطان المغرب وكانت من أجمل النساء والمشهور بفتح الزاي.

وزوجها عزيز مصر واسمه - على قول - قطفير، وهو صاحب جنود الملك والعزيز على خزائن مصر، وهو الذي أخبر عنه الباري أنه اشترى يوسف (عليه السلام)،

وقيل: إنه اشتراه بوزنه مسكا مرة، وبوزنه ذهباً مرة، وبوزنه فضة مرة، وبوزنه حريراً مرة، ووزنه - كما في تفسير روح البيان - أربعمائة رطل، قال تعالى: (قال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) (٢).
وقيل: إن زليخا رأت في الرؤيا قبل قبولها الزواج بعزيز مصر بليلة شاباً جميلاً لا مثيل له في الحسن والجمال، فسألته: من أنت؟ قال: أنا عزيز مصر. فلما

(١) لقمان: ١٢.

(٢) يوسف: ٢١.

خطبها الملوك وتقدم إليها عزيز مصر - وقد رأته في المنام بذلك الحسن والجمال - قبلته وجاءت معه إلى مصر، ولكنها وجدت العزيز خلاف ما رأت، فتحسرت وقالت:

نه آنست آن كه من در خواب دیدم * به جستجویش این محنت کشیدم
خدا را ای فلک بر من ببخشای * به روی من در از مهر بگشای
مسوز از غم من بی دست و پا را * مده بر کنج من ره ازدها را (۱)
فلما اشترت يوسف أحست أن أيام الانتظار قد تصرمت، وأنها وصلت إلى
كعبتها وضالتها، وأنها بلغت في اليقظة ما رأته في المنام، قال الجامي:
زليخا چون به رویش دیده بگشاد * به يك دیدارش افتاد آنچه افتاد
زليخائی كه رشك حور عين بود * به مغرب برده عصمت نشین بود
زحسن صورت و لطف شمایل * اسیرش شد به يك دل نی به صد دل
زخورشید رخس نادیده تأبی * گرفتار جمالش شد به خوابی (۲)
فلما أمرها زوجها وقال: (أكرمي مثواه) عینت له بیتا قریبا منها، وزینت

(۱) يقول:

إن هذا ليس من رأيته في منامي، ولا الذي عانيت الأمرين في البحث عنه.
فهبني معبودي يا أيها الفلك، وافتح في وجهي بابا للمحبة.
ولا تحرقني - أنا البائس - بنار الغم، ولا تدع لتنين الأحران إلي سبيلا.

(۲) يقول:

فلما بصرت به زليخا، وقع ما وقع منذ النظرة الاولى.
زليخا التي تحسدها الحور العين، سبقت أسيرة مهجورة إلى المغرب.
وصارت أسيرة حسن طلعتة ولطف شمائله، فعشقتة ملء قلبها، بل ملء مئات القلوب.
ولم تطق صبرا عن طلعتة المشرقة كالشمس، فابتليت بجماله حتى في نومها.

يوسف بأنواع الحللي والحلل، وأخذت تسترق النظر إليه لحظة بعد لحظة، حتى باحت بحبها المكنون، وأفشت وجدها المكتوم، ودبرت الحيل والمكائد لتظفر بالوصول، ومن تلك المكائد أنها بنت قصرا عاليا جعلت يوسف في بعض حجراته، ثم أخذت تغريه بالعبرات التي تفوح شهوة وصبابة، وتترين له غاية الزينة، وتبذل له لعلها تستميل منه نظرة، أو تسمع منه كلمة يستخبرها فيها عن حالها. فأعرض عنها بعصمته التي كانت برهان ربه كما قال تعالى: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) (١) ولم يفتح عينيه في وجهها، وهرب منها وتمسك بالعناية الإلهية، وتوجه إلى رضا، الرب فقال عنه جل وعلا: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) (٢) ولنعم ما قيل في هذا المقام:
از زليخای لطيف سرو قد * يوسفی بايد كه خود را وا كشد (٣)
فشملته العناية الإلهية، وصار سليل إسرائيل والخليل في شبابه مؤيدا من عند الله، ممجدا عن ذلك الذنب العظيم، وارتاح من إغواء زليخا، وشهد له الطفل الرضيع بطهارة الذيل فقال (عليه السلام): (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) (٤) فلبث
في السجن بضع سنين، وظهرت منه الكرامات، وعرف بتعبير المنام وهو من العلوم الموهوبة له، حتى مات العزيز وصار يوسف مكانه، فأعربت زليخا عن ما في الضمير وأبلغت نساء مصر بنيتها الفاسدة.
به جرم خویش کرد اقرار مطلق * برآمد زو صدای حصحص الحق (٥)

(١) يوسف: ٢٤.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) قال: ينبغي لمثل زليخا اللطيفة في حسن طلعتها وقوامها، أن يقابلها مثل يوسف في حصانته وثباته.

(٤) يوسف: ٣٣.

(٥) قال: فأقرت بجرمها وذنبيها، ونادت: الآن حصحص الحق!

الغرض؛ أردنا الإشارة إلى تدبيراتها العملية وفهمها وفضائلها وبيان حكمتها، وقد مر في الحديث «أن في كل رأس حكمة». فزليخا الشابة وقعت في أسر الجمال اليوسفي تحت ضغط الأهواء، فأعرضت عن عالم الحقيقة واستسلمت لعالم المجاز وعبادة الوجوه، ولكن عشقها المكنون كان مشدودا إلى النبي، ولهذا ختم عمرها بالخير وكان عاقبة أيامها إلى خير وإقبال، فتوجه قلبها نحو الصواب؛ قد صبغت الصورة الظاهرية بصبغة معنوية لشدة اهتمامها وكثرة رياضاتها وفرط شوقها وتوطينها النفس على الوجد، واتجهت من شهود الحسن وجمال الصورة إلى وجه ذي الجلال، ودخلت بذلك عالم الكمال، والعاقبة أنها حظيت بالوصال وتحققت لها الآمال.

فأمنت زليخا وتعلمت معالم الدين، واستغرقت في طاعة رب العالمين، حتى صارت تسوف يوسف كلما طلبها، وتتعلل في الوصال وتقول: كنت يوم طلبتك لا أعرف ربك، أما وقد عرفته الآن فلا يسوغ لي أن أدخل غيره في قلبي. وفي الحديث المشهور: «إن يوسف الصديق مر على زليخا وهي في خرابة وهو في موكب مهيب، فرآها منكرة مخدولة محزونة، فرحمها ووقف عليها يتفقد حالها فسألها: يا زليخا ما الذي دعاك إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف. فقال: كيف لو رأيت نبيا يقال له «محمد» يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهها، وأحسن مني خلقا، وأسمح مني كفا؟ قالت: صدقت. قال: وكيف علمت أنني صدقت؟ قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي، فأوحى الله إلى يوسف أنها صدقت، وإني قد أحببتها لحبها محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم)...» (١) فلما سمعت اسم النبي

(١) البحار ١٢ / ٢٨١ ح ٦٠ باب ٩.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) آمنت بالله، وسجدت للواحد الصمد، وأعرضت عن الأصنام.

زنان مصر به هنگام جلوه يوسف * زروی بی خود از دست خویش بیریدند مقرر است که دل پاره پاره می گردید * اگر جمال تو ای نور دیده می دیدند (۱) وفي الحديث: «ما خلقت خلقا أحسن من محمد بن عبد الله».

وقال العرفاء: لقد قطعت الأيدي من مشاهدة جمال يوسف (عليه السلام) كما قال تعالى: (فلما رأيته أكبره وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) (۲). أما ظهور الكمال المحمدي فقد قطع نياط القلوب.

وكذا هو أثر أسمه الشريف؛ الانقلاب من حضيض الكفر إلى ذروة الإيمان، ومن أدنى مراتب الجهل إلى أعلى مراتب العلم والحكمة. فهذه العاقبة الحسنة كانت ببركة التوسل بأهل بيت النبوة.

وبعد الحرمان واليأس صار المعشوق عاشقا، والمحبوب محبا، والمطلوب طالبا، والمجذوب جاذبا.

وإلى هنا نختم الكلام ونعود إلى المقصود.

إعلم؛ أن فاطمة الزهراء (عليها السلام)؛ الصديقة الكبرى صلوات الله عليها عين العصمة ومعدن الحكمة، وهي نعمة موهوبة ورحمة مبذولة لنبي الرحمة والأمة

(۱) يقول: لقد قطعت نساء مصر أيديهن لما رأين يوسف مما لحق بهن. وحقا إنهن لو رأينك - يا قرّة أعيننا - لقطعن قلوبهن بدل أيديهن.
(۲) يوسف: ۳۱.

المرحومة في معرفة الأحكام والحكمة العلمية.
فقد ورد في تأويل قوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (١)
أنها نزلت في تلك المخدرة الكبرى والمستورة العظمى التي هي مصدر الخير الكثير.
وفي قوله تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (٢) الحكمة
التي أمر النبي أن يدعو الناس بها هي ولاية فاطمة وذريتها ومحبتهم.
وجميع ما ذكر للحكمة من معان من: العقل، والعلم، والمعرفة بحقائق
الأشياء، ومعرفة الأصول الثانية، والفهم، ومعرفة أحكام القرآن، كلها موجودة
بلا أدنى شبهة في تلك الآية الإلهية المحكمة.
ففاطمة الزهراء (عليها السلام) هي الحكمة الإلهية، والعقل الكامل، والعلم الجامع،
والحجة البالغة الحقة التي أمر الخلق من الأولين والآخرين بمعرفتها وولايتها، بعد
الافتداء بالنبوة العظمى والولاية الكبرى.
قال تعالى في حق لقمان: (وآتينا لقمان الحكمة) (٣) أي آتيناه العقل والفهم
ولم يكن نبيا، فلا يبعد أن تتعلق الحكمة الإلهية بإعطاء فاطمة الزكية تمام الحكمة
العلمية والعملية وهي الكلمة الجامعة الإلهية.
كان لله آمد اندر ما مضى * تا كه كان الله را آمد جزا (٤)
هيهات، هيهات، أين الثريا من الثرى، فإن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت من
أول الإبداع والإنشاء إلى حين الانقضاء هائمة في مشاهدة منور الأرواح ومصور

(١) البقرة: ٢٦٩.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) لقمان: ١٢.

(٤) يقول: لقد مضى ما كان لله؛ فصار جزاؤه كان الله.

الأشباح وجمال حضرة ذي الجلال، بحيث تعجز عن إدراكها الأفهام، وتقتصر عن وصفها الألسن، حتى قالت هي بلسان عصمتها: «شغلتنني خدمتي ربي عن مسألتي حاجتي»، وهذا هو الاستغراق في العبودية، ومحو الأميال البشرية، والإندكاك في الجبلية، وإيثار رضا المولى وقهر شهوات النفس وميول الهوى، حتى لا يريد العبد من الله سوى الله، فيقضي على التمنيات والنوازع النفسانية، ويبقى متحفظا متيقظا دائما في المراقبات القلبية، ويوافق علمه عمله، فينظر إلى عبادتها سكان الملاء الأعلى وتتباهى به ملائكة السماء صلوات الله عليها.
أما حياء صفورا:

زوجة موسى (عليه السلام) وأخت صفيرا (بالتصغير) بنت شعيب النبي (عليه السلام) التي قال

تعالى فيها: (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) (١) فأخبر - وخبره الحق اليقين - أنها جاءت إلى موسى بعد أن سقى غنم شعيب ودعته إلى أبيها، وكانت مشيتها تحكي العفاف والحياء وهي تتكلم مع رجل أجنبي وتدله على الطريق، وهو من لوازم المرأة النجبية والحرائر والأبكار.

قال تعالى في سورة القصص: (ولما ورد ماء مدين وجد أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير * فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من

خير فقير * فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما

(١) القصص: ٢٥.

سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (١) إلى آخر الآيات الشريفة.

قال المجلسي في معنى «استحياء» أي مستحيية معرضة؛ من عادة النساء الخفريات (٢)، والخفرة بالتحريك الجارية كثيرة الحياء.

فلما وصل موسى (عليه السلام) إلى ماء مدين، وهي على مسيرة ثمانية أيام من مصر نحو ما بين الكوفة إلى البصرة، وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما عن الماء وعن الاختلاط بأغنام الآخرين، فقال لهما موسى (عليه السلام): ما شأنكما؟ قالتا: لا نسقي عند المزاحمة مع الناس حتى يصدر

الرعاء مواشيهم عن وردهم، فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض، وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يتولى السقي بنفسه من الكبر، أو إنهما لا يقدران على رفع الحجر عن البئر، وكان لا يرفعه إلا عشرة رجال، فسقى أغنامهما ولم يسقى إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم (ثم تولى إلى الظل) أي انصرف إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع، فقال: (رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير) فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها، فأنكر شأنهما وسألهما، فأخبرتا الخبر.

فقال لإحدهما: علي به، فرجعت الكبرى (وهي صفوراء) إلى موسى لتدعوه، قالت: (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فتبعها وكانت الريح تضرب ثوبها فيصف لموسى - فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغض مرة، فنادها:

(١) القصص: ٢٥.

(٢) البحار ١٣ / ٢٠.

يا أمة الله كوني خلفي وأريني السميت بقولك. فلما دخل على شعيب - وكان اسمه يثروب وكان مكفوف البصر - إذا هو بالعشاء مهياً، فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش، فقال له موسى: أعوذ بالله. قال شعيب: ولم ذاك؟ أأست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونطعم الطعام (١).

وفي رواية قال موسى لصفورا «إمشي خلفي ودليني الطريق، فإن أخطأت فارمي قدامي بحصاة، فإننا بنو يعقوب لا ننظر في أعجاز النساء» (٢). أما حياء فاطمة الزهراء (عليها السلام) فنكتفي بذكر حديثين فقط في ذلك: الحديث الأول: في البحار عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لفاطمة: ما خير للنساء؟ قالت: لا يرين الرجال ولا يرونهن، فذكر ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إنما فاطمة بضعة مني (٣).

الحديث الثاني: في البحار عن الزهري، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) في حديث

قال في آخره: قالت فاطمة: فقلت: يا أبة أهل الدنيا يوم القيامة عراة؟ فقال: نعم يا بنية، فقلت: وأنا عريانة؟ قال: نعم وأنت عريانة، وإنه لا يلتفت فيه أحد إلى أحد. قالت فاطمة (عليها السلام): فقلت له: واسوأته يومئذ من الله عز وجل، فما خرجت

حتى قال لي: هبط علي جبرئيل الروح الأمين (عليه السلام) فقال لي: يا محمد اقرأ فاطمة

(١) انظر البحار ١٣ / ٢٠ - ٢١.

(٢) البحار ١٣ / ٥٩ ذيل ح ٢١.

(٣) البحار ٣٧ / ٦٩ ح ٣٨ باب ٥٠.

السلام وأعلمها أنها استحييت من الله تبارك وتعالى، فاستحى الله منها، فقد وعدها أن يكسوها يوم القيامة حلتين من نور.
قال علي (عليه السلام): فقلت لها: فهلا سألتيه عن ابن عمك؟ فقالت: قد فعلت: فقال: إن عليا أكرم على الله عز وجل من أن يعريه يوم القيامة (١).
ولو أردنا ذكر الأحاديث الأخرى في حياء تلك المخدرة لطال بنا المقام.

واعلم أن الحياء هو التغيير الحاصل في الإنسان مما يذمه الناس ويسمونه عيبا، والحياء رأس الإيمان وأصل الأخلاق الحسنة، وموجب لاجتناب المعاصي بل المكروهات، وينبغي الاهتمام به ورعايته؛ ففي الحديث «من لا حياء له لا دين له» (٢) ومعيار الحياء في المرأة والرجل قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «من استحي من الله فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت وطول البلاء، ويترك زينة الحياة الدنيا» (٣).
وفي الحديث: إن آدم (عليه السلام) لما أكل الثمرة فانهزم، فناداه الله يا آدم! أفرارا مني؟
قال: بل حياء منك».

ولكن المعنى المستحسن في النساء من الحياء هو الاحتراز عن الرجال واجتناب إبداء الزينة لهم. والزينة على ثلاثة أقسام: الزينة للأجنبي، والزينة للمحارم، والزينة للأزواج. ولكل واحدة من الثلاث حدود وردت في سورة النور

(١) البحار ٤٥ / ٥٥ ح ٤٨ باب ٣.

(٢) انظر البحار ٤٧ / ٤٥ ح ٦٣ باب ٤، و ٧١ / ٣٣١ ح ٥ باب ٨١.

(٣) البحار ١ / ١٤٢ ح ٣٠.

في ذيل قوله تعالى: (ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها) (١). وفي مجمع البيان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «للزوج ما تحت الدرع، وللإبن والأخ ما

فوق الدرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار». وروي عن أهل البيت (عليهم السلام): «لا بأس بالنظر إلى رؤوس الأعراب وأهل السواد والعلوج وأهل الذمة، لأنهم إذا نهوا لا ينتهين، وكذا النظر إلى المجنونة والمغلوب عقلها من الشعر والصدر» والله يحفظنا من شرور أنفسنا إن شاء الله تعالى. أما صير برحانة أم موسى:

فقد أشار إليها القرآن في سورة البقرة والأعراف وإبراهيم، وذكرها المرحوم المجلسي، ولها في تفسير أهل البيت قصة مفصلة ذكرنا شيئاً منها فيما مضى، ونذكرها الآن بشكل مختصر:

كان عمران أبو موسى من عظماء بني لاوى ورؤسائهم، وكانت امرأته برحانة نجبية طيبة ذات فطرة سليمة، حملت بموسى وفرعون بيث القوابل في بيوت بني إسرائيل ليفحصن النساء، فإذا وجدن امرأة حاملاً أخبرن جنود فرعون وهم أكثر من ألف - فأخذوا المرأة وشقوا بطنها، وكانوا يقتلون المواليد الذكور (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء) (٢). فلما ولد موسى - وفرعون يعلم بذلك من أخبار المنجمين الذين قالوا له أنه يولد في يوم الثلاثاء في آذر ماه - رمت به أمه في تنور مسجور أمام عيون القوابل والحرس، فانصرفوا وتركوا برحانة... والحديث طويل.

(١) النور: ٣١.

(٢) البقرة: ٤٩.

وبعد ثلاثة أشهر من بقاء موسى عند أمه وخلاصه من التنور المسجور وظهور الكرامات الباهرات لهذا الوليد، طلبت أمه من خربيل النجار فصنع لها تابوتا وقيره، وهو المقصود في قوله تعالى (وقال رجل من آل فرعون يكتنم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله...) (١) الخ. ووضعت الوليد في التابوت ورمته في البحر وتجرعت الصبر على الفراق؛ قال تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني) (٢).

فالتقطته آسية امرأة فرعون من بين الماء والشجر (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) (٣) وألقى الله محبته في قلبها، فاستوهبته من فرعون (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) (٤) فأخذوه وأمهم تنظر إليه من بعيد وتبكي خوفا عليه لئلا يذبح. قال تعالى: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) (٥) فوهبه فرعون لآسية وطلبوا له المرضع، وموسى يمتنع حتى جيء بأمه، فوثب يرضع (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) (٦) وهذه هي عاقبة الصبر. وما أجمل قول جامي: به صبر اندر صدف باران شود در* به صبر از لعل و گوهر كان شود پر (٧)

(١) غافر: ٢٨.

(٢) القصص: ٧.

(٣) القصص: ٨.

(٤) القصص: ٩.

(٥) القصص: ١٠.

(٦) القصص: ١٣.

(٧) قال: إن قطرات المطر تستحيل بالصبر في بطون الأصداف درا، وبالصبر يمتلئ المعدن جواهرها ويواقيت.

وهذا هو معنى «الصبر مفتاح الفرج». وقال المولوي:
صبر باشد مشتهای زیر کان * هست حلوا آرزوی کود کان
هرکه صبر آورد گردون بررود * هرکه حلوا خورد او پس تر رود (١)
وأما النسوة اللواتي ذكرن في القرآن فقد وصلن إلى مقامات عالية بالصبر.
فحواء قبلت توبتها بالصبر.

وآسية نالت أعلى درجات الجنة بالصبر.

وسارة حصلت على الولد بالصبر.

ورحمة نالت النعم الإلهية بالصبر.

وبرحانة رد إليها ولدها بالصبر.

وزليخا نالت وصال يوسف بالصبر.

وبلقيس أدركت الحضور عند سليمان بالصبر.

ولتنظر إلى صبر الصديقة فقد صبرت على الشدائد الدنيوية، وتحملت

النوائب، وصبرت في المصائب، وكانت صابرة محتسبة في حملها بالسبط السعيد

الشهيد مع علمها أنه سيقتل، ولكنها صبرت رضا برضا الرب، ولم تسأل العلي

الأعلى ولا أبها أن يرفع هذا البلاء، مع أنها كانت مستجابة الدعوة، بل احتضنته

وربته وهي في غاية التسليم في مقام الرضا بما جرى به قلم التقدير، وآثرت إرادة

الحق على إرادتها، وهيئات هيئات أن يتمكن أحد من بيان مدى صبرها أو

إيصال ذلك إلى الأذهان، فالأفضل تأجيله إلى خصيصة أخرى.

(١) يقول: العقلاء يشتهون الصبر، أما الأطفال فيشتهون الحلوى.
فمن صبر فاق الفلك وسما عليه، ومن تناول الحلوى انحط وتساقل.

الخصيصة السابعة عشر من الخصائص الخمسين
في شرح حال آمنة؛ الوالدة الماجدة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
لا يليق هذا الكتاب أن يتناول نساء السلف الصالحات ثم لا يذكر أم
الرسول وجدة فاطمة البتول، فالأفضل أن نعرض على آمنة رضي الله عنها لثلاث
نسب التوفيق، فتحدث عنها قدر المستطاع إظهاراً للمحبة، وإشعاراً بالخلوص
في المودة، والتزاماً للمناسبة بينها وبين تلك النساء الطواهر، وستحدث عنها
ضمن ثلاث طلائع تيسيراً على القراء في الاطلاع.
الطليعة الأولى: في كمالها وجمالها الصوري والمعنوي
لا يخفى أن أم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) آمنة هي بنت وهب بن عبد مناف
بن قصي جد فاطمة الزهراء (عليها السلام) لأبيها، وأمها برة.
وآمنة تلي خديجة الكبرى في جلاله القدر ونبل المقام في مكة المكرمة.
وكذا كانت فاطمة بنت عمرو أم أبي طالب وعبد الله في جلاله القدر والنبل.
كان أبوها متمكناً ثرياً جداً. وكان لفاطمة وآمنة مقام خاص لأنهن أمهات
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
ونسبها قريب جداً من سلسلة النبوة، فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف

بن زهرة بن كلاب بن مرة، ونسبها من الأم: آمنة بنت برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وأم برة أم حبيبة بنت أسد بن عبد العزى بن قصي. وعلى أي حال فهي متصلة من الطرفين بنسب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بوسائط قرابية

وكان بنو زهرة يقولون: نحن أحوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وروي في أوصاف آمنة أنها كانت كالمرآة المضيئة، ووجهها كفلقة قمر، وكانت من أحسن النساء جمالا وكمالا، وأفضلهن حسبا ونسبا. قال الإمام (عليه السلام): «والله ما في بنات أهل مكة مثلها، لأنها محتشمة ونفسها طاهرة مطهرة، وهي دينة أدبية عاقلة فصيحة بليغة، وقد كساها الله جمالا لا يوصف». ويمكن استكشاف أدبها وفضلها وعقلها وإيمانها وبيانها المليح من أبياتها المنظومة وكلماتها المنثورة، ومنها ما خاطبت به النبي الخاتم قبل وفاتها: إن صح ما أبصرت في المنام * فأنت مبعوث على الأنام من عند ذي الجلال والإكرام * تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام * دين أبيك البر إبراهيم فالله أنهاك عن الأصنام * أن لا تواليا مع الأقوام وهذه الأبيات مروية في كتب العامة، وهل يفهم منها سوى إيمانها وتحقق إسلامها، واتباعها لملة إبراهيم الحنيف؟! ولي فيها نظما:

جدتها الطاهرة الحصينة * أم النبي آمنة الأمانة
وامها البرة البيضاء * شريفة الأنساب والآباء
تميمة نيطت على هام العرب * كريمة بنت كريم كوهب

ما أتت الأيام والليالي * مثل أبيها صاحب المعالي
ما ولدت كريمة في العرب * في بيت طهر من كريم النسب
ومن ذرابة لسانها وحلاوة بيانها وحسن منطقتها وعقيدتها الصحيحة أنها
قالت عند وفاتها: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة
وذكرى باق، وقد تركت خيرا وولدت طهرا والسلام.
ومن فضل تلك الدررة اليتيمة والسيدة الكريمة والجوهرة الثمينة والحسناء
الحصينة آمنة (عليها السلام) أنها صارت وعاء للوجود النبوي المقدس، ونالت به
شرف

الأمومة، ولنعم ما قال البوصيري:
فهنيئا لآمنة الفضل * الذي أشرق به حواء
من لحواء إنها حملت * أحمدا وإنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فحار ولم تنله النساء
اي نور خدای در سرا پای * ای مریم لا شریک له زای (١)
والأفضل منه ما قيل في أمير المؤمنين وفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معا:
ما لف في حرق القوابل مثله * إلا ابن آمنة النبي محمد
لقد كثرت المشاهدات قبل ولادته المباركة وفي أيام حمله وبعد الولادة بفترة
وجيزة، فشاهد الناس عموما والنساء خصوصا في اليقظة والمنام من الآثار
الأرضية والسماوية، ومن هواتف الجن ونداءات الملائكة وأقوال السحرة والكهنة
من أهل مكة وغيرها، ومن الكرامات وخوارق العادات والمعجزات الباهرات
لهذا المولود المبارك، حتى أذعن الأغلب بنبوته ورسالته وخاتمته، فكيف يعقل أن

(١) يقول: يا من ولدت نور الله الشامل، ويا مریم التي ولدت من لا شبيه له.

لا تؤمن تلك المخدرة؟ وهل يستقيم هذا الظن الفاسد والخيال الكاسد مع ظهور كل تلك المعجزات وبروز تلك الآيات البيّنات؟! حاشاها من هذه العقائد الفاسدة والنيات الكاسدة، بل ينبغي أن يقال في حق من يموت على هذه العقيدة الباطلة: لا جزاه الله خيرا.

فنقول: إذا قامت القيامة وأخرجت أمهات الأنبياء والأوصياء والصديقين والأولياء الكاملين رؤوسهن من التراب، فكم سيكون لهذه المخدرة من حرمة خاصة ومنزلة شريفة عند فاطمة الزهراء لا تكون لغيرها من النساء، سيما حينما تستظل آمنة خاتون تحت لواء الولاية، وتدخل في حمى النبوة والشفاعة، فأى امرأة تفضل عليها وتتناول إلى مقامها؟!!

إنني اعظم مابي أن اشبهها* يوم القيامة من مثل ومقدار أقول: كان الملوك والسلاطين وأشرف مكة وصناديد قريش وسدنة البيت وخدام الحرم ورؤساء القبائل يتمنون لسنوات طويلة مصاهرة عبد المطلب، فكانوا يعرضون بناتهم الخيرات الحسان بلا مهر ولا عوض، بل كانوا يبذلون المهر وأكثر لعلهم ينقلون النور الساطع اللامع في جبينه إلى أرحام بناتهم، ويشرفون أسرهم بهذا الفخر. فلما تزوجت السيدة آمنة تكدرت منها النفوس وأعرضت عنها القلوب، ورأوا أن النور النبوي المحمدي (صلى الله عليه وآله وسلم) انتقل من صلب عبد الله إلى

صدر آمنة بين ثدييها، فحسدوها وأرادوا إطفاء ذلك النور سيما نساء مكة، حيث كانت آمنة على مرأى ومسمع منهن، وشاهدن انتقال النور الطيب إليها، فمات منهن - كما في البحار - أكثر من مائتين باكر نادرة الحسن والجمال فتعرين من كسوة

الدنيا وتغطين بإطباق التراب وسلمن أرواحهن إلى الموت بعد أن ماتت آمالهن ويئسن من الوصال مع عبد الله عديم المثال.

آتش عشق توأم خرمن پندار بسوخت * تن و جان و دل و دین جمله بیکبار بسوخت
(۱)

روی السید الجزائری علیها الرحمة و غیره من المحدثین عن زمر العاشقین:
«من عشق وعف وکتم ومات مات شهیدا».
ویؤیده قول الشاعر:

من مات عشقا فلیمت هكذا * لا خیر فی عشق بلا موت
در عشق کسی را توانائی نیست * در هجر تحمل شکیبائی نیست
مرگست علاج آن و بیرون از مرگ * هر مصلحت دگر که فرمائی نیست (۲)
و أجمل من هذا وأفضل، ما قاله لسان الغیب حافظ:
تو خود حجاب خودی حافظ از میان برخیز * خوشا کسی که در این راه بی حجاب
رود (۳)

یعنی وجودك ذنب لا یقاس به ذنب، وقال الله تعالى: (وإذا قرأت القرآن
جعلنا بینك و بین الذین لا یؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) (۴) والحجاب حجاب
الغیة للكفرة لأنهم لا یكونون أهلا لفهم أسرار القرآنية. وروی فی ذیل الحدیث
السابق: إن تلك النساء المتوفیات متن حسرة و غیرة.

-
- (۱) یقول: لقد أحرقت نار عشقك بیدر الأوهام، فأشعل النار فی القلب والروح والبدن معا.
(۲) یقول: لا طاقة للمحب فی حبه، ولا تصبر للعاشق علی الهجر.
ولا علاج للعاشق إلا الموت، وكل علاج تذكر فی هذا الشأن غیر شاف.
(۳) یقول: أنت حجاب نفسك، فقم یا حافظ من البین، وما أسعد من سار فی هذا الدرب بلا حجاب.
(۴) الإسراء: ۴۵.

وقد تبين معنى الغيرة في الحديث عن سارة وهي كراهة مشاركة الغير في الأمر الخاص وهو معنى الحمية.
وبعبارة أخرى: إن المحب لا يريد أن يشارك في محبوبه، كما قيل المحبة أن تغار على محبوبك أن يحبه غيرك.
وللمحبة علامتان حسب اختلاف المراتب: أحدهما حقن الدماء، والأخرى سفك الدماء.
قال محب: عدمت وصال المحبين، فاشتعلت حسراتهم في صدري احترق بها وأعيش.
وفي الدعاء: «أسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة» (١).
والمحبة تحرك الشوق، وعلامة الشوق الموت، كما قال تعالى: (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (٢).
ويؤكد المعنى السابق قول الشاعر:
إنني لأحسد ناظري عليكما * حتى أغض إذا نظرت إليكما
وأراك تخطر في شمائلك التي * هي فتنني فاغار منك عليكما
فمن نظر إلى الله لا بد أن يغض النظر عن غيره، لغيرة الربوبية، فلا أحد أغير من الله، فلا يرى إلا الله، وقد أخبر الله عن غيره سيد عباده، فقال: (ما زاغ البصر وما طغى) (٣).

(١) انظر البحار ٨٦ / ٢ ح ٢ باب ٣٨.

(٢) البقرة: ٩٤.

(٣) النجم: ١٧.

الحاصل: إن عنوان العشق البهيمي الذي قد ينجر إلى الفسق هو تجاوز الحد في محبة المحبوب، وهو الذي عبر عنه الإمام (عليه السلام) بقوله: «قلوب خلت عن ذكر

الله» (١)، وهو شيء سوى عنوان الغيرة الحسرة، وإن أمكن أن يعد في أفراد العشق بيان ما، وارجاع الموت الإرادي إليه، فيحترق في نار الحسرة لفراق المحبوب كما قاله الطريحي في معنى الحسرة: إنها الندم والاعتصام على ما فات ولا يمكن أن يعود، وسجية الحسرة وطبيعتها التلهف والحرارة والاحتراق، ويختلف الالتهاب والاشتعال في حقيقة القلب والروح على حسب اختلاف المتحسر والمتأسف، وكأنه مصداق قوله تعالى: (نار الله الموقدة* التي تطلع على الأفئدة) (٢). وقد تنتهي بإتلاف النفوس وإفناء الوجود على حسب الإفراط والاستيلاء، ومن آثارها الحزن القلبي والبيث النفساني (وابيضت عيناه من الحزن) (٣) وقال تعالى: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) (٤) لذا سمي يوم القيامة بيوم الحسرة والندامة، فيالها حسرة على كل ذي غفلة من يوم الحسرة. قال أبو علي عليه الرحمة: إذا بالغ العربي في أمر عظيم فاته، قال: يا حسرتاه ويا لهفتاه.

وسمي يوم القيامة بيوم الحسرة لقوله تعالى: (كذلك يريهم الله أعمالهم

(١) البحار ٧٣ / ١٥٨ ح ١؛ قال (عليه السلام) - وقد سئل عن العشق - : قلوب خلت عن ذكر الله، فأذاقها الله حب غيره.

(٢) الهمزة: ٦ - ٧.

(٣) يوسف: ٨٤.

(٤) يوسف: ٨٦.

حسرات عليهم) (١)، ولذا قال تعالى: (وأندرهم يوم الحسرة) (٢) لأنه يوم تكشف فيه حقائق الأعمال الصالحة والأفعال الطالحة، فيندم أهل الغفلة والمعصية ويندم أهل الطاعة لما فاتهم من أعمال الخير، وكذا هو حال أصحاب الخضر في قصة اقتحام الظلمات والأخذ من أو الإمساك عن تلك الجواهر النفيسة، وكذا هي حسرة الإنسان حين الاحتضار على مفارقة المحبوبات والممتلكات: ما حال من كان له واحد* غيب عنه ذلك الواحد وهو معنى الخيبة ومفارقة الأحبة؛ والحسرة والندم على ما فات، والحرمان من زخارف الدنيا، والبعد عن الساحة المقدسة للكبرياء: يهون علينا في المعالي نفوسنا* ومن خطب الحسنة لم يغله المهر الطليعة الثانية: في أن السيدة آمنة ماتت مؤمنة أعلم أن السيوطي قال في كتابه «مسالك الخلفاء» (٣) في والدي المصطفى: «إني استقرأت أمهات الأنبياء فلم أجد فيهن إلا مؤمنة ماتت على الإيمان. وقال الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير خلاف ذلك، وزعم أن والدي رسول الله كانا كافرين، وذكر أن نص الكتاب يدل على أن أزر كان كافرا، وكان والد إبراهيم الخليل. وذهب القرطبي والدمياطي وابن حجر وعلماء آخرين من أهل الخلاف إلى

(١) البقرة: ١٦٧.

(٢) مريم: ٣٩.

(٣) مسالك الخلفاء كما في حاشية البحار ١٥ / ١١٨.

مذهب السيوطي، وماتوا على هذا المذهب.
وذهب ابن أبي الحديد إلى التوقف في شرح نهج البلاغة بعد أن روى أبيات
كثيرة لأبي طالب تدل على إيمانه، والعجب من فساد هذا المذهب.
ولعمري إن آمنة من كبار النساء، ومن أشرف النسوة المكرمات، وإنها من
أعلى العرب نسبا وحسبا، سطع نور فخرها إلى السماوات العلى، وهبت رياح
عطرها في كل ذرات الهواء، فلها الفضل الجميل، ولم يسمع لها بمثيل، أذاقنا الله من
أسرار نفحاتها، وأعاد على من آمن بها وبإيمانها من بركاتها ورحماتها.
والعجيب أن الواقدي ومن شاكله من علماء السنة والجماعة رووا أخبارا في
ولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تشعر في الغالب بجلالة قدر آمنة وصلابة
إيمانها منها: أن كعب

الأخبار اليهودي قال لمعاوية: إني قد قرأت اثنين وسبعين كتابا... وإنه لم يولد نبي
قط فنزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد صلوات الله عليهما، وما ضرب على
آدمية حجب الجنة غير مريم وآمنة، ولما حملت آمنة به تباشر أهل السماوات (١).
ولا شك أن الله يأبى أن يساوي بين امرأة كافرة وأخرى مؤمنة مثل مريم
ويكرمهما بنفس التكريم، فما الفرق بين الإيمان والكفر حينئذ؟ وأي ميزان سيميز
بينهما في العبودية؟!

وذكر هذا الشرف في حق فاطمة أيضا التي صارت وعاء للأئمة
المعصومين (عليهم السلام)، ونالت فضيلة الأمومة للأولياء الكاملين.
وهكذا كان الوعاء الشريف الذي ضم الوجود المحمدي السعيد، عظيما في
ذاته، تميز بالمزايا الذاتية والأصالة الفطرية، فحسدتها لذلك نساء مكة وتمنين

(١) البحار ١٥ / ٢٦١ ح ١٢ باب ٣.

منزلتها وأثنين عليها بكل تلك الكرامات والسعادات والمواهب الجميلة والمناقب الجليّة، وباركن لأبيها بهذه النعمة المحمودّة والمكرمة المسعودّة، وكان الناس رجالاً ونساء يدعون النبي بها، وينسبونه إليها كما فعل الجارود ابن المنذر النصراني في عام الحديبية حينما أسلم، وكان عالماً بالطب والفلسفة والكتب السماوية؛ قال في قصيدة:

أتيتك يا بن آمنة الرسولاً * لكي بك أهتدي النهج السبيلاً (١)
إلى آخر ما قال... ولم تكن هذه النسبة إهانة، بل كانت على سبيل التفخيم والجلالة.

أقول: إن ما دلت عليه أخبار الإمامية، واشتهر بين الفرقة الحقّة الاثني عشرية زاد الله نظائرهم، أن والذي رسول الله ماتا على الإيمان الكامل والإسلام الخالص، ولم يتدينا بأديان أهل مكة طرفة عين أبداً، ولم يعبدوا إلا الله. نعم؛ حاول جملة من عبيد معاوية وعشاق الدنيا وأتباع الهوى أن يأولوا بعض الآيات والروايات إطاعة لأمر معاوية في كفر أبي طالب (عليه السلام) فحاولوا محاولات مضحكة في تأويل ظواهر الآيات في والذي النبي إكمالاً لمرادهم، كما تبين من كلام الفخر الرازي، ولكن رأيهم لا يصمد أمام النقد، ومع ذلك فقد أجاب عليه الأصحاب بأجوبة سديدة، إضافة إلى ما مر من أشعارها التي رواها السنة قبل موتها وإخبارها عن الغيب، ودلالاتها على حسن عقيدتها وشهادتها ببعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ونروي هنا شيئاً من الأحاديث النبوية والأخبار المروية عن الأئمة

(١) البحار ١٥ / ٢٦١ ح ١٢ باب ٣.

الظاهرين لنختم بها هذه الطليعة ونترك المخالف وشأنه في الإنكار:
قال المرحوم الصدوق في الإعتقادات: إعتقادنا في آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم مسلمون، من آدم (عليه السلام) إلى أبيه عبد الله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وآمنة بنت وهب أم رسول الله كانت مسلمة (١).
وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم (عليه السلام) (٢).
وقد روي أن عبد المطلب كان حجة وأبو طالب كان وصيه (٣).
وفي النبوي أيضاً: «لم أزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني من عالمكم هذا ولم يدنسني دنس الجاهلية» (٤).
والحديث عام يشمل جميع آباء النبي وأجداده، ولو كان فيهم مشرك لأخرجه، ولو كان فيهم مشرك لم يصفهم جميعاً بالطهارة مع قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) (٥).
قال أمين الدين الطبرسي في مجمع البيان: أجمعت الطائفة على ذلك (٦).
وقال المجلسي: اتفقت الإمامية على أن والدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكل أجداده إلى آدم (عليه السلام) كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين، أو أوصياء معصومين. ولعل

-
- (١) الإعتقادات للشيخ الصدوق ٨٥.
(٢) البحار ١٥ / ١١٧ ح ٦٣ باب ١.
(٣) البحار ١٥ / ١١٧ ح ٦٣.
(٤) البحار ١٥ / ١٢٧ ح ٦٣ باب ١.
(٥) التوبة: ٢٨.
(٦) البحار ١٥ / ١١٧ ح ٦٣ عن مجمع البيان للطبرسي.

بعضهم لم يظهر الإسلام لمصلحة دينية ولتقية (١). تم قوله.
وفي الحديث المعتبر عند الفريقين: «إن الله حرم النار على صلب أنزلك،
وعلى بطن حملك، وعلى حجر آواك، وعلى أخ لك في الجاهلية» (٢).
وفي حديث علل الشرائع: إن الله شفعك في خمسة منها.. في حجر كفلك وفي
بيت آواك (٣)، والمراد من الحجر عبد المطلب ومن البيت عبد مناف بن عبد
المطلب.

وفي تهذيب الأحكام عن صفوان الجمال عن الصادق (عليه السلام) عن النبي (صلى
الله عليه وآله وسلم)

قال: إني مستوهب من ربي أربعة وهو واهبهم لي إن شاء الله تعالى: آمنة بنت
وهب، وعبد الله بن عبد المطلب، وأبو طالب، ورجل من الأنصار جرت بيني وبينه
ملحة» (٤).

والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يستوهب مشركا وينجيه من النار.
ولعل الرجل هو «خلاص بن علقمة»، والملحة إما أن تكون «الحلف» أو
أكل الملح، أي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أكل من زاده وملحه، والحمد لله الذي
أخرج نبيه من
أزكى أرومة وأطيب جرثومة.

ودليلنا معاصر الشيعة على طهارة آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجداده من
كتاب الله

قوله تعالى: (الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين) (٥) أي إنه كان ينقل
روحه من ساجد إلى ساجد، فالآية دالة على أن جميع آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
كانوا

-
- (١) البحار ١٥ / ١١٧ ح ٦٣ باب ١.
 - (٢) البحار ١٥ / ١٠٩ ح ٥٣ باب ١ باختلاف يسير.
 - (٣) البحار ١٥ / ١٢٦ ح ٦٦ باب ١.
 - (٤) البحار ١٥ / ١٠٨ ح ٥١ باب ١.
 - (٥) الشعراء: ٢١٨ و ٢١٩.

مسلمين مؤمنين: عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وغيرهم.
وذكر ابن أبي الحديد احتمالاً لإثبات خيالات أبناء جنسه، فقال: إذا
تعارض الجرح والتعديل، فالترجيح لجانب الجرح؛ لأن الجراح قد اطلع على
زيادة لم يطلع عليها المعدل (١) ولا شهادة على النفي.
ويجاب: أولاً: إننا نقول أن أخبارنا وصلت حد الإستفاضة، وما تروونه
من أن أبا طالب قال عند موته: «أنا على دين الأشياخ» فالمقصود من الأشياخ
آباؤه الكرام وأجداده العظام، وعلى هذا فلا تعارض بين الدليلين لتصل النوبة
- من ثم - إلى الجرح والتعديل وتقديم الجراح على المعدل.
ومن البديهي عدم إمكان اثبات كفر والدي الرسول وأبي طالب من ظاهر
قوله تعالى: (إذ قال إبراهيم لأبيه آزر) (٢) لأن آزر كان عمه ولم يكن أباه واسم
أبوه الواقع في عمود النسب النبوي - كما في القاموس - هو «تارح» بالتاء والحاء
أخت الجيم، وإطلاق الأب على العم لغة مستعملة عند العرب إلى يومنا هذا، كما
أنهم يطلقون الأم على الخالة.
وهم يقولون: إنما لم يظهر أبو طالب الإسلام ويجاهر به، لأنه لو أظهره لم يتهياً
له من نصرته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما تهياً له، وكان كواحد من المسلمين
الذين اتبعوه ولم
يتمكن من نصرته والقيام دونه حينئذ (٣).
وكيف يعقد على قول المنصور على المنبر - وهو معروف ببغضه وعداوته

(١) شرح النهج ١٤ / ٤٩ باب ٩.

(٢) الأنعام: ٧٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٤ / ٤٧ خ ٩.

لأمير المؤمنين (عليه السلام) (أنا ابن سيد أهل الجنة أنا ابن سيد أهل النار)؟
قال ابن أبي الحديد: وهذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر وهو ابنه وغير
متهم عليه، وعهده قريب من عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يطل الزمان...
الخ.

ثم قال: إنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه
أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيهقي عند الحاكم،
وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين (١).

وقال ابن أبي الحديد أنه سأل شيخه النقيب يحيى بن أبي زيد فقال: قد نقل
الناس كافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: نقلنا من الأصحاب
الطاهرة إلى الأرحام

الزكية، فوجب بهذا أن يكون أبؤه كلهم منزهيين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة
أصنام لما كانوا طاهرين.

وأما ما ذكر في القرآن من إبراهيم وأبيه آزر وكونه كان ضالاً مشركاً، فلا
يقدر في مذهبنا، لأن آزر كان عم إبراهيم، فأما أبوه فتارخ بن ناحور، وسمي العم
أبا كما قال (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي
قالوا نعبد إلهك وإله آبائك) (٢) ثم عد فيهم إسماعيل وليس من آباءه ولكنه عمه (٣).
ثم رد ابن أبي الحديد هذا القول برد سخيف ضعيف، ثم قال في آخر كلامه:
وصنف بعض الطالبين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه إلي يسألني أن
أكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً أشهد فيه بصحة ذلك وبوثاق الأدلة عليه، وأن

(١) شرح النهج ١٤ / ٤٨ خ ٩.

(٢) البقرة: ١٣٣.

(٣) شرح النهج ١٤ / ٣٨ خ ٩ ويبدون أن الكلام ليس لشيخه وإنما هو من أدلة القوم المثبتين.

أحكم بذلك قطعاً، فلم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد:

ولولا أبو طالب وابنه * لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذلك بمكة آوى وحامى * وهذا يثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر * وأودى فكان علي تماماً
فقل في ثبير مضى بعد ما * قضى ما قضاه وأبقى شماما
فله ذا فاتحاً للهدى * ولله ذا للمعالي ختاماً
وما ضر مجد أبي طالب * جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر إابة الصباح * من ظن ضوء النهار الظلاما
فوفيت حقه من التعظيم والإجلال ولم أجزم بأمر عندي فيه وقفة. (إنتهى
كلام ابن أبي الحديد) (١).

إعلم أن إثبات كفر أبي طالب ليس بالأمر الهين، وكذا الأمر في إثبات كفر
والذي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). والشيعنة الإمامية لا ترضى هذا القول
بحال، ولا ينسجم مع

عقائدهم، لذا انبروا للاحتجاج مع الخصوم، مع ما في حجج الخصم من ضعف
واختلاط وإسقاط للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فألفوا رسائل عديدة في هذه
الشأن، وقد ذكر

المرحوم الشيخ عبد الله بن نور الله طاب ثراه في عوالم العلوم منهم السيد الفاضل
شمس الدين أبا علي فخار بن معد الموسوي من أعظم المحدثين ورد اسمه في أغلب
كتب الإجازات، وقد كتب كتاباً في إثبات إيمان أبي طالب اشتمل على أخبار

(١) شرح النهج ١٤ / ٤٨ خ ٩.

الخاصة والعامة، وكذا ألف المرحوم محمد طاهر القمي طاب ثراه المعاصر لسلاطين الدولة الصفوية وخرج فيه حديث أمالي الطوسي واحتجاج الطبرسي عن أمير المؤمنين، أنه قال لسائل في رحبة الكوفة: «مه فض الله فاك، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار» (١) وهو حديث طويل سيأتي ذكره. والغرض من هذا الحديث تحقيق مراد أهل الإيمان في إثبات إيمان آمنة الأمينة أم الرسول، وما ذكرناه كان استطرادا والله تعالى أعلم بسرائر الضمائر من الغائب والحاضر.

الطليعة الثالثة: في موضع قبر آمنة ذكر في كتب الفريقين أنه بعد ما انتقل النور النبوي والنطفة المحمدية الزكية، وظهرت تلك الآيات النيرات والكرامات الباهرات في أيام الحمل والولادة لسيد الكائنات، هاجر عبد الله إلى المدينة وأخذ معه آمنة خوفا من كيد اليهود وغدرهم. روى محمد بن مسعود الكازروني صاحب كتاب المنتقى: إن عبد الله سعد بابنه مدة من الزمان، أي أنه توفي، وكان عمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانية وعشرون شهرا،

وكان عمر عبد الله خمسة وعشرون سنة، فالقول بأن عبد الله مات وزوجته حاملة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضعيف «وكان موت أبيه بعد ولادته بمدة قليلة» (٢).

وكانت وفاة أمه بعد وفاة أبيه بمدة قد تصل إلى ستة سنين. وكانت وفاة عبد المطلب في السنة الثامنة ولا اختلاف فيه إلا نادرا.

(١) البحار ٣٥ / ٦٩ ح ٣ باب ٣.

(٢) البحار ١٦ / ١٣٧ ح ٧٥.

وفي المعاني والعلل والبحار في ذيل قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فأوى) (١)
قال الصادق (عليه السلام): إن الله عز وجل أيتم نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) لئلا
يكون لأحد عليه طاعة (٢).

واليتيم بمعنى الوحيد الذي لا مثل له، من قولهم درة يتيمة.
وعن البحار سئل الصادق (عليه السلام): لم أوتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن
أبويه؟ فقال: لئلا

يكون لمخلوق عليه حق (٣).

ويستفاد من رواية الواقدي العامي أن آمنة سمعت بوفاة عبد الله وهي في
مكة؛ قال: «واتصل الخبر إلى آمنة بوفاة زوجها، فبكت وبتفت شعرها،
وخذشت وجهها، ومزقت جيبها، ودعت بالنائحات ينحن على عبد الله» (٤).
وقال في كيفية وفاته: «ثم إن الله أراد قضاءه على فاطمة بنت عبد المطلب،
فورد عليه كتاب من يثرب بموت فاطمة بنت عبد المطلب، وكان في الكتاب أنها
ورثت مالا كثيرا خطيرا، فقال عبد المطلب لولده عبد الله: يا ولدي لا بد لك أن
تجيء معي إلى المدينة - وفي رواية بعثه مع أكبر أولاده الحارث - فسار مع أبيه
ودخلا مدينة يثرب.. ولما مضى من دخولهما المدينة عشرة أيام اعتل «عبد الله»
علة شديدة وبقي خمسة عشر يوما - وقيل شهرا - فلما كان اليوم السادس عشر
مات عبد الله فبكى أبوه عبد المطلب بكاء شديدا، وشق سقف البيت لأجله في دار
فاطمة بنت عبد المطلب، وإذا بهات يهتف ويقول: قد مات من كان في صلبه خاتم
النبيين وأي نفر لا يموت؟».

(١) الضحى: ٦.

(٢) علل الشرائع ١ / ١٥٩ باب ١١٠.

(٣) البحار ١٦ / ١٣٧ باب ٧.

(٤) البحار ١٥ / ٢٨٣ ح ١٧ باب ٣.

قال الواقدي: فقام عبد المطلب فغسله وكفنه ودفنه، وبنى على قبره قبة عظيمة.. (١) وله مزار معروف في بني النجار.

قال المؤرخ المعاصر: إن آمنة استرضعت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حليلة السعدية زوجة الحارث، وبقيت مع ابنها ستة سنين، ثم استجازت عبد المطلب في زيارة أخوالها بني عبد النجار واصطحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معها ليراه أخواله، فأجازها فخرجت مع أم أيمن، فلما قدمت برسول الله المدينة نزلت في دار النابغة مدفن زوجها عبد الله، فأقامت بها شهرا، ثم رجعت به، حتى إذا كانت بالأبواء قرب عسفان بين مكة والمدينة توفيت ودفنت هناك، فرجعت به أم أيمن - وكانت تحضنه - ودفنته إلى عبد المطلب جده الموحد المؤمن، فضمه إليه كما يضم الروح العزيزة، وهو يقول: ما رأيت قبله أطيب منه ولا أطهر قط ولا جسدا ألين منه ولا أطيب (٢). وازداد عبد المطلب له رقة وحفظا، وبالغ في خدمته، حتى إذا بلغ النبي ثمان سنين وبلغ عبد المطلب مائة وعشرين سنة حضرته الوفاة، فخلع أردان هذه الدنيا الفانية ولبس حلل الدار الباقية، فدفعه إلى أبي طالب بن عبد مناف يكفله.

وكان عبد المطلب عليه سيماء الأنبياء، وكان حجة في قومه، وأبو طالب وصيه فقال: يا أبا طالب! إنني ألقى إليك بعد وصيتي، قال أبو طالب: ما هي؟ قال: يا بني! أوصيك بعدي بقرة عيني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنت تعلم محله مني ومقامه لدي، فأكرمه بأجل كرامة، ويكون عندك ليله ونهاره، ما دمت في الدنيا، الله ثم الله في حبيبه.

(١) البحار ١٥ / ٢٨٣ ح ٢٧ باب ٣.

(٢) البحار ١٥ / ١٤٣ ح ٧٤ باب ١.

ثم قال لأولاده: أكرموا وجللوا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) وكونوا عند إعزازه وإكرامه

فسترون منه أمرا عظيما عليا... فقالوا بأجمعهم: السمع والطاعة.. ثم أنشأ يقول:
أوصيك يا عبد مناف بعدي * بواحد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهدي * فكنت كالأم له في الوجد
قد كنت ألصقه الحشا والكبد * حتى إذا خفت فراق الوجد
أوصيك أرجى أهلنا بالرشد (١) * يا بن الذي غيبيني في اللحد (٢)
ثم قال: انظر أن تكون حافظا لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمه (٣).

أما مزار آمنة بنت وهب فإن قلنا أنه في الحجون من مكة - وهي مقبرة السالفين إلى اليوم، وأهل مكة يزورونها - قرب قبر خديجة سلام الله عليها، فهو يعارض القول بدفنها في الأبواء.

والحق أن السيدة آمنة نقلت إلى الحجون - كما سيأتي - وعلى ضريحها قبة سامية يتلألأ النور من أعلاها، وقبرها مشهور بين البقاع، يقصد لدفع المهمات، ويزار لكشف الملمات.

روى الطبراني وابن مردويه عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أقبل من غزوة تبوك فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن

يستندوا إلى العقبة حتى يرجع إليهم، مذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه

(١) في البحار:

أوصيك أرجى أهلنا بالرشد * يا بن الذي غيبيته في اللحد

(٢) البحار ١٥ / ١٥٢ ح ٨٠ باب ١.

(٣) البحار ١٥ / ١٤٣ ح ٧٤ باب ١.

طويلا، ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه (١) ثم عاد.
وروي عن عائشة أن النبي مر في سفره إلى الحج بالحجون، فبكى كثيرا
وبكيت لبكائه، ثم قال: خذي زمام ناقتي، وذهب إلى قبر أمه وعاد مستبشرا
ضاحكا، فسألته فقال: سألت الله أن يحيي أُمِّي فأحيها، فعرضت عليها الإيمان
فأقرت، ثم عادت إلى نومتها.

وروى البيهقي في مثله عن عائشة، وألف السيوطي رسالة في ذلك، وقال
ابن حجر فيه شعرا:

الله أحيا للنبي أباه * للإيمان والام آمنة الأمانة
وفي حديث الإمامية عن العلل ومعاني الأخبار عن أبي ذر شهادة علي
وقوع ذلك، وفيه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد علي بن أبي طالب
وخرجا إلى البقيع

إلى أن أتيا مقابر مكة، فنادى أباه وأمه فانشقت عنهما الأرض وأقرا بالشهادتين،
فسألهما: من وليكما؟ فقالا له: وما الولي؟ قال: هو هذا علي؛ قالوا: وإن عليا ولينا.
قال لأبيه: ارجع إلى روضتك، وقال لأمه: ارجعي إلى روضتك وحفرتك (٢).
وفي تفسير فرات: لما حج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حجة الوداع نزل
بالأبطح

ووضعت له وسادة فجلس عليها ثم رفع يده إلى السماء وبكى بكاء شديدا ثم قال:
رب إنك وعدتني في أبي وأمي أن لا تعذبهم.

قال: فأوحى الله إليه إني آليت على نفسي أن لا يدخل جنتي إلا من شهد أن
لا إله إلا الله وأنت عبدي ورسولي، ولكن أئت الشعب فنادهم، فإن أجابوا فقد

(١) المعجم الكبير للطبراني ١١ / ٢٩٦ ح ١٢٠٤٩ مسند ابن عباس.

(٢) البحار ١٥ / ١٠٩ ح ٥٣ باب ١ عن المعاني والعلل والحديث مفصل نقله ملخصا.

وجبت لهم رحمتي، فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشعب فناداهم، يا أبتاه، ويا أماه، ويا عماه، فخرجوا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا ترون إلى هذه الكرامة التي أكرمني الله بها؟ فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله حقا حقا، وأن جميع ما أتيت به من عند الله فهو الحق؛ فقال: ارجعوا إلى مضاجعكم، ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة وقدم عليه علي بن أبي طالب من اليمن، فبشره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فقال علي: الحمد لله (١). والأعجب من الأخبار الماضية والآثار المروية ما أخرجه حسين بن حمدان الحضيني والمرحوم السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز في معاجز الإمام الهادي علي النقي (عليه السلام) عن علي بن عبيد الله الحسيني قال: ركبنا مع سيدنا أبي الحسن (عليه السلام) إلى دار المتوكل في يوم السلام، فسلم سيدنا أبو الحسن (عليه السلام) وأراد أن ينهض، فقال له المتوكل: إجلس يا أبا الحسن إني أريد أن أسألك. فقال له (عليه السلام): سل. فقال له: ما في الآخرة شيء غير الجنة أو النار يحلون فيه الناس؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): ما يعلمه إلا الله. فقال له: فعن علم الله أسألك. فقال له: ومن علم الله أخبرك. قال: يا أبا الحسن ما رواه الناس أن أبا طالب يوقف إذا حوسب الخلائق بين الجنة والنار وفي رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه، لا يدخل الجنة لكفره، ولا يدخل النار لكفالاته رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدده قريشا عنه والسر على يده حتى ظهر أمره؟

(١) البحار ١٥ / ١١٠ ح ٦٦ باب ١ عن تفسير فرات.

قال له أبو الحسن (عليه السلام): ويحك لو وضع إيمان أبي طالب في كفة، ووضع إيمان

الخلائق في الكفة الأخرى، لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم جميعا.
قال له المتوكل: ومتى كان مؤمنا؟

قال له: دع ما لا تعلم واسمع ما لا ترده المسلمون جميعا ولا يكذبون به:
إعلم؛ إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حج حجة الوداع، فنزل بالأبطح بعد فتح مكة، فلما جن

عليه الليل أتى القبور - قبور بني هاشم - وقد ذكر أباه وأمه وعمه أبا طالب، فداخله حزن عظيم عليهم ورقة، فأوحى الله إليه أن الجنة محرمة على من أشرك بي، وإني أعطيتك يا محمد ما لم أعطه أحدا غيرك، فادع أباك وأمك فإنهم يجيبونك ويخرجون من قبورهم أحياء لم يمسه عذابي لكرامتك علي، فادعهم إلى الإيمان بالله وإلى رسالتك وإلى موالاته أخيك علي والأوصياء منه إلى يوم القيامة فيجيبونك ويؤمنون بك، فأهب لك كل ما سألت وأجعلهم ملوك الجنة كرامة لك يا محمد، فرجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال له: قم يا أبا الحسن فقد

أعطاني ربي هذه الليلة ما لم يعطه أحدا من خلقه في أبي وأمي وأبيك عمي، وحدثه بما أوحى الله إليه وخاطبه به، وأخذ بيده وصار إلى قبورهم فدعاهم إلى الإيمان بالله وبه وبآله (عليهم السلام) والإقرار بولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء منه، فأمنوا بالله وبرسوله وأمير المؤمنين والأئمة منه واحدا بعد واحد إلى يوم القيامة. فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): عودوا إلى الله ربكم وإلى الجنة، فقد

جعلكم الله ملوكها، فعادوا إلى قبورهم، فكان والله أمير المؤمنين (عليه السلام) يحج عن أبيه

وأمه وعن أب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمه حتى مضى، ووصى الحسن والحسين (عليهما السلام)

بمثل ذلك، وكل إمام منا يفعل ذلك إلى أن يظهر الله أمره.

فقال له المتوكل: قد سمعت هذا الحديث: إن أبا طالب في ضحضاح من نار، أفتقدر يا أبا الحسن أن تريني أبا طالب بصفته حتى أقول له ويقول لي؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): إن الله سيريك أبا طالب في منامك الليلة وتقول له ويقول لك.

قال له المتوكل: سيظهر صدق ما تقول، فإن كان حقا، صدقتك في كل ما تقول.

قال له أبو الحسن: ما أقول لك إلا حقا، ولا تسمع مني إلا صدقا. قال له المتوكل: أليس في هذه الليلة في منامي؟ قال له: بلى.

قال: فلما أقبل الليل قال المتوكل: أريد أن لا أرى أبا طالب الليلة في منامي، فأقتل علي بن محمد بادعائه الغيب وكذبه، فماذا أصنع؟ فما لي إلا أن أشرب الخمر وآتي الذكور من الرجال والحرام من النساء، فلعل أبا طالب لا يأتيني، ففعل ذلك كله وبات في جنابات، فرأى أبا طالب في النوم فقال له: يا عم حدثني كيف كان إيمانك بالله وبرسوله بعد موتك؟

قال: ما حدثك به ابني علي بن محمد في يوم كذا وكذا. فقال: يا عم تشرحه لي.

فقال له أبو طالب: فإن لم أشرحه لك تقتل عليا والله قاتلك، فحدثه، فأصبح فأخر أبو الحسن (عليه السلام) ثلاثا لا يطلبه ولا يسأله، فحدثنا أبو الحسن (عليه السلام) بما

رآه المتوكل في منامه وما فعله من القبائح لثلا يرى أبا طالب في نومه، فلما كان بعد ثلاثة أيام أحضره فقال له: يا أبا الحسن قد حل لي دمك.

قال له: ولم؟

قال: في ادعائك الغيب وكذبك على الله، أليس قلت لي: إني أرى أبا طالب في منامي، وعقبت لكي أرى أبا طالب في منامي فأسأله، فلم أراه في ليلتي، وعملت هذه الأعمال الصالحة في الليلة الثانية والثالثة فلم أراه، فقد حل لي قتلك وسفك دمك.

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): يا سبحان الله، ويحك، ما أجرأك على الله؟ ويحك سولت لك نفسك اللوامة حتى أتيت الذكور من الغلمان والمحرمات من النساء وشربت الخمر لئلا ترى أبا طالب في منامك فتقتلني، فأتاك وقال لك وقلت له، وقص عليه ما كان بينه وبين أبي طالب في منامه حتى لم يغادر منه حرفاً، فأطرق المتوكل ثم قال: كلنا بنو هاشم، وسحركم يا آل أبي طالب من دوننا عظيم، فنهض عنه أبو الحسن (عليه السلام) (١).

تخليص فيه تلخيص

أما الاختلاف في مدفن السيدة آمنة، فحسب ما روي عن طرق السنة والشيعا أنها دفنت أولاً في الأبواء، ثم أرادت قريش نبش قبرها وإحراق جسدها الطاهر، فأمر الله ملائكته النقالة فحملوها إلى الحجون إلى حيث قبرها الآن، وقصة الملائكة النقالة من الحكايات المروية والمحسوسة، ولا يمكن إنكار أخبارها المعتمدة، بل إنكارها إنكار لضرورة محسوسة. وأما إيمانها وعبد الله وأبي طالب، وموتهم على الإيمان بالله وبالرسول

(١) مدينة المعاجز ٧ / ٥٣٥ ح ١٨، ٢٥ / ٩٨ الثالث والتسعون رؤيا المتوكل وإخباره (عليه السلام) بما رأى المتوكل.

وباليوم الآخر فهو على قسمين:
فإما أن نقول: إنهم كانوا مؤمنين يكتمون إيمانهم للتقية، أو أن نقول: إنهم كانوا مؤمنين يتظاهرون بالإيمان دون خوف أو تقية، ويتدينون بحنيفة إبراهيم ويؤدون تعاليم الشريعة، والحجة عليهم عبد المطلب. ولا مانع من التمسك بتلك الشريعة مع رواج الديانات المختلفة في مكة يومها. وعلى كلا التقديرين فقد نالوا الأجر الجميل والثناء الجزيل في حالتها السر والعلن، والإخفاء والإفشاء. فمذهب الإمامية وبعض علماء السنة على أنهم مضوا على الإيمان الكامل، وقصة إحياءهم كانت لتجديد العهد كما رواه الفريقان من المخالف والمؤلف. أما ما أعتقده:

فقد ذكرت سابقا في أحوال خديجة وحمزة: أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ منهم العهد على قبول ولاية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وإمامتهم، ورواية تعليمه (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة بنت أسد مشهورة حينما قال: «ابنك ابنك علي، لا جعفر ولا عقيل»، وفي حديث فاطمة الزهراء (عليها السلام) قال (عليه السلام): «هذا الجالس على شفير قبوري بعلي، وإمامي علي بن

أبي طالب» وهذا السؤال والتعليم والتلقين خاص بالكامل في الإيمان والدين. والمراد بالإيمان الواقعي الذي يشكل روح الشهادتين هو الإقرار والإذعان بالولاية، وهو الإيمان بالمعنى الخاص، يعني معرفة أمير المؤمنين وأبناءه ومحبتهم وولائهم. فما هو المانع في أن يحيي الله هؤلاء لتكميل درجاتهم بقبولهم الولاية، ليحشروا جميعا في الفرقة الإمامية، ويكونوا من الشيعة الاثني عشرية، لئلا يفقدوا غدا يوم القيامة شيئا من الكمالات ويسبقهم الآخرون في جنة الخلد، ويحرموا من مثوبات الشيعة. حتى لو لم يكن أمير المؤمنين يومها إماما إلا أن قبول ولايته من

خصائص الخصيصين وامتيازات الكاملين.
أما الأنبياء العظام فقد عرفوا مقام الولاية بالوحي والإلهام، بل كانت الولاية متصفة بوجود كل واحد منهم سرا، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) معروفا في كل شريعة، موصوفا بأوصافه الخاصة في كل طريقة، يظهر لهم في كل آن شيئا من برهان حقيقة الولاية.
فلا يمكن - والحال هذه - المصير إلى عقيدة السنة من أن آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة كانوا كفرة مشركين، ولا الاعتماد على الأخبار المجعولة والأقوال الموضوعية المخرجة في أمثال «الجمع بين الصحيحين» (١) عن معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وعائشة والخوارج الكذابين وأهل الشام وغيرهم ممن تحقق نصبهم وعداوتهم للعالمين، وبرز حقدهم وشحنائهم في واقعة الجمل وصفين، ومنها الخبر المجعول الذي رواه المتوكل، والخبر الآخر - وكذبه واضح - الذي يقول: «إن بلال الحبشي خير من أبي طالب القرشي» وأمثال ذلك.
نيل طلبة
أشرنا إلى حسن إيمان أبي طالب (عليه السلام)، ولكن العزم حركني لأعود مرة أخرى بعد ختم الكلام لأنقل شيئا من منشور كلامه ومنظومه مما يدل على إيمانه الكامل سلام الله عليه، ليزداد المؤمنون إيمانا وإطمئنانا.
أولا: روي في التفسير المعروف بتفسير الإمام العسكري (عليه السلام)، عن الإمام العسكري (عليه السلام) عن آباءه (عليهم السلام) في حديث طويل: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى

(١) أي الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم.

رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم): إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرا، وشيعة تنصرك علانية؛

فأما التي تنصرك سرا فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب.

ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتنم إيمانه.

وفي الأمالي عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فاتاهم الله أجرهم مرتين» (١).

وفي إكمال الدين للصدوق عليه الرحمة: عقب وفاة أبي طالب أوحى إلى

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أخرج منها فقد مات ناصرك؛ فهاجر إلى المدينة الطيبة.

ثانيا: مرآة أمير المؤمنين (عليه السلام) المشعرة بإيمانه، وأمير المؤمنين أجل وأكبر من أن يرثي كافرا:

أرقت لنوح آخر الليل غردا * بشيخي ينعى والرئيس المسودا

يذكرني شجوا عظيما مجددا * أبا طالب مأوى الصعاليك والندا

فقامت قریش يفرحون بموته * ولست أرى حيا يكون مخلدا

أرادوا امورا زينتها حلومهم * ستوردهم يوما من الغي موردا

يرجون تكذيب النبي وقتله * وإن يفتروا قدما عليه ويجحدا

كذبتهم وبيت الله حتى نذيقكم * صدور العوالي والحسام المهندا

وإما تبيدوننا وإما نبيدكم * وإما تروا سلم العشيرة أرشدا (٢)

وفي المناقب في خبر طويل نقل منه موضع الحاجة: لما حضرت أبا طالب

(١) البحار ٣٥ / ٧٧ ح ١٥ باب ٣. الأمالي:

(٢) البحار ٣٥ / ١٤٢ ج ٨٥ باب ٣.

الوفاة دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكى وقال: يا محمد! إني أخرج من الدنيا ومالي غم إلا غمك - إلى أن قال - : يا عم! إنك تخاف علي أذى أعادي ولا تخاف علي نفسك عذاب ربي؟! فضحك أبو طالب وقال: يا محمد! دعوتني وكنت قدما أمينا، وعقد بيده علي ثلاث وستين: عقد الخنصر والبنصر وعقد الإبهام علي أصبعه الوسطى وأشار بأصبعه المسبحة يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فقام علي (عليه السلام) وقال:

الله أكبر والذي بعثك بالحق نبيا، لقد شفعتك في عمك وهداه بك، فقام جعفر وقال: لقد سدتنا في الجنة يا شيخي كما سدتنا في الدنيا، فلما مات أبو طالب أنزل الله تعالى: (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) (١) (٢).
لقد مات عبد المطلب وعمره مائة وعشرون سنة، فبقي أبو طالب في خدمة النبي ستة وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرين يوما، والأصح أنه توفي في السنة العاشرة من البعثة، وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام، فسمي ذلك العام بعام الحزن، فلم يستطع النبي بعدها البقاء في مكة، وأمر بالهجرة إلى المدينة كما أشرنا سابقا في الحديث عن هجرة فاطمة الزهراء (عليها السلام).
وفي روضة الواعظين: قال أبو عبد الله (عليه السلام): لما حضر أبا طالب الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم، فقال:

يا معشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وأنتم خزنة الله في أرضه، وأهل حرمه، فيكم السيد المطاع، الطويل الذراع، وفيكم المقدم الشجاع، والواسع الباع، إعلموا؛ أنكم لم تتركوا للعرب في المفاجر نصيبا إلا حزتموه، ولا

(١) البحار ٣٥ / ٧٩ ح ١٩ باب ٣.

(٢) العنكبوت: ٥٦.

شرفا إلا أدركتموه، فلكم على الناس بتلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة،
والناس لكم حرب وعلى حربكم النسب، وإني موصيكم بوصية فاحفظوها:
أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضات الرب، وقواما للمعاش، وثبوتا
للوطاة، وتصلوا أرحامكم، ففي صلتكم منسأة في الأجل وزيادة في العدد،
واتركوا العقوق والبغي، ففيهما هلكت القرون الماضية قبلكم، أجيئوا الداعي،
وأعطوا السائل، فإن فيهما شرفا للحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء
الأمانة، فإن فيهما نفيا للثمة، وجلالة في الأعين، واجتنبوا الخلاف على الناس،
وتفضلوا عليهم، فإن فيهما محبة للخاصة، ومكرمة للعامة، وقوة لأهل البيت،
وإني أوصيكم بمحمد خيرا، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو
جامع لهذه الخصال التي أوصيكم بها، قد جاءكم بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان
مخافة الشنآن، وأيم الله لكأنني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف
والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره، فخاض
بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا، ودورها خرابا،
وضعفاؤها أربابا، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أخطاهم لديه،
قد محضته العرب ودارها وصفت له بلادها وأعطته قيادها، فدونكم يا معشر
قريش ابن أبيكم وأمكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد منكم
إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهداه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير
لكفيته الكوافي ولدافعت عنه الدواهي، غير أنني أشهد بشهادته وأعظم مقالته. تم
الخبر (١).

(١) البحار ٣٥ / ١٠٦ ح ٣٤ باب ٣.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في رثاء أبي طالب وخديجة:
أعيني جودا بارك الله فيكما * على هالكين لا ترى لهما مثلاً
على سيد البطحاء وابن رئيسها * وسيدة النسوان أول من صلى
مهذبة قد طيب الله خيمها * مباركة والله ساق لها الفضلاً
مصابهما أدجى إلى الجو والهوا * فبت أقاسي منهم الهم والثكلا
لقد نصرنا في الله دين محمد * على من لقي في الدين قد رعيا إلا (١)
ووصية أبي طالب وأخباره بما يأتي دليل على أنه كان من الأولياء العظام
والأوصياء الكرام. ومرثية أمير المؤمنين شاهد آخر على نصرته وخدمته للدين
والشريعة المقدسة منذ بداية ظهور الإسلام.
* * *

أما شعر أبي طالب فهو كثير، وفي كتب المناقب شهير، ومنه ما قاله حينما
قالت له قريش: ندفع لك عمارة بن الوليد وتعطينا ابنك محمداً نقتله، فقال: قبح الله
الوجوه، ويحكم، بئس - والله - الرجل أنا. ثم قال: أفرقوا بين النوق وفصلانها فإن
حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم.
والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر وقر بذاك منك عيوننا (٢)
ثم قال:
حميت الرسول رسول الإله * ببيض تلاً مثل البروق
أذب وأحمي رسول الإله * حماية عم عليه شفيق

(١) البحار ٣٥ / ١٤٣ ح ٨٥ باب ٣.
(٢) انظر أشعار أبي طالب في البحار ٣٥ / ٨٩ وما بعدها.

ومن أبياته في جواب قريش:
يقولون لي دع نصر من جاء بالهدى * وغالب لنا غلاب كل مغالب
وسلم إلينا أحمدا واكفلن لنا * بنسيا ولا تحفل بقول المعائب
فقلت لهم الله ربي وناصري * على كل باغ من لؤي بن غالب
وحض أخاه حمزة على الإسلام واتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكم سر
بإسلامه يوم
أقبل حمزة متوشحا بقوسه راجعا من قنص له، فوجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
في بيت أخته
مهما وهي باكية فقال: ما شأنك؟ قالت: ذل الحمى يا أبا عمارة، لو لقيت ما لقي
ابن أخيك محمدا أنفا من أبي الحكم بن هشام، وجده هاهنا جالسا فأذاه وسبه
وبلغ منه ما يكره، فانصرف ودخل المسجد وشج رأسه شجة منكرة، ثم عاد حمزة
إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: عز بما صنع بك، فأسلم حمزة فعرفت
قريش أن رسول الله قد
عز وأن حمزة سيمنعه. قال ابن عباس: فنزل قوله تعالى: (أو من كان ميتا
فأحييناه) (١) وسر أبو طالب بإسلامه (٢) وأنشأ يقول:
خيرا أبا يعلى على دين أحمد * وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالدين من عند ربه * بصدق وحق لا تكن حمز كافرا
فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن * فكن لرسول الله في الله ناصرا
فناد قريشا بالذي قد أتيت * جهارا فقل ما كان أحمد ساحرا
وحيثما عزمت قريش على قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال أبو طالب:
ألم تعلموا إنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب
أليس أبونا هاشم شد أزره * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

(١) الأنعام: ١٢٢.
(٢) البحار ٣٥ / ٩٠ ح ٣١.

إلى آخر ما قال:

وله أيضا:

وقالوا حطه جورا وحمقا * وبعض القول أبلج مستقيم
لتخرج هاشم فيصير منها * بلاقع بطن مكة والحطيم
فمهلا قومنا لا تركبونا * بمظلمة لها أمر وخيم
فيندم بعضكم ويذل بعض * وليس بمفلح أبدا ظليم

إلى أن قال:

أرادوا قتل أحمد ظالميه * وليس لقتله فيهم زعيم

وله أيضا:

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا * على ساخط من قومنا غير معتب
فلا تحسبونا خاذلين محمدا * لذي غربة منا ولا متقرب
نفارقه حتى نصرع حوله * وما بال تكذيب النبي المقرب
وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب
فأنهضه

عن مضجعه وأضجع عليا مكانه، ووكل عليه ولده وولد أخيه فقال علي (عليه السلام):

يا

أبتاه إني مقتول ذات ليلة، فقال أبو طالب:

إصبرن يا بني فالصبر أحجى * كل حي مصيره بشعوب
قد بلونك والبلاء شديد * لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثا * قب والباع والفناء الرحيب
إن تصبك المنون بالنبل تترى * فمصيب منها وغير مصيب

فقال علي:
أتأمرني بالصبر في نصر أحمد* فوالله ما نلت الذي نلت جازعا
ولكنني أحببت أن تر نصرتي* وتعلم أنني لم أزل لك طائعا
وسعبي لوجه الله في دين أحمد* نبي الهدى المحمود طفلا ويافعا
وفي كتاب العوالم عن الواقدي: لما قدم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد
على النجاشي وشكا له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم يلتفت النجاشي إلى
قولهما ولم يحفل بما
أرسلت به قريش، وجرى على إكرام جعفر وأصحابه وزاد في الإحسان إليهم وبلغ
أبا طالب ذلك، فقال يمدح النجاشي:
ألا ليت شعري كيف في النار جعفر* وعمرو وأعدى للعدى للأقارب
وهل نال أفعال النجاشي جعفر* وأصحابه أم عاق ذلك شاغب
تعلم خيار الناس إنك ماجد* كريم فلا يشقى لديك المجانب
وتعلم بأن الله زادك بسطة* وأسباب خير كلها لك لازب
فلما بلغت الأبيات النجاشي سر بها سرورا عظيما ولم يكن يطمع أن يمدحه
أبو طالب بشعر فزاد في إكرامهم وأكثر من إعظامهم فلما علم أبو طالب سرور
النجاشي قال يدعوه إلى الإسلام ويحثه على اتباع النبي عليه أفضل الصلاة
والسلام:
تعلم خيار الناس أن محمدا* وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به* فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وأنكم تتلونونه في كتابكم* بصدق الحديث لا حديث الترجم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا* فإن طريق الحق ليس بمظلم

وله أيضا:
لقد كرم الله النبي محمدا * وأكرم خلق الله في الناس أحمد
فشق له من اسمه ليحمله * فذو العرش محمود وذاك محمد
وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحب أشعار أبي طالب، وكان أمير
المؤمنين (عليه السلام) يعجبه
أن يروي شعر أبي طالب وأن يدون، وقال (عليه السلام): تعلموه وعلموه أولادكم
(١).

ومن شعره مخاطبا أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخاه جعفر:
إن عليا وجعفرًا ثقتي * عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * أخي لامي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني ذو حسب
ومن أبياته المشهورة في الاستسقاء:
وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
إلى آخر القصيدة.

ولما مات أبو طالب - وكان عمره أكثر من ثمانين سنة - جاء علي (عليه السلام) إلى
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأذنه بموته، فتوجع توجعا عظيما وحزن شديدا
وبكى، ثم قال:

امض فتول غسله، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني، ففعل فاعترضه رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو محمول على رؤوس الرجال فقال له: وصلتك
رحم يا عم وجزيت

خييرا، فلقد رببت وكفلت صغيرا، ونصرت وآزرت كبيرا، ثم تبعه إلى حفرة
فوقف عليه فقال: أم والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان.

(١) البحار ٣٥ / ١٢٢.

وكان جعفر بالحبشة، ولم تكن صلاة الجنائز شرعت (١).
وبعد كل هذه الأخبار المستفيضة والاهتمام العظيم الذي أولاه أبو طالب
لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسعيه واجتهاده في حفظه، وتصريحاته المنتهرة
والمنظومة في
أحقية هذا الدين كيف يصار إلى أقوال الكذابين والقاسطين من أعداء
أمير المؤمنين (عليه السلام) من أمثال معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وأبي هريرة؟!
ويعرض عن الاستغفار والترحم والدعاء والحزن والبكاء الذي شاهدوه ورووه
عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع ما شاهدوه منه قبيل وفاته حينما عقد
الإبهام على الخنصر
والبنصر وأرسل المسبحة والسبابة إشارة إلى «لا إله إلا الله» كما قال المجلسي؟!
وفعله هذا صريح في نفي الآلهة وإثبات الإله الواحد، كما شرح ذلك مفصلاً المجلسي
في أربعينه.
روي في الإحتجاج للطبرسي والأمالى للطوسي، عن الصادق (عليه السلام)، عن
آبائه (عليهم السلام): إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان ذات يوم جالسا في الرحبة
والناس حوله
مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! أنت بالمكان الذي أنزلك الله به
وأبوك معذب في النار؟!
فقال له علي (عليه السلام): مه، فض الله فاك، والذي بعث محمدا بالحق نبيا، لو شفع
أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي معذب في النار وابنه قسيم
الجنة والنار؟ والذي بعث محمدا بالحق نبيا؛ إن نور أبي يوم القيامة يطفى أنوار
الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونوري ونور الحسن
والحسين ونور تسعة

(١) البحار ٣٥ / ١٦٣ ح ٨٥ باب ٣.

من ولد الحسين، فإن نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام (١).

وبعد نقل هذه الأشعار والأخبار المعتبرة أرجو - وأنا المذنب العاصي المسكين - أن تنالني شفاعته، وأن ينقذني عاجلا من الغفلة الحالية، وينفعني توسلي بأبي طالب ومحبه ومحبة محبيه، وأن يخرجني من الورطة العمياء والشقاء، ويهديني إلى جادة الصواب والطريقة القويمه للأئمة أولي الألباب من أبناء الطاهرين الأطياب، ولينظر غدا يوم القيامة أولئك الذين ماتوا على عقائدهم الفاسدة كيف سيعذبهم العلي الأعلى عذابا أليما خالدين فيها وساءت مرتفقا، سيما أولئك الذين قالوا: إن عبد الله وآمنة وأبا طالب جمرات من جمرات جهنم (٢)، وقالوا: إن قوله تعالى (وما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين) (٣) وقوله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت) (٤) نزلت في أبي طالب، وأولوا فيه قوله تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) (٥). وأرجو ربي أن يجعلني أفوز بسعادة ولائه والبراءة من أعدائه في الدنيا وفي يوم جزائه، ودار بقاءه عند لقائه، وهذا نيل طلبتي، وفوز بغيتي، ولا أراه أن يرد دعوتي، ويعدني عن مسألتي، وهذه عقيدتي، وما في قلبي وسريرتي، فخذها

(١) البحار ٣٥ / ٦٩ ح ٣ باب ٣.

(٢) شرح النهج ١٤ / ٦٦ باب ٩.

(٣) التوبة: ١١٣.

(٤) القصص: ٥٦.

(٥) التوبة: ١١٤.

وكن من الشاكرين (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) (١).
خار هر كيد كه بدخواه به راه تو نهاد* خنجري گشت كه جز بر جگر وي نخليد
(٢)

والأفضل أن نستعرض للمناسبة في الخصيصة الآتية حالات السيدة
السعيدة فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب:

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) يقول: لقد غدت كل شوكة زرعها في دربك الخبيث خنجرا مغروسا في قلبه.

الخصيصة الثامنة عشر من الخصائص الخمسين
في حالات السيدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام)
إعلم أن تلك السيدة المحترمة حملت بنور الولاية، وكانت حسنة السريرة،
عالمة بأمر آخرتها، عارفة بمآل أمرها، عاقلة، فاهمة، ولها شرف الأمومة للأئمة
البررة من جهة ولدها، وهو أشرف الأيوين، والجدة الأولى للحسين (عليهما السلام)،
والأئمة إلى خاتمهم قائم آل محمد، فهي من هذه الجهة مساوية لخديجة أم المؤمنين
أم

الأئمة الاثني عشر، ظهرت منها أنوار الإمامة والولاية، فكانت مخزن العصمة،
وكنز الحياء والعفة، وهي أقرب النساء من هاشم بن عبد مناف سوى بنات
عبد المطلب الطاهرات، وأول هاشمية ولدت لهاشمي، حيث ينتهي نسب علي بن
أبي طالب من أبيه إلى عبد المطلب إلى هاشم، ومن أمه إلى أسد إلى هاشم.
قال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة، وصوبه ابن
عبد البر في الإستيعاب: وأم فاطمة بنت أسد، فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر
بن عبد بن معيص بن عامر [بن لؤي] ابن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن
شيبان بن محارب بن فهر - جد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - .. وأمها عاتكة
بنت أبي همهمة، واسمه

عمرو بن عبد العزى... وأمها حبيبة وهي أمة الله بنت عبد ياليل بن سالم بن مالك
بن حطيظ بن قصي، وهو ثقيف; وأمها فلانة بنت مخزوم بن أسامة ابن منبع بن

وأئلة بن نصر... وأمها ربيعة بنت يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف، وأمها كلة بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن، وأمها حبي بنت الحارث بن النابغة بن عميرة بن عوف بن نصر بن هوازن. ذكر هذا النسب أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «مقاتل الطالبين» (١). وربما كان اختلاف في بعض هذه الأسماء في مشجرات النسابين، فلا ضير على القارئ إذا وجد شيئاً من الاختلاف والغلط في بعض الأسماء. وفاطمة بنت أسد لم تتزوج غير أبي طالب، وأبو طالب يبعث أمة وحده، وقد خلف منها أربعة ذكور وبنيتين، كانوا جميعاً غاية في الكمال والاعتدال. أما الذكور فطالب وعقيل وجعفر وأمير المؤمنين، وهو أصغرهم وأفضلهم، كما كانت فاطمة الزهراء أصغر أولاد سيد الكائنات وأفضلهم، وطالب لم يعقب وعقب الباقر، وإليهم تنتسب الشجرة الرفيعة والسلسلة المنيعة والأنساب العالية للطالبين من الذرية الطيبة، ودواوين الأنساب موشحة ومزينة بأسمائهم المباركة، بل ألفت في أنسابهم كتباً ومؤلفات خاصة. أما الإناث فاثنتان: أم هانئ فاختة زوجة أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عامر المخزومي، أعقب جعدة بن هبيرة، استعمله أمير المؤمنين أيام خلافته، وأخته أسماء أو ربيعة أو جمامة، تزوجها أبو سفيان بن الحارث بن عبد الملك هاجرت إلى المدينة وتوفيت هناك. كان علي (عليه السلام) أصغر بنيتها، وجعفر أسن منه بعشر سنين، وعقيل أسن منه بعشر سنين، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين.

(١) شرح النهج ١ / ١٥؛ مقاتل الطالبين ٣ و ٤، ترجمة جعفر بن أبي طالب.

ولام هانئ قصة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عام الفتح، حيث أجمعت جماعة
فقبل
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جوارها، وتشفعت فيهم فقبل شفاعتها وعفا عنهم،
وقال: لا تثريب
عليكم اليوم.

وفي كتاب الصراط المستقيم لنور الدين علي بن محمد بن يونس البياضي
المحقق الإمامي الشيعي المعاصر للشهيد الثاني - طاب ثراهما - رؤية صادقة
منسوبة لفاطمة بنت أسد لا بأس بنقلها، فإنها تبير الكرب وتنير القلب:
قالت (عليها السلام): رأيت جبال الشام تزحف نحو مكة وهي مدججة بالسلاح
والحديد، تصرخ وتصيح والشرر يتطاير منها، وكان منظرها مفرعا مرعبا مهيبا
مهولا، ورأيت جبال مكة زحفت نحوها مدججة بالسلاح والسيوف والسهام
و...، وكلما سقط منها سلاح أخذه الناس، فطار مني سيف إلى السماء، وسيف
وقف في جو السماء، وسيف وقع على الأرض فانكسر، وسيف بقي في يدي ثم تحول
أسدا هاجم جبال الشام فخاف منه الناس خوفا عظيما، ثم جاء ابني النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم)

فمسح بيده على رأسه، فهدأ حتى صار كالوعل الوديع يسمع ويطيع.
فاستيقظت فزعة خائفة، وذهبت إلى أبي كرز الكاهن لأقص عليه ما
رأيت، فلما رأيت عنده جميل كاهن بني تميم أمسكت عن الكلام، فنظر إلي جميل
وضحك وقال: أقسم بالأنوار ومظهر السماء إنك تكرهين جلوسي هذا، وإنك
رأيت رؤيا تريدان قصتها على أبي كرز ليؤولها لك. فقلت: إن صدقت فأخبرني
عن قصدي ورؤيائي، فأنشأ يقول:

رأيت أجبالا تؤم أجبالا * وكلها لابسة سربالا
مسرعة لتبتغي النصالا * حتى رأيت بعضها تعالی

وبيضة تشتعل اشتعالاً * فواجد في ثح ماء غالا
وثاني في جوها قد حالا * بذى خواف طارحين زالا
وثالث [قد] صادف اختلالاً * من كسره منظره مختالاً
ورابع قد خلته هلالاً * أدرك في خلخته أشبالاً
ثم استوى مستأسداً أصوالاً * يخطف من سرعته الرجالاً
فانسل من قيعانها انسلالاً * حتى أتى ابن عمه ارسالاً
فتله بصفه أتلالاً * كظبية ما صنعت عقلالاً
ثم انتبهت تحسبي خيالاً
فقلت (عليها السلام): هو كذلك يا جميل، ولكن ما تأويله؟ فقال:
أما النصول فهو صيد أربع * ذكور أولاد حكمتها الأسبع
والبيضة الوقداء بيت تتبع * كريمة غراء لا تروع
فصاحب الماء غريب مفتقد * في لجة ترمى شظاها بالزبد
والطائران ول ذو الغرب الزغب * تقتله في الحرب عتاد الخطب
والغرض نقل الرؤية الصادقة التي رأتها فاطمة وتأويل جميل، أما أبياته
فليست بالمستوى المطلوب وهذه الطريقة كانت رائجة أيام الفترة بين الكهنة
والسحرة وهواتف الجن.
وفي كتاب ابن بابويه عليه الرحمة: إن أبا طالب نام في الحجر، فرأى في منامه
باباً انفتح من السماء ونزل منه نور شمله، فأتى راهب الجحفة يقص عليه، فقال له:
أبشر أبا طالب عن قليل * بالولد الخالي عن المثيل
يال قريش اسمعوا تأويلي * هذان نوران على سبيل
كمثل موسى وأخيه السؤلي

فرجع أبو طالب فرحا وطاف بالكعبة وهو يقول:
أطوف لله حوالي البيت * أدعوه بالرغبة محيي الميت
بأن يريني السبط قبل الموت * أغر نورا يا عظيم الصوت
ثم نام في الحجر ثانية، فرأى كأنه ألبس إكليلا من ياقوت وسربالا من
عبرق، وكان قائلا يقول: يا أبا طالب! قرت عينك وظفرت يداك وحسنت
رؤياك، فأنى لك بالولد، ومالك البلد، وعظيم التلد على رغم الحسد. فانتبه فرحا
وطاف قائلا:

أدعوك رب البيت والطواف * دعاء عبد بالذنوب وافي
تعينني بالمنن اللطاف * والولد المحبو بالعفاف
وسيد السادات والأشراف (١) (٢)

وروى شيخ المعتزلة ابن أبي الحديد عن علي بن الحسين (عليهما السلام) أنه قال:
واعجبا! إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة
بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات (٣).
وقال أيضا: أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين وكانت
الحادية عشرة (٤).

(١) الصراط المستقيم ١ / ٣٣٧ الباب التاسع فيما جاء في النص عليه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢) مرت أبيات أبو طالب المسطورة في كتب العلماء والمضبوطة في تعاليق الأدباء التي تدل على حسن إيمانه

وإقراره بالشهادتين ولا نستطرد أكثر من ذلك خوف الملل. (من المتن)

(٣) شرح النهج ١٤ / ٣٩ كتاب ٩.

(٤) شرح النهج ١ / ١٥.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»
وإنما عنى به
أبو طالب (١).
أضف إلى أن شعره ونثره في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفاعه عنه
ومعارضته
لجميع أرباب الملل والديانات ودعمه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقوى
دليل على إيمانه.
ولكنه كان يكتفئ إيمانه؛ لأنه كان مطاعاً في قومه، وقومه ينكرون نبوة
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلو أظهر إيمانه لعارضهم جميعاً ولما تهيأ له من
نصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما تهيأ
له، ولهجرته قريش كما هجرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه؛ لذا كان أبو
طالب يحضر
أنديتهم ويسمعهم ما ينبغي أن يسمعهم.
ولا يحدش كتمانته في إيمانه، فهو كأصحاب الكهف ومؤمن آل فرعون، ولا
يخرج بذلك عن الدين، كيف وهو على دين إبراهيم (عليه السلام) والمشايخ من آباءه.
وذهب إلى هذا القول الثعلبي في تفسيره، والحافظ المقدس في سيرة
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصاحب الوسيلة في الجزء الخامس، وصرح به
صاحب جامع
الأصول فيما رواه.
والعجيب أنهم قالوا بإسلام فاطمة بنت أسد وأبنائها، فكيف تكون على
خلاف مذهب أبي طالب «والمرأة على دين بعلها»؟ وهل يصح أن تكون على
خلاف الحنيفية كل هذه المدة المديدة دون أن ينهاها أبو طالب وهو عليه فرض
واجب؟!
الخلاصة: ما كان لأبي طالب في الخارج ولفاطمة بنت أسد في الداخل من
هم ولا شغل سوى حضانة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكفالاته وحمايته. سيما
فاطمة فإنها مع كثرة

(١) شرح النهج ١٤ / ٤٠ كتاب ٩.

الأولاد والعيال لم يشغلها شيء عن الوقوف بكل ما أوتيت من قوة في خدمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبالغت بالاهتمام بأكله وشربه ولباسه وتدهينه وتطيبه وترجيل شعره، حتى كانت تقدمه على أولادها، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يزورها ويقبل عندها في بيتها ويناديها: «أمي».

وكانت هي أول امرأة هاجرت في محبة فاطمة الزهراء إلى المدينة، وكانت لها كالأم.

قال علي بن الحسين المسعودي طاب ثراه: «وهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية، وكانت صالحة، وكان أبو طالب قام بنصرة رسول الله ولا يفارقه ويحبه حبا شديدا، ويقدمه على أولاده، ولا ينام إلا وهو إلى جانبه، ويقول له: إنك مبارك النقية، ميمون الطلعة، وقد كان أكبر العرب ممن بقي أو دثر يقر بالصانع ويستدل على الخالق» وهذا هو معنى «المرأة على دين بعلها». فلا يخفى أن خديجة بنت خويلد وآمنة بنت وهب وفاطمة بنت أسد وحليمة السعدية وأمثالهن كن على الحنيفية منذ الولادة إلى البعثة، بل إن بعضهن لم يكن إيمانهن مسبوqa بالكفر، حيث اختار الله عدة من النساء وأعدهن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

للمضاجعة والحمل والولادة والحضانة والكفالة والإرضاع، وكان لهن قابلية فطرية ومؤهلات كافية لاستقبال أنواع الفيض والرحمة والمواهب المفاضة من الله لحفظ ذاك الوجود السعيد بهذه الوسائل، فرحم الله نبيه بما آتاهن، وكان لكل واحدة منهن من المشاهدات والمكاشفات المشروحة في كتب السيرة. كل ذلك من فضل الله سبحانه، وتفضيل النسوان بعضهن على بعض كتفضيل الرجال بعضهم على بعض، وليس في ذلك حزازة، ولا ينبغي التردد فيه،

ومن ذا يعارض الله الواحد الأحد في قدرته وحكمته الكاملة ومصالحته التامة؟!
(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده) (١).

لا جرم أن هذه الأقوال السخيفة والعقائد الضعيفة في حق هذه الأسرة
المنيفة كلها ناتجة عن عدم المعرفة وفقدان البصيرة وعدم الإحاطة بأحوالهم
وفضائلهم.

كيف الوصول إلى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونها حتوف
الرجل حافية فمالي مركب * والكف صفر والطريق مخوف
بيش موسى ساحرى از محض ماليخولياست * نزد عيسى لاف طب از علت سودا بود
(٢)

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
ليتنا كنا ننظر إلى المقامات العلية والدرجات السنية لهذه المخدرات المرضية
والمكررات المحترمت بعين الباطن أولاً وتصفية الخاطر ثانياً، ونعرف علة
تفضيلهن على النساء، ثم ندخل بعد ذلك مقام شرح حالاتهن وبيان شؤوناتهن
لئلا نخرج - جهلاً - الأولياء الكاملين وبنات الطاهرات والطاهرين عن جادة
التوحيد ومسلك العرفان والإيمان بالرب المجيد.

وما أقصر أيدينا - ونحن عبيد العلي الأعلى - عن التمسك بأذيالهن، وإن
كانت أيدينا أقرب إلى هؤلاء من أولئك الذين تقلبوا عدة قرون في حجاب الحياء
والعصمة، وربتهم يد المكرمة في الحضرة الأحدية، ووقفوا في قصور التوحيد

(١) الحديد: ٢١.

(٢) يقول: اجتراح السحر أمام موسى من الهلوسة، والتشدد بالحديث عن الطب أمام عيسى من الجنون.

بالقدم الثابت، وأدوا حق العبادة والطاعة لمن هو أهل لذلك.
فعلى القائل باختلاف الطينات والدرجات والكمالات والعقول والأعمال أن
يمسك لسانه وينقطع عن عمله ف:

الليل داج والكباش تنتطح* فمن نجا برأسه فقد ربح (١)
أجل أيها المخالف الناصب! فسوء الظن من شدة الضن، واللفظ شين
المحافل، والجرس آفة القوافل، فكيف يركن إلى أقوال المغيرة بن شعبة المغرضة
وأمثاله من أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويعرض عن أقوال أبي طالب وأفعاله
وشعره

ونثره؟ وكيف يقال بكفر والدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعرض عن كل
تلك المكرمات

الباهرة والآيات النيرة الزاهرة التي ظهرت من هذه النسوة التقيات المباركات؟
وقد ذكرت في الخصيصة السابقة ما أمسكت عنه في هذا المقام، ولكني لا
أستطيع الإعراض عن هذا الأمر؛ لأن الخصم المتعسف العنيد يصبر على إنكاره
وهو من البديهييات الواضحة.

(يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون) (٢).

هرکه بر نور خدا آرد پفو* از یقین می دان بسوزد ریش او

چون نهد در تو صفتهاى خرى* صد پرت گر هست در آخر پرى (٣)

فلا فرق بين هذه الطائفة والطائفة الفضلية من الخوارج الذين يقولون بجواز
الكفر على الأنبياء. قال ابن فورك: يمكن أن يبعث للخلق نبيا كافرا؟! تمسك

(١) انظر تمام الآيات في بحار الأنوار ٣٢ / ٥٨٨ ح ٤٧٢.

(٢) الصف: ٨.

(٣) يقول: من أراد إطفاء نور الله فاعلم يقينا أنه سيحرق لحيته.

لقد أودعوا فيك صفات الحمار، وستبقى شيطانا ولو امتلكت مائة جناح (من أجنحة الملائكة).

الحشوية بقوله تعالى: (فوجدك ضالا فهدى) (١) للقول بكفر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،
وتمسكوا بقوله تعالى: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) (٢) للقول بأن إيمانه
كان مسبوqa بالجهل والكفر!! نعوذ بالله من هذه الأباطيل والأساطير.
والأفضل أن نزين هذه الخصيصة بأبيات لأمير المؤمنين (عليه السلام) في رثاء أبيه
وهو أقوى دليل على توحيدهِ وإيمانه، وقوله أولى من قول من هو أكذب من
سراب:

أبا طالب عصمة المستجير * وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ * فصلى عليك ولي النعم
ولقائك ربك رضوانه * فقد كنت للطهر من خير عم (٣)
وإليك روايتان في حالات فاطمة الشريفة تحكي حسن إيمانها وإيمان
أبي طالب.

الحديث الأول في ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) والحديث الثاني في وفاتها (عليها السلام).

أما الحديث الأول: عن يزيد بن قعنب، قال: كنت جالسا مع العباس بن
عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد
أم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت حاملا به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق،
فقلت:

رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي
إبراهيم الخليل (عليه السلام) وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق

(١) الضحى: ٨.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) البحار ٣٥ / ١١٤ ح ٥١.

المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي.
قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه
وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح،
فعلمنا أن ذلك أمر من الله عز وجل، ثم خرجت بعد الرابع ويدها
أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم قالت: إني فضلت علي من تقدمني من النساء، لأن
آسية بنت

مزاحم عبت الله عز وجل سرا في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا، وإن
مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبا جنيا، وإني
دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج هتف
بي هاتف: يا فاطمة! سميه عليا، فهو علي والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه
من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غوامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام
في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه
وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه (١).
ولنعم ما قيل:

ولدته في حرم الإله امه * والبيت حيث فنائه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة * طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها * وبدت مع القمر المنير الأسعد
ما لف في خرق القوابل مثله * إلا ابن آمنة النبي محمد (٢)

(١) روضة الواعظين ١ / ٧٦ في مولد أمير المؤمنين (عليه السلام).
(٢) روضة الواعظين ١ / ٨١ والأبيات للسيد الحميري رضوان الله عليه.

لا يخفى (١) أن ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت قبل البعثة بعشر سنين يعني أنه

ولد والنبي في الثلاثين من عمره.

وكانت تلك المخدرة قبل البعثة على عقيدة غاية في المتانة والرصانة والصلابة، بحيث قالت ما قالت عند الكعبة، وعبرت عما في ضميرها بتلك العبارات، وكأنها أدخلت نفسها في دائرة هذه الشريعة قبل ولادة ابنها، وبقيت تنتظر أن يدعو ابنها الناس إلى النبوة، وكانت هي أول من بايع بعد الدعوة رغم عناد قريش - رجالا ونساء - وغيرهم من الأعداء الجهلة. وبناء على هذا التقرير تكون فاطمة بنت أسد في الستين من العمر عند وفاتها، وقد قضت غالب أيامها في طاعة السيد المختار وامتثال أوامر الرب الجبار، ولا تجد في الأمة امرأة مؤمنة وحدت الله وأطاعته بالجنان والأركان كفاطمة بنت أسد ما خلا خديجة بنت خويلد؛ لذا استحقت كل تلك الألفاظ من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،

(١) العجيب أن صادفت تحرير هذه الأوراق مع ذكرى ليلة ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) لذا سأكتب أبياتا من

محفوظاتي في مدح سلطان الولاية (عليه السلام):

که ای جان تو عرش جان آفرین * در آن عرش جای جهان آفرین
سوی خانه پاک یزدان گرای * به روحانیان روی یزدان نمای
زجان آفرین باد بر تو نوید * که جان آفرین از تو آمد پدید
ستایش چو بنمود او با خدا * که تا که بگوشش رسید این ندا
که ای مریمی کت خدا رهنماست * تو آن مرمی کو خداوند راست
به جان خداوند عیسی درای * به مردم خداوند عیسی نمای
خدائی عیسی اگر نارواست * به مردم خداوندی او بجاست
نهان آنچه در پرده روزگار * بدانجای بی پرده شد آشکار
رخ آورد بر سوی دارای فرد * بشکرانه اش سجده شکر کرد
(من المتن)

فدعى لها واستغفر لها ولقنها الولاية وأكمل لها دينها، وفي رواية أخرى: أنه جلس على شفير قبر فاطمة وقال: «ابنك ابنك علي لا جعفر ولا عقيل» (١).
هذه المرأة قضت عمرها في خدمة سيد الأبرار، وكانت تحكي بخدمتها وسلوكها خلوصها ومحبتها وشوقها، وكانت تعتقد في فاطمة الزهراء أنها خاصة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلاصة وجوده المبارك، وجوهره الصافي، وحقيقته المصطفوية

الحقة، وترى رضا المصطفى في محبة فاطمة الزهراء وخدمتها والقيام بأمرها مقام أمها، فهل يصح أن يقال - بعد كل هذا - أنها لم تتبع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو أنها فارقتة وخالفته في مسيرته!!؟

كيف وهذه الأخبار المعتبرة والآثار الكثيرة على أنها بذلت ما في وسعها، واجتهدت غاية الإجهاد، ثمانين سنين في مكة وما بقي من عمرها إلى حين وفاتها في المدينة الطيبة، من أجل خدمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخدمة المستورة الكبرى فاطمة

الزهراء بما يجمل عن التقصير ويفوق حد التصور، وعليه فلا أظن أن تكون ثمة امرأة بجلالة فاطمة بنت أسد ما خلا خديجة (عليها السلام)، فعليتها من الصلوات ما طابت، ومن

التحيات ما طهرت، ما النجوم أنارت، وما الأفلاك دارت.

أما الحديث الثاني: في كتاب روضة الواعظين للفتال طاب ثراه، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، قال: أقبل علي بن أبي طالب ذات يوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

باكيا وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مه يا علي.

فقال: ماتت أمي فاطمة، فبكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: رحم الله أمك يا علي، أما إنها

إن كانت لك أما فقد كانت لي أما، خذ عمامتي هذه وخذ ثوبي هذين فكفنها فيهما،

(١) البحار ٣٥ / ١٨١ ح ٨٥ باب ٣.

ومر النساء فلتحسن غسلها، ولا تخرجها متى أجيء فألي أمرها. قال: وأقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ساعة وأخرجت فاطمة أم علي (عليه السلام)، فصلى عليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة لم يصلها على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كبر عليها أربعين تكبيرة، ثم دخل القبر فتمدد فيه فلم يسمع له أنين ولا حركة، ثم قال: يا علي أدخل! يا حسن أدخل! فدخلا القبر، فلما فرغ مما احتاج إليه قال له: يا علي أخرج، يا حسن أخرج، فخرجا، ثم زحف النبي حتى صار عند رأسها، ثم قال: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم، ولا فخر، فإن أتاك منكرو ونكير فسألك ممن ربك فقولي: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليي. ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى ففضهما، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي. فقام إليه عمار بن ياسر فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله! لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة؟ فقال: يا أبا اليقظان! وأهل ذلك هي مني لقد كان لها من أبي طالب ولد كثير، ولقد كان خيرهم كثيرا وكان خيرنا قليلا، وكانت تشبيني وتجيئهم، وتكسوني وتعريهم، وتدهنني وتشعثهم. قال: فلم كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله؟ قال: نعم يا عمار التفت إلى يمين ونظرت أربعين صفا من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة. قال: فتمددك في القبر ولم يسمع لك أنين ولا حركة؟ قال: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة، فلم أزل أطلب إلى ربي أن يبعثها ستيرة، والذي نفسي بيده، ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور

عند يديها، ومصباحين من نور عند رجلها، وملكيها الموكلين بقبرها يستغفران لها إلى يوم القيامة (١) (٢).

وروي في خبر آخر طويل: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا عمار! إن الملائكة قد ملأت الأفق، وفتح لها باب من الجنة، ومهد لها مهادا من مهاد الجنة، وبعث إليها بريحان من رياحين الجنة، فهي في (٣) روح وريحان وجنة نعيم، وقبرها روضة من رياض الجنة (٤).

فطام فيه عصام

في كتاب خلاصة الوفاء في أخبار دار المصطفى لعلي بن عبد الله أبي الحسن السمهودي المدني (٥)، ذكر المدفونين في البقيع من الذكور والإناث من الأصحاب الأطياب والطالبين من ذرية سيد الأوصياء، وذكر منهم فاطمة بنت أسد فقال: روى ابن زباله، عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: دفن رسول الله فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت مهاجرة مبايعة بالروحاء مقابل حمام أبي قطفة. قال: ثم قبر إبراهيم ابن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقال في قبر العباب بن عبد المطلب: إنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل.

-
- (١) في المصدر: «إلى أن تقوم الساعة» بدل «يوم القيامة».
- (٢) روضة الواعظين ١ / ١٤٢ في ما يدل على إيمان أبي طالب وفاطمة بنت أسد.
- (٣) لا يوجد في المصدر: «في».
- (٤) روضة الواعظين ١ / ١٤٢ في ما يدل على إيمان أبي طالب وفاطمة بنت أسد؛ بحار الأنوار ٣٥ / ٧١ ح ٤.
- (٥) المتوفى سنة ١٠١١ وهو من علماء المدينة مدفون بالبقيع. (من المتن)

وعن ابن حبان: دفن الحسن عند قبر جدته فاطمة بنت أسد.
وفي كتاب السمهودي أيضا: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم ينزل في قبر أحد
إلا خمسة

قبور، ثلاث نسوة ورجلين، منها قبر خديجة بمكة، وأربع بالمدينة، قبر ابن
خديجة، كان في حجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتولى تربيته، وهو على قارعة
الطريق بين زقاق

عبد الدار وبين البقيع الذي يتدفن فيه بنو هاشم، وقبر عبد الله المزني الذي يقال له:
ذو البجادين، وقبر أم رومان أم عائشة بنت أبي بكر، وقبر فاطمة بنت أسد أم
علي، فأمر بقبرها فحفر ثم لحد لها لحداء، فلما فرغ منه نزل فاضطجع في اللحد وقرأ
فيه القرآن، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفن فيه، ثم صلى عليها عند قبرها فكبر تسعا،
وقال: ما عفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد.

وفيه أيضا عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي بعد
أمي، وذكر ثناءه

عليها وتكفينها بيرده. قال: ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحفروا قبرها
فلما بلغوا اللحد

حفره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فاضجع فيه ثم قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة
بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم
الراحمين (١).

وستعرف بعد حين أن قبر فاطمة الزهراء لم يكن في البقيع ولا مقابل دار
عقيل، وما استدلوها به من وصية الحسن (عليه السلام) أن يدفن عند أمه، فالمقصود بها
فاطمة بنت أسد كما صرح به الخبر المذكور قال: «عند قبر جدته فاطمة بنت

(١) حذف ما خالف أخبار الإمامية وأخرجت ما وافقها مختصرا. (من المتن)

أسد» وما ادعاه السهمودي فهو خلاف، وقد تمسك بقول المسعودي: إنهم وجدوا رخامة مكتوب عليها: هذا قبر فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي وعلي بن الحسين وقبر محمد بن علي وجعفر بن محمد (عليهم السلام) (١).

وكذا أخبر سبط ابن الجوزي عن الواقدي (٢)، والمحدث الطبري في ذخائر العقبي في فضائل ذوي القربى (٣)، وقال: إنهم يزورون فاطمة في ذلك المزار كثير الأنوار.

لكن المحقق عند أرباب الفن والأساطين من أرباب الخبر والسير، وأعاضم محدثي الإمامية، بل الغالب في الكتب الموثقة العامية أن قبر فاطمة الزهراء (عليها السلام) في

بيتها كما قال المفيد، وهو الأصح عندي، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في خصيصة الدفن فلا نطيل.

وما أكثر التشابهات الإسمية التي اقتضتها الحكمة ليبقى قبر المقدسة الصديقة الطاهرة في الخفاء، تأكيداً لوصيتها أن تدفن ليلاً، وأن يكتُم أمرها ولا يخبر بموتها أحد من المهاجرين والأنصار.

فهذه قطرة من قطرات بحار الأخبار، وقبسة من قبسات آثار الأئمة الأطهار، ولقد تركنا بعضها خلافاً للأخبار، وكتبنا بعضها إلزاماً وإرغاماً لهم ولذي الجحود والإنكار، والأمر بيد الله الواحد القهار.

(١) وفاء الوفاء ٣ / ٩٠٥.

(٢) انظر تذكرة الخواص ٢٧٨.

(٣) انظر ذخائر العقبي ٥٤.

الخصيصة التاسعة عشر من الخصائص الخمسين
في نسب وحسب حليلة السعيدة مرضعة النبي
حليلة السعدية مرضعة الرسول من المخدرات المعروفة بالعفاف والشرف
والحياء، ومن البيوتات ذات الاسم والسمة المعروفة بين قبائل تهامة والحجاز،
والموصوفة بالنجابة والطهر، والداخلة في زمرة النساء الكريمات العظيمات ذوات
العز والشأن.

وحليمة هي بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام
بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
حفصة بن قيس بن غيلان.

واسم زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن غلان بن ناصرة بن قصية
بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن.

وكانت حليلة مشهورة بين العرب بكمال الجود وتمام الشرف.
وفي العقد الفريد لشهاب الدين أحمد بن عبد ربه الأندلسي المالكي في باب
شرف بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم): إن الله خلق الخلق فجعلني في خير

خلقه، وجعلهم فرقا فجعلني في خيرهم فرقة، وجعلهم قبائل فجعلني في خير
قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خير بيت، فأنا خيركم بيتا، وخيركم نسبا.

وقال: أنا ابن الفواطم والعواتك من سليم، واسترضعت في بني سعد.
وقال: نزل القرآن بأعرب اللغات، فلكل العرب فيه لغة، ولبني سعد بن بكر سبع لغات، وبنو سعد بن بكر بن هوازن أفصح العرب فهم من الأعجاز، وهي قبائل من مضر متفرقة (١).

وحليمة بنت ذؤيب من بني ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن من قصي، ينتهي نسبهم إلى نزار وهو أحد أجداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، له اربع أولاد ذكور: مضر وربيعة وأنار وأياد، وتجتمع قبائل مضر في قيس وخندف.***

وكان للعرب من أبناء يعرب ابن قحطان قديما اصطلاحات خاصة في الأنساب العالية والمتوسطة والدانية، كما كانت لهم آداب ورسوم خاصة متداولة بينهم، فمصطلحاتهم في الأنساب: القبائل، والفصائل، والعمائر، والأرحاء، والأرومة، والعشائر، والشعوب، والبطون، والأفخاذ، والجماجم، والجماهير، والجمرات، والرهط (٢).

وقد وردت بعض تلك المصطلحات في القرآن الكريم كقوله تعالى: (إنا جعلناكم شعوبا وقبائل) (٣)، وقوله تعالى: (وفصيلته التي تؤيه) (٤) وقوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) (٥).

(١) العقد الفريد ٣ / ٢٥١.

(٢) انظر العقد الفريد ٣ / ٣٣٥.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) المعارج: ١٣.

(٥) الشعراء: ٢١٤.

ولكل واحدة من هذه المصطلحات معنى خاص يندرج ضمن ترتيب معين لا يستعمل في غيره، بل لكل واحدة منها عدد معين ينضوي تحته، فإذا زاد العدد لم يستعمل فيه ذلك اللفظ، فلا تقدم القبيلة على الشعبة، ولا الفصيلة على العمارة. والجمرات - مثلاً - عند العرب محدودة في أربع: بنو تميم، وبنو الحارث، وبنو ضبة، وبنو عبس (١).

والجمرات جمع جمرة وهي الجماعة، والتجمير التجميع، والقبيلة من المقابلة والمناظرة مع الأكفاء، والعمارة من الإعتمار وهو الاجتماع، والفصيلة أهل بيت الشخص خاصة.

قال هشام بن الحكم لما سئل عن الدليل على الإمام بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال

هشام: الدلالة عليه ثمان دلالات أربعة منها في نعت نسبه، وأربعة في نعت نفسه: أما الأربعة التي في نعت نسبه؛ فإن يكون معروف القبيلة، معروف الجنس، معروف النسب، معروف البيت... (٢) وأن يدعو الناس للمحجة البيضاء، فإذا كان كذلك امتنع على غيره أن يطمع في الإمامة.

والمراد من قوله «بنو سعد من الأعجاز»، فالأعجاز اسم يشمل قبائل مضر بن نزار. ولما كانت القبائل العربية في الحاضر والبادي لها موقعها وصفاتها وسماتها ومنازلها؛ لذا فإنها لا تسمح لأي فرد أن يتزعمها ما لم يكن ذا حسب ونسب وذا شرف ونجابة وبيت ومضيف يفوق بها كل من سواه، حتى لا يكون له كفاء في القبيلة، وكانوا يسمون مواطن ولادتهم بالبيت، أي أن آباءنا ولدوا في هذا البيت،

(١) انظر العقد الفريد ٣ / ٣٦٧.

(٢) البحار ٢٥ / ١٤٢ ح ١٦ باب ٤.

وولدنا نحن أيضا في نفس البيت الذي ولد فيه آباؤنا، فهو ذوو فراش ونسب معروف متصل معلوم.

وأشرف البيوت في الجاهلية بيت مضر، ومن أعظم البيوت المحدودة عند العرب خمسة بيوت، منها بيت سعد الذي تنتسب إليه حليلة السعدية - وهذا يحتاج إلى بيان واف - .

ولكل قبيلة من أمهات القبائل العربية أبناء وبطون تتشعب إلى شعب، وأسماءها متشابهة متقاربة؛ لذا وصفوا كل واحدة منها بصفة مميزة، ووسموها بسمة مشخصة، فصدروا بعض القبائل بكلمة «أب» وبعضها ب «ابن» وما شاكل. وكل تلك القبائل تنتهي إلى قحطان وعدنان من اليمن والشام والحجاز وتهامة ونجد والعراق.

وقحطان بن عابر، وهو هود النبي (عليه السلام)، كما ذهب إليه جماعة من النسابة والمؤرخين، وهو ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

وأصل الأنساب ترجع إلى ثلاثة من ولد نوح: سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، وولد حام السودان والبربر والنبط، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج (١).

ومنهم كندة، وحمير، وختعم، ولخم، وأسد، والأزد، وهوازن، وتميم، وعدي، وربيعة، وهمدان، وهذيل، ورباب، ومزينة، وغيلان، والأوس، والخزرج، وأمثال ذلك.

وقد جرى مدح بعضهم على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والولي، كهمدان الذين

مدحهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال:

(١) انظر العقد الفريد ٣ / ٣١٢ (أصل النسب).

لهمدان أخلاق ودين يزينهم* وناس إذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بوابا على باب جنة* لقلت لهمدان ادخلوا بسلام (١)
وفي العقد الفريد بعد ذكر ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في شرف بيته
(صلى الله عليه وآله وسلم) قال:
والعواتك من سليم ثلاث: «عاتكة بنت هلال ولدت هاشما وعبد شمس ونوفلا،
وعاتكة بنت الأوقص بن هلال ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وعاتك بن
فاتح» (٢).

وقال: وإخوته في الرضاعة - من حليلة السعدية - عبد الله بن الحارث،
وأمنية (٣) بنت الحارث، وجدامة بنت الحارث، وهي التي أتت بها النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) في
أسرى حنين فبسط لها رداءه ووهب لها أسرى قومها (٤).
وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحترم أقرباء خديجة وحليمة السعدية دائما.
وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعى السعدي بالنسبة الرضاعية، ومكي نسبة
لولادته في

مكة، ويدعى أحيانا العربي والأبطحي والتهامي، وقد يدعى اليثربي والمدني
بلحاظ إقامته في المدينة المنورة، وقد يدعى الزهري نسبة إلى بني زهرة قوم أمه،
ويدعى القرشي والهاشمي والمطلبي نسبة إلى قريش وهاشم وعبد المطلب.
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا أعرب من قريش، استرضعت في
سعد بن

بكر» (٥). وهي قبيلة معروفة بالبلاغة والفصاحة وحسن البيان وعذوبة اللسان،

(١) العقد الفريد ٣ / ٣٩٠.

(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٥٢.

(٣) في العقد الفريد: «أنيسة».

(٤) العقد الفريد ٤ / ٢٥١.

(٥) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٣ وفيه: «أنا أعربكم، أنا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر».

ولبن النساء له دور مؤثر في تربية الأطفال كما أن طيب الماء والهواء له أثر في نماء الوليد، ويدل عليه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دلالة واضحة.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث المشهور عند الخاص والعام: «أنا أفصح من نطق بالضاد» والظاهر أن الضاد حرف خاص باللغة العربية، ومخرجه ثقيل يصعب حتى على العربي أداءه بشكل صحيح إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومخرجه من بين الأضراس اليسرى وإخراجه من بين الأضراس اليمنى فيه إشكال؛ لذا قال أهل التجويد «من الأيسر أيسر» وإن كان القراء السالفين يقرؤونه من الأيسر والأيمن، كما قرأه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجهتين.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكرر دائما: إني نشأت في أفصح القبائل؛ لأنه نشأ في بني سعد، وكانوا يتكلمون بسبعة لغات.

وفي حديث آخر: سئل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن سبب فصاحته وبلاغته، فقال:

إندرست لغة إسماعيل بعده فعلمنيها جبرائيل، ومنها هذه البلاغة والفصاحة وعذوبة البيان.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أدبني ربي أربعين سنة» (١) والكمالات والفضائل جميعها مطوية في هذا التأديب الإلهي، ومنها البلاغة والفصاحة العربية، وكلامه الحلو المليح ينتهي إلى الإفاضات والإفادات النازلة من رب الأرض والسموات، ولا بد أن تكون فضيلة ومزية لمن أنس في خلواته وجلواته ليلا ونهارا بكلام الله وأمين وحيه. والعجيب كيف يأنس مع أبناء جنسه من انشغل دوما بالكلام مع الله؟! على أي حال، فالأوهام والأفهام عاجزة قاصرة عن الإحاطة بفصاحة

(١) البحار ١٦ / ٢١٠؛ ٧١ / ٣٨٢ ح ١٧ وفيهما: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

اللسان وجوامع الكلم وبدائع البيان وغرائب الحكم التي امتاز بها روح العالم وسيد الكائنات، ولو اجتمع الإنس على وصفه أو استقصائه لما أحصوا عشر معشار بيانه، ولا حصروا جزءا من أجزاء منطقته.

گفتار خوش و لبان باریک * ما اطييب فاك جل باریک (۱)

نعود إلى المقصود:

تبين من الأخبار المذكورة أن السيدة آمنة عاشت مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سنتين

أو أكثر، فلا بد أن ترضعه بمفاد قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) (۲) فالأم أولى برضاع ولدها، بل قد تكون - أحيانا - حقا لازما ونفقة واجبة، سيما اللبن الأول المسمى بـ «اللبن» بالكسر فهو حق للمولود. فماذا حدث حتى تسترضع له المرضع؟! حتى قيل: إنه أرضعته «ثوية» مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أياما، وتوفيت مسلمة سنة سبع من الهجرة، وكانت أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، ثم أرضعته حليلة السعدية (۳). وفي الكافي: ... إن عليا ذكر لرسول الله ابنة حمزة فقال: «أما علمت أنها ابنة أخي من الرضاعة، وكان رسول الله وعمه حمزة قد أرضعا من امرأة» (۴). وفي الكافي أيضا خبر غريب: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما ولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مكث أياما ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه فأنزل الله فيه لبنا، فرضع

(۱) يقول: منطق مليح ولسان ناعم، ما أطييب فاك جل باریک!

(۲) البقرة: ۲۳۳.

(۳) البحار ۱۵ / ۳۳۷ ح ۶ باب ۴ عن المناقب:

(۴) فروع الكافي ۵ / ۴۴۵ ح ۱۱ باب نوادر في الرضاع.

منه أياما، حتى وقع أبو طالب على حليلة السعدية فدفعه إليها (١).
وفي الخبر: وكانت عاتكة تلعبه عسلا صافيا مع الشريد، وبعثت عاتكة
بالجوازي والعبيد نحو نساء بني هاشم وقريش ودعتهن إلى رضاع النبي (صلى الله عليه
 وآله وسلم)،

فجئن إلى عاتكة واجتمعن عندها في أربعمائة وستين جارية من بنات صنديد
قريش، فتقدمت كل واحدة منهن ووضعت ثديها في فم رسول الله (صلى الله عليه وآله
 وسلم) فما قبل
منهن أحدا (٢) (٣).

فخرج عبد المطلب مهموما وقعد عند ستار الكعبة ورأسه بين ركبتيه كأنه
امرأة ثكلى، وإذا بعقيل بن أبي وقاص وقد أقبل، وهو شيخ قريش وأسنهم، فلما

(١) الكافي ١ / ٤٤٨ ح ٢٧ وعنه البحار ١٥ / ٣٤٠ ح ١١ باب ٤.

(٢) البحار ١٥ / ٣٤٢ ح ١٣ باب ٤.

(٣) الهواء الطيب والماء العذب يؤثران في الطفل كما يؤثر حليب الأم في الرضاع، لأنه ينسجم وطبيعة
الطفل أكثر من لبن غيرها من المراضع، فهو مغذ ومقو جدا، على العكس من الهواء النتن العفن فهو
مضعف، وقد يكون مهلكا؛ لذا تجد سكان الأقاليم البعيدة نحو الجنوب والشمال خارجين عن حد
الإعتدال في كل شيء.

وكانت العادة عند أهل مكة وعند الأثرياء اتخاذ المراضع لأطفالهم ليكثر نسلهم وتزداد ورثتهم من دون
ايجاد مزاحمة، ولتبقى نساؤهم في رفاهية من العيش وراحة من البال، وكانت خارج مكة متنزهات
ومواطن فيها المياه العذبة والرياح اللطيفة والهواء البارد، وكانت العشائر تسكن هناك طلبا للماء والكأ،
وكان بعضهم يعاني من الفقر والحرمان، فكانوا يؤجرون نساءهم لترضع أبناء الأثرياء والزعماء في مكة
ليسدوا بذلك فقرهم وفاقتهم.

واتخاذ المرضعة عمل مستحب في الشرع المقدس، بشرط أن لا تكون مريضة، ولا سيئة الخلق، ولا
قبيحة المنظر، ولا يهودية، ولا نصرانية، ولا مجوسية، ولا ناصبية، ولا مجنونة، ولا حمقاء، ولا تكون
مولودة من زنا، ولا ابنتها لولد الزنا، ولو لم ترع هذه الأمور فإن تلك الصفات الرديئة والخصال الرذيلة
ستنتقل في مدة قليلة من المرضعة إلى الرضيع، فيشب عليها الطفل وتتجذر فيه الخصال التي تأدب عليها
في الصغر. (من المتن)

رأى عبد المطلب مغموما.. قال: يا أبا الحارث إني لأعرف في أربعة وأربعين صنديدا من صناديد العرب امرأة عاقلة هي أفصح لسانا، وأصبح وجهها، وأرفع حسبا ونسبا، وهي حليلة بنت أبي ذؤيب، يتصل نسبها بإبراهيم الخليل، فقال عبد المطلب: لقد نبهتني لأمر عظيم، ثم دعا عبد المطلب بـغلام اسمه شمردل وقال له: قم يا غلام واركب ناقتك واخرج نحو حي بني سعد بن بكر، وادع لي أبا ذؤيب عبد الله بن الحارث العدوي، فذهب الغلام، وكان حي بني سعد من مكة على ثمانية عشر ميلا في طريق جدة.

قال: فذهب الغلام نحو حي بني سعد فلحق بهم، وإذا خيمتهم من مسح وخصوص، وكذلك خيم الأعراب والبوادي، فدخل شمردل الحي وسأل عن خيمة عبد الله بن الحارث فدلوه، فذهب شمردل إلى الخيمة، فإذا بخيمة عظيمة، فدخل الغلام فحياه عبد الله وقال له: ما الخبر يا شمردل؟ فقال: أعلم يا سيدي أن مولاي أبا الحارث عبد المطلب قد وجهني نحوك وهو يدعوك. قال عبد الله: السمع والطاعة، وقام عبد الله من ساعته ودعا بمفتاح الخزانة، ففتح باب الخزانة وأخرج منها جوشنة فأفرغها على نفسه، وأخرج بعد ذلك درعا فاضلا فأفرغه على نفسه فوق جوشنه، واستخرج بيضة عادية فقلبها على رأسه، وتقلد بسيفين واعتقل رمحا ودعا بنجيب فركبه، وجاء نحو عبد المطلب، فلما دخل تقدم شمردل وأخبر عبد المطلب، وكان جالسا مع رؤساء مكة، مثل عتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط، وجماعة من قريش، فشرح له عبد المطلب قصة ابنه، فقال عبد الله: يا أبا الحارث إن لي بنتين فأيتهما تريد؟ قال عبد المطلب: أريد أكملهما عقلا، وأكثرهما لبنا، وأصونهما عرضا. فقال عبد الله: هاتيك حليلة، لم تكن

كأخواتها بل خلقها الله تعالى أكمل عقلا، وأتم فهما، وأفصح لسانا، وأثج لبنا، وأصدق لهجة، وأرحم قلبا، وأصون عرضا. فقال: خصلتان الحلم والسعد. فقام من ساعته واستوى على متن جواده وأخذ نحو بني سعد، فلما أن وصل إلى منزله دخل على ابنته حليلة وقال لها: أبشري فقد جاءتك الدنيا بأسرها، فخرجت مع زوجها بكر بن سعد السعدي وذهبوا إلى دار عاتكة بنت عبد المطلب فبشروا عبد المطلب بقدوم حليلة... إلى آخر ما قاله الواقدي (١).

وروى محمد بن جرير الطبري ومحمد بن إسحاق صاحب كتاب السيرة النبوية ما يوافق أخبار الإمامية: «إن حليلة حدثتها أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت: وذلك في سنة شهباء (٢) لم تبق لنا شيئا. قالت: فخرجت على أتان لي قمراء (٣)

معنا شارف (٤) لنا والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه» (٥).

قال أبو الحسن البكري:.. وكانت آمنة يوما نائمة إلى جانب ولدها فهتف بها هاتف: يا آمنة! إن أردت مرضعة لابنك ففي نساء بني سعد امرأة تسمى حليلة بنت أبي ذؤيب، فتناولت آمنة إلى ذلك، وكان كلما أتتها من النساء تسألهن عن أسمائهن.

(١) البحار ١٥ / ٣٤٣ ح ١٣ باب ٤ والخبر طويل نقله المؤلف مختصرا. الواقدي:

(٢) أي سنة قحط وجدب.

(٣) أي شديدة البياض.

(٤) الشارف: الناقة المسنة.

(٥) السيرة النبوية ١ / ١٨٧.

قالت حليلة: كنا نبقى اليوم واليومين لا نقتات فيه بشيء، وكنا قد شاركنا المواشي في مراعيها، فكنت ذات ليلة بين النوم واليقظة وإذا قد أتاني آت ورماني في نهر ماء، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وقال لي: إشربي فشربت، ثم ردني إلى مكاني، وقال لي: يا حليلة عليك ببطحاء مكة فإن لك بها رزقا واسعا وسوف تسعدين ببركة مولود ولد بها، وضرب بيده على صدري وقال: أدر الله لك اللبن وجنبك المحق والمحن.

قالت حليلة: فانتبهت وأنا لا أطيق حمل ثديي من كثرة اللبن، واكتسيت حسنا وجمالا، وأصبحت بحالة غير الحالة الأولى، ففزعت إلي نساء قومي وقلن: يا حليلة قد عجبنا من حالك فما الذي حل بك؟ ومن أين لك هذا الحسن والجمال الذي ظهر فيك؟ قالت: فكتمت أمري عليهن، فتركني وهن أحسد الناس لي. ثم بعد يومين هتف بي هاتف: يا نساء بني سعد! نزلت عليكم البركات وزالت عنكم الترحات برضاعة مولود ولد بمكة فضله الواحد الأحد، فهنيئا لمن له قصد...

وكانت حليلة من أطهر نساء قومها وأعفهن، ولذلك ارتضاها الله تعالى لترضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت النساء إذا دخلن على آمنة تسألهن عن أسمائهن، فإذا لم تسمع بذكر حليلة تقول: ولدي يتيم لا أب له ولا مال فيذهبن عنها... فلما عرفت حليلة قالت: هذه التي أمرت أن أدفع إليها ولدي، ورضي زوجها وقال: إن جده مشكور بالإحسان، فنظرت حليلة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ملفوف في ثوب من صوف أبيض يفوح منه رائحة المسك والعنبر، ف وقعت في قلبها محبة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفرحت وسرت به سرورا عظيما، وكان نائما فأشفقت عليه أن توقظه

من نومه، فأمسكت عنه ساعة فخشيت أن تبطئ على بعلمها، فمدت يدها إليه لتوقظه ففتح عينيه وجعل يهش لها ويضحك في وجهها، فخرج من فمه نور، فتعجبت حليلة من ذلك ثم ناولته ثديها الأيمن فوضع، فناولته الأخرى فلم يرضع، وكان ذلك إلهاما من الله عز وجل ألهمه العدل والإنصاف من صغره، إذ كان لها ابن ترضعه وكان لا يرضع حتى يرضع أخوه ضمرة (أو حمزة أو عبد الله)، فرجعت حليلة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها عبد المطلب: مهلا يا حليلة حتى

نزودك.. وأعطاهما من المال والزاد والكسوة فوق الطاقة والكفاية، فأخذت عند ذلك آمنة ولدها وقبلته وبكت لفراقه، فربط الله على قلبها، فدفعته إلى حليلة وقالت: يا حليلة احفظي نور عيني وثمره فؤادي، ثم خرجت حليلة من بيت آمنة وشيعها عبد المطلب.

قالت حليلة: والله ما مررت بحجر ولا مدر إلا ويهتني بما وصل إلي. فلما أقبلت على بعلمها نظر إلى النور يشرق في غرته فتعجب من ذلك، وألقى الله في قلبه الرحمة له، فقال لها: يا حليلة قد فضلنا الله بهذا المولود على سائر العالم، فلما ارتحلت القافلة ركبت حليلة على أتان وجعلت تقول لزوجها: لقد سعدنا بهذا المولود سعادة الدنيا والآخرة. وسمعت آمنة هاتفا يقول:

قفي ساعة حتى نشاهد حسنه * قليلا ونمسي في وصال وفي قرب
فأين ذهاب الركب عن ساكن الحمى * وأين رواح الصيب عن ساكن الشعب
إذا جئت واديه وجئت خيامه * وعانيت بدر الحسن في وجهه قف بي
وطف بالمطايا حول حجرة حسنه * وعند طواف العيس يا صاحبي طف بي

فعند مليح الحسن مهجتي التي * يراها الأسي وجدا كما عنده قلبي
قفي يا حليلة ساعة فلعلني * أناشده إذ كان ذا شخصه قربي
ألا أيها المركب المتمم قاصدا * إلى مسكن الأحباب هل عندكم حبي (١)
فلما نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحبي بني سعد اخضرت أرضهم،
وأثمرت

أشجارهم، وكانوا في قحط عظيم، وكثرت معجزاته وظهرت كراماته الكثيرة التي
يطول شرحها ونحتاج إلى كتاب خاص لبيانها (٢).

وبقي عند تلك القبيلة أربع سنوات خلافا للمعتاد، وكانوا يرفضون إرجاعه
إلى مكة، ولكن لما ظهرت بعض الحوادث واعتارهم خوف من أن يصيبه أشرار
اليهود والنصارى و المشركين بأذى اضطروا إلى إرجاعه إلى عبد المطلب تشييعه
آلاف الحسرات ومواكب الأسف للفراق.

قال الشاعر في مدح حليلة السعدية:

لقد بلغت بالهاشمي حليلة * مقالا علا في ذروة العز والنجد

وزادت مواشيها وأخصب ربعها * وقد عم هذا السعد كل بني سعد (٣)
ومن أشعار حليلة التي كانت تقرأها للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

يا رب إذ أعطيته فأبقه * واعله إلى العلى وأرقه

وادحض أباطيل العدى بحقه (٤)

وكانت شيماء أخت النبي في الرضاعة تقرأ له:

(١) البحار ١٧ / ٣٧٤ ح ٢٠ باب ٤.

(٢) انظر تاريخ الخميس ١ / ٢٢٤.

(٣) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٤.

(٤) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٤.

هذا أخي لم تلده امي * وليس من نسل أبي وعمي
فديته من مخول معم * فانمه اللهم فيما تنمي (١)
والأفضل أن أذكر في هذه الخصيصة بعض الأخبار التي روتها حليلة عن
أيام رضاعه إدخالاً للسرور على الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام).
روى البيهقي عن حليلة، قالت: رأيت في الليل يناغي القمر (٢). قال رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء، وأسمع
وجبته (٣) يسجد
تحت الكرسي (٤).

وروى محمد بن مسعود الكازروني في المنتقى عن حليلة السعدية، قالت:..
فكنت أرى من يومه عجباً، ما رأيت له بولا قط، ولا غسلت له وضوءاً قط طهارة
ونظافة، وكان له في كل يوم وقت واحد يتوضأ فيه (٥).
وقالت أيضاً: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما صار ابن شهرين كان
يزحف مع

الصبيان إلى كل جانب، وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه، وفي أربعة أشهر
كان يمسك الجدار ويمشي، وفي خمسة أشهر حصل له القدرة على المشي، ولما تم
له
سنة أشهر كان يسرع في المشي، وفي سبعة أشهر كان يسعى ويعدو إلى كل جانب،

(١) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٤.

(٢) قال في تاريخ الخميس ١ / ٢٢٤: وأخرج البيهقي في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما
وابن

طغربك السيف في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله! دعاني للدخول
في دينك إمارة لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بإصبعك، فحيث أشرت إليه مال، قال:
إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش».

(٣) وجبته: أي سقطته.

(٤) البحار ١٥ / ٣٨٥ ح ٢٢.

(٥) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥.

ولما مضى عليه ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يفهم كلامه، وفي تسعة أشهر شرع يتكلم بكلام فصيح، وفي عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان (١). وقالت أيضا: فلما فطم عن اللبن قال: «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا» (٢).

وفي كتاب «المنتقى» أيضا عن حليلة السعدية أنها قالت: .. فانتبهت ليلة من الليالي فسمعت يتكلم بكلام لم أسمع كلاما قط أحسن منه، يقول: «لا إله إلا الله قدوسا قدوسا، نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم» (٣). وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، ولم يبك قط، ولم يسيء خلقه، ولم يتناول بيساره، وكان يتناول بيمينه، فلما بلغ المنطق لم يمس شيئا إلا قال «بسم الله» (٤) ... قد ثمر الله لنا الأموال، وأكثر لنا من الخير، فكانت تحمل لنا الأغنام وتبت لنا الأرض، وقد ألقى الله محبته على كل من رآه، فبينما هو قاعد في حجري إذا مرت به غنيماتى، فأقبت شاة من الغنم حتى سجدت له وقبلت رأسه فرجعت إلى صويحباتها (٥).

وكان أخواه من الرضاة يخرجان فيمران بالغلمان فيلعبان معهم، وإذا رآهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتنبهم وأخذ بيد أخويه ثم قال لهما: إنا لم نخلق لهذا.

-
- (١) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥ وفيه: «وفي شواهد النبوة روى أن رسول الله...».
(٢) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥ وفيه: «وفي المواهب اللدنية أخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال: كانت حليلة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلم فقال:...».
(٣) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥.
(٤) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥.
(٥) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥.

وقالت شيماء أخته في الرضاعة: كنت أرى غمامة تضله عن حرارة الشمس (١).
وقالت حليلة أيضا: وكنت قد اجتنبت الزوج لا أغتسل منه هيبية لرسول
الله (٢).

ثم نقلت حكاية شق الصدر التي يرويها العامة غالبا ويرويها القليل من
محدثينا، ولها حديث ذو شجون (٣)!!
علي أي حال فإن روايات حليلة وحكاياتها الكثيرة عن كرامات سيد
الكائنات تتجاوز حد الحصر والإحصاء ولا تستوعبها أفهامنا، وإنما أردت أن
أذكر شيئا منها لأشير إلى أن ظهور تلك المعجزات والدلائل تنافي القول بكفر
السيدة حليلة، مع أن لكل كرامة حكاية ولكل معجزة قصة.
وغرضي هو الإشارة إلى حسن حال السيدة حليلة، وتشريف هذه
الأوراق الفاطمية باسمها المبارك؛ لتكون في عداد النساء الممدوحات، ولا يخرج
اسمها الشريف من بين تلك الأسماء المباركة؛ ولئلا يبقى مقامها مجهولا لدى القارئ.
وإني أعتقد أن درجتها الرفيعة لا تقل عن بعض النساء المذكورات، فهي
الأم الثالثة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد آمنة بنت وهب وفاطمة بنت أسد،
ويكفيها فخرا
ومنزلة أن تناديها الملائكة في السماوات: «هذه حليلة السعدية مرضعة
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)».

(١) تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥.

(٢) البحار ١ / ٣٩٠ ح ٢٥ باب ٤، تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥.

(٣) انظر تاريخ الخميس ١ / ٢٢٥.

تأمين فيه تحسين
قد يسأل السائل فيقول: ماذا يعني قولكم أن السيدة آمنة والسيدة حليلة
كانتا مؤمنتين منذ الولادة، أي قبل البعثة وقبل ظهور دعوة الإسلام؟ فبأي شيء
آمنتا والنبى بعد لم يبعث؟ ولم يأت بأحكام وشريعة، ولم ينزل عليه جبرائيل بعد؟
وماذا يعني قول الفريقين من المؤمنين والمسلمين: إن آباء النبى (صلى الله عليه وآله
وسلم)

وأمهاته لا بد أن يموتوا على المذهب الحق؟!
أولاً: ذكر أهل الحديث والخبر أقوالاً مختلفة في الشريعة والطريقة التي
اتبعتها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة، وكلها ترجع إلى قولين:
أحدهما: إنه كان على الحنيفية شريعة إبراهيم الخليل، وتمسكوا بقوله
تعالى: (فاتبع ملة إبراهيم حنيفاً) (١) ونظائرها. وأشكلوا على هذا القول بأن اتباع
النبى لملة جده الخليل يلزم أن تكون شريعته أشرف وأجل ويكون إبراهيم أشرف
من النبى، لأن المتبوع أشرف من التابع!!
والقول الآخر: إن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مؤيداً منذ بدو التكليف بروح
القدس،

وأنه علم أحكام هذه الشريعة الحققة حسب الأمر الإلهي والناموس السماوي،
وإليه أشار قوله تعالى: (وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) (٢) وبعد مرور
أربعين سنة أظهرها (صلى الله عليه وآله وسلم) وبلغها للناس تدريجياً حسب مقتضيات
الحكمة

والحاجة إلى البيان من صلاة وصيام، وزكاة وخمس وحج وجهاد، وكانت نفسه

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) الشورى: ٥٢.

المقدسة متميزة بكمالات وهو في سن الأربعين، ولم تكن هذه الكمالات لغيره من المكلفين، وهو معنى قوله «أدبني ربي أربعين سنة» (١) وأيضا «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» (٢) وأيضا «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» (٣).

وهذه المقامات لا اختصاص لها بما بعد البعثة، بل كانت في تمام عمره الشريف، حيث كان دائما في أكمل مراتب القرب والوصال، مستغرقا في عنايات الحضرة الأحذية.

ولا يخفى على اللبيب العارف أن العلم بهذه الأحكام الظاهرية والعمل بها تقربا إلى الله ليس أمرا ذا بال لمثل مقام النبوة العالي الرفيع. والإعتزال في غار حراء والاعتكاف فيه شهرا كان لأمر عظيم.

وقد يختلج في ذهن العوام أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن له في هذه المدة المديدة صلاة

ولا صوم ولا أي تكليف آخر خاص به، وحاله حال الآخرين، فما من سنة إلا وحضر الناس الموسم وأدوا مناسك الحج وفق الآداب المرسومة بينهم.

نعم؛ كان النبي يجاريهم بمقتضى الحكمة، ولكنه كان يؤدي تكليفه الخاص في نفس الوقت، فكانت الإفاضات الفياضة على الإطلاق تصله، وكان الملائكة

المقربون ينزلون عليه، وكان روح القدس يؤيده قبل التكليف وبعده، وفي صغره وكبره على حد سواء، وهو العقل الكامل، فلا يمكن - والحال هذه - أن يقال: إنه

(١) مر ذكره قريبا، وذكرنا أنه ورد بلفظ آخر.

(٢) البحار ١٨ / ٣٦٠ ح ١٦ باب ٣.

(٣) البحار ١٦ / ٣٩٠ ح ٩٦ باب ١١.

كان على شريعة الأنبياء الآخرين، وأنه أمر بهذه الشريعة بعد مرور أربعين سنة من عمره المبارك.

والمراد من الآية السابقة (واتبع ملة إبراهيم حنيفا) (١) الإلتباع في بعض النوافل والأعمال المباحة والأحكام الجزئية التي ذكرها العلماء الأعلام مفصلا في كتب التفاسير والأحاديث، وذكروا آرائهم فيها.

أما إيمان الرجال والنساء في ذلك الزمان بالأصول والفروع في الشريعة الإبراهيمية واعتقادهم بدعوة موسى وعيسى (عليهما السلام)، والبقاء على الحنيفية - فهو في الحقيقة - إيمان بنينا؛ لأن من عقائد الأنبياء السالفين الإيمان بوجود خاتم المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (عليهم السلام)، والاعتقاد بخاتمته ونسخه لتمام الشرائع السابقة لأولي العزم، والأصل الأصيل في اعتقادهم الإقرار بوحدانية الحق تعالى، ونبوة صاحب تلك الدعوة، والتصديق بما جاء من عند الله تعالى.

فهؤلاء النسوة كن على الحنيفية ملة إبراهيم، وكن حسب الفطرة الذاتية مجبولات على التوحيد، وكن ينتظرن النبي الموعود الذي أخبر عنه الأنبياء بالأوصاف الخاصة، فلما تشرفن بخدمته آمن به على أنه ذاك النبي المعهود الذي يقود الناس إلى الوحدانية، وقيمهم على هذا المنهج القويم، فيعرفنه بالصفة ثم يؤمن بنبوته وبالإله الواحد الذي يدعو له، وأن الذي جاء به من عند الله حق وصدق.

نعم؛ لا يلزم أن يؤمن بالتفاصيل الجزئية كاملة، ولا أن يعرفن تمام الآداب والأحكام مفصلة، ولا مناص من العمل وفق الشريعة الإبراهيمية في الصلاة والصيام والحج وما شاكل.

(١) النساء: ١٢٥.

فالمراد بالإيمان بالنبي الإيمان بنبوته إجمالاً وبما جاء به من عند الله، وهذا المقدار كان محققاً في هذه النساء المعدودات بلا شك ولا شبهة، وقد اختصهن الله واختارهن لرضاه، وأكرمهن بهذه المكرمة - كما ذكرنا في الأوراق السابقة - .
وقد أقرت السيدة آمنة بالجزئيات والتفصيلات وبتمام أركان الإيمان - في الجملة - حينما قامت من مضجعتها، وهذا ما عندنا لمن آمن به واهتدى.

الخصيصة العشرون من الخصائص الخمسين
في بيان أحوال زوجات عبد المطلب وبناته
أقول - وأنا أقل الأنام وأدنى الخواص والعوام من خدام محدثي الأئمة
الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين - في هذه الأوراق الفاطمية الزكية أن العرب
أشرف من العجم، وأشرف العرب قريش، وقد اختار الله من قريش هاشم، ومن
هاشم عبد المطلب، ولكل واحد من آباء وأمهات وأجداد وجدات سيده النساء
الطاهرات شرف خاص وكرامة خاصة يفقدها الآخرون.
وكل واحدة من هذه الشرائف والمكارم دليل على خلوصهم في العبودية،
وتهذيب أذياتهم الجليلة من منافيات العفة والطهارة. ولو فتشت المصادر
والمصنفات والأحاديث والروايات لما وجدت موردا واحدا يصف فيه النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم)
أجداده إلى آدم (عليه السلام) بصفة رذيلة أو مذمومة أو عمل قبيح.
ومن الواضح أن ما روته الفرقة الإمامية واعتقدته مأخوذ من مصادر
صحيحة ومعتبرة، وما ذهب إليه المخالفون واعتقدوه مأخوذ من أغراضهم
النفسانية.
قال شمس الدين الدمشقي في معنى قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) (١):

(١) الشعراء: ٢١٩.

تنقل أحمد نورا عظيما * تالاً في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرنا فقرنا * إلى أن خير المرسلينا (١)
وقال الشهرستاني في الملل والنحل: كان دين إبراهيم قائما والتوحيد في
صدر العرب شائعا، وأول من غيره عمرو بن لحي، وكذا عمرو بن عامر الخزاعي
الذي انتزع ولاية البيت من أجداد النبي، وأحدث عبادة الأوثان، وشرع في
العرب الضلالات، وزاد في التلبية «إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك» (٢).
وعن ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعه ومضر وخديمة وأسد على
ملة إبراهيم، فلا تسبوا مضر والياس وآباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) السالفين،
سيما كعب بن لؤي
الذي كان يجمع الناس يوم الجمعة - وكان يسمى يوم العروبة - ويخطب قريش
ويخبرهم عن بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويشرهم أن النبي (صلى الله عليه
وآله وسلم) منهم، ويدعوهم للإيمان به
واتباعه (٣) ويقول:
يا ليتني شاهد فحوى دعوته * إذا قريش تنعي الحق خذلانا (٤)
ويشهد لإيمان آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - إضافة إلى ما ذكر من أقوال
أئمة الدين
وتصديق المخالفين - قوله تعالى عن لسان إبراهيم (عليه السلام): (رب اجعلني مقيم
الصلاة
ومن ذريتي) (٥) والمراد من الذرية أجداد النبي وآبائه من ذرية إبراهيم (عليه السلام)
الذين

-
- (١) تاريخ الخميس ١ / ٢٣٧.
(٢) تاريخ الخميس ١ / ٢٣٦ وفيه: «وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: كانت العرب على دين إبراهيم إلى
أن
ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأحدث
عمرو المذكور
عبادة الأوثان...» بدل «وكذا».
(٣) تاريخ الخميس ١ / ٢٣٦ وهي ثلاثة أحاديث أدخل المؤلف بعضها في بعض.
(٤) بحار الأنوار ١٥ / ٢٢١ ح ٤٢.
(٥) إبراهيم: ٤٠.

عبدوا الله من بعده على فطرة التوحيد.
وكذلك قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية) (١) والكلمة الباقية كما قال
المعصوم هي التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله التي جعلها الله في عقب إبراهيم (٢).
وكذلك قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني
أن نعبد الأصنام) (٣) فكيف يسأل إبراهيم ربه أن يجعل ذريته موحدين ويبيدهم
عن الأصنام فلا يستجيب الله دعاءه وهو مستجاب الدعوة (٤)؟!
وإجمالاً: فإن ما ذكرناه كان تأكيداً للمطالب السالفة.

فبعد أن انتقل النور النبوي إلى الصلب المطهر المقدس لعبد المطلب بن هاشم
بن عبد مناف وتفويض السيادة إليه وإناطة زعامة قريش به، ظهرت فيه الصفات
الحميدة، وبان عليه تخلقه بالأخلاق الكريمة التي لا تتصور إلا في الإنسان الكامل
والنبي المرسل والمؤمن الممتحن، وكان يصعد في شهر رمضان إلى جبل حراء،
ويدعو مساكين مكة للطعام، وكان يطعم فضل طعامه للوحوش والطيور.
وكان إذا حضر الموسم دعا بإبله تنحلب ويصب لبنها في أحواض تخلط
بالعسل ويسقى منها الحاج، وكان يشتري النبيذ ويلقيه في زمزم ليغير طعمه ويسقي
منه الحاج، ولذا عد الأئمة الأطهار منصب السقاية منصبا عظيماً.
وكان يدعى عبد المطلب بالفياض، مطعم السباع، وأبو البطحاء؛ لكثرة

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٢٣٦.

(٣) إبراهيم: ٣٥.

(٤) في تاريخ الخميس ١ / ٢٣٧: عن مجاهد في هذه الآية قال: «فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده
فلم
يعبد أحد من ولده صنماً، فقبل دعوته واستجاب الله له».

جوده وسخائه (١) وهو الذي سمي قريشا «آل الله» و «جيران الله» و «سكان الله» وهو القائل:

نحن آل الله في ذمته * لم نزل فيها على عهد قدم

إن للبيت لربا مانعا * من يرد فيه بظلم يخرم

وهو أول من خضب أهل مكة بالسواد، ولما تزوج بفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم - أم عبد الله - أمهرها بمائة ناقة حمراء وعشرة أوقيات ذهب، وتزوج بخمسة أو ستة طلبا للولد، فرزق اثني عشر ولدا وستة بنات، أكبر أولاده الحارث وبه يكنى (٢) وبعد الحارث الزبير، وأبو طالب وحمزة، وأبو لهب، والعباس، وقثم، وحجل، والغيداق (٣)، والمقوم، وضرار، وعبد الله، وقيل: الحجل هو الغيداق لذا عد بعض محدثي السنة أولاد عبد المطلب الذكور أحد عشر ولدا. قال صاحب كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة: إن بعضهم مات صغيرا، وبعضهم لم يعقب، وخمسة أو ستة منهم عقب، مثل العباس وأبي طالب وعبد الله وأبي لهب والزبير والحارث (٤)، ولهؤلاء شجرات في كتب النسابة ذوات غصون وفروع وأفنان.

وأمهاتهم كما ذكرهن الديار بكرى في تاريخ الخميس كالتالي:

(١) البحار ١٥ / ١٤٠ ح ٧٢ باب أجداد النبي.

(٢) مثل طالب وأبي طالب، واسم عبد الله شيبه الحمد أو عامر، واسم أبي طالب عبد مناف، وقيل عمران.

(من المتن)

(٣) الغيداق يعني الجود. (من المتن)

(٤) انظر أسد الغابة ١ / ٥٢ في ذكر أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعماته؛ تاريخ الخميس ١ /

١٥٩.

أما حمزة والمقوم وحجل وصفية لأم، وهي هالة بنت أهيب (١) بن عبد مناف بن زهرة.

والعباس وضرار وقثم لأم وهي نتيلة بنت جناب بن كلب (٢) بن مالك بن عمرو بن عامر.

والحارث من صفية بنت جندب من بني عامر بن صعصعة.

وأبو لهب من لبنى بنت هاجر بن عبد مناف الخزاعي.

وأبو طالب وعبد الله والزيير والبيضاء وآميمة وبرة وعاتكة لأم، وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو الخزاعي.

وأُمها (٣) صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة.

وأُم صخر تخمر بنت عبد بن قصي بن كلاب.

وأولاد أعمام الرسول خمسة وعشرون نفرا أسلموا جميعا إلا أبو لهب وأبناؤه (٤).

وقال الديار بكري: لم يسلم طالب (٥)، وأخبار الإمامية تكذبه، وكان أولاد

أبي طالب الأربع معروف في الحال، صلي الإيمان.

وأولاد العباس عشرة: عبد الله، وعبيد الله، وقثم، وعبد الرحمن، ومعبد،

وكثير، والحارث، وعون، وتمام، والفضل.

(١) تاريخ الخميس ١ / ١٥٩ «وهب» بدل «أهيب».

(٢) في تاريخ الخميس «كليب» بدل «كلب».

(٣) أي أم فاطمة.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ الخميس ١ / ١٥٩.

وخمسة من أولاد الحارث: أبو سفيان، ونوفل، وربيعة، والمغيرة، وعبد شمس.
وكان للزبير ولد يسمى كذن، والحق أنه لم يعقب.
ولأبي لهب أولاد ثلاث: عتبة، وعتيبة، ومعتب، ماتوا كفارا.
وكان للحمزة ولدان: عمارة ويعلى، وكان يكنى بهما.
وبنات أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرة: أم هانئ وجمانة بنات أبي طالب، أم حبيبة

وصفية وأمينة بنات العباس، وأروى بنت الحارث، وضباعة وأم حكيم بنات الزبير، ودره بنت أبي لهب، وأميمة أو فاطمة بنت حمزة سيد الشهداء.
وأبناء عمات النبي أحد عشر ولدا وثلاث بنات: عامر وأمهم البيضاء بنت عبد المطلب وزوجها كريز بن ربيعة، والزبير وعبد الله أبنا عاتكة بنت عبد المطلب وزوجها أبي أمية المخزومي، وأبو سلمة ابن برة بنت عبد المطلب وزوجها عبد الأسد المخزومي، وعبد الله وعبيد وأبو أحمد أبناء أميمة بنت عبد المطلب من جحش ابن رباب؛ والزبير والسائب وعبد الله أبناء صفية بنت عبد المطلب وزوجها العوام أخو خديجة، وزينب وأم حبيبة وخمسة بنات أميمة بنت عبد المطلب، كان هذا مجملا في سلسلة نسب هذه الأسرة المكرمة (١).

ولكن المفروض أن نشرح شيئا من حالات بنات عبد المطلب ليزداد القراء بصيرة في ذلك؛ وهن ستة بنات:

الأولى: صفية.

الثانية: برة.

الثالثة: عاتكة.

(١) انظر هذا وما قبله وما بعده في تاريخ الخميس ١ / ١٥٩ وما بعدها.

الرابعة: أروى.
الخامسة: أم الحكيم البيضاء.
السادسة: أميمة.

أما صفية: أمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم أخلفه عليها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، وهو أخو خديجة، فولدت له الزبير وابنه عبد الله، وهو غير عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب الذي استشهد في أجنادين في خلافة أبي بكر وأمه عاتكة المخزومية.

وضباعة بنت الزبير تزوجها المقداد بن الأسود الكندي - كما ذكرنا في خصيصة الكفاءة -.

وضباعة زوجة ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب المكناة «أم الحكيم»، توفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين للهجرة وعمرها سبعين سنة، ودفنت في البقيع.

وكان صفية وحمزة من أشقاء من أم واحدة، وكانت من السباقات في الإسلام من بين عمات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولها رثاء مشجي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند وفاته
قالت:

ألا يا رسول الله كنت رجائيا (١) * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيمًا هاديًا ومعلمًا * لبيك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبي لفقده * ولكن لما أحشى من الهرج آتيا

(١) في تاريخ الخميس ١ / ١٧٢ و ٢ / ١٧٣: «رجاءنا» بدل «رجائيا».

كأن على قلبي بذكر محمد * وما خفت من بعد النبي مكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أمسي ييثر ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا * ومت صليب العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا (١)
وذهب أهل السنة إلى أن الزبير آمن وهو ابن عشر، وعدوه في العشرة
المبشرة بالجنة، آخى النبي بينه وبين عبد الله بن مسعود يوم المؤاخاة، لبس يوم
بدر عمامة صفراء، وكان شجاعا مقداما إذا اقتحم الصف شتت جمعه، اشترك في
واقعة الجمل وحرص الناكثين، فكلمه أمير المؤمنين (عليه السلام) فندم ورجع، فقتله
عمرو

بن جرموز في وادي السباع ودفن هناك، وكان مقتله في يوم الخميس العشرين من
جمادي الآخرة سنة ستة وثلاثين للهجرة، وكان عمره يوم قتل ثلاث وستين سنة،
وكان ربعة خفيف اللحية معتدل اللحم أسمر.
وابنه عبد الله بن الزبير قتله الحجاج بن يوسف في مكة، قال أمير المؤمنين (عليه
السلام)

كما في نهج البلاغة: «ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم
عبد الله» (٢) وكنيته أبو حبيب، حضر واقعة الجمل مع أبيه وخالته، وكان من
البخلاء، وكان رجلا مشؤوما بخيلا ضيق العطن، أي ضيق الحال، بويع بالخلافة
له بعد معاوية بن يزيد بن معاوية، أخرج محمد بن الحنفية من مكة وأخرج عبد الله

(١) تاريخ الخميس ٢ / ١٧٣.
(٢) نهج البلاغة ٥٥٥ قصار الجمل ٤٥٣.

بن عباس إلى الطائف، فحاصروه في ذي الحجة في سنة اثنين وسبعين سنة وقتل،
وحاله مشروح في المطولات ولكننا اختصرناه.

ولصفية ولد آخر اسمه السائب حضر أغلب المشاهد والغزوات، كأحد
والخندق، واستشهد في واقعة اليمامة، أعقب عبد الكعبة وأم حبيب وصفية، له
كرامات وخوارق العادات لا نتعرض لشرحها الآن.

أما برة: ينتهي نسب زوجها إلى عبد العزى بن قيس بن عبد الدار بن نصر
بن مالك، ولدت أبو سبرة، وسلمة مات في خلافة عثمان، وأبو سلمة وهو من
زوجها عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسم أبي سلمة عبد الله
هاجر إلى الحبشة مع أم سلمة بنت أبي أمية المخزومي وهي ابنة عمه، هاجر
الهجرتين وحضر بدر وجرح في أحد ومات في جمادى الآخرة سنة ثلاثين،
فتزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أم سلمة.

أما عاتكة: زوجها أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي، ولدت
ولدين وبنات، أما البنت فتدعى قريية الكبرى، وولداها زهير وعبد الله وهو الذي
قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا)
(١) تشرف

بالحضور عند النبي عام الفتح في سقيا وعرج، فشفعت له أم سلمة فقبل النبي (صلى
الله عليه وآله وسلم)

اسلامه، لازم النبي في حنين والطائف حتى نال درجة الشهادة.

وأم عاتكة صفية بنت جندب أم الحارث بن عبد المطلب، تزوجت بعد

زوجها الأول عمير بن وهب بن عبد قصي.

أما أم الحكيم البيضاء: زوجها كرز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف،

(١) الإسراء: ٩٠.

ولدت عامرا، وأروى وأم طلحة المعروفة بـ «أرنب» أم عثمان بن عفان وأمها أم عبد الله وأبي طالب.

أما أروى: زوجها عميرة بن وهب بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، ولدت طليب، وكنيته أبو عبدي، هاجر إلى الحبشة وحضر بدرًا، واستشهد في أجيادين وأعقب بنتا اسمها فاطمة.

أما أميمة: زوجها جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة الأسدي، ولدت زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن كانت زوجة زيد،

وأنزل الله فيها قوله تعالى: (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) (١).

وكان لجحش أخ يدعى عبد المجذع - بالذال المعجمة - وهو من المهاجرين حضر بدر واستشهد في أحد، أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كربا من نخلة فصارت سيفًا،

سميت قبضته عونًا، وكان له أربعين سنة يوم استشهد ودفن مع حمزة سيد الشهداء، ويبيع سيفه بمائتي دينار.

وكان له بنتا تدعى أم حبيبة (٢) تزوجها مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، فلما استشهد في أحد تزوجها طلحة بن عبد الله:

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة دعى بناته الستة وأمرهن أن يندبنه ويرثينه، فقالت صفية:

ارقت لصوت نائحة تبعد (٣) * على رجل بقارعة الصعيد

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) في تاريخ الخميس ١ / ١٧١: «وأما حمنة فكانت تحت مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف.. فلما

قتل تزوجها طلحة بن عبيد الله... وأما أم حبيبة ويقال أم حبيب كانت تحت عبد الرحمن بن عوف...». (٣) في سيرة ابن هشام «بليل».

ففاضت عند ذلكم دموعي * على خدي كمنحدر الفريد
على الفياض شبية ذي المعالي * أبيك الخير فائض (١) كل جود (٢)
ثم قالت برة:

أعيني جودا بدمع درر * على طيب الخيم والمعتصر
على شبية الحمد و (٣) المكرمات * وذي العز والمجد والمفتخر (٤)
ثم أنشأت عاتكة:

أعيني جودا ولا تبخلا * بدمعكما بعد نوم النيام
على شبية الحمد واري الزناد * وذي مصدق بعد ثبت المقام
ثم أنشأت بيضاء برقة وبكاء:

ألا يا عين جودي واستهلي * وأبكي (٥) ذا الندى والمكرمات
وأبكي (٦) خير من ركب المطايا * أباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شبية ذي المعالي * كريم الخيم (٧) محمود الهبات (٨)
ثم قالت أميمة:

-
- (١) في السيرة «وارث».
(٢) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٥ وللأبيات تنمة.
(٣) في السيرة «ذي» بدل «و».
(٤) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٦ وللأبيات تنمة.
(٥) في السيرة «وبكي».
(٦) في السيرة «وبكي».
(٧) الخيم: الطبيعة والسحبة.
(٨) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٧ وقد نسب الأبيات لأم حكيم البيضاء ولها تنمة.

لأهلك (١) الراعي العشيرة ذو الفقد (٢) * وساقى الحجيج والمحامي عن المجد
أبو الحارث الفياض خلى مكانه * فلا تبعدن كل (٣) حي إلى بعد (٤)
ثم وصلت النوبة إلى أروى فقالت:
بكت عيني وحق له (٥) البكاء * على سمح سجيته الحياء
على الفياض شبية ذي المعالي * أيبك الخير ليس له كفاء (٦)
وأم عبد المطلب سلمى زوجة هاشم والمطلب أخو هاشم ولدته سلمى في
المدينة في بيت النجار، وعبد المطلب سمي شبية الحمد لشعرة بيضاء كانت في رأسه،
أردفه عمه خلفه في عودته من المدينة فلما دخل مكة ظنه الناس عبده ولهذا سمي
عبد المطلب، توفي هاشم في غزة وكان خارجا في تجارة له إلى الشام وله هناك مزار
مشهود.

وهاشم لقبه واسمه عمرو وسمي هاشما لأنه كان يهشم الثريد لقومه.
روى المسعودي أبياتا للمتطرف الخزاعي أو لابن الزبعرى السهمي في مدح
هاشم ورهطه فقال:
قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف

-
- (١) في السيرة: «ألا هلك».
(٢) ذو الفقد: أي الذي يفقد.
(٣) في السيرة: «فكل».
(٤) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٨ وللأبيات تنمة.
(٥) في السيرة: «لها».
(٦) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٨ وللأبيات تنمة.

هلا مررت تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اتلاف
والخالطين فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق * والراجلين برحلة الإيلاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الأضياف (١) (٢)
وروي أيضا في مدحهم:
كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمنخ خالصة (٣) لعبد مناف
الرائشين (٤) وليس يوجد رائش * والقائلين (٥) هلم للأضياف
* * *

(١) رويت هذه الأبيات بألفاظ مختلفة في كتب التاريخ والدواوين، وفيها كمال التمجيد خلافا لقائله. (من المتن)

(٢) تاريخ الخميس ١ / ١٥٦ ونسب الأبيات لابن الزبيري، وقال في سيرة ابن هشام ١ / ٢٠٢: قال ابن إسحاق: وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف: يا أيها الرجل المحمول رحله * هلا سألت عن آل عبد مناف هبلك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جرم ومن احتراف الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي المنعمين إذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الإيلاف والمنعمين إذا الرياح تناومت * حتى تغيب الشمس في الرجاف أما هلكت أبا الفعال فما جرى * من فوق مثلك عقد ذات نطاف ألا أبيك أخي المكارم وحده * والفيض مطلب أبي الأضياف والرجاف: البحر، والنطاف: النطف وهو اللؤلؤ الصافي، و «الفيض مطلب أبي الأضياف»: يريد أنه كان لأضيافه كالأب.

(٣) في البحار: «خالصها».

(٤) في البحار «الرايشون».

(٥) في البحار «القائلون».

عمرو الذي (١) هشم الثريد لأهله (٢) * ورجال مكة مستنون عجاف (٣) (٤) وكان لهاشم زوجات غير سلمى وكان له أبناء، ولكن ذلك النور المبارك لم ينتقل إلى أصلابهم، منهم عمرو وأسد ومضر وصفية ورقية وخلادة والشعثاء. وروى في البحار: إن هاشما أوصى لخلادة وصفية ورقية بناته أن يندبنه مع النوادب فتأسى به عبد المطلب (٥).
وروى في زيارة الرضا (عليه السلام): «يا من (٦) أمر أولاده وعياله بالنياحة عليه قبل وصول القتل إليه» (٧).
وقد ذكر أمر الإمام بندبة النوادب في كتب الفقه، وجعل دليلا على جواز النياحة على الموت.
فلما مات هاشم وبلغ خبره إلى أهل مكة والمدينة أكثر أهل مكة البكاء والنحيب، وخرج الرجال وخرجت نساء قريش ناشرات الشعور ومشققات الجيوب، وخرجت نساء سادات بني عبد مناف، وتقدمت خلادة تلومهم حيث إنهم لم يحملوه إلى الحرم، وأنشأت تقول:
يا أيها الناعون أفضل من مشى * الفاضل بن الفاضل بن الفاضل

-
- (١) في البحار «العلي» بدل «الذي».
(٢) في البحار «لقومه» بدل «لأهله».
(٣) البحار ١٥ / ١٦١ ح ٩٢ باب أجداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
(٤) المسنت: القحط والعجاب الضعاف. (من المتن)
(٥) انظر البحار ١٥ / ٥٣ قال (عليه السلام) في وصيته: «... وقولوا لخلادة وصفية ورقية يبكين علي ويندبن ندب الثاكلات...».
(٦) في البحار: «السلام على من» بدل «يا من».
(٧) البحار ٩٩ / ٥٣ ح ١١ باب ٥.

أسد الشرى ما زال يحمي أهله * من ظالم أو معتد بالباطل
ماضي العزيمة أروع ذي همة * عليا وجودا كالسحاب الهائل
زين العشيرة كلها وعمادها * عند الهزاهز طاعن بالذابل
إن السميدع قد ثوى في بلدة * بالشام بين صحاصح وجنادل (١)
فلما فرغت من شعرها أتت إليهم بنته الشعثاء فحثت التراب على وجههم
وقالت: بئس العشيرة أنتم، ضيعوا سيدهم وأسلموا عمادهم، أما كان هاشم
مشفقاً عليكم؟! إذا نزل به الموت أن تحملوه إلى بلده وعشيرته حتى نشاهده،
وأنشأت بعد ذلك تقول:

يا عين جوذي وسحي دمعك الهطلا * على كريم ثوى بالشام ثم خلا
زين الورى ذاك الذي سن القرى * كرما ولم ير في يديه مذ نشا بخلا
فلما فرغت أقبلت ابنته صفية تقول:

ألا أيها الركب الذين تركتموه * كريمكم بالشام رهن مقام
ألم تعرفوا ما قدره ومقامه * ألا إنكم أولى الورى بملام
أيا عبرتي سحي عليه فقد مضى * أخو الجود والأضياف تحت رخام
ثم رثته ابنته رقية فقالت:

عين جوذي بالبكاء والعويل * لأخ الفضل والسخاء الفضيل
طيب الأصل في الفضيلة ماض * سمهري في النائبات أصيل (٢)
بعد أن ذكرنا أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعماته وبني عبد المطلب وبناته،
وذكرنا

(١) البحار ١٥ / ٥٤ ح ٤٨ باب بدء خلقه.

(٢) انظر البحار ١٥ / ٥٤ باب بدء خلقه.

أسمائهم الشريفة، فالأفضل أن نعرف أسماء أمهات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجداته لكي يزداد البصير العاقل تبصرة وعلمًا إذا رجع إلى الشجرة المباركة الفاطمية، ووجدها مشجرة مصورة في هذا الكتاب.

ففاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت الرحمة المبعوثه للعالمين: محمد بن عبد الله خاتم النبيين. وأما خديجة الكبرى أم المؤمنين.

وأبو النبي عبد الله بن عبد المطلب، وأمه فاطمة بنت عمرو.

وعبد المطلب بن هاشم وأمه سلمى، وهاشم بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة، وهو ابن قصي، وأمه فاطمة بنت سعد، واسم قصي زيد، فلما أخذته أمه إلى الشام وأبعدته عن مكة والمدينة لقب قصي، ولقب «مجمع» أيضا؛ لأنه كان يجمع الناس يوم الجمعة فينذرهم ويشرهم، وله ألقاب أخرى ذكرت في البيت التالي:

همام له أسماء صدق ثلاثة * قصي وزيد والندی ومجمع
وقال في العقد الفريد في معنى اسمه:

قصي أبوكم من يسمى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر (١)
وأبو قصي كلاب، وأمه آمنة بنت سويد بن ثعلبة. وأبو كلاب مرة وأمه مخشية بنت شيبان، وأبو مرة كعب وأمه ماوية، وأبو كعب لؤي، وأمه عاتكة بنت خالد بن النضر بن كنانة، وأبو لؤي غالب وأمه ليلى بنت الحارث، وأبو غالب فهر وأمه جندلة بنت عامر الجهرمية، وبعد قصي قيل لفهر مجمع قريش، ولقب النضر

(١) سيرة ابن هشام ١ / ١٤٤ وفيه «قصي لعمرى كان يدعى..»، تاريخ الخميس ١ / ١٥٣.

بن كنانة قريش، والقريش هو الكسي والجمع (١)، وقيل: إن قريشا دابة تسكن البحر تأكل دواب البحر، فسميت قريش بها (٢).

وأبو فهر مالك وأمه عرابة بنت سعد بن قيس بن غيلان، وأبو مالك النضر وأمه برة بنت مرة، وأبو النضر كنانة وأمه أم الطيب، وأبو كنانة خديمة وأمه سلمى بنت أسلم القضاعية، وأبو خديمة مدركة وأمه خندف، وقيل: اسم مدركة عمرو، وإنما سمي مدركة لأن بغيرا أبق من أبيه فأخذه عمرو وسلمه إليه، فسمي مدركة. وأبو مدركة إلياس وأمه الرباب بنت جيدة بن معد، وأبو إلياس مضر وأمه سودة بنت عك بن عدنان، وأبو مضر نزار وأمه معانية بنت حوثم، وأبو نزار معد وأمه هوزة السلمية، وأبو معد عدنان، وعدنان وقحطان أخوان جاءا من اليمن فاستوطنا مكة وظهرت منهما أمور عظيمة، ولكل واحد من الرجال والنساء المذكورين حكايات غريبة وقصص عجيبة.

أما خندف فهي زوجة إلياس - بكسر الخاء المعجمة والذال المهملة - وتعني الهرولة، وسميت به لأنها هرولت خلف أولادها لما خرجوا يبحثون عن بغير لهم ضالة، وهم عمر وعامر وعمرو، ثم صار اسما لكل نسب عال، واسمها ليلي وكانت ذات نسب عال رفيع عظيم.

ولا يخفى أن قصي المذكور كان له حق عظيم على أهل مكة والقبائل الأخرى. قال المسعودي في مروج الذهب: ووليت خزاعة أمر البيت، وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحي، فغير دين إبراهيم وبدله، وبعث العرب على عبادة

(١) انظر مجمع البحرين ٤ / ١٥٠.

(٢) انظر لسان العرب ١١ / ١٠٨.

التمثيل حين خرج إلى الشام ورأى قوما يعبدون الأصنام فأعطوه منها صنما فنصبه على الكعبة، وقويت خزاعة وعم الناس ظلم عمرو بن لحي، وفي ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية:

يا عمرو لا تظلم بمكة * إنها بلد حرام
سائل بعاد أين هم * وكذاك تخترم الأنام
وبني العماليق الذين * لهم بها كان السوام

والعجيب أن الله أمهله، فعمر عمرو بن لحي ثلاثمائة سنة وخمسا وأربعين سنة، فرأى من الولد وولد الولد ألفا، ولم يزد إلا تعنتا وظلما، فقال في ذلك سحنة بن خلف الجرهمي:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة * شتى بمكة حول البيت أنصبا
وكان للبيت رب واحد أبدا * فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهل * سيصطفي دونكم للبيت حجابا

أمهله الله فلم يرعو، بل تمادى في عتوه وطغيانه لسكان الحرم ومجاوريه وسكانه، وكان قصي قد تزوج بمليكا ابنته، وكان عمرو قد جعل ولاية البيت إلى ابنته زوج قصي بن كلاب، فقيل له: إنها لا تقوم بفتح الباب وغلقه، فجعل ولاية البيت إليها وفتح الباب وغلقه إلى رجل من خزاعة يعرف بأبي غبشان الخزاعي، فباعه أبو غبشان إلى قصي ببيعير وزق خمر، فأرسلت العرب ذلك مثلا، فقالت «أخسر من صفقة أبي غبشان» وفي بيعه لولاية البيت ببيعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة إلى قصي بن كلاب يقول الشاعر:

أبو غبشان أظلم من قصي * وأظلم من بني فھر خزاعة
فلا تلموا قصيا في ثراه * ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال في ذلك آخر:
إذا افتخرت خزاعة في قديم* وجدنا فخرها شرب الخمر
وباعت كعبة الرحمن جهرا* بزق بئس مفتخر الفخور (١)
واستقام أمر قصي وعلا صيته، ورتب قریشا على منازلها في النسب بمكة،
وبين الأبطحي وهم الأباطح، وجعل الظاهري ظاهريا، وقریش البطاح هي
قبائل عبد مناف وبني عبد الدار وبني العزى بن قصي وغيرهم، وهو أول من
أسرج الضياء في المشعر الحرام، وبه سمي المشعر مشعرا، وهو أول من دفن في
الحجون، ولا زال قبره هناك في مقبرة المعلى، ولي هنا - أنا الحقير - كلام مع
إخواني

في الإيمان ينبغي أن لا يبقى طي الكتمان ولا يحتجب خلف ستائر الوجدان، وهو أن
هذا الدين المتين وهذا الشرع المبين الذي مشى عليه العلماء الواعين والعقلاء
الأغزاء ذوي الجاه، وصرفوا في سبيله أعمارهم العزيزة عن علم، وأكدوا على
الناس وشددوا عليهم في حفظه والتحفظ عليه، وبينوا لهم ما في هذا الطريق من
مخاطر ومخاوف وما فيه من فوائد وثمرات دنيوية وأخروية وبعد كل هذه الجهود
والتضحيات، أي إنصاف ومنهج يصحح أن يفرط به بكل يسر وسهولة، وتباع
الآخرة بالدنيا الدانية وتستبدل بجرعة وغرفة من المشروبات الفانية التنتة الدانية،
وبعبارة أخرى: بيع الدين الباقي بالدنيا الفانية بعيد عن طريق الرشاد والسداد،
وهذا البائع لا شك خاسر خائب مهجور، ولا شك أنه سيعض أنامل الندم ويخلد
في أسفل دركات النيران.
يا رب ثبت قدمي وقلبي* سبحانك اللهم أنت حسبي

(١) انظر مروج الذهب ٢ / ٢١ - ٣٢.

وقال علي أمير المؤمنين (عليه السلام):
من لم يكن عنصره طيباً * لم يخرج الطيب من فيه
أصل الفتى يخفى ولكنه * من فعله يعرف ما فيه (١)

(١) من الشعر المنسوب للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ١٥٣.

الخصيصة الحادية والعشرون من الخصائص الخمسين
في حالات زوجات سيد الكائنات (صلى الله عليه وآله وسلم)
أشكر الله الواحد الأحد القدير المنان أن أنعم علي بهذه النعمة العظمى
وجعل التوفيق رفيقي لأذكر - بحمد الله تعالى - في هذه الصحيفة المعظمة شمة من
حالات خيرات الخيرات، والنساء السابقات، والفتيات القرشيات، والهاشميات
والأمهات المحترمات، والجداات المكرمات لشفيعه العرصات، وغيرهن من النساء
السعيدات بالقدر المقدر على سبيل الاختصار من باب المقدمة، وأخرج الدفين
المكنون في الخفاء، وأرفع عنه أستار الإجمال، فأشير في هذه الوجيزة العزيزة إلى
أسماءهن ومسمياتهن وأنسابهن وأحسابهن.
ومن الطبيعي أن يكون ذكر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مفيدا في هذا
المقام، وهن أكثر
من عشرين امرأة إذا عددنا المزوجات والمخطوبات والمطلقات واللاتي لم يدخل
بهن جميعا، ولكني سأزين هذه الخصيصة بذكر عشرة منهن فقط.
وقدمت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تسعة، جمعتهن الأبيات التالية:
توفي رسول الله عن تسع نسوة* إليهن تعزى المكرمات وتنسب
وعايشة ميمونة وصفية* وحفصة يتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة* ثلث وست ذكرهن مهذب

والمراد من هند أم سلمة، ومن رملة أم حبيبة.
الاولى: خديجة الكبرى أم المؤمنين بنت خويلد، ماتت عن ستة وستين سنة
ودفنت في حجون مكة، وإنها وفاطمة ومريم وآسية سيدات أهل الجنة. وقد مر
ذكرها في خصيصة سابقة.
الثانية: سودة بنت زمعة، وهي أول امرأة تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في
المدينة،
وكانت قبله عند السكران بن عمرو العامري، وهبت ليلتها لعائشة لتبقى عند النبي
وتحشر يوم القيامة في زوجات سيد البشر، ولا تسلب هذا الفخر، توفيت في
المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، وصلى عليها مروان بن الحكم، ودفنت في
البيع.
الثالثة: ميمونة بنت الحارث بن جون بن روية بن عبد الله بن هلال، ينتهي
نسبها إلى نزار، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن حرب من حمير، كانت عند أبي
رهم بن عبد العزى العامري القرشي، واسمها برة، وسمها النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) ميمونة،
تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة السابعة في موضع قريب من مكة
يقال له سرف،
والعجيب أنها توفيت سنة إحدى وخمسين في نفس الموضع، وصلى عليها ابن
عباس، وهي عامرية هلالية، وكانت أسماء الخثعمية زوجة جعفر بن أبي طالب
وسلمى زوجة حمزة بن عبد المطلب وأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب
أخواتها لأمها كما قاله في تاريخ الخميس (١).
الرابعة: صفية بنت حي بن أخطب ثعلبة بن عبيد من بني النضير

(١) قال في تاريخ الخميس ٢ / ٦٤: «... فخطب عليه ميمونة بنت الحارث الهلالية وكانت أختها لأمها
أسماء

بنت عميس تحت جعفر، وسلمى بنت عميس تحت حمزة، وأم الفضل بنت الحارث تحت العباس...».

من بني إسرائيل، وأمها بنت السمؤال أو السمنون من أسباط هارون بن عمران (عليه السلام)، كانت عند سلام بن مشكم، ثم عند الربيع بن أبي الحقيق، قتل في خيبر

فصارت في فيء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعتقت وصار عتقها مهرها، تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

في طريق عودته من خيبر وهي بنت سبعة عشرة سنة، وكانت عائشة وقريناتها يسمونها اليهودية ويفتخرن عليها في النسب والحسب، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): قولي

لهن «أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١). توفيت في شهر رمضان

سنة خمسين للهجرة في أيام معاوية بن أبي سفيان، وكانت صفية حليلة صبورة وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأنس بها أنسا خاصا.

الخامسة: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب من بني المصطلق، اسمها زينب وسمها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جويرية، قيل فيها: «هي أعظم امرأة بركة على

قومها» (٢). جاءت في سبي غزوة المريسع، فخطبها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتزوجها في السنة

الخامسة للهجرة، وتوفيت في ربيع الأول سنة ستة وخمسين فصلى عليها مروان بن الحكم بأمر معاوية، ودفنت في البقيع.

السادسة: زينب بنت جحش بن الرباب بن يعمر بن صبرة بن كثير بن غنم بن داود بن أسد بن خزيمة، وهي بنت عممة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أميمة، توفيت في خلافة

عمر بن الخطاب، فكانت أول من توفيت من نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، اسمها برة وسمها

النبي زينب، وفي الحديث: «ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى لله وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله، وكانت

(١) البحار ٢٢ / ١٩٧ ح ١٢ باب ٢.

(٢) البحار ٢٠ / ٢٩٢ ح ٣ باب ١٨.

متخشعة متضرعة أواهرة» (١).

كانت عند زيد بن حارثة فطلقها، ثم تزوجها النبي في ذي القعدة في السنة الخامسة للهجرة، وكانت آية في الجمال هيفاء فارعة معروفة بالعبادة والصوم والصلاة وأفعال الخير، زوجها الله في السماء وأنزل فيها قرآنا يتلى في عدة آيات، وكانت تفتخر بذلك على النساء. أطعم في وليمتها ثلاثمائة نسمة تمرا وسمنا، نزلت آية الحجاب في حجرتها. توفيت سنة عشرين للهجرة في المدينة، فقالت عائشة: لقد ذهبت حميدة مفيدة مفرع اليتامى والأرامل (٢)...

دفعت كفنها حمنة أختها، وصلى عليها عمر، وماتت وعمرها ثلاث وخمسون سنة، وستأتي الإشارة إليها في زواج الصديقة الطاهرة.

السابعة: عائشة مكناة بأم عبد الله بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قيل: إنها أول امرأة باكر تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة، مات عنها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي بنت ثمانية عشر سنة، وعاشت سبعين سنة، وماتت أيام معاوية، وصلى عليها أبو هريرة، ودفنت في البقيع ليلا.

الثامنة: حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى وأمها بنت قحطان، كانت عند خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي، بعثه النبي رسولا إلى كسرى العجم، ثم تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الثالثة للهجرة، عاشت خمسا وأربعين سنة وتوفيت في المدينة ودفنت في البقيع، وصلى عليها مروان بن الحكم، وهي - كما قال الإمام المعصوم - المثل في هذه الأمة لواعلة وواهلة زوجتي نوح

(١) أسد الغابة ٧ / ١٤٠ ترجمة رقم ٦٩٤٨.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٥٠٢.

ولوط (عليهما السلام) اللتين قال عنهما الله تعالى: (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) (١).
 والمراد بالمثل أن لحمة النسب والمصاهرة لا تنفع أحدا فاسدا.
 ثم ذكر بإزاءهما امرأتين صالحتين هما آسية ومريم، فقال: (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) (٢).
 ثم قال تعالى: (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) (٣) وقد مر بيان حالهما (عليهما السلام).
 والمراد إجمالا أن مصاهرة الكفار لا تنقص الإيمان، كما أن إيمان المؤمن لا ينفع المرأة إذا كانت كافرة.
 والمراد من قوله تعالى (الطيبات للطيبين) و (الخبيثات والخبِيثين) (٤) الأعمال الصالحة.
 قال مقاتل: الخطاب في الآية لعائشة وحفصة، مثلهما مثل المرأتين (٥).
 وقال الزمخشري صاحب الكشاف: تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في

-
- (١) التحريم: ١٠.
 (٢) التحريم: ١١.
 (٣) التحريم: ١٣.
 (٤) النور: ٢٦.
 (٥) انظر مجمع البيان ١٠ / ٥٩.

أول السورة وما فرط منهما على التظاهر على رسول الله، فقال لهما: كونا كآسية ومريم، وإن كان تعليقا على ما لا يقع، والمقصود بالتمثيل في المقام بعض الصفات والكمالات في آسية ومريم لا كلها، ومعصية الرسول وإفشاء سره مع أمره بالكتمان خيانة عظمى كما يظهر من أول سورة التحريم (١).
وأين المنصف الذي يدعن لهذا الأمر ويفهم المراد من سياق الآية ويصدق بذلك، فهما قد آذيا الرسول وأفشيا سره فوجد في قلبه عليهما وأمرهما الله تعالى بالتوبة.

ويشهد لدعوى الإمامية قوله تعالى: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) (٢) وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) (٣).

والحاصل؛ إن حفصة وعائشة شريكتان في العمل، وكلاهما سعى في جر بعض النساء إليهن، وحاولتا التقرب من الساحة النبوية المقدسة بما فعلتا، والتفوق على باقي النساء، والبروز كمقربات لديه.. والأفضل ضبط القلم والإمساك عن الكلام والعودة إلى المقصود.

التاسعة: أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية واسمها رملة، وأمها بنت أبي العاص بن أمية بن شمس، عممة عثمان، كانت عند عبيد الله بن جحش

(١) انظر الكشاف ٦ / ١٦٤.

(٢) التحريم: ٥.

(٣) التحريم: ٦.

وولدت له بنتا اسمها حبيبة، فتنصر عبيد الله ولم يرجع رغم إلحاح زوجته، فمات في الحبشة نصرانيا وبقيت أم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، حتى سمعت هاتفا في النوم يقول لها: ستكونين «أم المؤمنين».

فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطبها إلى النجاشي - قالت أم حبيبة: ما شعرت

إلا برسول النجاشي جارية يقال لها «أبرهة» فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب إلى أن أزوجه، فقلت: بشرك الله بخير. قالت: ويقول لك الملك:

وكلي من يزوجه، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية فوكلته، وأعطيت أبرهة سوارين من فضة كانت علي وخواتيم فضة كانت في إصبعي، سرورا بما بشرتني به، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون، وأصدقها أربعمئة دينار، ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد فقبضها وصار خمسين دينار منها من نصيب أبرهة، وفي العلل في العلة التي من أجلها صار مهر النساء عند المخالفين أربعة آلاف درهم، عن أبي جعفر: «... إن أم حبيبة بنت أبي سفيان كانت بالحبشة فخطبها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فساق عنه النجاشي

أربعة آلاف درهم، فمن ثم هؤلاء يأخذون به، فأما المهر فإثني عشر أوقية ونش» (١).

ثم نصب لهم مائدة عظيمة وأطعمهم جميعا ثم آمن، وأمر النجاشي أبرهة أن ترد كل ما أخذته من أم حبيبة من هدايا، وحملها سلامه وسلام أبرهة إلى سيد الأنام، وبعث معها بهدية نفيسة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فرد النبي سلام أبرهة وقال:

«السلام عليك وعليها السلام ورحمة الله وبركاته».

(١) علل الشرائع ٢ / ٢١٤ باب ٢٥٩.

ماتت أم حبيبة سنة أربعة وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم.
 العاشرة: أم سلمة: هند بنت حذيفة أبي أمية، ينتهي نسبها إلى لوي بن
 غالب من بني مخزوم، وهي بنت عممة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عاتكة بنت
 عبد المطلب، وأبو
 سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي أمه برة بنت عبد المطلب، فهو ابنة عممة
 النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وتزوج أبو سلمة أم سلمة فولدت له زينب وبرة
 وسلمة وعمر. وعمر
 بن أبي سلمة المخزومي هذا ربيب رسول الله الذي ولاه أمير المؤمنين (عليه السلام)
 على
 البحرين، ثم عزله وولى مكانه النعمان بن عجلان الزرقى وكتب إليه كما في نهج
 البلاغة: «أما بعد؛ فإنني قد وليت النعمان بن الزرقى على البحرين ونزعت يدك بلا
 ذم لك... الخ» (١).
 وقد هاجرت أم سلمة مع زوجها إلى الحبشة وبعد عودة زوجها إلى المدينة
 جرح في معركة أحد ومات بجراحه، فاسترجعت أم سلمة لما بلغها من حديث
 النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: «اللهم عندك أحسب مصيبي هذه؛ اللهم
 أخلفني فيها
 خيراً» (٢). وكان أبو سلمة يدعو لها دائماً أن يبدلها الله بزواج خير منه، فلما مات
 زوجها علمها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كلمات تقولهن في فراق زوجها:
 «اللهم اغفر لي وله،
 وأعقبني عقباً حسناً» (٣)، فلما انقضت عدتها بعث إليها أبو بكر وعمر يخطبونها

(١) نهج البلاغة ٤١٤ كتاب ٤٢.

(٢) البحار ٢٠ / ١٨٥ ح ٢ باب ١٦.

(٣) انظر البحار ٢٢ / ٢٢٧ ح ١٠. دعوات الراوندي: عن أم سلمة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أصيب

بمصيبة فقال كما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني من مصيبي وأعقبني خيراً منه، فعل الله ذلك به. قالت: فلما توفي أبو سلمة قلته ثم قلت: ومن مثل أبي سلمة، فأعقبني الله برسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتزوجني.

فردتهما ولم ترغب فيهما، فلما خطبها النبي اعتذرت إليه فقالت: إني امرأة غيرى،
وإني امرأة مصيبة (أي ذات صبيان) وليس أحد من أوليائي شاهد، فقبل
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك وأجاب إغذارها واحدة واحدة، فقبلت.
يك روز کسی که با تو دمساز آید * یا با تو شبی همدم و همراز آید
از کوی تو گر سوی بهشتش خوانند * هرگز نرود و گر رود باز آید (۱)
فتزوجها في السنة الرابعة للهجرة على عشرة دراهم صارت ثمنا للمطهرة
وكوزين ووسادة حشوها ليف، فصنعت عصيدة من الشعير وقدمتها للنبي (صلى الله
عليه وآله وسلم)
وأكل معه الناس، وعاشت أربع وثمانين سنة، وتوفيت سنة ستين، ودفنت في
البيقع، وصلى عليها أبو هريرة.
روت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيرا، ولها عند جمهور السنة مقام
واحترام، ولا
يعتبرونها خاصة بالشيعة والفرقة الإمامية.
ولها نصائح نافعة نصحت بها عائشة في وقعة الجمل وغيرها، وكانت
فصيحة عابدة كريمة موثقة ويمكن معرفة عرفانها وإيمانها الكامل من مقالاتها
وبياناتها.
وإني لأرى لهذه المرأة المكرمة سلام الله عليها مزية خاصة على زوجات
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأخريات في مدى إظهار الذلة والعبودية.

(۱) يقول: لو سمر معك أحد وتحدث ليلة من الليالي، ثم سيق إلى الجنة لرفض الذهب، ولو ذهب لعاد من
جديد.

سلمة بلا ثلثة

أشير في هذا المقام إجمالاً إلى ما روي في هذه المرأة الممدوحة الخصال المباركة الفعال، مما يدل على علو قدرها وسمو جلالها للترويح عن قلوب الشيعة: الأول: روى السيد المرحوم البحراني في «مدينة المعاجز»: عن الصادق (عليه السلام) قال: «لما قدم أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) من الكوفة تلقاه أهل المدينة

معزين

بأمير المؤمنين (عليه السلام) ومهينين بالقدوم، ودخلت عليه أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت

عائشة: والله يا أبا محمد ما فقد جدك إلا حيث فقد أبوك، ولقد قلت يوم قام عندنا ناعية قولاً صدقت فيه وما كذبت. فقال لها الحسن (عليه السلام): عسى هو تمثلك بقول لبيد

بن ربيعة حيث يقول:...

فألقت عصاها فاستقرت بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر
ثم أتبعته الشعر بقولك: أما إذا قتل علي فقولوا للعرب تعمل ما تشاء.
فقالت له: يا بن فاطمة! حدوت حدو جدك وأبيك في علم الغيب، من الذي أخبرك بهذا عني؟

فقالت لها أم سلمة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ويحك يا عائشة، ما هذا منك

بعجيب، وإنني لأشهد عليك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي وأنت حاضرة وأم أيمن

وميمونة: يا أم سلمة كيف تجديني في نفسك؟
فقلت: يا رسول الله! أجده قرباً ولا أبلغه وصفاً.

فقال: فكيف تجدي علياً في نفسك؟

فقلت: لا يتقدمك يا رسول الله ولا يتأخر عنك، وأنتما في نفسي بالسواء.

فقال: شكر الله لك ذلك يا أم سلمة، فلو لم يكن علي في نفسك مثلي لبرئت

منك في الآخرة ولم ينفعك قربي منك في الدنيا.
فقلت أنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): وكذا كل أزواجك يا رسول الله؟
فقال: لا.

فقلت: لا والله ما أجد لعلي في موضعا قربتنا فيه أو أبعدتنا.
فقال لك: حسبك يا عائشة.

فقالت: يا أم سلمة! يمضي محمد ويمضي علي ويمضي الحسن مسموما ويمضي
الحسين مقتولا كما أخبرك جدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
فقال لها الحسن (عليه السلام): فما أخبرك جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) بأي موة تموتين
وإلى ما تصيرين؟

قالت له: ما أخبرني إلا بخير.
فقال الحسن (عليه السلام): والله لقد أخبرني جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) تموتين بالداء
والديلة، وهي ميتة أهل النار، وإنك تصيرين أنت وحزبك إلى النار.
فقالت: يا حسن! ومتى؟

فقال الحسن (عليه السلام): حيث أخبرك بعداوتك عليا أمير المؤمنين... إلى آخر
الخبر (١).

والحديث دليل واضح على متانة إيمان أم سلمة بحقية النبوة والولاية.
الثاني: لما عزم عائشة على الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان أتت أم
سلمة في مكة، فحاججتها أم سلمة وأقامت لها الدليل والبرهان لتصددها عن
قصدتها، وتمنعها عن عزمها، فقالت عائشة: يا بنت أبي أمية أنت أقرب منزلة من

(١) مدينة المعاجز ٣ / ٤١٠ ح ٩٤٦ / ١٠٨ الثامن والتسعون علمه (عليه السلام) بالغائب وبما في النفس.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في نسائه وأول من هاجر معه، وكان رسول الله يبعث إلى بيتك ما

يتحف له ثم يقسمه بيننا، وأنت تعلمين ما نال عثمان من هذه الأمة من الظلم والعدوان، ولا أنكر عليهم إلا أنهم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائما في شهر حرام، وقد أخبرني عبد الله بن عامر - وكان عامل عثمان على البصرة - أنه قد اجتمع بالبصرة مائة ألف من الرجال بثأره، وأخاف الحرب بين المسلمين وسفك الدماء بغير حل، ففزعت على الخروج لأصلح بينهم، فلو خرجت معنا لرجونا أن يصلح الله بنا أمر هذه الأمة.

فقلت أم سلمة: يا بنت أبي بكر، أما كنت تحرضين الناس على قتله وتقولين: أقتلوا نعتلا فقد كفر، وما أنت والطلب بثأره وهو رجل من عبد مناف وأنت امرأة من تيم بن مرة، ما بينك وبينه قرابة، وما أنت والخروج على علي بن أبي طالب أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد اتفق المهاجرون والأنصار على إمامته.

ثم ذكرت طرفا من مناقبه، وعدت نبذة من فضائله؛ قالت: أتذكرين يوم أقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن معه حتى إذا هبط من «قديد» ذات الشمال خلا بعلي يناجيه

فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتهك فعصيتني فهجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا يوم من تسعة أيام، فما ترعني يا بن أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليك وهو غضبان الوجه،

فقال: ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان؛ فرجعت نادمة ساقطة؟ فقلت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكرك أيضا كنت أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيسا، وكان الحيس يعجبه، فرفع رأسه وقال: «ليت شعري

أيتكن صاحبة الجمل الأدب، تنبها كلاب الحوآب، فتكون ناكبة عن الصراط»
فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله ورسوله من ذلك، ثم ضرب علي ظهرك
وقال: إياك أن تكونيها، ثم قال: يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها، ثم قال: «يا
حميراء! أما إني فقد أنذرتك».
قالت عائشة: نعم أذكر هذا.
قالت: وأذكرك أيضا: كنت أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في
سفر له، وكان

علي يتعاهد نعلي رسول الله فيخصفهما، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل
فأخذها يومئذ يخصصها في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه، فقمنا
إلى الحجاب، ودخلا فحدثاه فيما أرادا، ثم قالوا: يا رسول الله! إنا لا ندري قد ما
تصحبنا، فلو أعلمتنا من تستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا، فقال لهما: أما إني
قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن
عمران، فسكتا ثم خرجا - وفي رواية قال: ما خيلتني فيكم إلا خاصف النعل - فلما
خرجنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت له وكنت أجراً عليه منا: من
كنت يا رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مستخلفا عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنظرنا فلم نر
أحدا إلا عليا،
فقلت: يا رسول الله ما أرى إلا عليا! فقال: هو ذاك.
فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

وقد كان عبد الله بن الزبير واقفا على الباب يسمع كلامها، فناداها: يا أم
سلمة! قد علمنا بغضك لآل الزبير، وما كنت محبة لنا ولا تحبيننا أبدا.
فقالت أم سلمة: أتريد أن تخرج علي خليفة رسول الله ومن علم المهاجرون
والأنصار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاه أمر هذه الأمة؟
فقال: ما سمعنا ذلك من رسول الله!!

فقالت: إن كنت لم تسمع فقد سمعته خالتك هذه، فاسألها تحدثك، وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي بن أبي طالب: أنت خليفتي في حياتي وبعد

موتي، من عصاك فقد عصاني، أهكذا يا عائشة؟

فقالت: نعم سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشهد بها.

فقالت أم سلمة: فاتقي الله يا عائشة، واحذري ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قال لك: لا تكوني صاحبة كلاب الحوآب، ولا يغرنك الزبير وطلحة

فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً.

ثم قالت لها ناصحة: يا هذه! إنك سدة بين محمد رسول الله وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمة، قد جمع القرآن ذيلك، فلا تبدحيه، وسكن عقيرك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، لو أراد رسول الله أن يعهد إليك عهداً لفعل، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، إن عمود الإسلام لا يثاب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غض الأطراف، وخفر الأعراض، وقصر الوهازة، وما كنت قائلة لو أن رسول الله عارضك في بعض الفلوات ناصة قلوفا يقودك من منهل إلى منهل آخر، إن بعين الله مهواك، وعلى رسوله تردين، وقد وجهت سداقته وتركت عهيداه لو صرت مسيرك هذا، ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجابيه قد ضربه علي أجلي، فبابك بيتك، ورباعة الستر قبرك، حتى تلقيه وأنت على تلك أطوع ما تكونين إليه ما ألزمته، وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه، لو ذكرتك قولاً تعرفينه لنهشت نهش الرقشاء المطرقة.

فلما كان من ندمها أخذت أم سلمة تقول:

لو كان معتصماً من زلة أحد* كانت بعائشة العتبي على الناس

كم سنة لرسول الله دارسة* وذكر آي من القرآن مدراس
وحكمة لم تكن إلا لهاجمها* في الصدر ينهب عنها كل وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم* حتى يمر الذي يقضي على الرأس
ويرحم الله أم المؤمنين لقد* بدلت لي إيحاشا بإيناس (١)
قال ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد: لما أرادت عائشة الخروج إلى
البصرة كتبت إليها أم سلمة كتابا:

«من أم سلمة زوج النبي إلى عايشة أم المؤمنين، فإني أحمد الله إليك الذي لا
إله إلا هو، أما بعد؛ فقد هتكت سدة بين رسول الله وأمته، حجاب مضروب على
حرمته، قد جمع القرآن ذيلك فلا تبدحيه، وسكن عقيرك، فلا تصحريها، فالله
من وراء هذه الأمة، لو علم رسول الله أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك، أما
علمت أنه قد نهاك عن الفرطة والدين، فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال،
ولا يرأب بهن إن انصدع، جهاد النساء غض الأضراف وضم الذبول وقصر
الموادة، فما كنت قائلة لرسول لله لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قلوفا من
منهل إلى منهل، وغدا ترددين على رسول الله. واقسم لو قال لي يا أم سلمة ادخلي
الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله هاتكة حجابا ضربه علي، فاجعليه سترك،
وقاعة البيت حصنك، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم،
ولو أني حدثتك بحديث عن رسول الله سمعته لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام»
(٢).

اللهم اجعلها سيدة أزواج نبيك بعد خديجة الطاهرة، واحشرها في الجنان
مع سيدة نساء أهل الجنة مجاورة لرسولك ومستمتعة بلقائه في دارك بمحمد وآله.

(١) البحار ٣٢ / ١٤٩ ح ١٢٤ باب ٢ و ٣٢ / ١٥٤ ح ١٢٧ باب ٢ و ٣٢ / ١٦٤ ح ١٢٨ باب ٢.
(٢) العقد الفريد ٤ / ٣١٦؛ البحار ٣٢ / ١٥٤ ح ١٢٧ باب ٢.

الخصيصة الثانية والعشرون من الخصائص الخمسين
في أحوال أم أيمن وأسماء وسلمى وفضة الخادمة
إعلم؛ إن لهؤلاء النسوة علاقة وارتباطا خاصا بآل الرسالة وبيت الطهارة
والعصمة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام)، حضرن معها في كل شدة ومحنة
وبلية،
وشاركن في المحن والفتن التي جرت على آل طه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا
يمكن إخراجهن من هذه
الزمرة الجليلة، وإبعادهن عن الدائرة المقدسة، وإقصائهن عن حلقات السلسلة
النبيلة؛ لأنهن داخلات من جهة الملكية والرقية علاوة على ثبات الإيمان ودوام
المحبة والوفاء لهذه الأسرة الطيبة الطاهرة و «من أحبنا فهو منا» (١) و «من أحب
شيئا
حشر معه» (٢) و «المرء مع من أحب» (٣).
وكم يبدو بعيدا أن يكون سودان الحبشة على هذه الإستقامة في المحبة دون
القصور في الفعال والفتور في الأعمال، بل على العكس من ذلك، حيث الترقى
والإعتلاء والازدياد يوما بعد يوم في مراقبي الكمال ودرجات الإيمان واكتساب

(١) في البحار ٣٦ / ٣٨٨ ح ١ باب ٤٤: من أحبنا وعمل بأمرنا كان معنا. وفي ٤٦ / ٢٠٢ ح ٧٧ باب
١١ قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أحبنا أهل البيت في الله حشر معنا وأدخلناه معنا الجنة...
(٢) في البحار ٦٥ / ١٣٠ ح ٦٢ باب ١٨: من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في
عملهم.
(٣) مر تخريجه.

محمود الخصال جراء الدخول في الابتلاءات والشدائد والثبات على ما علموا وقالوا وفعلوا والاستقامة على ذلك. ولا زال ولا يزال المقتضي الداعي لمحبي الآل وأولياءهم لاتباع هذه الطريقة المستقيمة والسير على هذه المحجة القويمية وتعلم نهج الصواب من هؤلاء النسوة الراسخات الإيمان اللواتي تجد تمجيدهن وثناءهن واضحا جليا مبرهنا في الكتاب والسنة.

وسنبداً أولاً بالحديث عن أم أيمن لما لها من التقدم والسبق في خدمة الآل، ثم نتبعها بذكر شمة من حالات موليات سيد الكائنات.

[أم أيمن]

لا يخفى أن أم أيمن واسمها «بركة» كانت حبشية مملوكة لآمنة بنت وهب (رضي الله عنها)، وكانت في خدمة هذه الأسرة قبل ولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته،

وكانت أمة مستقيمة سعيدة مخلصمة مصطفاة، ووفية مضحية. ولما توفيت آمنة وصعدت إلى الفردوس الأعلى ورث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من

أمه أم أيمن وخمسة أجمال أوراك (١) وقطعة غنم (٢). فعمدت أم أيمن إلى حضانة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتربيته والقيام على خدمته، فكان قدوة آل عبد مناف، وكان يترحم

عليها ويزداد لها احتراماً وتلطفاً يوماً بعد يوم، حتى قال عنها - كما قال عن فاطمة بنت أسد (عليها السلام) - : أم أيمن كانت أُمي بعد أُمي (٣).

(١) الإبل الأوراك وهي التي تتغذى على شجر الأراك وأراك أرض في عرفات.

(٢) البحار ١٥ / ١٢٥ ح ٦٣ باب ١.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ١٨٠ في ذكر مولياته (عليه السلام).

ولما تزوج خديجة (عليها السلام) أعتقها تفضلا وتكرما، ولكنها لم تحرم من نيل الشرف بملازمة ذلك النور، حيث بقيت في خدمة السيدة فاطمة في الغالب، ولها أخبار خاصة في أيام زفاف تلك المخدرة وردت في الكتب المعتمدة. وحدثت أم أيمن قالت: أتاني رجلان من اليهود يوما نصف النهار بالمدينة فقالا: أخرجي لنا أحمد، فأخرجته فنظرا إليه وقلباها مليا، ونظرا إلى سرته ثم قال أحدهما لصاحبه: هذا نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمر عظيم (١).

وأود هنا نقل عبارة الخبر من البحار قال: وأم أيمن حاضنة النبي وكانت أوداء ورثها عن أمه، وكان اسمها بركة، فأعتقها وزوجها عبيد الخزرجي بمكة، فولدت له أيمن، فمات، وزوجها النبي من زيد، فولدت له أسامة أسود شبيهها، فأسامة وأيمن أخوان لام (٢).

وكانت محترمة ومقدرة ولها منزلة بين بقية إماءه من قبيل حارثة بنت شمعون - أهداها له ملك الحبشة - وسلمى ورضوى وأسلمة وأنسة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبها حبا جما لصدقها وشده محبتها، وقد حسد أهل مكة والمدينة من

المهاجرين والأنصار أبناءها السعداء حسدا شديدا. قال المرحوم المجلسي طاب ثراه: زيد زوج أم أيمن بن حارثة بن شراحيل الكلبي بن عبد العزى بن امرئ القيس، وكان زيد رجلا آدم شديد الأدمة (٣) قصير القامة مفروش الأنف، وأمّه

(١) البحار ١٥ / ١١٦ ح ٦١ باب أجداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢) البحار ٢٢ / ٢٦٣ ح ٢.

(٣) قال بن الأثير في أسد الغابة ٢ / ٣٣٨ ترجمة ١٨٢٩: «وكان زيد أبيض أحمر، وكان ابنه أسامة آدم شديد الأدمة».

سعدى بنت ثعلبة بن عبد عمرو؛ أصابه سبأ في الجاهلية لأن أمه خرجت به تزور قومها بني معن فأغارت عليهم خيل بني القين، فأخذوا زيدا فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأعتقه وزوجه أم أيمن، فولدت له أسامة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبه ويعطف عليه.

وتبنى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زيدا، فكان يدعى زيد بن محمد، حتى أنزل الله تعالى

(أدعوهم لآبائهم) (١) حيث زوجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بابنة عمته زينب بنت جحش، ثم

طلقها وتزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخاف من كلام المنافقين فنزل الآية: (واتق الله

وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) (٢) ثم نزلت بعدها

وثيقة التزويج السماوية، فكان «الله المزوج وجبرئيل الشاهد» ونزل قوله تعالى:

(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضى منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) (٣).

وكان من عادة العرب تحريم زوجات الأبناء الأدعياء واعتبارهم كالأبناء الصليبين من هذه الجهة، فأثار ذلك حفيظتهم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخذوا يتقولون

ويسئنون إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزل قوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم

ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) (٤) ثم نزل قوله تعالى: (وما جعل أدعيائكم أبنائكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي

(١) الأحزاب: ٥.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٣١.

(٤) الأحزاب: ٤٠.

السبيل * ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (١) (٢).

وكان زيد قد وجد لفقده ولده وجدا شديدا بعد أن بلغه خبر أسرته، فقال فيه:

بكيت علي زيد ولم أدر ما فعل * أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا * أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فياليت شعري هل لك الدهر رحبة * فحسبي لك الدنيا رجوعك لي علل
إلى آخر الأبيات، فلما حج جبلة بن حارثة وأخوه رأوا زيدا فعرفوه، فقال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات:

أكني إلى قوم وإن كنت نائيا * بأني قطين البيت عند المشاعر
فكفوا عن المجد الذي قد شجاكم * ولا تعلموا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معد كابرا عند كابر
فخرج حارثة وأولاده ليفدوا زيدا، فدخلوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
وتوسلوا إليه

أن يفديهم زيدا، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «أدعوه وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم، وإن

(١) الأحزاب: ٥.

(٢) وجعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه دليل على جواز هذا الزواج وحليته و (لكم في رسول الله أسوة حسنة)

ولابد أن يكون تصرف النبي وهو معدن العصمة ومؤيد بروح القدس صادرا عن الحكمة والمصلحة، ولا يمكن أن يصدر منه عمل يخالف رضا العلي الأعلى، حيث إنه لا يجعل لنفسه وشهوته سبيلا عليه وما أبعد أولئك الجهال عن الصواب حيث وسوس إليهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم أن يظنوا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلهم في إطاعة الشيطان واتباع خطواته، وما علموا أن ما قالوه يجري عليهم وعلى نظرائهم

من المستضعفين المغرورين بوسواس الشيطان الذي زين لهم ذلك في قلوبهم «قل آمنت بالله وبرسوله وكفرت بالجبت والطاغوت». (من المتن)

اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار علي من اختارني أحد» فلما جاء زيد وخيروه قال: «... ما أنا بالذي أختار عليك أحدا، أنت مني مكان الأب والعم».. فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك أخرجته إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني... (١)

الحاصل؛ كانت أم أيمن امرأة لا نظير لها في النساء، وكانت تعد من أعظم نسوان أهل الإسلام والإيمان، وكذا كان في الرجال ابنها وأبوه الذي ذكره القرآن بالاسم صريحا، وأمره النبي على سبع سرايا، وحضر بدرا وأحد والخندق والحديبية وخيبر، وخلفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة في غزوة المريسع، وأمر ابنه

أسامة على جيش عظيم ضم كبار المدينة وشخصياتها في مرض الموت، وقال: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» (٢) وأخيرا استشهد زيد في معركة مؤتة مع جعفر الطيار وعبد الله بن رواحة.

ولي هنا - أنا الحقيير - كلام مختصر خفي عن الغافلين، وحجب عن الآخرين: لاحظ أنه لم يبق للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولد لثلاثا يزاحم أمير المؤمنين في الخلافة، هذا

من جهة، ومن جهة أخرى فإن القرآن ينفي النبوة من ابنه المدعى زيد (وما كان محمد أبا أحد من رجالكم) (٣)، ومن جهة ثالثة يسمي الحسن والحسين - وهما الإمامان السبطان المكرمان - أبناءه، قال تعالى: (وأبناءنا وأبناءكم) (٤) ثم يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): كل بني أم يتمون إلى عصبتهم، إلا ولد فاطمة فأنا عصبتهم وأبوهم (٥).

(١) أسد الغابة ٢ / ٣٣٨ ترجمة رقم ١٨٢٩.

(٢) انظر البحار ٢٧ / ٣٢٤ ح ٤ باب ١.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

(٤) آل عمران: ٦١.

(٥) البحار ٣٧ / ٧٠ ح ٣٨ باب ٥٠.

وهذا يعني أن مشيئة الله كانت تقتضي منذ اليوم الأول بقاء هذا الفخر والشرف في بيت بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لتعود المعالي والمفاخر من الآباء والأبناء إلى

مركز دائرة العصمة والعفة والحياء؛ وذلك أن هذا النبي الأوحى أراد إظهار ما أودع في هذه البنت الوحيدة من تمام الملكات والكمالات الموروثة من أنبياء السلف، وما كمن في وجود أولياء الخلف، ليعلم الناس أن فاطمة الزهراء هي الكلمة الإلهية الجامعة، ومظهر الإفاضات المعنوية النبوية، ومصدر الخيرات الكثيرة والبركات العلوية المرتضوية؛ وهي وإن كانت تالي النبوة، وعاشت في ظل الولاية، ولكنها استفاضت من المبدأ الأول ومن يليه على الدوام، وأفاضت على أولادها المعصومين الأولياء الكاملين إشراقات أنوار العلوم العقلية وإفاضات المعارف الربانية، علاوة على الولادة الجسمانية والولادة الروحانية.

به سر قصه سيمرغ و غصه هدهد * كسى رسد كه شناساي منطق الطير است (١)
قال أرسطاطاليس الحكيم: هذه الأقوال المتداولة كالسلم نحو المرتبة المطلوبة فمن أراد أن يحصلها فيحصل لنفسه نظرة أخرى.
خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى * كثير وأرباب الوصول قلائل
وبالجملة؛ فإن أم أيمن رضي الله عنها من النساء اللواتي ورد مدحهن كثيرا في أحاديث الأئمة الأطهار، وقد روي لها العديد من الكرامات:
منها: ما ورد في المناقب لمحمد بن شهر آشوب المازندراني، وفي كتاب بحار الأنوار عن علي بن معمر، قال: خرجت أم أيمن إلى مكة لما توفيت فاطمة وقالت:

(١) يقول: ينبغي لمن يصل إلى قصة العنقاء وحزن الهدهد، أن يكون عالما بمنطق الطير.

لا أرى المدينة بعدها، فأصابها عطش شديد في الجحفة حتى خافت على نفسها؛ قال: فكسرت عينها نحو السماء ثم قالت: يا رب أتعطشني وأنا خادمة بنت نبيك؟! قال: فنزل إليها دلو من ماء الجنة؛ فشربت ولم تجع ولم تطعم سنين (١). كذا هو مقام فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند الله، فبمجرد الاستشفاع والتوسل والتشبث بذيل العصمة، وإظهار الانتساب إليها بالخدمة، فقد حفظ روحها ونجت من تلك المهلكة. وقال الديار بكري: إن أم أيمن شربت من بول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم تعطش بعدها أبدا (٢).

ويكفي في علو مرتبة أم أيمن ما رواه في كامل الزيارة عن نوح بن دراج، عن قدامة بن زائدة، عن أبيه بسند صحيح روته السيدة زينب عن أم أيمن، تعزي به سيد الساجدين وتطيب خاطره بعد ما لقيه من مصائب؛ قالت: حدثني أم أيمن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زار منزل فاطمة في يوم من الأيام، فعملت له حريرة صلى الله عليها، وأتاه علي (عليه السلام) بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) من تلك الحريرة، وشرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر بالزبد... وذكرت مجموعة من مناقب آل الرسول ومصائبهم؛ والحديث طويل ومعروف بحديث أم أيمن (٣).

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ٣٨٦ في المعجزات.

(٢) انظر تاريخ الخميس ٢ / ١٨٠.

(٣) البحار ٤٥ / ١٧٩ ح ٣٠ باب ٣٩.

وقد مدحت أم أيمن لحضورها في معركة أحد للسقاية وتضميد جرحي المسلمين، وأنى لهذه المرأة الهائمة في حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تبقى في المدينة بعيدا عن أخبار حبيب ذي الجلال؟! وفي مدينة المعاجز عن المفضل بن عمر الجعفي في ذكر معجزات الرضا (عليه السلام)،

قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: يكر مع القائم (عليه السلام) ثلاث عشرة امرأة، قلت: وما يصنع بهن؟ قال: يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت: فسمهن لي قال: القنوا بنت الرشيد، وأم أيمن، وحبابة الوالبية، وسمية أم عمار بن ياسر، وزبيدة وأم خالد الأحمسية، وأم سعيد الحنفية وصيانة الماشطة وأم خالد الجهنية (١).

وقد تكون فيهن «نسيبة» حيث جاهدت أبطال في غزوة أحد وقاتلت قريشا ببسالة، ولم تر امرأة مثلها في أي غزوة أو سرية أخرى، حيث «بقيت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نسيبة بنت كعب المازنية، وكانت تخرج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه، فقالت: يا بني إلى أين تفر عن الله ورسوله؟ فردته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «بارك الله عليك يا نسيبة».

وكانت تقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بصدرها وثديها، حتى أصابتها جراحات كثيرة.. ونظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى رجل من المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره

(١) مدينة المعاجز ٧ / ٢٥١ ح ٢٣٠٣ / ٢٠١، السادس والخمسون والمائة «البرهان الذي أظهره (عليه السلام) في الحجابة الوالبية».

فر، فناداه «يا صاحب الترس ألق ترسك ومر إلى النار» فرمى بترسه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا نسيبة خذي الترس، فأخذت الترس، وكانت تقاتل

المشركين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان وفلان»..

... ولم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أبو دجانة سماك بن فرشة وأمير المؤمنين (عليه السلام)،

وكلما حملت طائفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استقبلهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه

فيدفعهم عن رسول الله ويقتلهم، حتى انقطع سيفه وبقيت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

نسيبة بنت كعب المازنية...

فلما انقطع سيف أمير المؤمنين (عليه السلام) دفع إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفه ذو الفقار...

فنزله جبرئيل فقال: يا محمد! هذه - والله - المواساة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لأني

منه وهو مني. فقال جبرئيل: وأنا منكما (١).

وفي البحار: عن علي (عليه السلام)، قال: قال لي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد: أما تسمع

مديحك في السماء؟ إن ملكا اسمه رضوان ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي؛ ونودي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا اليوم:

ناد عليا مظهر العجائب * تجده عوننا لك في النوائب

كل غم وهم سينجلي * بولايتك يا علي يا علي (٢)

ويكفي في فضيلة أم أيمن شهادتها في قصة فذك، حيث لم تنكر كما أنكر الآخرون، وورد الحديث في باب غصب فذك في كتاب الاختصاص للشيخ المفيد

(١) البحار ٢٠ / ٥٣ ح ٣.

(٢) البحار ٢٠ / ٧٣ ح ١١ باب غزوة أحد.

رضوان الله عليه عن عبد الله بن سنان، عن الصادق (عليه السلام)؛ والحديث طويل ننقل منه موضع الحاجة.

«لما طالبت فاطمة بفدك من أبي بكر بن أبي قحافة، قال أبو بكر: فإن عائشة تشهد وعمر أنهما سمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول: إن النبي لا يورث؛

فقلت: هذا أول شهادة زور شهدا بها في الإسلام؛ ثم قالت: فإن فدك إنما هي صدق بها علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولي بذلك بينة فقال لها: هلمي بيتك.

قال: فجاءت بأم أيمن وعلي (عليه السلام). فقال أبو بكر: يا أم أيمن إنك سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في فاطمة؟

فقالا: سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة - وفي رواية:

ثم قالت: يا أبا بكر هل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «إن أم أيمن امرأة من أهل

الجنة»؟ قال: بلى؛ ثم قالت: فمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدعي ما ليس لها؟ وأنا امرأة من أهل الجنة ما كنت لأشهد إلا بما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فقال

عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصص؛ بأي شيء تشهدين؟ فقلت: كنت جالسة في بيت فاطمة (عليها السلام) ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس، حتى نزل عليه جبرئيل فقال: يا

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قم فإن الله تبارك وتعالى أمرني أني أخط لك فدكا بجناحي، فقام

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع جبرئيل (عليه السلام)، فما لبث أن رجع فقالت فاطمة (عليها السلام): يا أبا أيمن

ذهبت؟ فقال: خط جبرئيل (عليه السلام) لي فدكا بجناحه وحد لي حدودها، فقلت: يا أبا

إني أخاف العيلة والحاجة من بعدك، فصدق بها علي؛ فقال: هي صدقة عليك، فقبضتها، قالت: نعم. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا أم أيمن اشهدي، ويا علي اشهد،

فقال عمر: أنت امرأة، ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأما علي فيجر النار إلى

(17)

قرصه؛ فقامت فاطمة مغضبة، وقالت «اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها، فاشدد وطأتك عليهما، ثم خرجت وحملها علي علي أتان عليه كساء له حمل، فدار بها أربعين صباحا في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين (عليهما السلام) معها (١)...

إلى آخر الخبر.

وفي البحار في حديث طويل ننقل منه موضع الحاجة:
[فلما قام أبو بكر بن أبي قحافة نادى مناديه: من كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دين أو عدة فليأتني حتى أقضيه، وأنجز لجابر بن عبد الله ولجدير بن عبد الله البجلي؛ قال علي لفاطمة (عليها السلام): صيري إلى أبي بكر وذكريه فدكا، فصارت

فاطمة (عليها السلام) إليه وذكرت له فدكا مع الخمس والفقير].
... فقال عمر: هاتي بينة يا بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما تدعين.
فقالت فاطمة (عليها السلام): قد صدقتم جابر بن عبد الله وجدير بن عبد الله ولم تسألوهما البينة، وبينتي في كتاب الله.
فقال عمر: إن جابرا وجديرا ذكرا أمرا هينا!! وأنت تدعين أمرا عظيما يقع به الردة من المهاجرين والأنصار.
فقالت (عليها السلام): إن المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه

والأنصار بالإيمان بالله وبرسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلا إلينا، ولا نصره إلا لنا، ولا اتباع بإحسان إلا بنا، ومن ارتد عنا فإلى الجاهلية.
فقال لها عمر: دعينا من أباطيلك، وأحضرينا من يشهد لك بما تقولين.
فبعثت إلى علي والحسن والحسين (عليهم السلام) وأم أيمن وأسماء بنت عميس

(١) الإختصاص ١٨٤ حديث فدك.

- وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة - فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادعته.

فقال: أما علي فزوجها، وأما الحسن والحسين إبنها، وأما أم أيمن فمولاتها، وأما أسماء بنت عميس فقد كان تحت جعفر بن أبي طالب، فهي تشهد لبني هاشم وقد كانت تخدم فاطمة، وكل هؤلاء يجرون إلى أنفسهم.

فقال علي (عليه السلام): أما فاطمة فبضعة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن آذاها فقد آذى

رسول الله، ومن كذبها فقد كذب رسول الله.

وأما الحسن والحسين فإبنا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة، ومن كذبهما فقد كذب رسول الله إذ كان أهل الجنة صادقين.

وأما أنا فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا

والآخرة، والراد عليك هو الراد علي؛ من أطاعتك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني.

وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها.

[فقال عمر: أنتم كما وصفتم به أنفسكم، ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تقبل.

فقال علي (عليه السلام): إذا كنا نحن كما تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا

تقبل، وشهادة رسول الله لا تقبل، فإننا لله وإننا إليه راجعون، إذا ادعينا لأنفسنا

تسألنا البينة، فما من معين يعين، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله

فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بينة ولا حجة] (وسيعلم الذين ظلموا

أي منقلب ينقلبون) (١).
ثم قال لفاطمة: انصرفي حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (٢).
وفي أمالي الطوسي عليه الرحمة: قال الصادق (عليه السلام) في خبر: وسكب الدراهم
في حجره فأعطى منها قبضة كانت ثلاثة وستين إلى أم أيمن لمتاع أبيت وقبضة إلى
أسماء بنت عميس للطيب، وقبضة إلى أم سلمة للطعام (٣)..
وذكرت هذه الأبيات من الديوان المبارك في بيان أصناف الناس عامة
أوردها فيما يلي:

أربعة في الناس ميزتهم * أحوالهم مكشوفة ظاهرة
فواحد دنياه مقبوضة * تتبعه آخرة فاخرة
وواحد دنياه محمودة * ليس له من بعدها آخرة
وواحد فاز بكليتهما * قد جمع الدنيا مع الآخرة
وواحد من بينهم ضايع * ليس له دنيا ولا آخرة (٤)
[أسماء بنت عميس]

أما أسماء بنت عميس بن سعد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن
قحافة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الخثعمي، ولذا
عرفت أسماء بالخثعمية، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من قبيلة كنانة.

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) البحار ٨ / ١٠٢ (ط الحجر)، عوالم العلوم ١١ / ٦٣٥ ح ٢٧ باب ٣.

(٣) البحار ٤٣ / ١١٣ ح ٢٤ باب ٥ عن الأمالي:

(٤) ديوان الإمام علي (عليه السلام) ٦٩.

وقد تزوجت هند مرتين: الأول: هو الحارث بن حزن بن جبير الهلالي، والثاني: عميس بن سعد، وولدت منهما بنات كريمات زوجتهن من رجال كرام، وقال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «هي أكرم عجوز جمعت على الأرض أصهارا» (١).
فبناتها؛ ميمونة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأم الفضل زوجة العباس، وأسماء

بنت عميس، وسلمى زوجة حمزة سيد الشهداء، وسلمة زوجة عبد الله بن كعب الخثعمي، وسيأتي الحديث عنها، وتقدمت الإشارة إجمالا إلى حالات ميمونة، وقد وعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء الأخوات بدخول الجنة، وسيأتي الحديث عن قريب.

وقد ورد في حالات سلمى أنها هاجرت مع بنتها - اختلف في اسمها - إلى المدينة، فاختلف أمير المؤمنين وجعفر الطيار وزيد بن حارثة في أمر بنتها بعد شهادة أبيها حمزة، وتمسك كل منهم بسبب، حيث قال زيد: إن حمزة أخوه أخى بينهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم المؤاخاة، وقال إنه وصيه فهو أولى بها من غيره، وتمسك أمير المؤمنين (عليه السلام) وجعفر بالقرابة والاتصال النسبي، فحكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم بأمر بنت سلمى، لأن خالتها كانت تحت جعفر، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا ينكح المرأة على عمتها وعلى خالتها إلا بإذنها» (٢) (٣). فقام جعفر ودار حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعبيرا عن الشكر والامتنان كما كان يفعل أهل الحبشة تعظيما لعظمائهم. ويكفي في فضل أسماء بنت عميس أمور منها: أدعية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لها ولذريتها.

(١) انظر أسد الغابة ٧ / ١٧ ترجمة ٦٧٠٦.
(٢) انظر أسد الغابة ٧ / ١٦٤ ترجمة ٧٠٠٥ وفيه «وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): الخالة بمنزلة الأم».
(٣) الوسائل: ٢ / ٤٩٠ ح ٢٦١٧١ باب ٣٠.

ومنها: أنها كانت ممن شهد لفاطمة الزهراء (عليها السلام) في قصة فذك، فصارت في ذلك قرينة أم أيمن كما مر.

ومنها: ما قاله عمر من محبتها لآل أبي طالب كما قال في حق فضة الخادمة.

ومنها: الأخبار المروية في حقها عن الحضرة النبوية والعلوية والعصمة الكبرى صلوات الله عليهم.

ومنها: أنها ممدوحة في كتب الإمامية والعامية، فقد مدحها العدو بالرغم من شدة عناده، بل وثقوا ذريتها الكريمة وأثنوا عليهم، وقالوا: «إنهم خيار عباد الله». ولا يخفى أن سلمى المذكورة في أيام وفاة الزهراء (عليها السلام) هي زوجة أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما أغرب ما رواه ابن بابويه مرفوعاً قال:

«وروي مرفوعاً إلى سلمى أم بني رافع، قالت: كنت عند فاطمة بنت محمد في شكواها التي ماتت فيها، قالت: فلما كان في بعض الأيام وهي أخف ما نراها، فغدا علي بن أبي طالب في حاجته وهو يرى يوماً أنها أمثل ما كانت، فقالت: يا أمه إسكبي لي غسلاً، ففعلت واغتسلت كأشد ما رأيتها، ثم قالت: أعطيني ثيابي الجدد، فأعطيتها فلبست، ثم قالت: ضعي فراشي واستقبليني، ثم قالت: إني قد فرغت من نفسي فلا أكشفن فإني مقبوضة الآن، ثم توسدت يدها اليمنى واستقبلت القبلة فقبضت، فجاء علي - ونحن نصيح - فسأل عنها فأخبرته، فقال: إذا والله لا تكشف، فاحتملت في ثيابها فغييت.

قال المرحوم المجلسي: أقول: إن هذا الحديث قد رواه ابن بابويه (رحمه الله) كما ترى. ثم روى خبراً عن أحمد بن حنبل عن أم سلمة بنفس المضمون (١).

(١) البحار ٤٣ / ١٨٧ ح ١٨ باب ٧ ما وقع عليها من الظلم.

ويبدو أن ما استغربه في الخبر هو عدم غسلها (عليها السلام)، حيث قال العلامة المجلسي (رحمه الله) بعد نقل الخبرين:

«واتفاقهما من طرق الشيعة والسنة على نقله مع كون الحكم على خلافه عجيب، فإن الفقهاء من الفريقين لا يجيزون الدفن إلا بعد الغسل إلا في مواضع ليس هذا منه، فكيف روي هذا الحديث ولم يعلاوه ولا ذكروا فقهه ولا نبها على الجواز ولا المنع؟! ولعل هذا أمر يخصها (عليها السلام)، وإنما استدل الفقهاء على أنه يجوز للرجل

أن يغسل زوجته بأن علياً غسل فاطمة وهو المشهور...

وقال (رحمه الله):... وأما ما ذكره من ترك غسلها، فالأولى أن يأول بما ذكرناه سابقاً من عدم كشف بدنيتها للتنظيف، فلا تنافي الأخبار الكثيرة الدالة على أن علياً (عليه السلام) غسلها...

وروى المرحوم الصدوق طاب ثراه في العلل، والمرحوم المجلسي في البحار،
عن أبي بصير عن أبي جعفر الأول (عليه السلام)، قال سمعته يقول: رحم الله الأخوات

من
أهل الجنة؛ فسماهن: أسماء بنت عميس الخثعمية - وكانت تحت جعفر بن أبي
طالب (عليه السلام) - وسلمى بنت عميس الخثعمية - وكانت تحت حمزة -

وخمس من بني

هلال: ميمونة بنت الحارث كانت تحت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأم الفضل
عند العباس اسمها

هند، والقميصان (١) أم خالد بن الوليد، وغرة (٢) وكانت في ثقيف عند الحجاج بن
غلاظ، وحميدة لم يكن لها عقب (٣) (٤).

وفي الحديث مدح لهؤلاء الأخوات معا، يعني أنهن جميعا من أهل الجنة لا
تخرج منهن واحدة. وإن قيل: أن المقصود أن هؤلاء الأخوات أخواتي، فهو وجه،

(١) وفي نسخة: «الغميصاء» بالغين المعجمة بلا نون. (من المتن)

(٢) وفي نسخة «جهدة» أو «جهدية».

(٣) البحار ٢٢ / ١٩٥ ح ٨ باب ٢ و ٢٩٠ ح ٦٣ باب ٥.

(٤) الظاهر أن أم خالد بن الوليد هي لبابة الصغرى بنت الحارث أخ ميمونة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي

أنصارية لازمت أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين وعزة الواردة في الحديث هي الأخرى أخت لبابة
وميمونة

والحجاج بن غلاظ بن خالد بن حويز بن هلال المكنى بأبي عبد الله سكن المدينة وبنا بها مسجدا، وأما
حميدة فلا يحضرني عنها شيء حين تحرير هذه الأوراق. (من المتن)

لأنهن من أهل الجنة، وأهل الجنة كذلك.
وعلى ما هو المعلوم أن في مولات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسرايا عدة نساء
إسمهن

«سلمى»، مثل:

سلمى الأدوية من صواحب الرسول.
وسلمى بنت أبي ذؤيب أخت حليلة خالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الرضاعية.
وسلمى المكناة بأمر المنذر من بنات قيس.
وسلمى خادمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كانت أمة لصفية بنت عبد
المطلب،

فوهبتها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فزوجها غلامه وخادمه أبي رافع وأعتقه،
فولدت له عبد الله

بن أبي رافع، وكانت حاضنة لفاطمة الزهراء (عليها السلام) وقبلتها في ولادة أولادها؛
ووردت بعض الأخبار المعتبرة في مدحها، ومر ذكرها في الحديث في وفاة الصديقة
الكبرى لرفع الشبهة مع أم سلمة، وكانت تخاطبها ب «يا أماه».

وسلمى زوجة حمزة التي كانت تلي أختها أسماء بنت عميس في إظهار الذلة
والعبودية لآل البيت (عليهم السلام)، ومر ذكر هجرتها للمدينة وحكم النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) في شأن
بنتها.

وفي المقام ثلاث دقائق تحتاج كل دقيقة منها إلى تدقيق:

الدقيقة الأولى

هاجرت أسماء بنت عميس مع زوجها جعفر إلى الحبشة فرارا من مشركي
مكة، وولدت هناك ثلاثة أولاد: عبد الله، وعون، ومحمد.

قال في مطالب السؤول (١): مات عمر بن الخطاب فتزوج أم كلثوم عون بن جعفر، فلما توفي عون أخلف عليها محمد بن جعفر الطيار، ولم تلد لعون وولدت لمحمد عبد الله بن جعفر الأكبر، وهو أشهر أولادها ومن الأجواد الأربعة، ولد أيام ولادته للنجاشي ولد، فسماه عبد الله تيمنا وتبركا، وأمر أن يرضع ولده من لبن عبد الله بن جعفر.

تزوج عبد الله بن جعفر أم كلثوم الصغرى (السيدة زينب)، فولدت له أم كلثوم، خطبها يزيد بن معاوية فلم يزوج؛ وولدت له ولدين استشهدا يوم الطف بين يدي الحسين الشهيد (عليه السلام) والظاهر أن المزار المعروف قرب كربلاء لعون ومحمد

هو لابنا عبد الله بن جعفر من زينب (عليها السلام).
على أي حال بقي جعفر في الحبشة مع أسماء وأبنائه إلى السنة السابعة للهجرة، وقدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قلاع خيبر مع جماعة من الأشعرين والمهاجرين، وكان جعفر يحمل هدايا النجاشي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيها حلة وغاليات

ثمينة وبلغ سلام النجاشي، وكان فيها قطيفة من ذهب - وفي رواية البحار - فإن فيها ثلاثة آلاف مثقال من الذهب - وفي رواية - ألف مثقال. فأهداها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فقسمها بين فقراء المدينة ولم يبق لنفسه شيء منها (٢). (٣).

ولما قدم جعفر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما أدري بأيهما أنا أسر

(١) مطالب السؤول ٩، المقدمة.

(٢) راجع البحار ٣٧ / ١٠٥ ح ٨.

(٣) روى السيد ابن طاووس هذا الحديث مفصلا في سعد السعود ولعلنا نذكره في الخصائص الآتية. (من المتن).

بفتح خبير أو بقدوم جعفر» (١) ثم نظر إلى جعفر وبكى، وقال له «ألا أمنحك؟ ألا أعطيك؟ ألا أحبك؟» فقال بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فعلمه الصلاة المعروفة

وفضلها معروف مذكور في الرسائل العملية والأخبار النبوية، والعاقبة أن جعفر استشهد في البلقاء في أقصى أرض يثرب والحجاز على حدود الشام في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، ووجد في جسده تسعون جراحة.

وأخبر جبرئيل النبي في المدينة بمقتل جعفر، فبكى (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعى لذريته

فقال: «اللهم إن جعفر قدم إليك، فأخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك» (٢) وبشر أسماء بنت عميس أن الله أعطى جعفرا جناحين يطير بهما في الجنة، ثم أمر سلمى أن تصنع طعاما شهيا من الشعير والزيت والفلفل، وتطعم أيتام جعفر، وكان يصحبهم معه أينما ذهب ثلاثة أيام يدور بهم على نسائه (٣). وكان جعفر أشبه الناس برسول الله خلقا وخلقا، وكان يكنى «أبو المساكين» لأنه يحبهم ويطعمهم (٤).

الدقيقة الثانية

استشهد جعفر فأخلف على أسماء بنت عميس أبو بكر بن أبي قحافة، فولدت له محمدا، ومحمد بن أبي بكر يعز له النظير في جلاله القدر ورفعته الشان

(١) البحار ٢١ / ٢٥ ح ٢٢ باب ٢٢.

(٢) البحار ٢١ / ٥٦ ح ٨.

(٣) انظر البحار ٢١ / ٥٥ ح ٨ باب ٢٤.

(٤) البحار ٢٢ / ٢٧٥ ح ٥.

وعلو المقام وصلابة الإيمان والثبات والاستقامة على ولاية أمير المؤمنين، حتى استشهد في مصر بإيعاز من معاوية، فقتل قتلة شنيعة، فلما سمع أمير المؤمنين (عليه السلام)

خبر شهادته قال: قصم ظهري شهادته، ثم تكلم كلاما مفجعا ترتعد له الفرائص، وترتجف له العظام (١).

وكان أبو بكر قد خطب أسماء في الإسلام وعنده حبيبة بنت حارثة بن زيد الأنصاري - وكانت حاملة بأم مكتوم عند وفاته - فلما توفي أبو بكر في الثاني والعشرين من جمادى الثانية، أوصى إلى أسماء بنت عميس أن تغسله كما رواه الطبري (٢) فقبلت أسماء الوصية - ولا مناص لها عن القبول - وتحملت عناء التنفيذ، وهذه الوصية إنما تدل على طهارة أسماء بنت عميس رضي الله عنها وتقواها وكمال إيمانها وتدينها؛ لأنه أوصى لها وله ثلاث زوجات غيرها، هن: أسماء بنت عبد العزى وله منها عبد الله، وأسماء ذات النطاقين، وأم رومان بنت عامر بن عمير من بني كنانة، وله منها عبد الرحمن وعائشة وحبيبة أم أم كلثوم التي ذهب البعض إلى أنها هي التي خطبها عمر بن الخطاب ولم يخطب أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السلام).

والعجيب أنه في مدة خلافته القليلة، سنتين وثلاثة أشهر وأيام، كانت أسماء في بيته تغذي ابنها محمد محبة أمير المؤمنين وولايته على مرأى ومسمع من أبي بكر، فخرج من بيته من جبلوا على محبة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فكأن أسماء كانت هي

أشرف الأبوين لمحمد بن أبي بكر، حيث أوصته دائما بولاية آل طه وأهل بيت

(١) انظر البحار ٣٣ / ٥٦٢ ح ٧٢٢ باب ٣٠.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣ / ٤٢١ أحداث سنة ١٣ قال: إن أسماء بنت عميس قالت: قال لي أبو بكر: غسليني

قلت: لا أطيق ذلك قال: يعينك عبد الرحمن بن أبي بكر يصب الماء.

النبوة (عليهم السلام)، فشب على ذلك ولم يحد عنهم، بل بقي ثابتا راسخا. ومن غرائب الوقائع وعجائب الدهر أن تكون تلك المخدرة المكرمة في حبال أبي بكر وتشهد عليه وترد قوله في قصة فدك، وتشهد على رؤوس الأشهاد خلافا لهوى زوجها وهوى الآخرين، وتقول لهم: «إنكم ظلمة جائرون غصبتم حق من له الحق، فأعيدوه إلى نصابه».

ولما أرادوا قتل أمير المؤمنين وأمروا خالد بن الوليد بتنفيذ ذلك في الصلاة، بعثت جاريتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقالت له: (إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك

فأخرج إني لك من الناصحين) (١) فقال أمير المؤمنين للجارية: قولي لها: «إن الله يحول بينهم وبين ما يريدون»؛ أو أنه قال: «فمن يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وإن الله بالغ أمره».

فندم أبو بكر - وهو في الصلاة - على ما اتفق عليه مع خالد، وخاف من سيوف بني هاشم المسلولة ونفوسهم الأبية، فقال قبل تسليم الصلاة: «أي خالد لا تفعل ما أمرتك» ثم سلم (٢) ... إلى آخر الخبر.

وهنا كلام بين الشيعة والسنة في جواز الخروج من الصلاة بدون سلام، حيث ذهب بعض فقهاء المذاهب الأربعة إلى جواز ذلك، استنادا إلى عمل أبي بكر خلافا للنص وعدولا عن الحق ورغما للدين وقياسا للشيطان وطلباً لما لا يرضاه الرحمن، وسيأتي في باب غضب فدك استعراض هذه الأقوال الواهية لذي الأغراض والأهواء، وبيان الدليل والبرهان على أحقية دعوى الشيعة. ومر شيء منها في الحديث عن أم أيمن.

(١) القصص: ٢٠.

(٢) انظر البحار ٢٨ / ٣٠٥ ح ٤٨ باب ٤.

الدقيقة الثالثة

لا كلام في أن أخبارا عديدة صرحت بأن أسماء بنت عميس لم تكن في المدينة يوم زفاف فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ووردت أخبار في بحار الأنوار في باب

تزويج الصديقة الطاهرة وذكر فيها اسم أسماء بنت عميس، في حين أن المحدثين والعلماء المؤرخين اتفقوا على خلاف ذلك، حيث أن أسماء كانت آنذاك في الحبشة ولم تعد إلا في السنة السابعة للهجرة.

قال المرحوم المجلسي: وذكر أسماء بنت عميس في هذا الحديث غير صحيح، لأن أسماء هذه امرأة جعفر بن أبي طالب تزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمدا، فلما مات تزوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وإن أسماء التي حضرت في عرس فاطمة

إنما هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري، وأسماء مع زوجها جعفر بالحبشة قدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع، وكان زواج فاطمة بعد وقعة بدر بأيام يسيرة، فصح بهذا أن أسماء المذكورة في هذا الحديث إنما هي أسماء بنت يزيد ولها أحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

بناء على ذلك يكون ثمة اشتباه بين أسماء بنت عميس وأسماء بنت يزيد، والمقصودة هي بنت يزيد بن السكن الأنصاري، وأحتمل أن تكون المذكورة على لسان الإمام «بنت عميس الخثعمية» ومراده سلمى لا أسماء، باعتبار تساويهما من جهة النسب، وكون سلمى تالي أسماء في المنزلة والمقام، وهي زوجة حمزة سيد الشهداء، وهي لا تقل عن أختها في الإخلاص والولاء، فلما ذكر الإمام «بنت عميس الخثعمية» عرفت باسم أختها، وقد ورد في عدة أخبار التصريح باسم «سلمى» كما مر.

وقد يقال: إن أسماء حضرت الزفاف وعادت إلى الحبشة، والتعويل على الخبر المعتبر.

وقال المرحوم علي بن عيسى في كشف الغمة: «والتى شهدت الزفاف سلمى بنت عميس أختها، وهي زوجة حمزة بن عبد المطلب، ونقل الأخبار عنها وكانت أسماء أشهر من أختها عند الرواة فرووا عنها، أو سها راو واحد فتبعوه» (١). أما عند الوفاة فقد حضرت الأختان بالإتفاق، وروي عن كل واحدة منهما أخبار، منها قصة تصوير النعش «وهي أول من اتخذت نعشا» ويأتي تفصيله في خصيصة الوفاة.

فلما توفي أبو بكر انتقلت أسماء بكامل الخلوص والوفاء والصفاء إلى حجرة سيد الأولياء، وسعدت بشرف الدخول في عداد زوجات سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). قال سبط ابن الجوزي في تذكرته: إن أمير المؤمنين تزوج أسماء بعد أم البنين، فأولدها يحيى وعون، وتزوج بعدها الصهباء بنت ربيعة من بني وائل، وتزوج بعدها أمامة بنت العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

وإن الفقير لا يرى صحة العبارة الأخيرة؛ لأنني قرأت في عوالم العلوم أن الإمام (عليه السلام) تزوج أمامة بعد تسع ليال من وفاة الصديقة الطاهرة، بناء على وصيتها (عليها السلام)، وأمامة هي التي خطبها معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) فامتنعت، وكان الإمام (عليه السلام) قد أوصى إليها أن لا تتزوج بعده بمعاوية وتختار من تشاء.

(١) كشف الغمة ١ / ٣٦٧ في تزويجه فاطمة (عليها السلام).
(٢) انظر تذكرة الخواص ٥٧ الباب الثالث في ذكر أولاده (عليه السلام).

وعد الشيخ المفيد (رحمه الله) محمد الأوسط من أولاد أمير المؤمنين من أمانة بنت أبي العاص بن الربيع (١).

وتعجب ابن عبد البر في الإستيعاب في أصول الأصحاب من قول ابن الكلبي النسابة حين قال «عون بن علي من أسماء بنت عميس» (٢). وذلك لأن جماعة من النسابين حصروا مواليد أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسماء بابنه يحيى فقط،

«ولكن الأعجب من ذلك قوله أن أسماء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب وولدت له

بنتا اسمها أمة الله أو أمانة؟! والسلام.

[أما فضة الخادمة]

فهي من خادمت وموليات هذه الأسرة الرفيعة الدرجات العالية المقامات، قضت عمرا في خدمة الخمسة الطيبة، وكانت دائبة في خدمتها، لم تغفل لحظة عن القيام بواجبها، مقدمة رضاهم على رضاها، ساهرة على تطيب خاطرهم وتنفيذ مرادهم، مهتمة غاية الاهتمام بالعبادة وإطاعة الرب المتعال، مستقيمة على امتثال أوامر سيدة العصمة وأميرة العفة: الصديقة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها، متميزة عن أقرانها وأترابها بالحلم والصبر والتحمل والثبات في البلايا والشكر والخلوص، حتى مدحها الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد في سورة «هل أتى»، فغمرتها الألفاظ الإلهية والإفضال الرحمانية، وحشرت مع

(١) انظر البحار ٤٢ / ٩١ ج ٢٠ باب ١٢٠ عن المناقب عن الإرشاد للمفيد.

(٢) الإستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٢٣٥ قال: «... وزعم ابن الكلبي أن عون بن علي بن أبي طالب أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولم يقل هذا أحد غيره فيما علمت...».

علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسين (عليهم السلام)، فنزعت عنها ذمائم النفس الدنية والرذائل الأخلاقية باتباع السيدة المطهرة المصطفوية، وتحلت بمكارم الأخلاق النبوية، و (لكم في رسول الله أسوة حسنة) (١) فدرجت في مراقبي الفخر في خدمة الحضرة النبوية، فما تعدت قط حدود الطاعات، وما تهاونت أبدا في الخيرات.

وبداية قصة هذه الجارية المباركة هي ما رواه محمد بن شهر آشوب المازندراني - طاب قبره وطهر رسمه - نقلا عن الصحيحين وكتاب أبي بكر الشيرازي قال:

وفي الصحيحين أن عليا (عليه السلام) قال: اشتكي مما أندأ بالقرب فقالت فاطمة (عليها السلام): والله إني أشتكي يدي مما أطحن بالرحى، وكان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أسارى، فأمرها أن تطلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خادما، فدخلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلمت عليه ورجعت، فقال أمير المؤمنين: مالك؟ قالت: والله ما استطعت أن أكلم رسول الله من هيبته، فانطلق علي معها إلى النبي، فقال لهما: جاءت بكما حاجة؟ فقال علي مجاراتهما (٢) فقال: لا ولكني أبيعهم وأنفق أثمانهم على أهل الصفة وعلمهما تسبيح الزهراء (عليها السلام) (٣) وسيأتي الكلام عنها في خصيصة أخرى. وفي رواية أخرى: أنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: «يا فاطمة! والذي بعثني بالحق، إن في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) المجازاة: المذاكرة والمناظرة في الحديث ومرجع الضمير أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين (عليهما السلام).

(٣) المناقب ٣ / ٣٨٩ «فصل في سيرتها (عليها السلام)».

ولا ثياب، ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت، يا فاطمة إني لا أريد أن
ينفك عنك أجرك إلى الجارية (١) وإني أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب يوم
القيامة بين يدي الله عز وجل إذا طلب حقه منك، ثم علمها صلاة التسبيح.
فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مضيت تريدان من رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) الدنيا،

فأعطانا الله ثواب الآخرة» (٢).

وفي رواية: فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عند فاطمة أنزل الله
على رسوله

(إما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة

(ابتغاء) يعني طلب (رحمة من ربك) يعني رزقا من ربك (ترجوها فقل لهم

قولا ميسورا) يعني قولا حسنا، فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) جارية

إليها للخدمة سماها «فضة» (٣).

ففهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من القول الميسور الرخصة في استرضاء فاطمة

(عليها السلام)، بل

يكون ابتغاء رضوان الله ورجاء رحمته في قضاء حاجة الصديقة الكبرى.

وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى فاطمة يوما وعليها كساء من أجلة

الإبل، وهي

تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله فقال: يا بنتاه! تعجلي مرارة

الدنيا بحلاوة الآخرة فقالت: يا رسول الله! الحمد لله على نعمائه، وأشكره على

(١) والظاهر أن مقصوده (صلى الله عليه وآله وسلم) أن إعطاء الجارية لفاطمة (عليها السلام) يفوت عليها

أجر الإنفاق على أصحاب

الصفة، وفي الإنفاق عليهم أجر خاص، وفي الصبر على الشدائد أجر أكبر. (من المتن)

وقد يكون مراده (صلى الله عليه وآله وسلم) تفويت أجر الخدمة في البيت على فاطمة (عليها السلام) بقرينة

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أن ينفك

عنك أجرك إلى الجارية...» والله العالم.

(٢) البحار ٤٣ / ٨٥ ح ٨ باب ٤.

(٣) المناقب ٣ / ٣٩٠ «في سيرتها (عليها السلام)».

آلائه، فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (١) ثم أرسل إليها بعد مدة فضة الجارية الخادمة المشهورة لتخدمها (٢)... الخبر.

والحديثان وإن كانا في فضل فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلا أن فيها نصيب لبيان فضل فضة الخادمة أيضا من حيث إدخال السرور على السيدة فاطمة (عليها السلام) بإنفاذها

إليها وعلى علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، من حيث أنه رأى البضعة النبوية في راحة من

شدة العناء بقدم فضة الخادمة، سيما وإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي نحلها هذا الاسم

«فضة»، وصارت سببا لنزول آيتين مباركتين استرضاء لخاطر فاطمة الزهراء (عليها السلام).

وسأتي في حديث ورقة بن عبد الله وصفه لها أنها «سمراء ومليحة الوجه وعذبة اللسان وفصيحة البيان» (٣)، وأنها شاركت فاطمة (عليها السلام) في جميع النوائب

والمصائب، وبذلت همتها واستبسلت في الدفاع عن تلك النفس المقدسة وحفظها وحمائتها، وكم بذلت من جهد وجاهدت في سبيل الحيلولة دون إحراق باب الولي كما ذكر المتجاوز المتعدي نفسه:

«.. فأتيت دار علي لإخراجه منها، فخرجت فضة وحاججتي... فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه، وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت:.. آه يا فضة إليك فخذيني، فقد قتل - والله - ما في أحشائي من حمل، وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار

..(٤)

الخبر.

(١) الضحى: ٥.

(٢) المناقب ٣ / ٣٩٠ «في سيرتها (عليها السلام)».

(٣) العوالم ١١ / ٧٩١.

(٤) العوالم ١١ / ٦٠٦.

وكانت فضة جارية مملوكة لفاطمة الزهراء خاصة وبعد وفاتها (عليها السلام) بقيت في خدمة آل طه.

ويبدو من الحديث الشريف المروي في «عوامل العلوم» عن المناقب عن الجاحظ، عن النظام في كتاب الفتيا، عن عمر بن داود أن فضة تزوجت مرتين بأمر أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ قال: عن الصادق (عليه السلام) قال: كان لفاطمة جارية يقال لها

«فضة» فصارت من بعدها لعلي (عليه السلام) فزوجها من أبي ثعلبة الحبشي فأولدها ابنا، ثم

مات عنها أبو ثعلبة، وتزوجها من بعده أبو مليك الغطفاني، ثم توفي ابنها من أبي ثعلبة فامتنعت من أبي مليك أن يقربها، فاشتكاها إلى عمر، وذلك في أيامه، فقال لها عمر: ما يشتكي منك أبو مليك يا فضة؟! فقالت: أنت تحكم في ذلك وما يخفى عليك. قال عمر: ما أجد لك رخصة. قالت: يا أبا حفص ذهب بك المذاهب، إن ابني من غيره مات، فأردت أن استبرئ نفسي بحيضة، فإذا أنا حضت علمت أن ابني مات ولا أخ له، وإن كنت حاملا كان الولد في بطني أخوه، فقال عمر: شعرة من آل أبي طالب أفقه من عدي.

وعلق عليه صاحب العوالم ببيان مفصل، ثم قال: قال ابن حزم من علماء العامة في كتاب المحلى بعد نفي العول جوابا عما أزم عليه من التناقض فيما إذا حلف الميت زوجا وأما وأختين لأم، فللزوج النصف بالقرآن، وللأم الثلث بالقرآن، فلم يبق إلا السدس، فليس للإخوة غيره (إنتهى) ثم قال: ويحتمل أن يكون لها ولد آخر، وإنما احتاطت لئلا يتوهم وجود أخويه فيحجبها عن الثلث إلى السدس، وهذا أيضا مبني على عدم اشتراط وجود الأب في الحجب.. وكل ذلك موافق

للمشهور بينهم، وكل ذلك جار فيما سيأتي [من خبر ابن عباس] (١).
ولكن صورة الخبر لا يفهم من استبراء رحم فضة سوى إرادة تحصيل العلم
بوجود المولود، وهذا الاحتياط متعارف بين النساء ومعمول به عندهن، والله
أعلم.

كما في علل الشرائع «إن الذين يشتررون الإماء، ثم يأتوهن قبل أن يتبرؤهن
فأولئك الزناة بأموالهم» (٢).

وفي البحار أخبار تدل على أن لفضة الخادمة عدة أولاد قد يكونون من
زوج آخر غير مليك، منها:

أبو القاسم القشيري في كتابه قال: انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت
امرأة، فقلت لها: من أنت؟

فقلت: (قل سلام فسوف تعلمون) (٣). فسلمت عليها.

فقلت: ما تصنعين هاهنا؟

قالت: (من يهد الله فما له من مضل) (٤).

فقلت: أمن الجن أنت أمن من الإنس؟

قالت: (يا بني آدم خذوا زينتكم) (٥).

فقلت: من أين أقبلت؟

(١) البحار ٤٠ / ٢٢٧ ج ٧ باب ٩٧ من المناقب.

(٢) علل الشرائع ٢ / ٢١٧ ح ١ باب ٢٦٨ علة استبراء الجواري، عنه البحار ١٠٠ / ١٢٩ ح ١٠ باب
٢٦.

(٣) الزخرف: ٨٩.

(٤) الزمر: ٣٧.

(٥) الأعراف: ٣١.

قالت: (ينادون من مكان بعيد) (١).
فقلت: أين تقصدان؟
قالت: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) (٢).
فقلت: متى انقطعت؟
قالت: (ولقد خلقنا السماوات والأرض في ستة أيام) (٣).
فقلت: أتشتهين طعاماً؟
قالت: (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) (٤). فأطعمتها.
ثم قلت: هرولي ولا تعجلي.
قالت: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (٥).
فقلت: أردفك؟
قالت: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٦). فنزلت فأركبتها، فقالت:
(سبحان الذي سخر لنا هذا) (٧).
فلما أدر كنا القافلة، قلت: ألك أحد فيها؟
قالت: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) (٨)، (وما محمد إلا

(١) فصلت: ٤٤.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) ق: ٣٨.

(٤) الأنبياء: ٨.

(٥) البقرة: ٢٨٦.

(٦) الأنبياء: ٢٢.

(٧) الزخرف: ١٣.

(٨) ص: ٢٦.

رسول) (١)، (يا يحيى خذ الكتاب) (٢)، (يا موسى إني أنا الله) (٣).
فصحت بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟

قالت: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (٤).
فلما أتوها، قالت: (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) (٥). فكافؤني بأشياء.
فقالت: (والله يضاعف من يشاء) (٦).
فزادوا علي، فسألتهم عنها، فقالوا: هذه أمنا فضة جارية الزهراء (عليها السلام)، ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن (٧).
ويشهد لما ذكرنا أيضا حديث المناقب عن مالك بن دينار، قال: رأيت في مودع الحج امرأة ضعيفة على دابة نحيفة والناس ينصحونها لتنكص، فلما توسطنا البادية رأيتها كلت فعذلتها في إتيانها فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: لا في بيتي تركتني ولا إلى بيتك حملتني، فوعزتك وجلالك لو فعل بي هذا غيرك لما شكوته إلا إليك، فإذا شخص أتاها من الفيفاء (٨) وفي يده زمام ناقة فقال لها: اركبي،

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) القصص: ٣٠.

(٤) الكهف: ٤٦.

(٥) القصص: ٢٦.

(٦) البقرة: ٢٦١.

(٧) البحار ٤٣ / ٨٦ ح ٨ باب ٤.

(٨) الفيفاء: الصحراء الواسعة المستوية.

فركبت وسارت الناقة كالبرق الخاطف، فلما بلغت المطاف رأيتها تطوف، فحلفتها من أنت؟ فقالت: أنا شهرة بنت مسكة بنت فضة خادمة الزهراء (عليها السلام) (١). وحكى المرحوم المجلسي سند هذين الخبرين في بحار الأنوار عن نفرين من مشيخة أهل السلوك والعرفان، وهي أفضل من بعض الرواة كثيرًا والرواية من غير ضبط.

وروي: لما جاءت فضة إلى بيت الزهراء (عليها السلام) لم تجد هناك إلا السيف والدرع

والرحى.. وكانت عندها ذخيرة من الأكسير - ولا أدري كيف ادخرتها؟ - فأخذت قطعة من النحاس وألانتها وجعلتها على هيئة سبيكة وألقت عليها الدواء وصنعتها ذهبًا، فلما جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) وضعتها بين يديه، فلما رآها قال: أحسنت يا فضة لكن لو أذبت الجسد لكان الصبغ أعلى والقيمة أغلى، فقالت: يا سيدي تعرف هذا العلم؟ قال: نعم... نحن نعرف أعظم من هذا، ثم أومأ بيده فإذا عنق من ذهب وكنوز الأرض سائرة (٢) (٣)...

ثم ذكر لها أجزاء الأكسير، فتعجبت فضة مما رأته من غناه الذاتي وفقره الصوري فكانت ترى نفسها من هذه الجهة في عالم الكشف والشهود، فتزداد عبودية ما تراه من الفقر والحرمان اللذين يعيشها سلطان ممالك الإمكان، ثم

(١) المناقب ٣ / ٣٨٦ في معجزاتها (عليها السلام).

(٢) البحار ٤١ / ٢٧٣ ج ٢٩ باب ١١٢ عن مشارق أنوار اليقين للبرسي.

(٣) لم أتذكر في هذه العجالة في أي كتاب رأيت هذا الخبر، وبحث عنه في مظانه لحاجتي إليه فلم أعثر عليه،

وعلى ما هو المعلوم أن ما أسجله في هذا الكتاب هو من المقروءات وليس من المسموعات، فلا بأس من الإشارة إلى ما حصلته بالقراءة، ولا يخفى أن هناك من يعرف سند هذا الخبر... (من المتن)

وعظها أمير المؤمنين فذكرها بدناءة الدنيا الدنية وشرح لها شيئا من اعتبارات العقبة الباقية (١).

وروي في كتاب عوالم العلوم عن أمير المؤمنين، أنه سئل عن هذه الصنعة فقال: «هي أخت النبوة وعصمة المروة، والناس يتكلمون فيها بالظاهر، وإني أعلم ظاهرها وباطنها، وهي والله ما هي إلا ماء جامد، وهواء راكد، ونار جائلة، وأرض سائلة».

وسئل: هل كان الكيمياء؟

فقال: الكيمياء كان وكائن وسيكون.

ف قيل: من أي شيء هو؟

فقال: إنه من الزبيق الرجراج والأسرب والزاج والحديد المزعفر وزنجار النحاس الأخضر الحبور ألا توقف على عابرهن.

ف قيل: فهمنا لا يبلغ إلى ذلك.

فقال: اجعلوا الأرض بعضا، واجعلوا البعض ماء، وافلجوا الأرض بالماء.

ف قيل: زدنا يا أمير المؤمنين.

فقال: لا زيادة عليه، فإن الحكماء القدماء ما زادوا عليه كيما يتلاعب به الناس (٢).

الخلاصة: يكفي فضة الخادمة فضلا رفيعا وقدرنا منيعا نسبتها إلى قدوة

(١) وهذا الخبر وإن كان من الآحاد إلا أنني لا أستبعد ذكره في هذه الخصيصة باعتباره أدنى فضيلة من فضائل ذلك العظيم، بل وجدت في ذكره إدخالا للسرور على قلوب العباد، وتهيجا للمحبة والوداد.

(من المتن)

(٢) انظر البحار ٤٠ / ١٦٨ ح ٥٤ باب ٩٣.

السيدات وزبدة نساء العالمين، حيث تسمى خادمة فاطمة (عليها السلام) وجاريتها المخلصة،

إضافة إلى خدمة هؤلاء العظماء والإستفاضة من أقوالهم ورضاهم عنها، وما في ذلك من الأجر غير المجذوذ والفيض غير المنقطع، فكانت النتيجة ما قاله عمر بن الخطاب لفضة في الخبر السابق «شعرة من آل أبي طالب أفقه من عدي» وهذه المعية والإتحاد بآل أبي طاب عن ثمرات التبعية و (من تبعني فإنه مني) (١). ويشهد لفضلها نزول سورة «هل أتى» في شأنها ونزول جبرئيل في ثلاثين آية كريمة في حق أمير المؤمنين وفاطمة والحسين وفضة الخادمة (عليهم السلام)، ولم تستثن

في آية من آياتها، وما ذلك إلا من فوائد وعلامات متابعتها وإخلاصها في مودتها. وقد نزلت الآيات في صبرها على الجوع - حسب الظاهر - لمدة ثلاثة أيام تأسيا بمواليها وإطعامهم الخبز للمسكين واليتيم والأسير، فلم تحرم ثواب هذا الإنفاق، ودخلت في قرى ولي النعم الحقيقي وحماه، وتناولت من طعام الجنة، وجلست الخادمة والمخدومة على مائدة واحدة، وتنعمت بالنعم الأخروية الباقية، وما أكثر العباد الذين تجرعوا الجوع وأطعموا الخبز وألوان الطعام للفقراء ولم يصلوا إلى هذه المنزلة العظمى والموهبة الكبرى.

ولا بأس أن نختم هذه الخصيصة بالحديث الثاني والتسعين في خلق الجنة والنار من كتاب نزهة الأبرار ومنار الأنظار للسيد هاشم البحراني، عن كتاب ثاقب المناقب، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) منزل

عائشة فنأدى: يا فضة ائتني بشيء من ماء نتوضأ به، فلم يجبه أحد، ونأدى ثلاثاً فلم يجبه أحد، فولى عن الباب يريد منزل الموفقة السعيدة الحوراء الإنسانية

(١) إبراهيم: ٣٦.

فاطمة (عليها السلام)، فإذا هو بهاتف يهتف ويقول: يا أبا الحسن دونك الماء فتوضأ به، فإذا

هو بإبريق من ذهب مملوء ماء عن يمينه، فتوضأ ثم عاد الإبريق إلى مكانه، فلما نظر إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا علي! ما هذا الماء الذي أراه يقطر كأنه الجمان؟ قال:

بأبي أنت وأمي أتيت منزل عائشة فدعوت فضة تأتينا بماء للوضوء ثلاثا فلم يجبني أحد، فوليت فإذا أنا بهاتف يهتف وهو يقول: يا علي دونك الماء، فالتفت فإذا أنا بإبريق من ذهب مملوء ماء. فقال: يا علي تدري من الهاتف؟ ومن أين كان الإبريق؟ فقلت: الله ورسوله أعلم فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أما الهاتف فحبيبي جبرئيل (عليه السلام)،

وأما الإبريق فمن الجنة، وأما الماء فثلث من المشرق وثلث من المغرب وثلث من الجنة، فهبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا رسول الله يقرءك السلام ويقول لك: اقرأ عليا

السلام مني وقل: إن فضة كانت حائضا. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): منه السلام وإليه يرد

السلام وإليه يعود طيب الكلام، ثم التفت إلى علي (عليه السلام) فقال: حبيبي علي، هذا

جبرئيل أتانا من عند رب العالمين وهو يقرءك السلام، ويقول: إن فضة كانت حائضا، فقال علي (عليه السلام): «اللهم بارك لنا في فضتنا» (١). تم الخبر. أولا: إتيان أمير المؤمنين إلى منزل عائشة لإظهار هذه الكرامة عندها إتماما للحجة وإيضاحا للمحبة.

ثانيا: سماع أمير المؤمنين صوت جبرئيل الأمين فضيلة من أشرف الفضائل، حيث يؤمر أفضل الملائكة بالقيام بهذه الخدمة.

ثالثا: نزول الإبريق الذهبي وهو غير الأباريق الذهبية الدنيوية، وهي فضيلة خاصة أن يوضع الإبريق عن يمينه وينزل من دار الحيوان ودار البقاء. ولا

(١) الثاقب في المناقب ٢٨٠ ح ٢٤٣ الفصل التاسع.

شك أن دار القرار أصفى من هذا العالم، وظروفه وأباريقه تتناسب معه، فإذا أنزلت إلى هذا العالم وظروفه وأباريقه تتناسب معه، فإذا أنزلت إلى هذا العالم الجزئي كسيت بكسوة هذا العالم فسميت آنية من ذهب للتعبير عن اللون والصفاء، والتسمية بالذهب ملحوظة بالنسبة إلينا وإلى عالم الملك، وإلا فإن ذاك العالم يعيد عن تسمياتنا نحن بني النوع الإنساني.

رابعاً: تبين من هذا الحديث أن فضة الخادمة كانت صاحبة مطهرة أمير المؤمنين كما كانت سلمى صاحبة مطهرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي هذا الحديث

أراد الله أن يفهم فضة أن الملائكة تتباهى بالخدمة التي تقوم بها وتتنافس في ذلك. خامساً: الظاهر أن المراد من إتيان بالماء من المشرق والمغرب أثلاثاً مدينتي جابلسا وجابلقا، وهي مدينتان ممدوحتان، وفيهما شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام). وقد

يكون الماء إشارة إلى أن أشرف الأعضاء الرأس، وأشرف ما في الرأس الوجه، فماء الجنة جاء لغسل وجهه المبارك للكرامة، واليد اليمنى أشرف من اليسرى كما أن المشرق أشرف من المغرب، ولذا ذكرت المياه الثالثة حسب اختلاف المواضع الثلاثة. والموضعان الممسوحان متفرعان عن المواضع المغسولة؛ ولأن العلويات مخازن ومعادن للفيوضات علماء السفليات، فقد أراد رب العالمين أن يفيض على وليه الأكرم ما يناسب ربوبيته.

وروى نظير هذا الحديث في وضوء أمير المؤمنين وسيد الأولياء ونزول السطل والسلسبيل، والعلم عند الله.

سادساً: إخبار رسول الله وإبلاغ سلام جبرئيل له عن العلي الأعلى، وتقاطر ماء الجنة من وجه سلطان عالم الإمكان رحمة أظهرت حقيقة تلك الرحمة، وصارت واسطة في الإبلاغ.

سابعاً: امتناع فضة عن الإتيان بالماء للإمام علي (عليه السلام) دليل على كمال طهارتها وتقواها، حيث أن حمل المطهرة جائز للحائض - وقد يحمل على الكراهة - بل أن حسن أدبها واحتياطها في دينها المتين صار سبباً لظهور كرامة باهرة من كرامات أمير المؤمنين، ومن المعلوم أن أمير المؤمنين لم يكلف بالعمل وفق علمه الباطني، ولو فعل لما تحققت هذه الكرامة، ولما نال هذا الشرف ظاهراً.

فنداه لفضة الخادمة لتأتي بالماء كان بحسب توجهه إلى عالم الكثرة ليحفظ انتظام العالم (أنا بشر مثلكم)، فلما صرف النظر عن عالم الصورة والكثرة وتوجه إلى عالم الباطن والأحكام والوحدة، وجد جبرئيل عنده قد جاء بالماء واستفاض حسب استحقاقه الشخصي والذاتي عن الفياض على الإطلاق. فمجئ جبرئيل إنما هو ترقى النفس القدسية العلوية، وتبديل العين البصرية برؤية البصيرة، والمحو في تجلي الحق والجلال الكبريائي، والاستغراق في الألفاظ اللامتناهية الإلهية. فأمر المؤمنين لم يكن مكلفاً بالعمل بالعلم الباطن من كونه يعلم أن فضة لم تكن على حال الطهارة، وأنها ستمتنع إذا ناداها أمير المؤمنين لكراهة في ذلك. وكذا الحال في غيره ممن لم يكلفوا بالعمل بالعلم الباطن، بل أمروا بالعمل بظاهر التكليف، وكذا الحال في قصة الشيطان وأمره بالسجود لآدم، مع أن الله يعلم أن الشيطان لا يطيع، ولكنه أمره؛ ونظيره قول أمير المؤمنين للسائل الذي سأله عن حربه مع معاوية مع تلك القدرات المتوفرة لديه، فقال: نحن (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون).

أقول: كان موسى مأموراً بموافقة الخضر، فلماذا فتح عليه باب الاعتراض حينما رأى منه عملاً خلافاً للظاهر؟

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم بالفتن والمحن التي ستحدث بعده، ولكنه لم

يتعرض إليها بعلمه الباطني .
أجل؛ قد تظهر عن قطب الزمان وإمام العصر بعض العلوم الباطنة ليعلم
الآخرون أنه منطوق على هذه العلوم، أو ليعلم موسى (عليه السلام) أنه يوجد في العالم
غيره
مأمور بالعلم الباطن وليس هو الوحيد، وهذا لا يدل على أن موسى (عليه السلام) لم
يكن
عالما بالعلم الباطن.

فمنذ بدو الإيجاد والتكليف كان المدار والمناط على العلم بالأحكام الظاهرية
والإغماض عن العلوم الباطنية التي تبدو خلاف الظاهر في كل شريعة، وكذا كان
علم الأئمة الطاهرين بالسموم المهلكة التي تناولوها ومعرفتهم بالقاتل، فهم
يعلمون بالعلم الباطن، إلا أنهم (وهم بأمره يعملون)، فتلك الواردات كانت
بحسب اختلاف الحالات.

ثامنا: دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) لفضة الخادمة جزاء لأدبها وخدمتها، حيث
رؤي لفضة الخادمة بركات كثيرة وفوائد وفيرة من العلم والمال والولد. وقوله
«اللهم بارك» دعاء بالزيادة مطلقا، أو طلب الزيادة في مورد خاص؛ كما دعا
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفرس هزيلة كانت عند جعيل بن إسحاق فأشار
إليها بالسوط

وقال: «اللهم بارك له فيها». فربح منها في مدة وجيزة اثني عشر ألف درهم (١)،
ونظائر ذلك كثير في معجزات النبي والأئمة الأطهار ومناقبهم، وهي لا تعد ولا
تحصى.

(١) البحار ٦١ / ١٨٥ ح ٤٠ باب ٧ قال: وروى النسائي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي الجعد أخي
سالم بن أبي الجعد عن جعيل الأشجعي، قال: خرجت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض غزواته
وأنا على فرس
عجفاء، فكنت في آخر الناس، فلحقني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: سر يا صاحب الفرس، فقلت:
يا رسول الله!
إنها فرس عجفاء ضعيفة، فرفع (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنخصرة كانت معه فضربها بها وقال: اللهم بارك
له فيها. فلقد
رأيتني ما أملك رأسها حتى صرت قدام القوم، ولقد بعثت من بطنها باثني عشر ألفا.

تاسعا: إضافة فضة الخادمة لهم ونسبتها إليهم في قوله (عليه السلام): «فضتنا» من أعلى الشرائف وأفضل الفضائل، كما قال في حق سلمان «سلمان منا أهل البيت»، وإنما ينسبون أحدا إليهم ويتباهون به من جهة إيمانه وإيقانه وطهارة نفسه وتقواه، وبهذا استحققت فضة الخادمة دعاء مولاها للقابلية التي كانت فيها، فحسبت في هذه الأسرة ودخلت في عدادهم، وهذه هي عاقبة اتباع آل العصمة، لأنها جاءت إذا جاعوا، وعطشت إذا عطشوا، وسهرت إذا سهروا، وصامت إذا صاموا، وأفطرت إذا أفطروا، وأنفقت على المسكين واليتيم والأسير إذا أنفقوا، ورضيت بالشدة إذ كانوا فيها، وبالراحة إذا ارتاحوا، تماما كالغلام الذي اشتراه موله فقال له: ماذا تأكل؟ فقال: ما تطعمني، فقال: ماذا تريد؟ قال: كل ما أردت، فقال: أين تنام؟ قال: حيثما أجزتني، قال: فما تلبس؟ قال: ما ألبستني؛ يعني لا رأي ولا إرادة له في جنب رضا موله، بل يرى نفسه فانيا، وهذا هو معنى التسليم والرضا. قال علي بن الحسين (عليهما السلام): «ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مني نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك ابتغائي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي، وقربك غاية مسألتي، وفي مناجاتك روعي وراحتي، وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي، فلا تقطعني عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي» (١).

چون مقسم اوست كفر آمد گله * صبر كن الصبر مفتاح الصلّه
اشترم من تا توانم می کشم * چون فتادم زار با کشتن خوشم (٢)

(١) البحار ٩١ / ١٤٨ ح ٢١ باب ٣٢ (المناجاة الثامنة، مناجاة المريدين).
(٢) يقول: لما كان الله هو المقسم، صار الاعتراض كفرا، فاصبر فالصبر مفتاح الصلّة والإنعام. فأنا كالبعير أحمل ما حملوني، فإن سقطت عاجزا رضيت أن أذبح (فيطعموا لحمي).

الخصيصة الثالثة والعشرون
من الخصائص الخمسين قبل الوفاة
اقتضت الحكمة الإلهية الكاملة منذ اليوم الأول تفضيل الرجال على النساء،
وجعل فضلهم عليهن «كفضل السماء على الأرض، وكفضل الماء على الأرض؛
وبالرجال تحيي النساء، ولولا الرجال ما خلقت النساء» (١) كما في الأخبار المروية
عن الأئمة البررة؛ وعله التفضيل هو إنفاق الأموال وكمال الإيمان والعقل والإرث
وأسباب أخرى مر ذكرها وسيأتي.

فالمرأة أدون من الرجال بعدة جهات، ولا يجوز تفويض أمر المعاش والمعاد
لها بحكم العقل والنقل، وطاعتها منهي عنها على أي حال، وائتمان النساء وإسناد
الأمر إليهن وتسليطهن على الأموال يوجب الندم والخسران عاقبة، بل الرجال
هم المسؤولون عن أفعال نسائهم يوم القيامة كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا
قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) (٢) أي أن على الرجل أن
يبادر إلى التأديب والإصلاح وتعاهد أهل بيته؛ فيعلم المرأة أمورها الدينية

(١) علل الشرائع ٢ / ٢٢٧ باب ٢٨٦ ح ١.
(٢) التحريم: ٦.

والأحكام التكاليفية بالمقدار المفروض، ويدلها على الحسن والقبح والغث والسمين في الأحوال والأفعال، ويمنعها - بالتالي هي أحسن - عما ينبغي منعها عنه، حيث إنها إذا فسدت صارت سببا لمرارة العيش ونكد الحياة، وأوجبت اختلال الأعمال الدنيوية والأخروية، مع الأخذ بنظر الاعتبار قوله تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (١) وغيرها من الآيات الكريمة التي أكدت على التعطف والتلطف بهن، مع التحرز عن الإهمال والإغفال عما يهمنهن.

فالمراة المتزوجة لابد أن تكون مطيعة وهينة تتحلى بالخصائص وتنصل عن النقائص، وعلى الزوج رعايتها وإعانتها على ذلك ليحفظها ويحميها بعقله الرجولي ولا يكلها إلى عقلها الأنوثي، وبذلك يحني الكثير من الثمار من هذه المزرعة، ويحصل على المنافع الوفيرة من هذا الحرث، قال تعالى: (نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) (٢) وقال تعالى مخاطبا عباده ممتنا عليهم كمال المنة: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) (٣).

رأيت في كتاب فقهي أنه قال: إنما سمي الطلاق الخلعي بالخلع لأن المراة بمنزلة اللباس، كما قال تعالى: (هن لباس لكم) (٤) فإذا أراد الرجل خلع عنه هذا اللباس، لئلا يكون هذا اللباس نكالا ووبالا عليه لأنه لا يستطيع نزعها. أجل، قال تعالى: (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) النساء: ١٩.

(٣) النحل: ٧٢.

(٤) البقرة: ١٨٧.

المضاجع واضربوهن فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا (١).
ولو انعكس الأمر وأعرض الرجل عن المرأة، فقد قال تعالى: (إن امرأة
خافت من بعلمها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح
خير) (٢) وكم أوصى القرآن الكريم وأكد على الزواج والنكاح وحفظ حدوده
وجزئياته في سورة النساء وغيرها من السور، باعتباره أمراً مهماً وأصلاً لبقاء
النوع، فحرض على أداء الواجبات واجتناب المنهيات التي نهى عنها الشرع
المطهر.

وفي كتاب معاني الأخبار:

واعلم أن النساء خلقن شتى * فمنهن الغنيمة والغرام

ومنهن الهلال إذا تجلى * لصاحبه ومنهن الظلام

فمن يظفر بصالحهن يسعد * ومن يغبن فليس له انتقام (٣)

ولا يخفى (٤) أن قوام وجود بني آدم ومبنى العالم قائم على التمدن، فلا بد لكل
بصير واع من معرفة الضروريات الستة ولوازم الحياة والمقتضيات البشرية ليمشي
على بينة وبصيرة من أمره؛ فلا تختل أحواله، ولا تضطرب فعاله، ويعرف الغاية
من وجوده، والمطلوب منه في حياته، فيسير مع الجميع ولا يتأخر عن القافلة.

(١) النساء: ٣٤.

(٢) النساء: ١٢٨.

(٣) معاني الأخبار ٣١٧ ح ١ باب معنى الغنيمة والغرام والودود...، الكافي ٥ / ٣٢٤، البحار ١٠٠ /
٢٣٢

ح ١١ باب ٣.

(٤) ألف الشيخ المفيد وجماعة من العلماء القدماء كتبوا في أحكام النساء ضمنوها الأحكام الخاصة بالنساء
وتكاليهن الشرعية من البلوغ إلى الوفاة وما رفع عنهن وما منع عليهن. (من المتن)

ولا يرتفع الاختلال ولا يصلح البال ولا تستمر مسيرة التمدن والحياة إلا بإصلاح النساء وترتيب أمورهن.

وقد خلق الله سبحانه هذه الطائفة سكنا وأنسا للرجال، وأنزل إليهن التعاليم اللازمة من أوامر ونواه في سورة النساء وسورة النور وغيرها من السور، وعد ذلك من آياته تبارك وتعالى، كما قال في كتابه العزيز: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) (١).

وقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٢).

ومعلوم أن الأنس والسكن تحتاج إلى المحبة والوداد ليكون محركا وباعثا للألفة والاستئناس، ويكون منه التوالد والتناسل، ونعم ما قيل:

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها* وعيش بني الدنيا لقاء بناتها

وقد اقتضت حكمة الرب أن يجعل المودة والمحبة منذ اليوم الأول بين هذين الجنسين ليرغب كل جنس في الجنس الآخر ويأنس به، والنساء أنس لأنهن خلقن من طينة الرجل، كما قال تعالى: (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) (٣).

وقال تعالى أيضا: (أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) (٤).

والجنس يميل إلى الجنس ويأنس به كما قيل:

(١) الأعراف: ١٨٩.

(٢) الروم: ٢١.

(٣) النساء: ١.

(٤) الروم: ٢١.

كل شكل بشكله ألف * ما ترى الفيل يألف الفيلا (١)
وفي الوافي عن الحسن بن علي الوشاء، عن الرضا (عليه السلام): «إن من السنة
التزويج بالليل، لأن الله عز وجل جعل الليل سكنا، والنساء إنما هن سكن» (٢).
وفي حديث أبان عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله خلق آدم من الماء
والطين، فهمة ابن آدم في الماء والطين، وخلق حواء من آدم، فهمة النساء في
الرجال، فحصنوهن في البيوت» (٣).
وفي الحديث أيضا أن حواء خلقت من فضل طينة آدم (عليه السلام)، ولذا وجب على
النساء إطاعة الرجال (٤).
وحق الرجال على النساء أفضل من حق النساء على الرجال؛ قال الله
تعالى: (الرجال قوامون على النساء) (٥)، وقال أيضا: (وللرجال عليهن درجة
والله عزيز حكيم) (٦).
وقد ذهبت - أنا الحقير - إلى تضعيف الخبر الذي مر في الحديث عن
حواء (عليها السلام) من أنها خلقت من ضلع آدم الأيسر بناء على حديث «من لا
يحضره
الفقيه» و «علل الشرائع» للصدوق، وأشار إليه هنا أيضا، وفيه تعجب الإمام (عليه
السلام)
وقال: «أما كان الله قادرا أن يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه لئلا يقال أن آدم

(١) روضة الواعظين ١ / ١١٦.

(٢) الكافي ٥ / ٣٦٦ ح ١، التهذيب ٧ / ٤١٨ ح ٤٧ باب ٣٦.

(٣) الكافي ٥ / ٣٣٧ ح ٤.

(٤) انظر البحار ٩ / ٣٠٦ ح ٨ باب ٢.

(٥) النساء: ٣٤.

(٦) البقرة: ٢٢٨.

ينكح في ضلع من أضلاعه؟! ثم قال: ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم»، ثم قال: «فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعا للرجل». ولكن الشيخ الصدوق قال في الفقيه «والخبر الذي روي أنها خلقت من ضلع آدم الأيسر صحيح» ولذا نقصت أضلاع الرجال (١).
وللمرحوم المحدث الفاضل الفيض في تفسير الصافي في ذيل هذه الآية كلام لطيف في معنى اليمين والشمال والطينة والضلع الأيسر وعلة نقصان أضلاع الرجال، ثم قال في آخر الكلام: «وأسرار الله لا ينالها إلا أهل السر، فالتكذيب في كلام المعصومين إنما يرجع إلى ما فهمه العامة من حمله على الظاهر دون أصل الحديث» (٢).
أقول: إذا وردت أخبار عديدة متعاضدة في مورد ما، ولم يكن لها معارض، فحملها على خلاف الظاهر يبدو بعيدا عن طريق السداد والصواب، والحق ما أشار إليه الصدوق طاب ثراه.
واعلم؛ أن لفظ الرجال استعمل في الأصل حسب اللغة في القوة والقدرة؛ يقال: رجل رجيل، وفرس رجيل، أي قوي المشي، ورجال ورجالات جمع رجل، ويقابله رجلة كمرء ومرأة، ويقال: رجل بين الرجلة يعني بين القوة، كذا في الصحاح والصرح (٣).
وهذه القوة مودعة في الاستعداد الذاتي للرجال منذ اليوم الأول، حيث

(١) فقيه من لا يحضره الفقيه ٣ / ٣٧٩ ح ٤٣٣٦ باب ٢.
(٢) تفسير الصافي ٢ / ١٧٨ ذيل الآية ١ من سورة النساء.
(٣) انظر لسان العرب ٥ / ٥٨ مادة «رجل».

اقتضت الحكمة أن يكون الرجل أقوى وأقدر من المرأة.
قال حكيم: في الكمالات البشرية عال ودان، والداني في النساء،
ويشار كهن فيه الرجال، والعالي في الرجال فقط (١).

[***]

[كلام في تكوين القلب]

وإذا أردنا التعرض إلى حسن صنع الخالق في تركيب الأعضاء بدن الإنسان
والتناسق بينها لطال بنا الحديث، إلا أننا سنتعرض شيئاً ما إلى القلب وهو سلطان
الأعضاء، ليطلع المؤمن على عظمة خلق الله فيزداد إيمانه.
إعلم؛ أن القلب مركب من لحم وعصب وغضروف وأوردة وشرابين،
ويتشعب منها عدة رباطات تنتشر في أعماق البدن.
والقلب ملفوف بشغاف غير ملاصق له يقيه الصدمات والآفات، ولحمه
صلب قوي للوقاية من التأثير السريع بالآفات، والقلب صنوبري الشكل، وفيه
ثلاثة تجاويف: تجويفان عن اليمين والشمال وتجويف صغير يسميه أهل التشريح
«الدهليز» وهو في الوسط بين التجويفين، وفي التجويف الأيمن دم غليظ يشبه
جوهره، وفي التجويف الأيسر وعاء للبخار اللطيف المدعو بالروح الحيواني
ومعدن للدم الرقيق، وأما التجويف الثالث هو انفراج تتصل به عدة منافذ من
التجويفين الآخرين حيث يختلط فيها الدمان، ويتدفق الدم الصافي من العروق
والأعضاء العالية إلى الشرايين النائية.

(١) انظر لسان العرب ٥ / ٥٨ مادة «رجل».

وللتجويف الأيمن منفذان، وكذلك الأيسر، وأحد المنفذين في التجويف الأيمن يتصل بعدة عروق بالكبد يحصل بها انصباب الدم، والآخر يتصل بالرئة، ويسمى بالوريد الشرياني، وأما منافذ التجويف الأيسر فأحدهما يتصل بالشريان الأعظم الذي تتفرع منه كل شرايين البدن، والآخر ملصق بالرئة حيث تتم عملية نفوذ الهواء من الرئة إلى القلب من خلاله، وفيه أذنان يستقبلان الدم والنسيم ويوصلانهما عبر المنافذ والعروق إلى القلب. وموضع القلب في الجهة اليسرى من الصدر لأنه أعدل، وإنما صار في اليسار ليكون بعيداً عن الحرارة الكبدية؛ لئلا يكون حاران في موضع واحد، فيفسد البدن، وأما الطحال فليس كامل الحرارة وهو أصغر من الكبد. والروح الحيواني المنبعث من القلب هو ذلك البخار اللطيف المتولد من الأخلط الباطنة الحيوانية التي تنبعث من القلب وتصل إلى الدماغ والأعضاء بكامل الحرارة بواسطة العروق، وإليه تنسب الحركة والحس في البدن، فإذا وصل إلى الدماغ خفت حرارته، والبصر والسمع والحواس الظاهرة الأخرى تستمد قوتها منه، وهو بمثابة المصباح المتوقد في الحجرة يملأ نوره الحجرة، وإذا اعترض العضو مانع من قبيل «السدة» وأمثالها تعطل ذلك العضو وأصابه الشلل. ومثل القلب مثل الفتيلة، والروح كالمصباح، والغذاء كالزيت؛ فإذا منع الحيوان عن الأكل تماماً، هلك كما أن المصباح إذا انقطع عنه الزيت انطفأ، وهذا هو الروح الحيواني. أما الروح الإنساني الذي أشارت إليه الآية الكريمة (ونفخت فيه من

روحي) (١) و (يسئلونك عن الروح) (٢) فهو أشرف وأفضل من حيث الحقيقة، وهو من سنخ المجردات وعالم الأمر، والمقصود من الإنسانية وحقيقتها ذلك الروح المدرك والعالم والعقل والعارف والرباني والروحاني، وبه شرف الروح الإنساني على ما دونه، وتعلق الروح الإنساني بالروح الحيواني إنما هو من جهة الجنسية الموجودة بينهما في الجملة من حيث اللطافة، وبواسطة الروح الحيواني تصل فيوضات الروح الرحماني إلى بدن الإنسان، والروح الحيواني لا تعلق له بالبدن بأي وجه من الوجوه وإن كانت موجودة في البدن، وأهل المعرفة يسمونه بالقلب الرحماني؛ فكما يمنح القلب الجسماني الحياة، كذلك لأعضائه كذلك يفيض الروح والقلب الرحماني الحياة المعنوية على القلب الصنوبري.

وفي الحديث «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبه كيف يشاء» (٣).

وأيضاً: «قلب المؤمن عرش الرحمن» (٤).

وأيضاً: «لم يسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن» (٥).

والمراد هو القلب النوراني البعيد عن عالم الحس والعيان، والمنزه عن المفاسد والشرور.

أجل؛ فالقلب الرباني هو العرش الأعظم وبيت الله، وحرام على حرم الله أن

(١) الحجر: ٢٩، ص: ٧٢.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) البحار ٦٧ / ٣٩ ح ١ باب ٤٤.

(٤) البحار ٥٥ / ٣٩ ح ٦١ باب ٤.

(٥) البحار ٥٥ / ٣٩ ح ٦١ باب ٤.

يلج فيه غير الله؛ ولنعم ما قاله «الصائب»:
دل آنچنان كه هست اگر جلوه گر شود* نه اطلس سپهر نگرده قباى أو (١)
وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته «أنا قلب الله» (٢) إشارة إلى هذا
المعنى،

وذلك أن لكل ظهور مركزاً؛ فكما أن حياة هذا البدن المحسوس عن طريق القلب،
والقلب مركز ووسط لمملكة البدن الإنساني، ومنه تفيض الحياة إلى كل جزئياته
وكلياته، فكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) مركز ظهور صفات الله وآياته، وكل
فيض ينزل

من الفيض ينزل بواسطته، كما في الجامعة الكبيرة: «إن ذكر الخير كنتم أوله وفرعه
ومعدنه ومأواه ومنتهاه» (٣).

وفي الحديث: «قال داود: يا رب لكل ملك خزانة، فأين خزائنك؟ قال
جل جلاله: خزينتي أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنة...
فقال: ما اسمها؟ قال: ألا وهي القلب، ألا وهي القلب، ألا وهي القلب» (٤).
[شمائل أمير المؤمنين (عليه السلام)]

وكما كانت أوصاف أمير المؤمنين (عليه السلام) المعنوية أشرف وأتم وأكمل
الأوصاف، فكذلك كانت شمائله الصورية، حيث توافق الصورة والمعنى.
والآن؛ نستطرد في ذكر شيء من شمائله صلوات الله عليه، ولا بد من مقدمة
قبل الدخول في بيان أوصاف أعضائه الشريفة.

(١) إذا تجلى القلب كما هو حق له أن يتجلى، ضاق عليه ارتداء السماء الزرقاء.

(٢) البحار ٢٤ / ١٩٨ ح ٢٥ باب ٥٣.

(٣) البحار ٩٩ / ١٣٢ ح ٤ باب ٨.

(٤) البحار ٦٧ / ٥٩ ح ٣٧ باب ٤٤.

[مقدمة]

إعلم؛ أن في أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ذكرا لعدة أفراد بلغوا في الحسن والجمال الذروة والكمال، حتى لا يتصور لهم مثال في ذهن أحد:
الأول: آدم (عليه السلام): وقد جعل فيه الحق تعالى جلته قدرته كل الحسن والجمال الذي قدره لولد آدم، بل إن حسن يوسف كان إرثا من أبيه آدم، وكان آدم بين الملائكة كالقدر بين النجوم، ولم يكن أحد في حسنه وجماله، وكان آدم (عليه السلام) كالقمر ليلة تمامه.

الثاني: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) الذي قال فيه النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه كان في الليل قمرا، وفي النهار شمسا، وفي الصباح كوكبا».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «رأيت يوسف في السماء الثالثة كالقدر في ليلة تمامه» (١).

وقيل: إن الله قسم الحسن بين يوسف وبقيّة أولاد آدم (عليه السلام)، فكان ليوسف الثلث، وقال آخرون: النصف وللباقي النصف الآخر.

كان إذا نظر إليه المتعطر للجمال ارتوى، وإذا أمعن فيه النظر أسر، وإذا تكلم انبثق من أسنانه نور أضاء الفضاء، وكانت أنفاسه عطرا يفوح، كان لطيف البدن حتى ليرى الطعام يمر في بلعومه، وخير دليل على ذلك حكاية زليخا والنساء اللواتي قطعن أيديهن التي ذكرها القرآن الشريف.

(١) البحار ١٨ / ٣٢٥ ح ٣٤ باب ٣ قال في حديث طويل: «... ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل

فضل حسنه على سائر الخلق كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا أخوك يوسف...».

الثالث: سلطان الأنبياء والموحدين وخاتم النبيين; فعن معاني الأخبار في رواية صحيحة في شمائله الشريفة وخصاله المنيفة - بحذف الإسناد - :
عن الحسن بن علي صلوات الله عليهما، قال: «سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي، وكان وصافا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنا أشتهي أن يصف لي منه شيئاً لعلني أتعلق به، فقال: كان رسول الله فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة (١)، رجل الشعر، إن تفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذ هو وفرة، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ من غير قرن بينهما، [له] عرق يدره الغضب، أقنى العينين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلقة، بادنا متماسكا، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفوؤ، ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط في صلب، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، ييدر من لقيه بالسلام... (٢)

(١) يقول المتخصصون بالشمائل الصورية وأهل القيافة: إن الرأس الصغير علامة قلة العقل كما أن الرأس الكبير دليل على زيادة العقل. (من المتن)
(٢) البحار ١٦ / ١٤٩ ح ٤ باب ٨.

جان فدای آن خط مشکین که گوئیہ مورچہ * پای مشک آلودہ را بر نسترن بگذاشته
(۱)

یوسف ببند کیش کمر بسته بر میان * بودش چنین کہ ملک ملاحۃ از آن اوست (۲)
ویؤید ذلک الحدیث الصحیح «هو أصبح وأنا أملح».
ووصفت أم معبد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لزوجها أکثم بن أبي الحون المکنی
بأبي سعيد -

وكانت قد رأته بين مكة والمدینة عندما هاجر وضيافته - قالت: رأیت رجلا ظاهر
الوضائة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبہ ثجله، ولم یزریه صقله، وسیم قسیم،
في عينیه دعج، وفي أشفاره عطف، وفي صوتہ صحل، وفي عنقه سطح، وفي لحيته
كثائة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أكمل
الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأعلاهم من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر، كأن منطقہ خرزات نظم يتحدرن من ربعة، لا بأس من طول ولا
تقتحمه العيون من قصر... (۳) إلى آخر الخبر.
ووصف أم معبد قريب من وصف هند ابن أبي هالة، وإن كان وصف هند
أبلغ وأبسط.

الرابع: أمير المؤمنين (عليه السلام):

(۱) يقول: روعي فداء ذلك الخط الأسود الذي هو أشبه بأثر تركته أقدام نملة مضمخة بالمسك فوق وردة
«النسترن» البيضاء.
(۲) يقول: تعال يا يوسف وشمر أكمامك للخدمة، لأن ملك الملاحۃ له وليس لك.
(۳) البحار ۱۹ / ۹۹ ح ۵۱ باب ۶.

[أما وجهه الشريف]

أما وجهه الشريف، فعن المناقب: كان وجهه القمر ليلة البدر حسنا، وهو إلى السمرة (١).

وقيل في تحديد معنى الوجه: إن الوجه من الإنسان ما دون منبت الشعر إلى الأذنين والجبين والذقن».

فالصدغ داخل في حد الوجه، ولكن الوارد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في باب الوضوء في بيان حد الوجه أنه قال: «الذي يجب غسله في الوضوء ما دارت عليه الوسطى والإبهام من قصاص شعر الرأس إلى الذقن، وما جرت عليه الإصبعان مستديرا فهو الوجه، والصدغ ليس من الوجه» (٢).

وقد ذكر أهل التفسير عدة معاني للوجه:

منها: الرضا، قال تعالى: (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) (٣).

ومنها: القصد، قال تعالى: (أقم وجهك) (٤) أي قصدك.

ومنها: الذات الإلهية، قال: (كل شيء هالك إلا وجهه) (٥).

ومنها: أولياء الله وأئمة الهدى، كما قال الصدوق طاب ثراه: وجه الله أنبيأؤه وحججه. وعن أبي الصلت الهروي عن الرضا (عليه السلام)، قال: قلت: يا بن رسول الله! ما

(١) المناقب:، البحار ٣٥ / ٤ ح ١ باب ١.

(٢) البحار ٧٧ / ٢٧٧ ح ٣٠ باب ٣ عن تفسير العياشي.

(٣) البقرة: ٢٧٢.

(٤) يونس: ١٠٥.

(٥) القصص: ٨٨.

معنى خبر الذي رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجهه الله؟ فقال: «من وصف الله بوجهه كالوجوه فقد كفر ولكن وجهه الله أنبيأؤه ورسله وحججه الذين بهم يتوجه إلى الله تعالى وإلى دينه» (١) إلى آخره وهو معنى «من رأني فقد رأى الحق». ومنها: الجهة؛ قال تعالى: (فأينما تولوا فثم وجه الله) (٢) أي إن المتحرك بالحركات الجسمية إذا قصد أي واحدة من الجهات الستة: فوق، تحت، يمين، شمال، خلف، قدام، فقد قصد جهة الحق. ويشهد له ما في الحديث الصحيح الذي رواه في المناقب: سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن وجه الله في أي جهة؟ فأجج ناراً، ثم قال: في أي جهة وجه النار؟ فقال: لا جهة لوجه النار. ومرادنا هنا الوجه الذي نحن بصدد بيانه الذي يطلق عليه العرب اسم «المحيا» يقال:

يهوى بياض محياه وحمرة * كما يروك درهام ودينار
وقال شاعر آخر:

من ذا يقيسك بالبدر المنير وهل * لطلعة البدر جزء من محياك
ومنها: الوجه بمعنى الطلعة، كما في الحديث: إن أبا طالب وامرأته استسعدا واستبشرا بطلعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٣).
ومنها: الخد، قال الشاعر:
أتفاحة أم وردة بدمائنا * مزرجة أم والشقيق أم الخد

(١) البحار ٤ / ٣ ح ٤ باب ١.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) البحار ٣٥ / ٣٩ ح ٣٨ باب ١ عن كنز الفوائد للكراجكي.

ومنها: العارض والعدار، كما قال الحريري: و عذار الأجلة عاذلي عاد عاذري.

ومنها: الغرة والبياض في الجبهة، كما قالت خديجة الكبرى في مدح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):

الله أكبر كل الحسن في العرب * كم تحت غرة هذا البدر من عجب

تبت يدا لائمي فيه وحاسده * وليس لي في سواه قط من أرب (١)

ونسب إلى عائشة وهند في مدح النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم):

له غرة من تحت شعر كأنها * تبلج صبح تحت جنح مساء

فلو أنه في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

أجل؛ هذه هي استعمالات الوجه ذكرناها استطرادا. والآن نتعرض لبيان ما

قيل في وصفه (عليه السلام) «كأن وجهه القمر ليلة البدر حسنا».

ملك در سجده آدم زمين بوس تو نيت كرد * كه در حسن تو چیزی يافت غير از حد

انساني (٢)

والمستفاد من الأخبار تشبيه وجوه الأنوار الأربعة الطاهرة بالبدر ليلة

تمامه، وعلّة التشبيه بالقمر نوره وبياضه، وسمي القمر قمرا لبياضه، والأقمر

الأبيض، وليلة قمراء أي مضيئة.

فالوجود النبوي المقدس بمنزلة الشمس في الإفاضة والإضافة والبقاء،

والقمر خليفته مكتسب نوره من الشمس، وزيادة نوره ونقصانه تابع للقرب

(١) البحار ١٦ / ٥٧ ح ١٩ باب ٥.

(٢) يقول: لقد نوت الملائكة حين سجدت لآدم وقبلت الأرض أنها لك تسجد وتقبل، لأنها وجدت في حسنك ما يفوق حد البشر.

والبعد عنها، ونور علم أمير المؤمنين (عليه السلام) من نور العلم النبوي، ولا ينافي ذلك أن

يكون لقمر فلك الولاية نور ذاتي، ويكون جامعا لعلوم كثيرة، إلا أن تميمها يكون بواسطة إفاضات الوجود النبوي، ويدل على ذلك تأويل قوله تعالى (والشمس وضحاها* والقمر إذا تلاها) (١) بأن المراد من الشمس رسول الله والقمر أمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام.

ففي تشبيه وجه الله الحقيقي - يعني وجه علي - بالبدر ليلة تمامه وجه وجهه لوجود التناسب والمثابرة.

ويلوح إلى النظر وجه آخر: وهو أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفة الله ورسوله، وفي الحديث: أن الخضر حينما التقاه في إحدى طرقات المدينة سلم عليه وقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء (٢)...، والحديث طويل، والخليفة يكسب ضوءه ونوره ومحاسنه من مستخلفه، ولا بد أن يتجلى في الكون بصورة حسنة لا يكون فيها نقائص صورة، فيكون وجهه - حينئذ - كالقمر في ليلة تمامه. والخلفاء الثلاثة الآخرون هم:

الأول: آدم أبو البشر، قال تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) (٣).
والثاني: داود (عليه السلام)، قال تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) (٤).
والثالث: هارون، قال لهارون: (اخلفني في قومي وأصلح) (٥).

-
- (١) الشمس: ١ و ٢.
(٢) البحار ٣٦ / ٤١٧ ح ٢ باب ٤٨.
(٣) البقرة: ٣٠.
(٤) ص: ٢٦.
(٥) الأعراف: ١٤٢.

ولا يفهم من هذا البيان أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أو آدم على صورة مستخلفهما، نعوذ بالله أن يكون لله صورة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بلى هو قريب من مستخلفه في الحسن، والمستخلف الشمس، وهي وجود الحضرة النبوية الخاتمة، والشمس والقمر تعبيران آخران عن المشبه والمشبه به، وكلاهما ليس له رتبة وحسن ونور بالذات، بل هما محتاجان في البقاء والإضاءة والنور وكل شيء لخالق الخلق، وهما صلوات الله عليهما أشرف الخلق كافة بلا استثناء أحد، حتى المقربين من الملائكة.

روى المرحوم المجلسي في السماء والعالم من البحار: أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء، فأرسل الله جبرئيل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ولو أن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح، لما عرف الليل من النهار، ولا النهار من الليل (١).

والتأويل الباطني للآية والحديث: أن هذين العظيمين كانا في عالم الأنوار نورا واحدا، فلما نزلا إلى عالم الكثرة واكتسبا بكسوة البشرية، ودخلا عالم التكليف صارا آيتين: إحداهما آية النبوة، والأخرى آية الولاية والخلافة؛ ليميز بينهما؛ ولذا قال (عليه السلام): «أنا لمحمد كالضوء من الضوء (٢)، وأنا عبد من عبيد محمد» (٣)،

فالإمامة تلو النبوة، والنبوة تلو الألوهية (٤).
وبغض النظر عن البيانات والأحاديث السابقة فإن تشبيه الوجه الحسن

(١) البحار ٥٨ / ١٥٨ ح ٨.

(٢) البحار ٢١ / ٢٦ ح ٢٥ باب ٢٢ قال (عليه السلام): «أنا من أحمد...».

(٣) انظر البحار ٣ / ٢٨٣ ح ١ باب ١٢.

(٤) هكذا في المتن، والله تعالى لا يقاس به خلقه، ولا يخلو التعبير بالتلو من ضعف كما هو ظاهر.

بالقمر من الاستعمالات الشائعة في ألسنة الفصحاء والبلغاء، كما ورد على لسان خديجة الطاهرة (عليها السلام):

جاء الحبيب الذي أهواه من سفر * والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
عجبت للشمس من تقبيل وجنته * والشمس لا ينبغي أن تدرك القمر (١)
وقال مجنون العامري:

أنيري مكان البدر إن أفل البدر * وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجر
وكذلك شاع استعمال تشبيه الوضوء و سطوع النور في الوجوه بالشمس
والقمر، قال ابن الشرف:

قمر إذا ظهرت شمس جماله * قالت لبدر التيم يا بدر اختف
وقال ابن مليك الشاعر:

فهي شمس تطلعت بخباها * وعليها من البراقع هالة
وكان لون وجهه المبارك حنطي، أي أبيض يميل إلى السمرة وهذا اللون
يعطي البشرة حسنا وملاحة خاصة، والبياض الصرف نقص في الملاحظة ما لم
يتشرب بشيء من الحمرة أو السمرة كما وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم): كان أزهر اللون،

ولم يكن بالأبيض الأمحق كالجص، كان أبيضاً مشرقاً.

كاشكى آينه روى تو مى ديد بخواب * تا خجل زآينه خویش سکندر مى شد (٢)
هذا بيان لوجه وجه الله، وسيأتي الحديث عن بعض شمائله الأخرى في
الخصيصة الواحدة والثلاثون لئلا يطول بنا الكلام في هذا المقام فيورث الملل.

(١) البحار ١٦ / ٤٩ ح ١٩ باب ٥.

(٢) يقول: ليت المرأة ترى طلعتك في الأحلام، من أجل أن يخجل الإسكندر من مرآته (التي تباهى بها).

الخصيصة الحادية والثلاثون
في ذكر بقية شمائل أمير المؤمنين (عليه السلام)
أما شعره (عليه السلام)
روى المرحوم المجلسي في حديث طويل قال: «وكان له (عليه السلام) حفاف من
خلفه

كأنه أكليل» (١) والحفاف: الطرة حول الرأس، والإكليل: شبه عصابة تزين
بالجوهر، ويطلق على التاج أيضا. يقال: حفت المرأة وجهها بالشعر، أي لفته
وزينته به؛ فمعنى العبارة أن شعره كان يحيط برأسه كأنه عصابة مزينة بالجوهر.
ولو أردت الاستطراد في بيان ليلة القدر تلك، لسودت سجلا أطول من ليل
الغربة، ولطال بنا الحديث، والحديث ذو شجون، ولكن «ما لا يدرك كله لا يترك
بعضه» فلا بد من استرواح شمة من مسكه، وإلقاء الفتيل في خواطر الموالين لتلتهب
عواطفهم عند استماع هذه القصة.
جز زلف و رخش کسی نشان می نهد * يك شب كه درازتر ز ماهی باشد (٢)
إعلم؛ أن للشعر استعمالات كثيرة في السنة فصحاء العرب والعجم وأهل
الذوق.

(١) البحار ٣٥ / ٢ ح ١ باب ١ في المناقب.
(٢) يقول: إن أحدا لا يمكنه أن يري ليلا أحاط بالبدر إلا شعره وطلعته.

منها: الزلف وهو ما أحاط بالصدغ والتف عليه، قال الخواجة: «كهيئة إحاطة السحاب بالبدر»، والصدغ يجمع على أصداغ، وقد يطلق الصدغ ويراد به الزلف، قال الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي * كلاهما كالليالي
من باب تسمية الحال باسم المحل؛ ولنعم ما قاله السيد الرضي (رحمة الله عليه):

شمس على فلك الصدغين يحملها * خوط من الخيزران الغض ريان
ومنها: الفرع، قال ابن دريد اللغوي:
وكأننا من فرعها في مغرب * وكأنها من وجهها في مشرق
وقال امرئ القيس:

وفرع يزين المتن أسود فاحم * كقنو النخلة المتعثكل
ومنها: الطرة، وهو عقد الشعر الطويل خلف الرأس، قال راجح الدين:
من أطلع البدر في ديجور طرته * وأودع السحر في تكسير مقلته
ولنعم ما قال الخواجة:

گفتم گره نگشوده أم از آن طره تا من بوده أم * گفتم منش فرموده أم تا با تو طراری
کند (۱)

ومنها (۲): الذؤابة وهو الشعر المتدلي خلف الرأس، سواء ظفر أو لم يظفر،
قال الشاعر:

(۱) يقول: قلت: لم أستطع فك عقدة طرة شعره وزلفه، فنوديت: أنا أمرته بالغنج والدلال.
(۲) أجل؛ كلما أردت اختصار المطلب لئلا يرخص المسك عاندني القلم وتمرد علي.
شرح شكن زلف خم اندر خم جانان * كوته نتوان كرد كه اين قصه دراز است
(من المتن)

ثم صف لي ذؤابة منه طالت * ودجت فهي ليلة المهجور
وقال الآخر:

كشفت ثلاث ذؤائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي أربعا
وقال الشيخ سعدي في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
أكرنه واسطه روى و موى أو بودى * خدا به خلق نكفتى قسم به ليل ونهار (١)
وتفيد الأخبار أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت له ذؤابة كما وصفه هند بن
أبي هالة

للإمام الحسن (عليه السلام)، قال: لم يكن قشط الشعر شديد الجعودة كالسودان، ولا
شديد

السبوة (٢) بل بينهما لا يجاوز شعره شحمة أذنيه، وكان له ذؤابتان.
وفي معاني الأخبار: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل الشعر؛ أي في
شعره تعقف (٣).

ويستفاد من سياق هذا الوصف أن شعر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان طرة، أي
مجموع

خلف رأسه؛ لأنه إن كان المراد بالذؤابة ما تدلى خلفه وجاوز كتفه، لتعارض مع
وصف هند الوصاف الذي قال عنه: «لا يجاوز شحمة أذنيه»، إلا أن يقال أنه كانت
له ذؤابة في بدو البعثة من باب المجازاة لأهل زمانه الراغبين في ذلك، كما كان لجدّه
هاشم (عليه السلام) ذؤابتان ثم صار «لا يتجاوز شحمة أذنيه» بعد البعثة وإقامة قواعد
الدين القويم، وقبل وفاته بسنتين حلقة في منى وفرقه في أزواجه الطاهرات وبعض
أصحابه، وتمنى جبرئيل الحصول على خصلة منه.

(١) يقول: لولا جمال وجهك وشعرك، لما أقسم الله للناس بالنهار والليل.

(٢) انظر البحار ١٦ / ١٦١ ح ٤ باب ٨.

(٣) معاني الأخبار ٨٤ ح ١ معاني ألفاظ وردت في صفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي حديث ورود الرضا (عليه السلام) إلى نيشابور قال: ... «ذؤابتاه كذؤابتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١)، وكانت لأمير المؤمنين ذؤابة كما يفهم من الحديث السابق «وكان له حفاف من خلفه كأنه أكليل» وكان شعره يشبه شعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صورة

ومعنى، إلا أنه قد يكون شعر أمير المؤمنين (عليه السلام) أشبه بالذؤابة والطرة من شعر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان شعر النبي أقصر. وأما من حيث المعنى، فشعره عين شعر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ ويدل عليه الحديث

الشريف: «يا علي! أنا أنت وأنت أنا، لحمك لحمي، ودمك دمي، وشعرك شعري، وعظمك عظمي، وليك وليي، وعدوك عدوي» (٢).

وقد ابيض شعر رأسه ولحيته في آخر عمره الشريف، وإنما (اشتعل الرأس شيبا) (٣) عزاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال الراوي: رأيت عليا (عليه السلام) أبيض الرأس والحية.

ويبدو أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يحلق رأسه في آخر عمره اقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما يستفاد من قصة الجماعة الذين جاءوا إليه وقالوا أنهم يحبونه

ويبايعونه، فقال لهم (عليه السلام): إن صدقتم فاغدوا علي بكرة محلقين رؤوسكم، فجاؤوا

في الغد وقد حلقوا حول رؤوسهم وكوروا العمامة على الباقي، فقال لهم (عليه السلام): اكشفوا

رؤوسكم، فكشفوا، فقال لهم: إنكم لكاذبون (٤).

وكما كان شعره (عليه السلام) يشبه شعر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) صورة، كان يشبهه في

(١) البحار ٤٩ / ١٢٧ ح ٣ باب ١٢.

(٢) البحار ٣٨ / ٢٤٨ ح ٤٢ باب ٦٥.

(٣) مريم: ٤.

(٤) انظر البحار ٢٨ / ٢٤١ ح ٢٧ باب ٤.

الخواص أيضا، فكان شعره لا يحترق بالنار كشعر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشعر إبراهيم (عليه السلام)، بل لم تكن النار الحارقة تحرق شيئا مما يلاصق بدنه الشريف، وقد ضمن المولوي المعنوي هذا المعنى في أبيات:

از انس فرزند مالك آمده * كه به مهمانی او شخصي شده
أو حكایت كرد كز بعد طعام * دید انس دستار خود را زردفام
چركن و آلوده گفت ای خادمه * اندرافكن در تنورش يك دمه
در زمان دستار خود را درفكند * در تنور پر زآتش هوشمند
بعد يكساعت برآورد از تنور * پاك و اسپید و از او أوساخ دور
پس بگفتا ای صحابی عزیز * چون نسوزید و منقا گشت نیز؟
گفت زآنكه مصطفى دست و دهان * پس بمالید اندر آن دستار خوان (۱)
وكان يشارك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا في صفة شريفة أخرى، وهي أن بدنه

الشريف - وما تعلق به - لم يكن له ظل، وقد اتفق العلماء الأعلام على هذه الصفة وذكروها في كتبهم في علائم الإمامة، وكذلك الأمر في كل ما ورد في اعتدال الخلق النبوية من أخبار مروية عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فهي كلها في أمير المؤمنين (عليه السلام) من الفرق حتى القدمين.

(۱) يقول: جاء عن أنس بن مالك أن شخصا ورد عليه ضيفا. فحكى الضيف أن أنس أخرج منديله بعد الطعام فشاهده متسخا. فقال للخادمة: ألقى بالمنديل في التنور. فألقت المنديل في التنور، واللهب يتصاعد فيه. ثم أخرجته بعد ساعة أبيض نظيفا براقا. قال الضيف: أيها الصحابي العزيز، لماذا ظهر المنديل ولم يحترق؟ قال: لأن المصطفى كان يمسح به يديه وفمه.

بهر وصافى أو سر تا قدم گشتم زبان * تا نگردد غير مدحش ظاهر از اعضاى من (١)
أما رأسه الشريف

فقد كان مدور الهامة، روى المرحوم المجلسي في المجلد التاسع من بحار الأنوار رواية طويلة نقل منها موضع الحاجة: جاء هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)... فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): هل وجدت صفة وصيي في الكتب؟

قال: نعم... اسم وصيك في التوراة «إليا» وفي الإنجيل «هيدار» وفي الزبور «قاروطيا»؛ و «إليا» يعني «إنه الولي من بعدك، وهيدار يعني الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، وقاروطيا يعني حبيب ربه، ثم قال:.. فهو مدور الهامة معتدل القامة بعيد الدمامة» (٢).

اعلم؛ أن في أعلى الرأس كاسة يسميها علماء التشريح «القحف»، جعلها الله ليحفظ الدماغ عن الآفات الخارجية، وهو مركب من ستة عظام: عظامان منهما متصلان ببعضهما، وهما بمنزلة السقف، والأربعة الأخرى بمثابة الجدران، وهما أكثر صلابة واستحكاما من العظمين الفوقانيين لأنها تتعرض للصدمات أكثر. وفي القحف منافذ تخرج منها الأبخرة المخلفة وهي تتفاوت سعة، فبعضها أوسع وأعظم من بعض، ومن أراد التوسع في النكات المتعلقة بكل واحدة من الأمور المذكورة، فعليه بمراجعة كتب التشريح.

(١) يقول: لقد أضحيت من فرقي إلى قدمي لسانا، لئلا يبقى عضو مني لا يشارك في مدحه.

(٢) البحار ٣٨ / ٥٦ ح ٩ باب ٥٨.

قال الصادق (عليه السلام) في جواب الطبيب الهندي: «كان في الرأس شؤون، لأن المجوف إذا كان بلا فصل أسرع إليه الصداق، فإذا جعل ذا فصول كان الصداق منه أبعد» (١).

وقد برهنوا بعدة أدلة على أن الشكل الدائري أفضل الأشكال وأحسنها، وخطوطه متساوية ومستقيمة من حيث الإحاطة، فالشكل الدائري فيه اعتدال مستحسن بالحسن والعيان في الرأس وهو عضو صوري ظاهري، وسبق أن أشرنا إلى أن عظم الرأس دليل على كثرة العقل، وصغره دليل على خفة العقل، ورأسه الشريف لم يكن صغيراً، بل كان في حد الاعتدال، وقوله «كان كبير الهامة» لا يعني أن رأسه كان أكبر من الحجم الطبيعي حسب القاعدة الوضعية الصورية، بل يعني كثرة العقل، وبعبارة أخرى: مدور الرأس يعني حسن التركيب، وكبير الهامة يعني حسن الصورة معتدل متناسق مع سائر الأعضاء. وحسن المعنى بالنظر إلى كثرة العقل.

ويناسب في المقام ذكر الحديث الشريف التالي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: «خلق

الله العقل وله رؤوس بعدد الخلائق، من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة، ولكل رأس وجه، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الإنسان مكتوب على وجه ذلك الرأس، وعلى كل وجه ستر ملقى، لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء، وإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب هذا الإنسان نور، فيفهم الفريضة والسنة والجيد والردئ، ألا

(١) البحار ١٠ / ٢٠٦ ح ٩ باب ١٣.

ومثل العقل في القلب كممثل سراج في وسط البيت» (١).
وقيل: إن بين المجردات والماديات علاقة ورابطة دون أن تتجزء حقيقتها أو يحل جزء من الأجزاء في المواد الحسية والمحال المرتبة؛ لأنهما متغايران متباينان من حيث الحقيقة والصفة؛ وكيفية العلاقة بينهما من قبيل العلاقة بين الشمس والأقاليم، وعلاقة الروح بالبدن علاقة ذي الظل بالظل على نحو تكون فيه صفاتها وآثارها سارية في تلك المظاهر، بحيث لو سلبت العلاقة لانعدمت وفتت. وهذه العلائق موجودة في بعض الأشياء بالأسباب، وفي بعضها بدون أسباب، وهذه الظهورات والتجليات منوطة بقابلية المظهر والقابل، فكلما ازدادت قابلية المظهر وصل إليه الفيض من الفيض على الإطلاق من العالم العلوي أكثر، وبرزت فيه الكمالات الحقة والصفات الإلهية أكثر من السائرين، والفيض الإلهي كالعين الفياضة دائما، أو كالذرات الشمسية التي تتصل إشراقاتها على الأقاليم والوجودات الكونية وتسطع فيها.

ويقال: أن العوالم العلوية ثمانية عشر: العقل الكلي، والنفس الكلي، والطلعة الكلية، والجوهر الهبا، والشكل الكلي، والجسم الكلي، والعرش، والكرسي، والسموات السبع، وكرة النار، وكرة الهواء، والشخص الأول، والفيض الأكمل، والرأس الرئيس في هذه العوالم هو العقل، وكل ما يصل إلى ما دونه فهو بواسطته، وإلى هذا المعنى أشار المولوي في قوله:
عقل اول راند بر عقل دوم* ما هي از سر كنده كرده نى زدم (٢)

(١) البحار ١ / ٩٩ ح ١٤ باب ٢.

(٢) يقول: إن العقل الأول هو الذي يزيل العقل الثاني، لأن السمكة إنما يسري إليها الفساد من رأسها.

يعني أن قوس النزول يكون فيه الفيض من العالي إلى السافل وتكون بينهما علاقة ويكون فيه الروح قابلا للإستفاضة من العقل الفعال وكذلك من الروح إلى النفس بمقتضى التنزلات في هذه العوالم الثمانية عشر والمنتهى في قوس الصعود إلى العقل أيضا فلا تصل الموجودات جميعا إلى مرتبة العقل، قال مولى المتقين (عليه السلام):

«من فقد العقل فقد الحياة، ولا يقاس إلا بالأموال» (١).

وقال أيضا: «إن الثواب على قدر العقل» (٢).

والأخبار في هذا الباب كثيرة في أصول الكافي في باب العقل والجهل، وكلها تدل على أن العقل أشرف الموجودات، والمراد من العقل الكلي والعقل الأول وجود حقيقة صاحب مقام الخاتمية، والمراد من الروح الكلي وصيه، وهو خليفة الله، فكلما كان في القابليات اختلاف، فكذلك في مراتب العقل تفاوت. ويمكن أن يقال: أن الوجه العقلاني في رأس العقل - كما ذكر في الحديث مفصلا - هو وجه أمير المؤمنين (عليه السلام).

قال المولوي في تفاوت العقول:

این تفاوت عقلها را نیک دان * در مراتب از زمین تا آسمان
هست عقلي همچو قرص آفتاب * هست عقلي کمتر از زهره و شهاب
عقل جزوی عقل را بدنام کرد * کأم دنیا مرد را ناکام کرد (٣)

(١) البحار ٧٥ / ٥٩ ح ١٣١ باب ١٦.

(٢) البحار ١ / ٨٤ ح ٦ باب ١٤ و ٥٠٦ / ح ٣١ باب ٣٢.

(٣) يقول: أعلم تفاوت العقول جيدا، في مراتبها من الأرض إلى السماء. فهناك عقل كقرص الشمس، وعقل أقل كالزهرة والشهاب.

والعقل الجزئي أساء لسمعة العقل، وحظوظ الدنيا أهدت الرجل عن نيل حطة.

وهكذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون العقل رئيسا في هذا البدن في ارتباطات الأشياء المتضادة وعلقة العوالم الفوقانية بالعوالم السفلانية. والأعضاء الرئيسة هي الدماغ والقلب، والأول محل لتجليات العقل، والثاني محل لتجليات الروح، فكما يستفيض الروح من العقل، يستفيض القلب من الدماغ ويستخدمه بلحاظ تعلقات العقل بالدماغ. قال علماء التشريح: إن أول عنصر يتكون في الجنين هو الدماغ والقلب، وقيل: غيرهما من الأعضاء؛ (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) (١) ولعل المراد من التنزل في الآية الشريفة هو تنزلات العقل، والمراد من القدر المعلوم هو الاستعداد والقابلية، فكلما كان محل القبول أكبر، كان ظهور الفيض الرحماني فيه أكثر. ديدنه دل هست بين الإصبعين* چون قلم دل دست کاتب ای حسین (٢) وشعر المولوي إشارة إلى الحديث الذي مر ذكره: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن» (٣). وقال المولوي أيضا: شد مناسب عضوها و أبدانها* شد مناسب وصفها با جانها (٤)

-
- (١) الحجر: ٢١.
(٢) يقول: بصيرة القلب بين الإصبعين، أشبه بالقلم في يد الكاتب.
(٣) البحار ٦٧ / ٥٣ ح ١٤ باب ٤٤.
(٤) يقول: لقد تناسبت الأعضاء والأبدان، وتناسبت الأوصاف والأرواح.

أما جبهته الشريفة
فكان واسع الجبينين. والجبين هو ما علا الحاجب مما قارب الصدغ إلى
منابت الشعر من الجهتين.
قال الخليل: «الجبهة هي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية».
وقال الأصمعي: «هي موضع السجود» (١).
وتشبه الجبهة باعتبار بياضها وتألؤها بالزهرة والمشتري وسهيل وكف
الخضيب وما شاكل، قال الشاعر:
بر فلك حسن اگرچه زهره جبیني * زهره برقص آید ار جبین بگشائی (٢)
والزهرة مظهر الاسم الشريف «المصور»، وقيل: «إن من تصور بصورة من
بني آدم (عليه السلام) إنما كان بتأثير من هذا الكوكب، وهو رب النوع للإسم
الشريف
«المصور»»، وأمير المؤمنين (عليه السلام) مظهر الأنوار، وسبب في إظهار أشعة
الكواكب،
فكيف لا يكون جبينه المبارك واسعا منورا مع أن نور الزهرة قبس من نور جبينه؟!
وقال أهل القيافة: الجبين الواسع دليل سعة الرزق، والمحقق أن الرزق - أي
رزق كان - يصل من الرزاق ذي القوة المتين إلى كل فرد من أفراد الموجودات من
حيوانات ونباتات وجمادات حسب مقدار القابلية ومقتضى العالم الذي ينزل إليه
بتوسط الوجود المبارك لأمير المؤمنين وسلطان الولاية، كما جاء في الزيارة

(١) انظر لسان العرب ٢ / ١٧٢ مادة (جبه).

(٢) يقول: إنك في ميدان الحسن ذو جبين كالزهرة؛ مع أنك لو تبسمت لرقصت الزهرة.

الجامعة (١)، «ويمنه رزق الورى وبيقائه بقيت الدنيا»، ولا تفهم من الوساطة أن أمير المؤمنين رزاق بالإصالة فذلك غلط وشرك، لأن هذا الوصف خاص بالحضرة الأحدية كما قال الصدوق عليه الرحمة في اعتقاداته ومنعه صراحة. ثم إن الأصلع والأنزع تكون جبهته أوسع وأكثر نورانية، وكان أمير المؤمنين كذلك.

والأنزع هو من لا يكون له شعر في طرفي الجبهة إلى حد الناصية، والنزعتان - بالتحريك - البياض في طرفي الناصية لا يثبت فيها الشعر، وإن كان الأنزع بمعنى بعده (عليه السلام) عن الشرك من الولادة إلى الممات، والنزع بمعنى «البعد»، والأصلع من لا

شعر له، وهذه الصفات من المحسنات الصورية والمعنوية، وفي الحديث: كان النور المحمدي والنور العلوي يسطع من جبهة آدم (عليه السلام) كالشمس في وسط السماء، ثم

انتقل ساطعا لامعا في جباه أجداده الكرام وآبائه الفخام واحدا بعد واحد، وجهة ظهور ذلك النور في المحل المنظور أن ذلك المحل أشرف مواضع السجود، وحامله أشرف البشر في عالم البشرية، فكان الأولى بذلك النور - وهو نور الأنوار ومخزن العلوم ومعدن الأسرار لحضرة الرب الغفار - أن يظهر في أشرف المواضع. كما روي في المناقب:

سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جبرئيل عن عمره، فقال: لا أدري، إلا أن نجما يخرج

في زاوية العرش كل ثلاثين عام مرة، وإني رأيته ثلاثين ألف مرة - وفي رواية ستة آلاف مرة - فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): تريد أن ترى النجم؟ قال: نعم، فأمر عليا أن

(١) إشارة إلى قوله «وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينفس الهم ويكشف الضر».

يكشف عمامته، فلما كشفها رأى النجم ساطعا في جبين أمير المؤمنين (عليه السلام)،
«تظن

نجما منيرا فوق غرته».

وهذه من أعظم معجزاته (عليه السلام)، ولا يقول قائل: لماذا لا يرى الجميع ذلك
النور وتلك النجمة دائما؟ فالفأر الأعمى لا يرى الشمس، والسيارات العظيمة
أكبر من الأرض مرارا، إلا أنك تراها صغيرة أصغر من دائرة القدرح، نعم ينبغي
لجبرئيل أن يرى لأنه ذا عين جبرائيلية. ونعم ما قيل:
ولا تظن خفاء النجم من صغر* فالذنب في ذاك محمول على البصر
وفي المناقب حديث جليل يدخل السرور على قلوب الشيعة الصافية؛ قال:
لما أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا إلى مدينة عمان في قتال الجلندي بن
كركرة

وجرت بينهما حرب عظيمة وضرب وجيع، دعا الجلندي بـغلام يقال له «الكندي»
وقال له: إن أنت خرجت إلى صاحب العمامة السوداء والبغلة الشهباء فتأخذه
أسيرا أو تطرحه مجدلا عفيرا أزوجك ابنتي التي لم أنعم لأولاد الملوك بزواجها،
فركب الكندي الفيل الأبيض، وكان مع الجلندي ثلاثون فيلا، وحمل بالأفيلة
والعسكر على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما نظر الإمام (عليه السلام) إليه نزل عن
بغلته ثم كشف

عن رأسه فأشرقت الفلاة طولا وعرضا، ثم ركب ودنا من الأفيلة وجعل يكلمها
بكلام لا يفهمه الآدميون، وإذا بتسعة وعشرين فيلا قد دارت رؤوسها وحملت
على عسكر المشركين وجعلت تضرب فيهم يمينا وشمالا حتى أوصلتهم إلى باب
عمان، ثم رجعت وهي تتكلم بكلام يسمعه الناس: يا علي! كلنا نعرف محمدا
ونؤمن برب محمد إلا هذا الفيل الأبيض، فإنه لا يعرف محمدا ولا آل محمد، فزعم
الإمام زعقته المعروفة عند الغضب المشهورة فارتعد الفيل ووقف، فضربه الإمام

بذي الفقار ضربة رمى رأسه عن بدنه، فوقع الفييل إلى الأرض كالجبل العظيم، وأخذ الكندي عن ظهره فأخبر جبرئيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فارتقى على السور فنادى:

«أبا الحسن هبه لي فهو أسيرك»، فأطلق علي سبيل الكندي، فقال: يا أبا الحسن! ما حملك على إطلاقي؟! قال: ويلك مد نظرك، فمد عينيه فكشف الله عن بصره فنظر النبي على سور المدينة وصحابته، فقال: من هذا يا أبا الحسن؟ فقال: سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: كم بيننا وبينه؟ قال: مسيرة أربعين يوما، فقال: يا

أبا الحسن إن ربكم رب عظيم ونبىكم نبي كريم، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقتل علي الجلندي، وغرق في البحر منهم خلقا كثيرا وقتل منهم كذلك، وأسلم الباقون وسلم الحصن إلى الكندي وزوجه بابنة الجلندي، وأقعد عندهم قوما من المسلمين يعلمونهم الفرائض (١). قال ابن أبي الحديد في فتح مكة وغزوة عمان:

فألقي إليك السلم من بعد ما عصى * جلند وأعيبى تبع ثم قيصر يفهم من هذا الحديث أنه (عليه السلام) كان مكنم الأنوار الإلهية، ولكنه كان يظهرها حسب مقتضى المصلحة والحكمة ليعلم الناس أنه يحتوي على هذه الصفات الحققة، وإنما لم يظهرها دائما لأن المصالح تقتضي ذلك، ومن تلك المصالح أنه لو كان يظهر هذه الأمور على الدوام لأعتقد الناس جميعا أو أغلبهم بألوهيته «والعياذ بالله»، وهذا المعنى ينافي اقتضاء حاله (عليه السلام)، وقد جعلهم الله سببا لهداية الخلق وسفنا للنجاة

وليس سببا للضلالة؛ ولنعم ما قال الشاعر:

(١) المناقب ٢ / ٣٤٧ في انقياد الحيوانات له (عليه السلام).

گر شکار افکن من دام به صحرا افکند * ماهیان را نتوان داشت به زنجیر در آب (۱)
 أما حواجب أبو النيرين والريحانيتين
 «وكان عليه الصلاة والسلام أزج الحواجب» (۲).
 والحاجب نوعان: متصل ومنفصل، والمتصل وفيه الشعر لا انفصال فيه،
 والمنفصل بالعكس، والأول يسمى «أزج» والثاني «أبلج». والممدوح الأول كما
 قال أهل القيافة.
 وكان حاجب سلطان الأولياء كحاجب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
 «أزج».
 وللأدباء وأهل الذوق من العرب والعجم استعمالات وتشبيهات استعملوها
 في الحاجب: منها: القوس، والطاق، وقبلة العشاق، والمحراب، والنون،
 والصولجان، والطغرا، وقاب قوسين، وما شابه ذلك.
 قال صاحب رسالة أنيس العشاق: أهل النظر يسمونه الهلال، لأن الأصابع
 تشير إليه في سماء الحسن، وتورث رؤيته بهجة عظيمة، وتتطلع إليه النواظر فيبدو
 لها كما هو، وقد تحتاج إدراك حقيقته إلى إمعان النظر، لأنه ربما اختفى عن الأنظار
 تحت الشعر كما يختفي الهلال في قطع الغيم السوداء، ونعم ما قال الشاعر:
 يك شب از زلف سیه گوشه ابرو بنما * گرچه در ابر مه يك شبه نتوان دیدن (۳)

(۱) لو ألقى صيادي بشبكته في الصحراء، لما أمكن للأسماك أن تحفظ في الماء حتى لو قيدت بالسلاسل.

(۲) البحار ۳۵ / ۲ ح ۱ باب ۱.

(۳) يقول: أرنا ليلة زاوية حاجبك من وراء طرتك السوداء، مع أن هلال ليلة واحدة لا يمكن رؤيته خلف الغيوم.

وأفضل تشبيهه في التشبيهات السابقة هي «الهلال» و «قاب قوسين» سيما في حاجب أمير المؤمنين، حيث إن المشبه أقوى من المشبه به؛ لأن الهلال يكتسب حسنه الصوري منه، ولنعم ما قاله قطب الدين:

أذاك هلال العيد أم قوس حاجب * يصيب سويداء القلوب ولا يعدوا
ومن الواضح أن المحب قد يشبه كل عضو من أعضاء الحبيب بشيء ما حسب المناسبة، فيتعلق قلبه بذلك المحبوب المجازي ويتغافل عن الصراط المستقيم لولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلا يحب محبوب الله وهو أمير المؤمنين في عالم المجاز فهو (كسراب

بقية يحسبه الظمان ماء) (١) لا يرتوي بشراب الحقيقة ولا ينال الفوز العظيم. وكان حاجب أمير المؤمنين (عليه السلام) «أزج» كحاجب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل كان

مثله في الصورة والأوصاف والخصائص الحميدة لا تفكيك بينهما في التماثل والتشابه، بحيث صارت مثلا يضرب بين الناس للإتحاد والإتفاق والتطابق، فيقال كحاجبين، ومنشأ التمثيل والتشابه يرجع في الحقيقة لهذين النورين الطاهرين سلام الله عليهما، لتشابههما خلقا وخلقا وظاهرا وباطنا وقولا وفعلا، ولا بد أن يكون ولي الله تابعا لأطوار نبيه، سالكا مسلكه المرضي، متحركا في فلكه، مستفيدا من فيوضاته الحققة؛ فالقمر خليفة الشمس، والتفاوت بين ذينك النورين كالتفاوت بين الشمس والقمر بالبيان المذكور في الخصيصة السابقة.

تعالى الله زهى ذات مطهر * كه آمد نفس أو نفس پيمبر
دو نهر فيض از يك قلزم جود * دو شاخ رحمت از يك أصل مقصود (٢)

(١) النور: ٣٩.

(٢) يقول: تعالى الله من ذاته المطهرة، لأن نفسه كنفس النبي. فهما كنهين فاضا من بحر الوجود، وكفرعي رحمة من أصل واحد.

ومما ذكر في تأويل «قاب قوسين» وبطونه: أن القوسين هما قوس النبوة وقوس الولاية، المتقارنان المتقابلان في الوجه، المتطابقان المتوافقان في الحقيقة وفي عالم الملكوت؛ فالنبوة وجه الولاية، والولاية تأكيد للصورة والوجه، كما ورد في غزوة أحد حيث جرح سيد الكائنات وتخضب وجهه المنور وفر المنافقون نحو المدينة وثبت سلطان الولاية لوحده يدافع عن المولى ويذب عن الأذى، فنزل جبرئيل (عليه السلام) وقال: يا رسول الله! قل:

«ناد عليا مظهر العجائب * تجده عوناً لك في النوائب * كل هم وغم سينجلي * بولايتك يا علي يا علي يا علي».

وقال أهل التفسير الظاهري: أن قاب قوسين يقال لمقدار رمية سهمين، وفي الأخبار المعراجية: إن من عادة العرب إذا أرادوا الإعلان عن السلم والمودة بين قبيلتين، أخذ اثنان من رؤسائها قوسين ووضعوا في كبديهما سهمين، ثم يرميان يميناً وشمالاً، فيتم الإعلان بذلك عن انتهاء البغضاء وإقامة المحبة والوثام بينهما. وذكر وجه آخر في معنى «قاب قوسين» وهو ارتباط وجود الحق بالصادر الأول وأول ما خلق من الوجود الإمكانى، والرابطة اللازمة بين واجب الوجود وممكن الوجود هي رابطة القرب المعنوي أو أدنى فناء ممكن الوجود في إشراقات وجود حضرة واجب الوجود، ويدل عليه حديث «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» (١)، وحديث: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل... الخ»، وحديث «إن لنا مع الله حالات نحن هو وهو نحن مع ذلك نحن نحن وهو هو».

(١) البحار ٧٩ / ٢٤٣ ح ١ باب ٢.

نديده ديدة معمار عشق طاقي جفت * جز ابروی تو که جفت است و طاق در عالم
(۱)

هذا في الكلام عن الحاجب المبارك لأمير المؤمنين، والآن نتحدث عن عين
الله الباصرة.

أما عينه الشريفة

فكان أدعج العينين: أي إن سوادها لا يزيد عن بياضها، أو أن سوادها
غاية في السواد وبياضها غاية في البياض. كما قيل في معنى الحور العين، وهو غاية
الحسن والجمال في العين، قال الشاعر:

بما بطرفك من غنج ومن دعج * بما بثغرك من در ومن برد
وشبه الآخر سواد العين بالكهل كما هو الشائع فقال:

ومن أين للشمس المنيرة في الضحى * بمكحولة العينين في طرفها فتر
والفتور في العين هو الانكسار والجذابية والضعف، وهي العين الناعسة،
وهي من المحسنات في العين، ولا تكون كذلك إلا العين الواسعة التي يكون فيها
دعج وحور، وفي الحديث: «كان عظيم العينين وأنجل العينين تميل إلى الشهلة». والنجل
السعة في العين، والسعة بالفتور لا أن تكون واسعة جاحظة - وهي
صفة قبيحة عن العين -.

والشهلة العين «النرجسية»، وهو لون في الحدقة يضيء على العين ملاحظة؛
يقال «عينه شهلاء مثل النرجس»، وتسمى العين الشهلاء «عبهري»؛ ولذا شبهوا

(۱) يقول: لم تر عين معمار العشق أشبه بطاق العالم من حاجبيك.

العين بالترجس دائما لهذه المناسبة، قال قطب الدين:
أنرجسة هاتيك أم سيف مقلة * بسفك دماء العاشقين لها حد
وقال آخر:

الترجس الغض عيناه وطرته * بنفسج وجني الورد خداه
وتشبه العين بعدة اعتبارات بالصيد، والسيف، والسحر، والریم، واللوز،
وغيرها.

قال أبو الطيب المتنبي:

وأين التي للسحر في لحظاتها * سيوف ظباها من دمي أبدا حمر
وقال الآخر:

أمن بابل أم من لواحظك السحر * أمن حانة أم من مرشفك الخمر
ولنعم ما قاله الشاعر في ضعف العين ومرضها:

إن العيون التي في طرفها مرض * قتلنا ثم لم يحيين موتانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا
أجل؛ فإن جميع أعضاء الإنسان خلقت جميلة خلاصة ذات ألوان رائعة
مرغوبة وتشكيلات محبوبة، سيما العين التي تعد مرصد مدينة البنية الإنسانية، وإنما
صارت العين في الأعلى لتطلع على كل مكان وتخبر سلطان مملكة البدن عما يغشى
رعاياه وما يواجههم، وجعل لها سبع طبقات بعضها فوق بعض كقشر البصل،
وجعل معين العين مالحا ليحفظ شحمة العين من الحرارة، وجعل في الحدقة وهي
بقدر العدسة من القوة والنور ما تشاهد به وجه السماء بعظمتها وتتسع لها، وخلق
لكل عين جفنان يحفظانها من المؤذيات والحوادث كالغبار والدخان، وجعل

الجفن التحتاني أصغر لتستقر فيه الحدقة ولا تجتمع فيه فضلات العين، وتحفظ الأهداب إذا هب عليها الريح.
والبصر والباصرة أشرف القوى الخمسة وأفضلها - وقيل السمع أشرف لكن القول بأشرفية العين أقوى - بل جهة الروحانية في العين أكثر - بالحس - من الحواس الأربعة.
وهي وإن كانت في الظاهر من جنس تلك الأربعة، إلا أنها في الباطن تختلف عنها.

وعالم الملك والملكوت - هذا - تماما كالإنسان ذي الأفراد، فكلما كان موجودا هناك مناسبا للحال، فهو موجود في الإنسان، والإنسان أنموذج من العالم الكبير.

وكل ما قلناه في تشابه الحاجبين نقوله في تشابه العينين أيضا، إلا أن إحداهما في اليسار والأخرى في اليمين والنور فيهما واحد.
ومثل القوى الخمسة في البدن مثل الأنبياء الخمسة في عالم الإمكان، لأن وجود النبي بمثابة الدعامة لبقاء العالم وقوامه، فأحدهم بمنزلة القوة السامعة، والآخر بمنزلة القوة الشامة، والآخر بمنزلة القوة الذائقة، والآخر بمنزلة القوة اللامسة، والآخر بمنزلة القوة الباصرة، والهدف منهم جميعا خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم)،

وهو أشرفهم وأفضلهم، كما أن القوة الباصرة أشرف القوى الخمسة، قال الشيخ:
آدم و نوح و خليل و موسى و عيسى * آمده مجموع در ظلال محمد (١)
ونورانيته متحدة مع نورانية قرينه أمير المؤمنين سلام الله عليه، ولا تباين

(١) يقول: لقد اجتمع آدم ونوح والخليل وموسى وعيسى، فتفياوا ظلال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

بينهما إلا في عالم الصورة والوضع البشري الذي يبدو للعين اثنين ولكن نورهما واحد.

والعين خارجة عن القوى الأربعة بلحاظ استغنائها عنها واحتياج الأربعة إليها، فهي تعمل حسب تشخيص مشاهدات المرسلات إلى حاكمها وملكها الذي يصدر إليها الأوامر.

وبهذا البيان الإجمالي تبين إجمالاً معنى «أنا عين الله الناظرة»، ومن المعلوم أن نوري الرسالة والولاية متحدان كمال الاتحاد كاتحاد العينين، فهما اثنين بلحاظ وواحد بلحاظ آخر، مثل اثنينية الشمس والقمر، ينتظم العالم بحركتهما، وتدبر الأمور المحسوسة بواسطتهما - كما مر شرحه - كذلك هما النبي والولي، آيتان إلهيتان

عظيمتان من جنس واحد، يجريان معاً وعملهما واحد وفعلهما واحد وهو الرحمة، فإذا ما اقتضت المصلحة الإلهية أظهر الولي غضبه بأمر النبي، وغضبه عين الرحمة وناشئ منها.

قال المرحوم المجلسي في شرح قوله (عليه السلام) «أنا عين الله الناظرة» (١): أي الشاهدة على عباده والصادقة لهم عن مخالفة الأوامر والنواهي الإلهية، ومن الواضح أن إحاطته دون مرتبة الإلهية، لأنها ليست بالأصالة، وإنما يصله هذا الفيض من عالم غيب الغيوب ويبقى هو وجوداً ممكناً مخلوقاً فاز بالرئاسة الكلية للعوالم بسبب قابلية المحل، وقد وصله هذا الفوز من فيض الفيض المطلق. هنيئاً لهم ولمحببيهم، وويل لأعدائهم ومبغضيتهم، وجعلنا الله من ثلة الأولين، ولا جعلنا من الآخرين.

(١) البحار ٢٤ / ١٩٨ ح ٢٥ باب ٥٣.

وبالجملة؛ فإن جميع المحسنات المذكورة للعين كانت موجودة في عين الله الناظرة تلك، وقد جمع الله له جميع المحاسن التي أودعها متفرقة في عباده. ثم إن أهدابه كانت طويلة متصلة كثيفة، وأهل الذوق يشبهون الأهداب - غالباً - بالآلات الجارحة من قبيل السنان والخنجر والسهم، قال الحكيم الفردوسي الطوسي:

مژگانت همی گذر کند از جوشن * مانند سنان گیو در جنگ پشن (١)
وقال الخضري:

تشبيه کرده خضری مژگان اوبه خنجر * تشبيه تازه نيست اما بدل نشيند (٢)
وجه الشبه في هذه التشبيهات هو الشكل الصوري والتشكيلة الخاصة لشعر الأهداب وقدرتها على التصرف في القلوب إذا كانت منتمية إلى العيون الجميلة الآسرة.

ولنعم ما قال الشاعر:

عجبت من جفنه بالضعف منتصر * على القلوب ويقوى وهو منكسر
أما أنفه الشريف

وكان أنفه المبارك غاية في الحسن، لا بالطويل ولا بالقصير، ولا بالكبير ولا بالصغير، كمثل أنف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «أقنى العرنين»، والقنى أن يكون في عظم الأنف احديداب في وسطه.

(١) يقول: إن أهدابك الطويلة تخترق الجوشن كما يخترق سنان المقاتل العملاق الدروع في الحرب الأسطورية.

(٢) يقول: إن تشبيه «الخضري» أهداب الحبيب بالخنجر ليس تشبيهاً جديداً، لكنه محبوب.

ومن حكمة الله العظيمة أن يكون وضع الأنف بهذه الصورة، ولو أردت الحديث عن بديع صنع هذا العضو لطال بنا المقام، ولكني سأشير إليه إجمالاً لتعلم ماذا جعل لك الصانع الحكيم جلت قدرته في كل عضو من أعضائك. فمن بدائع صنعه في حسن تركيب الأنف أنه جعله دهنياً غير صلب لئلا تنكسر العروق التي تنتشر فيه ولكن تنتفش فيها صور المحسوسات، وجعل مزاجه بارداً رطباً لئلا يحترق بسبب الحرارة الناشئة من الحركات الفكرية، وجعل عليه غشائين: أحدهما رقيق ملاصق للأنف، والآخر صلب وجليظ متصل بالجمجمة، وفيه ثقب كثيرة تخرج منها الرطوبات والفضولات الدماغية، وفيه شعب رقيقة تصعد في الشقوق الدقيقة في أعلى الجمجمة، حيث يلتقي شقي الجمجمة؛ ويقسم أصل الدماغ إلى قسمين أحدهما أقل صلابة من الآخر، يفصل بينهما غشاء رقيق للحيلولة دون أن يتأذى الجزء غير الصلب بالجزء الصلب، وتحت الدماغ التحتاني غشاء جليظ وعظم مسطح مفروش مشبك متكون من الشرايين التي تصدر من القلب والكبد إلى الدماغ، وفي تلك الصفحة دم وروح لتأمين الغذاء الصاعد وتنظيفه وتبريده ليلائم مزاج الدماغ ويصير تدريجاً غذاءه، ولو لم يكن كذلك لفقد الدم صلاحيته للدماغ من جهة ارتفاع حرارته، ولتعطل الدماغ عن التأثير، لأن منشأ الحس والحركة هو الدماغ، أما سائر الأعضاء فليس لها حس من ذاتها. وقد جعل الله الرؤوف أعصاباً كثيرة منتشرة في سائر الأعضاء من جهة، ومتصلة بالدماغ من جهة أخرى لنقل الإيعازات، فإذا انفصلت تلك الأعصاب عن أصل الدماغ ثقل الرأس وصار أكبر من المتعارف، ولذا خلق الله عصباً أبيض

شبيه الدماغ يسمى «النخاع» يخرج من الثقب الموجود أسفل الجمجمة ويخترق عظام الرقبة، ثم تتفرع منه الأعصاب إلى سائر الأعضاء.

والدماغ بمثابة الجسم، والنخاع بمثابة النهر الكبير، وسائر الأعصاب بمثابة الروافد والأنهر الصغيرة المتشعبة منه، والدماغ محل القوى الظاهرة والباطنة، والقوى الخمسة الظاهرة المحسوسة هي: الباصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسة، والحواس الباطنة خمسة أيضا: الأولى: الحس المشترك، والثانية القوة المتخيلة، والثالثة: الواهمة، والرابعة: المفكرة، والخامسة: الحافظة.

والحس المشترك في مقدم الدماغ، وإنما سمي الحس المشترك لأنه ذو وجهين، داخل وخارج، أي أن كل ما يصل عن الحواس الظاهرة إنما ينتقل إليه أولا ثم ينتقل إلى الحواس الباطنة، وكأن هذا هو الوجه الخارج؛ وكل ما يصل عن الحواس الباطنة ينتقل أولا إليه وهو ينقله إلى الحواس الظاهرة كالجاسوس والرسول؛ وهذا هو الوجه الداخل.

والقوة المتخيلة وهي التي تتخيل ما تدركه الحواس الظاهرة، فلو أنه رأى شخصا فإنه سوف يرى فيما بعد صورته في الخيال وإن كان ذلك الشخص غائبا، كما لو شاهد مدينة ثم انتقل إلى مكان آخر فإنه يستطيع أن يتصور تلك المدينة حتى شاء دون أن يشاهدها عيانا، وعمل القوة المتخيلة هو تصوير الصور المحسوسة وتشكيلها في الحواس الظاهرة أو الصورة المدركة في الذهن.

والفرق بين القوة المتخيلة والقوة الواهمة أن المتخيلة تصور الصور المحسوسة، والقوة الواهمة تصور الصور المحسوسة وغير المحسوسة والمرئية وغير المرئية، سواء كان لها صور في الخارج أو لم يكن؛ وسموا هذه القوة بالشیطان،

ويمكن تسخير القوى جميعا إلا الواهمة فإنها كاذبة، كما أن الملائكة كلهم سجدوا لآدم (عليه السلام) إلا الشيطان فإنه لم يسخر ولم يسجد. والقوة الرابعة: هي المفكرة وهي خاضعة لسيطرة العقل، وعملها التركيز وقراءة ما ذخرتة الحواس الظاهرة والباطنة في الحافظة. والحافظة وهي القوة الخامسة: فمثلها مثل اللوح الذي تسجل فيه جميع المحسوسات الظاهرة والباطنة، كما لو شاهد أحد أحدا ثم افترقا والتقيا بعد فترة وتعارفا، فهذا التعارف يتم بتوسط الصور المنطبعة لهما في الحافظة، فلما التقيا طبقت الحافظة الصور المنطبعة سابقا على الصورة المتلقاة حاليا واكتشفت أنها هي نفس تلك الصورة الاولى، فالحافظة كاللوح، والذاكرة كالقارئ، والخيال كالكاتب، والوهمة كالشيطان، والحس المشترك كالبواب الذي تتحد فيه جميع الروافد، قال المولوي:

پنج حسی هست جز این پنج حس * آن چو زر سرخ و اینها همچو مس
حس أبدان قوت ظلمت می خورد * حس جان از آفتابی می چرد (١)
وتحل الواهمة محل العاقلة في الحيوانات، وبها تدرك الجزئيات.
قال محيي الدين في فصوص الحکم: «الوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصور الإنسانية».

وقيل في معنى الحديث الشريف «لكل شيء شيطان، وإن شيطاني أسلم

(١) قال: هناك خمس حواس غير هذه الحواس الخمسة المعهودة، وتلك كالذهب الأحمر أما هذه فكالنحاس.

لأن حس الأبدان يقتات بالظلمة، أما حس الروح فيقتات من الشمس الساطعة.

على يدي» أن المراد بالشيطان هو القوة الواهمة التي تأسر بيد العقل، والحال أنها لم تقهر ولم تسخر أبدا.

وكذلك الأمر في الوجود المبارك لأمير المؤمنين وسيد الأولياء المملوء عقلا صرفا من رأسه حتى قدميه، وصورة العالم حاضرة عنده بالحس والعيان، بل كلما في الأكوان منطبع في لوح حافظة نفسه النفيسة، بحيث إنه لو أراد لما خفي عليه شيء ولا كمن عنه فرد مما سوى الله، أما سائر المخلوقات فمعرضة للذهول والخطأ والنسيان والغفلة من حيث غلبة القوة الواهمة.

ولا يشك محقق أن السهو والنسيان غير جائزين على النبي والولي، خلافا للصدوق - طاب ثراه - الذي قال بسهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تمسكا بحديث «ذي اليمين»،

وهو نزاع مهم ومعركة عظمى بين أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وشذ في هذه المسألة الشيخ الصدوق وتفرد بها من بين الإمامية.

قال الشيخ البهائي عليه الرحمة: نسبة السهو إلى الشيخ الصدوق أفضل من نسبتها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال الشيخ الصدوق: وسأكتب رسالة في سهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن وفقت لذلك.

فقال المرحوم الشيخ البهائي: الحمد لله الذي لم يوفقه لتصنيف هذا الكتاب. وكذلك قال السيد المرتضى (رحمه الله): إن الصدوق كذوب في هذه المسألة. وهذا

الخبر من الآحاد، والعمل به عمل بالظن دون العلم واليقين، والإجماع قائم على عدم جواز نسبة السهو للأنبياء، ولو تعارض العقل والنقل في حكم من الأحكام قدم العقل وأول النقل إن أمكن التأويل، وإلا فطرح.

وفي الرواية الصحيحة التي رواها شيخ الطائفة عن زرارة أنه قال: سألت

الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): هل سجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سجدتي السهو قط؟ فقال:

لا (١)، فإن فيها دلالة قوية على أن لا سهو للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا بد أن يقال بعدم جواز

النسيان لأنه من صفات الجهل، والجهل ضد العقل، والعقل إمام الحقيقة، والقوة الواهمة الشيطانية مقهورة للغاية، فكيف يقال: إنه لا يعلم بما في عالم السفليين إلى العليين من المحسوسات والمعقولات، والحال أنهم رؤوها جميعا وعرفوها كما هي ونقشوها في لوح خاطرهم، والحفظ أحد العلام والآثار للعقل والنبوة والإمامة، وضده النسيان كما قيل، ولنعم قال المولوي:

چونكه عقلت نيست نسيان مير توست * دشمن و باطل كن تدبير توست
ضبط و درك و حافظي و يادداشت * عقل آن باشد كه عقل آن را فراشت
وهم مر فرعون عالم سوز را * عقل مر موسى جان افروز را (٢)
وعلى هذا التقرير لا ينبغي أن يقاس حال الأنبياء والأئمة من دونهم لأن قوتهم الواهمة في حكم القوة العاقلة الموسوية، وليست مثل القوة الواهمة الفرعونية عند سائر الخلق.

(١) التهذيب ٢ / ٣٥٠ ح ٤٢ باب ١٣ وفيه: سألت أبا جعفر (عليه السلام)....».

(٢) يقول: إنك إذا فقدت العقل صار النسيان أميرك، وصار البطلان تدبيرك. أما الحفظ والكتابة فليست عقلا، بل العقل هو الذي يلده العقل نفسه. والوهم مخصوص فرعون الذي يحرق العالم، والعقل مخصوص بموسى الذي ينعش الأرواح.

كار پاكان را قياس از خود مگير * گرچه باشد در نوشتن شیر شیر (۱)
وقال أهل الحكمة: إن لوح النفس النبوية والعلوية بمنزلة المرأة الصافية في
غاية الصفاء والجلاء التي ليس فيها شيء من الكدورات والرین، فإذا أراد الإمام
أن يرى شيئاً نظر إليه في لوحه وطبقه على الألواح الفلكية والأجسام السفلية
الظاهرة في الأجرام الفلكية أيضاً. وعالم الفوق محيط بما دونه ظاهر فيه كل شيء
بعد العيان والنظر.

وذهب أهل الحكمة إلى أن لكل فلك من الأفلاك نفساً ناطقة بمنزلة المرأة
المجلوة، وعبروا عنه بلسان أهل الشرع بأن للإمام عموداً من نور يقابله، فإذا أراد
الإمام علم ما كان وما يكون اطلع عليه بقدره الله وإذنه، ونظر إلى ذلك العمود
فينكشف له ما يشاء.

أو أن الله أعطاهم من القابلية ما جعلهم به مظهراً لقدرته وجلاله فأعطاهم
بذلك القدرة والإحاطة بكل شيء، بحيث يرونه في محله ويحيطون به متى أرادوا،
كما ورد في الأنوار النعمانية للسيد الجزائري طاب رمسه: أن أمير المؤمنين (عليه
السلام) كان

ذات يوم على منبر البصرة إذ قال: أيها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني
عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض، فقام إليه رجل من وسط
القوم فقال له: أين جبرئيل في هذه الساعة؟ فرمق بطرفه إلى السماء، ثم رمق
بطرفه إلى الأرض، ثم رمق بطرفه إلى المشرق، ثم رمق بطرفه إلى المغرب، فلم يجد
موضعاً، فالتفت إليه فقال له: يا ذا الشيخ أنت جبرئيل.

(۱) يقول: لا تقس عمل الطاهرين إلى عملك، فلو صح القياس لاستوى لفظ «شیر» (= الحليب) مع لفظ
«شیر» (= الأسد) في الواقع كما استويا كتابة.

قال: فصفق طائرا من بين الناس، فضج عند ذلك الحاضرون وقالوا: نشهد أنك خليفة رسول الله حقا حقا (١).

وقيل: أن قوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٢) المراد من الآفاق الحواس الخمسة الظاهرة، والمراد من الأنفس الحواس الخمسة الباطنة، فمن تجاوز في المعرفة من الظاهر إلى الباطن، ومن المجاز إلى الحقيقة المدركات الكلية المعنوية، وصل إلى معرفة الله. ولي - أنا العبد الحقير - وجه في تأويل هذه الآية الشريفة، وهو أن المراد من الآيات أئمة الهدى (عليهم السلام) الذين كساهم الله المنان بهذه الكسوة البشرية في الدنيا،

وعالم الآفاق إشارة إلى الدنيا، وعالم الأنفس إشارة إلى الآخرة، وهي حقيقة هذا العالم، يعني أن الآخرة المؤخرة في عالم الظهور عن هذا العالم مثل خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، فهو حقيقة النبوة في كل نبي، وجاء آخرهم لتتضح حقانية الحق لكل الخلق «عباراتنا شتى وحسنك واحد». ونختتم الكلام هنا ونعود إلى بقية شمائله الكريمة لئلا يطول بنا الحديث.

(١) البحار ٣٩ / ١٠٨ ح ١٣ باب ٧٦.
(٢) فصلت: ٥٣.

الخصيصة الثانية والثلاثون
في الشمائل الكريمة لصهر الرسول وزوج البتول
أما فمه الشريف
«كان (عليه السلام) عظيم الفم» أي ليس فمه بالصغير، بل كان في حد الاعتدال،
والفم
العظيم ممدوح عند العرب، بل إن الفم الصغير مذموم ومهجو، قال الشاعر:
«لحى الله أفواه الدبا من قبيلة» (١).
ذم أفواههم لأنها صغيرة كأفواه الجراد.
وفي شمائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما أشرنا سابقا - : «وكان رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضليع
الفم» أي وسيع الفم.
والفم يتكون من مجموعة أعضاء، ولكل عضو من أعضائه اسم خاص به،
منها الشفة، ومنها الأسنان، وتسمى «الثغر»، ولأهل الذوق تشبيهات رائعة في
هذا الباب، والحمرة واللطافة مستحسنة في الشفة، ولذا شبيحت في الغالب بماء
الحياة، والياقوت، والعناب، وحوض الكوثر، والروح، والشهد، والعقيق،
والحلقة، والحقة، والسكر، والسكر المصفى، والبيغاء، والروح الحلوة...
وكذا شبيحت الأسنان بالبرد، والندى، والدر، واللؤلؤ، والأقحوان،
والثريا، وغيرها.

(١) البحار ١٦ / ١٥٧ ح ٤ باب ٨.

والأسنان الجيدة هي الأسنان الموصوفة بالشنب، والشنب الرقة والصفاء والبياض والممان، قال الشاعر:
بأبي أنت وفوك الأشنب * كأنما در حليه الزرنب (١)
ونعم ما قاله قطب الدين في وصف ريق المحبوب:
أريقتك أم ماء الحياة أم الطلا * أم السلسيل العذب هذا أم الشهد
وكذا قال المتنبي في المصراع التالي:
«أريقتك أم ماء الغمامة أم خمر»
وشبهوه كثيرا بالسلافة والرضاب والعسل، وشبهوا الفم في حالة من حالاته بحرف «الميم»، قال الشاعر:
لا تقولي لا فمكتوب على * وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قدرة * ما جرى عنها قط بالقلم
نونها الحاحب والعين بها * طرفك الفتان ثم الميم فم
وشبه آخر الثغر بحرف السين، والفم بحرف الميم، فقال:
حبيبي ثغره كالسين شكلا * وكالميم المدور شكل فيه
هما سم فيا عجا حياتي * إذا ما ذقته لا شك فيه
وهذه التشبيهات نموذج من الفم المعجز لأمير المؤمنين، في البيان الذي ما سمع منه قط طيلة عمره الشريف كذبة ولا فحش، بل كان حلو اللسان فصيح البيان، عجز عن بيانه فصحاء عدنان وبلغاء قحطان، كما قال السيد الرضي عليه الرحمة: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة

(١) البحار ١٦ / ١٥٧ ح ٤ باب ٨. والزرنب ضرب من النبات طيب الرائحة، والشنب البياض.

ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها» (١).
وقال (عليه السلام) روي له الفداء: «وإن لأمرء الكلام» (٢).
ويعجز البشر عن الإتيان مثل الخطب التي تفوه بها، مثل خطبة التوحيد
والشقيقية والملاحم والغراء والقاصعة والافتخار والوسيلة والطلوتية والنخيلة
وغيرها.

قال البلاذري: «إن عليا أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم» (٣).
وقد خطب خطبته المونقة الخالية من الألف - مع احتياج الكلمات التي فيها
الألف غالبا - خطبها في المجلس ارتجالا أولها «حمدت من عظمت منته، وسبغت
نعمته، وسبقت رحمته، وتمت كلمه، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيته... الخ» (٤).
وارتجل خطبة خالية من النقطة وأولها: «الحمد لله أهل الحمد ومأواه، وله أوكد
الحمد وأحلاه، وأسرع [الحمد] وأسراه، وأطهر الحمد وأسماه، وأكرم الحمد
وأولاه» (٥).. الخ ونهج البلاغة دليل على ما ذكرنا.
ملاحظة: است لب لعل أبادارش را* كه در حديث نياید چو در حديث آيد (٦)
الخلاصة: لا بد أن تنتقل للحديث عن شيء آخر، لأن المرء مهما بالغ في

(١) نهج البلاغة ٣٤ في مقدمة السيد الشريف الرضي.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٣.

(٣) البحار ٤٠ / ١٦٤ ح ٥٤ باب ٩٣.

(٤) انظر البحار ٤٠ / ١٦٣ ح ٥٤ باب ٩٣.

(٥) انظر البحار ٤٠ / ١٦٣ ح ٥٤ باب ٩٣.

(٦) يقول: إن لشفته الياقوتية النضرة ملاحه لا توصف بكلام إن أريد الحديث عنها.

وصف كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المعجز، فكأنه قال للدر ما أغلاك، وللدر ما أبهاك،

وللورد ما أزهرك، وللمسك ما أعطرك، وليس في شيء من ذلك وصف جديد. أما لحيته الشريفة

«وله لحية قد زانت صدره» (١) اللحية - كسدره - الشعر نازل على الذقن كما قال أهل اللغة، وقد يقال لحية بضم اللام مثل حلية وحلى، وجمع اللحية لحى؛ واللحيان بفتح اللام العظامان اللذان ينبت على بشرتهما الشعر ويلتقيان في الذقن والأسنان السفلى، وقد تكون هذه هي جهة تسمية اللحية من باب تسمية الحال باسم المحل، وهو شائع.

ولحى على وزن فلس عظم الحنك، ومنه التلحي لإرسال طرف العمامة تحت الحنك «التحنك» الذي أمر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وبالجملة؛ فإن المسلم عند أهل العقل أن زينة الرجل ووقاره باللحية، ولذا سميت بالمحاسن، ومحاسن المرأة المواضع الحسنة فيها التي أمر الله أن تسترها، ومنها شعر الظفيرة، ولكن محاسن الرجل زينته التي ينبغي أن تكشف. قال (عليه السلام):

«الشعر الحسن من كسوة الله عز وجل فأكرموه» (٢).
وواضح أن فاقد هذا الحسن والزينة ناقص قبيح الوجه، كما يحصل التشويه والقبح في وجه بعض الخصيان لفقدانهم لهذه الزينة، ونقصانها في الوجه دليل على

(١) البحار ٣٥ / ٢ ح ١ باب ١ عن المناقب.

(٢) البحار ٧٣ / ٨٣ ح ١ باب ٤.

نقصان الكمالات المعنوية. قال (عليه السلام): «لا تجد في أربعين كوسج رجلا صالحا» (١).

وفي الحديث: «أن آدم سجد ودعا ربه «زدني وقارا»، فلما رفع رأسه من السجود نبتت في عارضيه اللحية» (٢).

وفي حديث آخر: لم يكن لآدم (عليه السلام) لحية، لأن أول من نبتت له اللحية هو شيث (عليه السلام)، وأول من ابيضت لحيته إبراهيم (عليه السلام)، وقيل: إن سبب ذلك أن إسماعيل لما

التحق صار يشبه أباه في محاسنه الصورية شيئا شديدا بنحو يصعب معه التمييز بينهما، فاقتضت الحكمة الإلهية عندئذ أن تبيض لحية إبراهيم المنورة (٣).

ولا يوجد في الأخبار والآثار المروية عن شمائل الأنبياء الماضين والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ما يدل على أن لحاهم كانت طويلة إلى ما يقتضيه التناسق مع القد وتقاسيم الوجه، وعدم طول اللحية يعني الاعتدال والتناسق مع سائر الأعضاء. ولا شك أن اللحية الطويلة تؤدي إلى قبح الوجه وتدل على خفة العقل.

وفي معاني الأخبار في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في معنى «كث اللحية» «إن

لحيته قصيرة كثيرة الشعر» (٤). ووصف سلطان الولاية ب «أن لحيته زانت صدره» أي كانت محاذية لأوائل أضلاع صدره لا تزيد على قبضة، والقبضة قد تكون أطول قليلا من محاذاة أضلاع الصدر أو تكون بمحاذاتها.

وفي كتاب «من لا يحضره الفقيه» عن الصادق (عليه السلام) قال: «من زاد من لحيته

(١) البحار ٥ / ٢٨٠ ح ٩ باب ١١.

(٢) البحار ١١ / ١٧١ ح ١٨ باب ٣ وفيه: «زدني جمالا».

(٣) انظر البحار ١٢ / ١١٠ ح ٣٦ باب ٥.

(٤) معاني الأخبار ٨٤ ح ١.

عن قبضة فهو في النار» (١) وابتداء القبضة حد الذقن، وروى المجلسي أن الزيادة عن القبضة حرام (٢)، وقد يكون النهي تنزيها لا تحريما وهو إشارة إلى الكراهة الشديدة.

وعلى أي حال، فكيف يمكن لمبين الأحكام المكروهة والمحرمة، ومحسن الحسن الذي صارت الزينة بوجوده مرغوبة ومحبوبة أن يتزي بزى الجمال، ويجعل بهاءه في أمر ثبتت كراهته وقبحه عقلا ونقلا وحسا، إضافة إلى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان من قرنه إلى قدمه اقتداء وتأسيا بصاحب مقام الخاتمية،

ولحيته (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت «قصيرة كثيرة الشعر». وروى عن محمد بن مسلم أنه قال: «رأيت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) يأخذ من لحيته فقال: دورها (٣). وأيضاً في كتاب من لا يحضره الفقيه: نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى رجل طويل

اللحية فقال: ما كان به هذا لو هياً من لحيته، فبلغ الرجل ذلك فهياً من لحيته بين اللحين، ثم دخل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رآه قال: هكذا فافعلوا (٤).

ونعم ما قال الشاعر:

فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما زاد من لحيته

والمشهور بين العلماء حرمة حلق اللحية، وكذا الأخذ منها بحيث يكون كالحالق، ولا يحرم مطلق الاخذ منها، سواء كان بمقدار القبضة أو أقل من ذلك،

(١) البحار ٧٣ / ١١٢ ح ١٤ باب ٣ وفيه: «ما زاد من اللحية عن القبضة ففي النار».

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) البحار ٧٣ / ١١٢ ح ١٤ باب ٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه ١ / ٧٦ ح ١٠٩ في غسل الجملة وآداب الحمام.

فيأخذ منها ليدورها ويصلحها ويسويها لكي لا تكون طويلة من جهة، وقصيرة من جهة، وخفيفة في مكان، وكثثة في مكان آخر، وليس في هذا الأخذ ضرر بل فيه ثواب، بشرط أن يأخذ شاربه اقتداءً بأئمة الدين، فلا يطيل شاربه أو يأخذ منه قليلاً ويخفف اللحية.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن المجوس جزوا لحاهم ووفروا شواربهم، ونحن نجز

الشوارب ونعفي اللحي وهي الفطرة (١).

ولا يظن ذوو السلائق المنحرفة والأذواق المعوجة أن ظاهر الخبر يدل على أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يطلقون لحاهم ولا يجزونها، لأن اللحية الطويلة قبيحة طبعاً

وعقلاً، ومنهي عنها شرعاً، والإتيان بالمكروه غير جائز في حقهم، فإطلاق اللحية يعني عدم حلقتها وتدويرها، وأما الإطلاق بمعنى إطالتها أكثر من قبضة فهو مستثنى وخارج بالدليل.

والشارب هو الشعر النابت فوق الشفة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يطولن

أحدكم شاربه، فإن الشيطان يتخذه مجناً يستتر به (٢). وأخذ الشارب يذهب الغم والوسواس.

وفي الحديث أن الصادق (عليه السلام) كان يأخذ من شاربه حتى يبلغ أصول الشعر (٣).

وفي الحديث من أخذ من أظفاره وشاربه كل جمعة وقال حين يأخذه «بسم الله وبالله وعلى سنة رسول الله، اللهم صل على محمد وآل محمد» لم يسقط من قلامه

(١) من لا يحضره الفقيه ١ / ٧٦ ح ١١٠ في غسل الجمعة وآداب الحمام.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١ / ٧٣ ح ٨٤ في غسل الجمعة وآداب الحمام.

(٣) ففي الوافي ٢ / ٦٥٩ ح ١٢ عن الكافي: عن عبد الله بن عثمان أنه رأى أبا عبد الله (عليه السلام) أحفى شاربه حتى

ألزقه بالعسيب (والعسيب منبت الشعر).

ولا جزازة إلا كتب الله عز وجل له بها عتق نسمة من ولد إسماعيل (عليه السلام)...
(١)

وقال: من لم يأخذ شاربه فليس منا (٢).

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): كان قوم يحلقون لحاهم ويفتلون شواربهم فمسحهم الله.

واعلم أن لحية أمير المؤمنين المباركة قد ابيضت في أواخر عمره الشريف ولم يختضب، فسئل عن ذلك فقال: انتظر ابن ملجم المرادي يخضبها بدم رأسي (٣)، وسئل مرة أخرى فقال: لم أختضب حزنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٤).

ولم يكن في أئمة الهدى إمام ابيضت لحيته إلا الصادق (عليه السلام)، فإنه شابت لحيته كلها، ولذا لقب بشيخ الأئمة، وكأن أطولهم عمرا ولم يختضب. وكان في لحية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المباركة عشر شعرة بيضاء، وكان يقول:

«شيبتي هود والواقعة» (٥)، لما في آياتها من ذكر العذاب.

وفي كتاب جامع الأخبار المنسوب للصدوق عليه الرحمة: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«إن الله يقول: الشيبة نوري، وأنا أستحي أن أحرق نوري بناري» (٦).

(١) البحار ٧٣ / ١٢٣ ح ١٢ باب ١٦.

(٢) البحار ٧٣ / ١١٢ ح ١٤ باب ١٣.

(٣) البحار ٤١ / ١٦٤ ح ١ باب ١٠٨ وفيه: عن ابن نباتة قال: قلت لأمر المؤمنين: ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي بعهد معهود أخبرني

به حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٤) البحار ٤١ / ١٦٥ ح ٣ باب ١٠٨ عن نهج البلاغة: قيل له صلوات الله عليه: لو غيرت شيبتك يا أمير المؤمنين، فقال: الخضاب زينة، ونحن قوم في مصيبة؛ يريد به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٥) البحار ١٧ / ٥٢ باب ١٥.

(٦) البحار ٧٠ / ٣٩٠ ح ١٢ باب ١٤١.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الشيب في مقدم الرأس

يمن، وفي العارضين سنخاء، وفي الذوائب شجاعة، وفي القفا شؤم (١).
والشيب ابيضاض الشعر، قال تعالى: (واشتعل الرأس شيبا) (٢).
وروى الصدوق طاب ثراه في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) - بحذف الإسناد -
عن

إبراهيم بن محمد الحسيني، قال: بعث المأمون إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام)
جارية، فلما

أدخلت إليه اشمأزت من الشيب، فلما رأى كراهيتها ردها إلى المأمون وكتب إليه
بهذه الأبيات شعرا:

فقد ولى الشباب إلى مداه * فلست أرى مواضعه تؤب
سأبكيه وأندبه طويلا * وأدعوه إلي عسى يجيب
وهيهات الذي قد فات منه * تمنيني به النفس الكذوب (٣)
ويستفاد من هذا الحديث أن لحية الرضا (عليه السلام) المباركة كانت بيضاء كلاً أو
بعضاً حينما كان (عليه السلام) في خراسان.
ونعم ما قال الشاعر:

ورأين الغانيات شيبى فأعرضن وقلن السواد خير لباس
واعلم أن ذي اللحية البيضاء وذي الشيب غالباً ما يكون قد وصل إلى سن
كامل فيه عقله، ونضجت تجاربه، وتكاملت معرفته، وتحدرت معارفه الحققة،
وآدابه العبودية، لضعف قواه الشهوية والغضبية، ومن كان كذلك كان قريباً من
نور الهداية الإلهية ولعل هذا هو المراد من «الشيب نوري»، ولكن هذا لا يعني أن

(١) فقيه من لا يحضره الفقيه ١ / ٧٦ ح ١١٤ في غسل الجمعة وآداب الحمام.

(٢) مريم: ٤.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢ / ١٩١ ح ٨ باب ٤٣ ما أنشد الرضا (عليه السلام) المأمون من
الشعر.

يكون ذو الشبهة محترما عند الله مطلقا، فلربما كان في الشيوخ ضالين مضلين أحبث من الشباب المتمردين.

موی سفید خود من از این رو سیه کنم* تا باز نوجوان شده از سر گنه کنم (۱)
وقال الآخر:

ای که کردی به هرزه موی سفید* يك به يك می کنی زبهر نمود (۲)
كما أن المستحسن هو كبر العقل لا كبر السن، وما أقل حياء ذي الشيب العجوز الذي يستحي الله أن يعذبه وهو لا يستحي من الله ويعصيه، كما ورد في الحديث أن الله ينادي مثل هذا الشيخ في كل صباح ومساء: «يا عبدي كبر سنك، ودق عظمك، ورق جلدك، وقرب أجلك، وحان قدومك علي، وتعصيني وأنا أستحي من شيبتك أن أعذبك بالنار (۳)» (۴).

(۱) يقول: أغير شيبتي بالسواد لأبدو شابا، فأعود للمعصية من جديد.
(۲) يقول: يا من سخرت بالشيب، وها أنت تقتلع شعراته من أجل منظره.
(۳) البحار ۷۰ / ۳۹۰ باب ۱۴۱.

(۴) والمراد من متابعة الشيخ ليس اتباع الرجل العجوز الذي ضعفت قواه وتحللت أعضائه كما قال الله تعالى: (ومن نعمه ننكسه في الخلق). [يس: ۶۸] وقال في موضع آخر: (هو الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير). [الروم: ۵۴]
وقال المولوي:

آن رخی که تاب او بد ماهوار* شد به پیری همچو پشت سوسمار
رنگ لاله گشت رنگ زعفران* زور شیری گشته چون زهره زنان
موی بر سر همچو برف از بیم مرگ* جمله اعضا زرد و لرزان همچو برگ
و آن قد رقصان و نازک چون سنان* گشت در پیری دو تا همچون کمان
بل المراد به الإمام والمقتدی كما قال المولوي في الشيخ العالم الهادي الذي يرشد تلاميذه:
ای ضیاء الحق حسام الدین بگیر* يك دو کاغذ بر فرا در وصف پیر
در نویس احوال مرد راه دان* پیر را بگزین و عین راه دان
پیر تابستان و خلقان شیر ماه* خلق مانند شبنم و پیر ماه
کرده ام بخت جوان را نام پیر* کو زحق پیر است نی زایام پیر
خود قویتر باشد آن خمر کهن* خاصه آن خمری که باشد من لدن
پیر را بگزین که بی پیران سفر* هست بس پر افت و خوف و خطر
هیچ نکشد نفس را جز ظل پیر* دامن آن نفس کش را سخت گیر
گفت پیغمبر علی را کای علی* شیر حقی پهلوانی پر دلی
لیک بر شیری مکن تو اعتمد* اندرا در سایه نخل امید
پس تقرب جوی او سوی اله* سر مپیچ از طاعت او هیچ گاه
زانکه او هر خار را گلشن کند* دیده هر کور را روشن کند
ظل او اندر زمین چون کوه قاف* روح او سیمرخ بس عالی طواف
دستگیر بنده خاص اله* طالبان را می برد تا پیشگاه
گر بگویم تا قیامت نعت او* هیچ او را غایت و مقطع محو

چون گرفتني پير هين تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر رو صبر كن بر كار خضر اى بى نفاق * تا نگويد خضر رو هذا فراق گر كه كشتى بشكند تو دم مزن * گرچه طفى را كشد تو مو مكن دست خود مسپار جز بر دست پير * حق شده است آن دست او را دستگير دست اورا حق چودست خویش خواند * پس يدالله فوق ايديهم براند

الخلاصة: اعلم أن ما يقال: «لا بد من اتباع الشيخ في الطريقة» وهو اصطلاح شائع بين العرفاء، فإن كان الشيخ مؤكدا وناقلا للمطالب والأحكام الظاهرية والباطنية عن الشرع وعن سيد الدين النبي الخاتم الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعلم جبرئيل ووصيه سيد الأولياء أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولو كان آداب النوم مثلا، ولا يتخطى أقوالهم ويتبعها حذو النعل بالنعل، ويسلم لها كليها وجزئها، ويعمل بها تعقلا وتعبدا، إن كان الشيخ كذلك فاتباعه وخدمته نافعة في سلوك طريق التكليف، والإفاضة من هذا المرشد للمسترشد ستكون مفيدة في تكميل الحالات والوصول إلى التوفيقات، وستكون الإستفاضة حاصلة البتة.

وإن كان الشيخ يؤسس خلاف التكليف مما يستحسنه بعقله، ويفرضه مع ما فيه من عدم مطابقة لظاهر أحكام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويجعل الاصطلاحات والتأويلات التي يلزم منها عدم المبالاة بحكم من الأحكام الظاهرية، فهذا الشيخ ليس بشيخ بل هو إبليس في صورة إنسان، وبمعنى هو شيطان ومثل كلماته التي يلقياها إلى مسترشديه مثل وحي الشيطان لأوليائهم (إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) [الأنعام: ١٢١].

أقول: دفعا للمشاحة في الاصطلاح: بناء على اصطلاح أهل الطريقة أيضا، أن الشيخ الحقيقي في الرتبة الأولية هو من يأخذ الأغذية الروحانية من عالم غيب الغيوب ويوصلها إلى مذاق أرواح المسترشدين بقدر استعداداتهم وقابلياتهم، وذلك هو وجود مرشد الخير ومعلم شديد القوى عقل الكل حضرة الخاتم النبي، وهو الرابطة والواسطة بين الخالق والخلق، ووجود حضرة سيد الأولياء الذي اكتسب ألوان العلوم الغيبية عن الوجود النبوي من ولادته حتى وفاته، وكانت تربيته الصورية وتنميته الجسدية في عهدة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم). (من المتن)

واعلم؛ أن بعض أئمة الهدى كانوا يخضبون محاسنهم ويرغبون رغبة شديدة في هذه السنة السنية، وكانوا يخضبون بالوسمة أو الكتم أو الحناء. وفي الحديث: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):... درهم في الخضاب أفضل من ألف

درهم في غيره في سبيل الله عز وجل، وفيه أربع عشرة خصلة: يطرد الريح من الأذنين، ويجلو البصر، - ويجلو الغشاء من البصر - ويلين الخياشيم، ويطيب النكهة، ويشد اللثة، ويذهب بالغين، ويقل وسوسة الشيطان، وتفرح به الملائكة، ويستبشر به المؤمن، ويغيظ به الكافر، وهو زينة، وطيب، ويستحي منه منكر ونكير، وهو براءة له في القبر (١).

وقال: اخضبوا الشيب وقيل: الخضاب شباب ثان.

وفي الحديث: «جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فنظر إلى الشيب في لحيته فقال

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): نور، ثم قال: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة.

(١) من لا يحضره الفقيه ١ / ٧٠ ح ٦١ في غسل الجمعة وآداب الحمام.

قال: فحضب الرجل بالحناء، ثم جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رأى الخضاب، قال: نور وإيمان...» (١).

والمستفاد من أغلب أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أن خضاب اليد مكروه للرجال (٢) وجائز للنساء بل فيه استحباب، وأن خضاب الرأس واللحية أعم من الخضاب بالحناء والوسمة.

ودخل رجل على خامس أصحاب الكساء في قصر بني مقاتل، فقال: هل تخضب؟ قال: نعم اختضبت، ونحن بنو هاشم يسرع الشيب إلينا (٣). وفي الحديث: قتل الحسين صلوات الله عليه وهو مختضب بالوسمة (٤). وبغض النظر عما مر فإن الخضاب يجعل الرجل كالشباب، فيجدد له أملا في الحياة والبقاء، فيصل له من هذا الأمل انبساط وسرور وطيب خاطر فتنمو الطبيعة نوعا ما.

ونكتفي بهذا القدر من الكلام عن الخضاب والشعر في هذه الخبيصة، ومنتقل للحديث عن وصف رقبته الشريفة (عليه السلام).

(١) الوافي ٤ / ٦٣٥ ح ٢ باب ٦٩ الخضاب عن الكافي ٦ / ٤٨٠.
(٢) قال الفيض الكاشاني في الوافي: ٤ / ٦٤٥ ذيل ح ٣٦: «... وفي هذه الأخبار دلالة على جواز ما هو المتعارف بين أصحابنا اليوم من اختضاب اليدين والرجلين بلا كراهة، على أنه لو لم تكن هذه الأخبار لكفى في ذلك حديث «كل شيء مطلق حتى يرد فيه النهي» إذ لم يرد في هذا نهى، ويمكن استفادة ذلك أيضا من عموم أخبار هذا الباب وإطلاقها وإن كانت ظاهرة في اللحية والرأس، بل لو استفيد ذلك من قوله (عليه السلام) «لا بأس بالخضاب كله» وجعل أحد معانيه لم يكن بذلك البعيد».
(٣) انظر البحار ٢٧ / ٢٠٤ ح ٦ باب ٨ وفيه: «عمرو بن قيس المشرقي قال: دخلت على الحسين (عليه السلام) أنا

وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل فسلمنا عليه فقال له ابن عمي: هذا الذي أرى خضاب أو شعرك؟ فقال: خضاب وهاني «يعني الشيب إلينا بني هاشم يعجل...».

(٤) الوافي ٤ / ٦٤٢ ح ٢٣ باب ٦٩ الخضاب عن الكافي ٦ / ٤٨٣.

الخصيصة الثالثة والثلاثون
في بيان بقية شمائل صهر الرسول وزوج البتول
أما عنقه (عليه السلام)
وكان عنقه (عليه السلام) كأبريق فضة، وهو أرقب (١):
الرقبة والعنق والجيد واحد، والجيد الأجد الطويل في اعتدال وحسن،
وكذا كان عنقه أمير المؤمنين (عليه السلام) غاية في الحسن والجمال.
وفي معاني الأخبار في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كأن عنقه جيد
دمية (٢)،
والدمية التمثال الجميل الذي يصنعه النقاش بدقة واهتمام، وتزين به القصور
والبيوت، قال الشاعر:
أو دمية صور محرابها* أو درة سيقت إلى تاجر (٣)
قال صاحب المجمع: «الدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم: صنم يتخذ
من العاج، أو صورة يتنوق في صنعتها ويبالغ في تحسينها» (٤).

(١) البحار ٣٥ / ٢ ح ١ باب ١ من المناقب.

(٢) معاني الأخبار ٨٤ ح ١.

(٣) البيت للأعشى أنظر لسان العرب ٣ / ١٠٣ مادة «حرب» وفيه «شيق» بدل «سيق».

(٤) مجمع البحرين ١ / ١٤٨ مادة «دما».

وهو استعمال شائع عند العامة إذا أراد وصف وجه وبالغوا في بيان حسنه قالوا: «كأنه دمية».

والصفات المرغوبة في العنق صفتان: الامتداد والبياض، وكلاهما كان في أمير المؤمنين (عليه السلام).
والرقبة الطويلة تشبه برقبة الطيبي، قال مجنون العامري وكان وقع في شركه ظبية فأطلقها وقال:

أيا شبه ليلي لا تروعي فإنني * لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت ليلي ما حييت طليق
فعينك عيناها وجيدك جيدها * سوى أن عظم الساق منك دقيق (١)
فلما انطلق الطيبي يجري قال:

إذهبي في كلاءة الرحمن * أنت مني في ذمة وأمان
لا تخافي من أن تهاجي بسوء * ما تغنى الحمام في الأغصان
وقال امرئ القيس:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * إذا هي نصته ولا بمعطل (٢)
وجمال عنقه (عليه السلام) جمال صوري ومعنوي، ومن محسناته المعنوية قوته وغلبته وارتفاعه على الأعناق، ولولا ذلك لما لوى أعناق الكفار وذوي الأباطيل، ولما أذل رقاب الجابرة والمتكبرين، ولما أذعنوا إليه وأقروا بالمسكنة لديه، ولما أمكن تشييد أركان الدين القويم والهداية إلى الصراط المستقيم، ولما ارتفعت كلمة التوحيد.

(١) انظر لسان العرب ٥ / ٣٧٢ مادة «روع».

(٢) الغرض من نقل الأبيات الإشارة إلى حلاوة التشبيهات وملاحظتها. (من المتن)

گر وجود على نبود نبود * آسمان و زمين و ليل و نهار (١)
 أما منكبه الشريف (عليه السلام)
 «فكان (عليه السلام) عظيم المنكبين وعظيم المشاشين» (٢) وهو دليل قوة الشجاعة;
 «ومنكب الشخص مجتمع رأس العضد والكتف، والمنكبان هما اليمين والشمال»،
 وكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
 قال في «المجمع» في وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «عظيم مشاش
 المنكبين؛ والمشاش
 رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها، كالمرفقين والكتفين والركبتين» (٣).
 وأي صفة أفضل للبدن من تلك التي تجعله مقتدرا قوي الأعضاء، سيما إذا
 كانت فيمن تقوم على ساعده إدارة الأمور الدينية وترتيب الأحوال الدنيوية، بل
 تتوقف ثمرات النبوة والحصول على فوائدها وهو عضد الولاية، وقد كانت الحمية
 الجاهلية الملعونة تمنعهم عن اتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والدخول في
 الإسلام، فضلا عن
 التكبر والعجب الذي تربوا عليه في زمن الفترة.
 [كلام في ذم التكبر والمتكبرين ومدح التواضع]
 جرنا الحديث إلى ذكر التكبر، فلا بأس بالكلام قليلا عن ذم التكبر
 والمتكبرين ومدح التواضع، فقد يكون في الكلام تنبيها للغافل وإرشادا للجاهل.

(١) يقول: لولا وجود علي، لما وجدت السماء ولا الأرض، ولا الليل ولا النهار.

(٢) انظر البحار ٣٥ / ٢ ح ١ باب ١.

(٣) مجمع البحرين ٤ / ١٥٢ مادة «مشش».

إعلم؛ إن الرعونة في العرب كانت سائدة، قال في مجموعة ورام: «.. أمرت العرب الذين يتكبرون على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا، وقيل للصلاة «عماد الدين»، وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا، ومن جملة ما فيها من التواضع بالمثل قائما وبالركوع والسجود، وقد كانت العرب قديما يأنفون من الإنحاء، وكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه، وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه، فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والصغار أمروا به لتتكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم، وبه أمر سائر الخلق، فإن الركوع والسجود والمثل قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع..» (١). والطريق الأفضل لتربية العبد وتأديبه هو التواضع. والكبر غالبا ما ينتهي إلى الكفر، وما أبعث الإنسان عن الكبر، وما أقبحه إذا إدعاه وهو المسكين الحقيق الذي خرج بادئ الأمر من مخرج البول، ودخل في مخرج البول، وطوى النشئة في الظلمات الثلاث، وهو في غاية الضعف والعجز، لا يدفع عن نفسه نملة تدخل أذنه، ولا شوكة تخترق رجله، تنقل من الماء المهين والنظفة الأمشاج إلى العلقة والمضغة، ثم رقى من ذلك المقام فتغذى بدم الحيض، وحبس في مشيمة الرحم، وهو يحمل في أعضائه الصورية القدر من رأسه حتى قدميه، ففي أنفه المخاط، وفي أذنه الوسخ، وتحت الجلد الدم، وفي الأمعاء القاذورات، وفي المثانة البول، وقذارت الإنسان في حد لو أنه لم ينظف نفسه في اليوم مرة على الأقل لما استطاع أحد معاشرته وتنفر عنه أصدقائه وأقرب الناس

(١) مجموعة ورام ١ / ٣٠٨ باب الطيق في معالجة الكبر واكتساب التواضع.

إليه، هذا كله في حال حيالته وطراوته، فكيف به إذا صار ميتة ننتة (١)؟ ومع كل ذلك ينتفخ بنخوة الكبر ويتعالى بالعجب؟! والكبر يسوق صاحبه عاقبة إلى الهلاك كما أوصل الشيطان إلى الهلاك الأبدى.

وهذه الصفة الملعونة كانت في العرب أكثر منها في العجم، وكانت في العجم الكسروية أكثر من غيرهم، وكان الكسرويون يسمون أنفسهم «الأحرار»، ويسمون سائر الخلق «عبيد».

وكان في العرب الكثير ممن عرف بالكبر. قيل: أتى وائل بن حجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقطعه أرضا، وقال لمعاوية: أعرض

عن هذا الأرض عليه واكتبها له، فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس، فقال له: أردفني خلفك على ناقتك، قال: لست من أردفك الملوك، قال: فأعطني نعليك. قال: ما بخل يمنعي يا بن أبي سفيان،

(١) قال الغزالي في إحياء علوم الدين ٣ / ٣٨١ في باب الطريق في معالجة الكبر: السبب الثاني: التكبر بالجمال، ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى باطنه نظر البهائم، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه، فإنه وكل به الأقدار في جميع أجزائه: الرجيع في أمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والبزاق في فيه، والوسخ في أذنيه، والدم في عروقه، والصديد تحت بشرته، والصنان تحت إبطه، يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفتين، ويتردد كل يوم إلى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقدره، فضلا عن أن يمسه أو يشمه، كل ذلك ليعرف قدارته وذلك في حال توسطه. وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة الصور، من النطفة ودم الحيض، ثم خرج من مجرى القدر، إذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر... ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقدار، وصار أنتن وأقدر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط، فإذا نظر أنه خلق من أقدار، وسكن في الأقدار، وسيموت فيصير جيفة أقدر من سائر الأقدار...

ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلي، ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفاً (١).

وروي أيضاً: أن عبد الله بن زياد خطب في البصرة، فقبل له: أحسنت كثير الله فينا مثلك، فقال الأحمق: لقد كلفتم الله شططا.

وقيل لرجل من بني عبد الدار: يا فلان أما تأتي الخليفة؟ قال: ما بي كبير يمنعني، إلا أنه أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي (٢)، وأمثال هؤلاء كثير، بل كان العرب كذلك في الغالب.

سبحان الله؟! كيف يدعي هذه الدعاوي الباطلة من تننفر الوحوش الكاسرة من جيافته و تنته إذا مات، فتأبى الأكل من جثته لقطارته.

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى * كنزوا الكنوز فما بقين وما بقوا

وروي في حالات جبلة بن الأيهم من ملوك غسان: إنه تكبر ولم يصبر على لظمة، فاختر النصرانية وعدل عن الإسلام، واختر الشقاء الأبدي على السعادة الأبدية، كما قال الشاعر:

تنصرت الأشراف من أجل لظمة * وما كان فيها لو تجافيت من ضرر
تداخمني فيها لحاج ونخوة * فكنت كمن باع السلامة بالغرر (٣)

(١) المستطرف ١ / ٢٨٥ الباب السابع والعشرون وانظر مسند أحمد ٦ / ٣٩٩ حديث وائل بن حجر وأسد

الغابة ٥ / ٤٥١ ترجمة ٥٤٣٦.

(٢) المستطرف ١ / ٢٨٥ الباب السابع والعشرون.

(٣) والأبيات لجبلة بن الأيهم نفسه كما في العقد الفريد ٢ / ٦١ قال: ... ثم أنشأ يقول - أي جبلة -:
تنصرت الأشراف من عار لظمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لحاج ونخوة * وبعث لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني * رجعت إلى الأمر الذي قال لي عمر
وياليتني أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
ونسبها أبو الفرج في الأغاني ١٥ / ١١٤ إلى حسان بن ثابت.

وتفصيل قصته: إن جبلة بن الأيهم آخر ملوك بني جفنة وفد على عمر بن الخطاب في خمسمائة فارس من عك وجفنة، فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة، ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط مارية، وهي جدته مارية بنت طالم بن عمرو، وكان في القرط جوهرتان نفيسان لا يوجد مثلهما في خزائن ملوك الأرض، حجم الواحدة منها كبيض الحمام، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد إلا خرج ينظر إليه، حتى النساء والصبيان، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر بن الخطاب، فبينما هو يطوف في البيت إذ وطئ على إزاره رجل من بني فزارة فحله، فالتفت إليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب فبعث إليه، فقال: ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه؟ فقال: إنه وطئ إزاري فحله، ولولا حرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه.

فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت، إما أن ترضيه وإلا أخذته منك. قال: أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة؟ قال: يا جبلة إنه قد جمعك وإياه الإسلام، فما تفضله بشيء إلا بالعافية. قال: رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، فإذا أتتصر. قال عمر: إذا تنصرت ضربت عنقك.

واجتمع وفد فزارة ووفد جبلة حتى كادت تكون فتنة، فقال جبلة: أنظرني إلى غد أنظر في أمري.
قال عمر: ذلك إليك.

فلما جنح الليل خرج في قومه من عك وجفنة فتنصر وقدم على هرقل، فأعظم قدومه وسر به وأقطعته الأموال والرباع... إلى آخر الحكاية (١).
قال أبو فراس الحرث بن سعيد بن حمدان في قصيدته البائية مشيراً إلى هذه القضية:

تحملت خوف العار أعظم خطئة* وأملت نصرا كان غير قريب
وللعار خلى رب غسان ربه* وفارق دين الله غير مصيب
والمراد من «رب غسان» جبلة بن الأيهم وكان ذا جلال ووقار.
روى المؤرخون: فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام أجابه إلى المصالحة على غير الإسلام، وقال عمر للرسول: إذا وصلت هناك إلق جبلة (٢)، فذهب الرسول إلى باب جبلة، فإذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل، قال الرسول: فلم أزل أتلف في الإذن حتى أذن لي فدخلت عليه... فإذا هو على سرير من ذهب، أربع قوائم أسد من ذهب، وعليه ثياب صفر، وعلى رأسه تاج فيه قرطا مارية، فلما رأني رحب بي وأكرمني وأمرني بالجلوس على الكرسي، فاستعفيت لمكان

(١) المصدر السابق.

(٢) في العقد الفريد: فلما أراد - أي هرقل - أن يكتب جواب عمر قال للرسول: ألقيت ابن عمك هذا الذي ببلدنا - أي جبلة - الذي أتانا راغبا في ديننا؟...

الذهب، فضحك وقال: إذا طهر قلبك لا تبالي ما لبست وعلى ما جلست. فقلت له: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن ذلك، ثم أشار إلى خادم فما كان أسرع من أن جاء ومعه وصائف يحملن الموائد والأطعمة فوضعت، ثم أتوا بمائدة من ذهب عليها صحائف الفضة، وأتوا بطبق من خيزران وبآنية الزجاج، فأكلنا ورفعنا أيدينا عن الطعام، فأتى الخادم بطست وكوز من ذهب فشرب به خمسة، ثم وضعت بين يديه كراسي غيره فجلست عليها جوار مثل الدمى، وجاءت جارية في يمينها جام ذهبي، وفي شمالها جام فضي، وعلى رأسها حمام أبيض مزخرف، فوضعت الجامين، فإذا في الذهبي ماء ورد، وفي الفضي سحيق المسك، ثم نفر الحمام فوق في ذلك مرة وفي هذا أخرى، ثم طار بما ألزق بجناحيه من ماء الورد والمسك حتى وقع على تاجه فانفض... والقصة طويلة في كتب التاريخ.

وكان حسان بن ثابت قد قال فيه وفي تنصره شعرا، فسأل جبلة الرسول عن حسان فقال: قد عمي وهو في شدة هذه الأيام، فأمر له بخمسمائة دينار هرقلية وخمسة أثواب وجبة كان يلبسها (١).

قال الرسول: فلما قدم على عمر أخبرته خبر جبلة، ثم ذكرت له الهدية التي أهداها إلى حسان بن ثابت، فبعث إليه وقد كف بصره فأتني به وقائد يقوده، فلما دخل قال: إني لأجد ريح آل جفنة عندك، فقال عمر: نعم، قد نزع الله تبارك وتعالى منه على رغم أنفه وأتاك بمعونته.

(١) في العقد الفريد: «.. ثم سألتني عن حسان: أحي هو؟ قلت: نعم تركته حيا فأمر لي بكسوة ومال ونوق موقرة برا، ثم قال لي: إن وجدته حيا فادفع إليه الهدية واقترئه سلامي، وإن وجدته ميتا فادفعها إلى أهله وانحر الجمال على قبره...».

قال الرسول لعمر: إني طمعت في جبلة ودعوته إلى الإسلام لما سمعته يذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقول «صلى الله عليه وسلم» فقلت له: ويحك يا جبلة ألا تسلم

وقد عرفت الإسلام وفضله؟ قال: أبعد ما كان مني؟ قلت: نعم قد فعل رجل من بني فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع إلى الإسلام وقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما، قال: ذرني من هذا إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته، ويولينني الأمر من بعده رجعت إلى الإسلام، وإني ضمنت له التزويج ولم أضمن له الإمرة، فقال عمر: هلا ضمنت له الإمرة؟! فإذا أقاد الله به الإسلام قضى عليه بحكمه عز وجل.

قال: ثم جهزني عمر إلى قيصر وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترط به، فلما قدم القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته، فعلمت أن الشقاء غلب عليه (١)...

وكان جبلة من حيث الجمال والغنى أبر من النعمان كما قال حسان مخاطبا جبلة «والله لشمالك أندى من يمينه (٢)، ولقفاك أحسن من وجهه، وأمك خير من أبيه.

إجمالا: إن من أمثال هؤلاء ممن بلغ بهم العجب إلى الإرتداد والشقاء السرمدى مع إيقانهم بالسعادة الأبدية ومعرفتهم بحقيقة الإسلام وتمسكهم بالعصبية والحمية الجاهلية الملعونة، بحيث يدفنون بناتهم أحياء لمجرد أن امرأة من

(١) انظر قصة جبلة بن الأيهم في العقد الفريد ٢ / ٥٦ والأغاني ١٥ / ١١٦.

(٢) يعني يمين النعمان.

بني تميم اختارت السابي على زوجها (١)، ثم يأتيهم من يأمرهم بأن لا يعضلوا أمهاتهم إذا أردن الزواج!! فكم عليه أن يتحمل ويكابد ويهيا من الأسباب في سبيل تنفيذ أحكام الله!؟

والظاهر أن أقوى تلك الأسباب هي قوة ساعد سيف الله المسلول، ولو لم تكن هذه القوة لما كانت تلك الإستقامة، وليس لهذه الآراء المنحرفة والأنانيات إلا التواضع وحسن الخلق الذي امتاز به خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى صار مظهرا للرحمة الإلهية والقهر والغلبة التي امتاز بها أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كان مظهرا للقدر الإلهية، وهذا المعجون المركب من القوى كان علاجاً ودواء لحالاتهم المستعصية، مع مالهم من النخوة والكبر والإباء عن قبول الإسلام والتمرد على قبول التربية واستقبال السعادة الأخروية. وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذم الرعونة والتكبر: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر» (٢). ولو لم يكن لهذه الصفة من ذم سوى هذا الحديث لكفى.

قال الأحنف: «ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه» (٣). وقيل أيضاً: لا يتكبر إلا كل وضع دني؛ لأنه يستر ضيعته وذلته وخساسة قدره بالكبر بزعمه، ولا يتواضع إلا كل رفيع، لأنه مستغن عن الكبر غير محتاج إليه.

(١) ولا نذكر قصتها لئلا يطول بنا المقام. (من المتن)

(٢) البحار ١ / ١٥٢ ح ٣٠ باب ٤.

(٣) والكلام ليس للأحنف وإنما هو لمولانا الصادق (عليه السلام) كما في البحار ٧٠ / ٢٢٥ ح ١٧ باب ١٣٠ عن الكافي

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه».

وكان جذيمة الأبرش (١) غاية في الكبر؛ يقال إنه كان لا ينادم أحدا لتكبره ولا يرى له نديما سوى كسرى، ويقول: إنما ينادمني الفرقدان (٢). وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا؛ روي أنه قال لغلامه: أسقني ماء. فقال نعم. فقال: إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا، اصفعوه فصفع، ودعا أكارا فكلمه، فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته (٣). والمشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية، ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدي (٤). والمشهورون بالكبر والعجب حتى ضرب بهم المثل: سعد بن زرارة، وابن السماك الأسدي، وعبد الله بن زياد التميمي. أما عبد الله بن زياد فقد مر ذكره، وأما سعد فقليل: إنه كان يمشي يوما في زقاق، فسألته امرأة: يا عبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا؟ فقال لها: يا هنتاه! أمثلي يكون من عبيد الله!!!
وأما ابن السماك فالحديث عنه ذو شجون يوجب التطويل. ولكنني وجدت من بين المتكبرين أحمقا ذكره المؤرخون وهو في غاية الغرابة: قيل إن رجلا من عرب الجاهلية - لا يحضرني الآن اسمه - امتنع عن الغذاء استنكافا عن الغوط والقيء، لأنه يرى نفسه أكبر من ذلك، فأخذته الأنفة حتى

(١) قال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ١٥ / ٣١٢:
وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان الأسدي وأصله من الأزدي وكان أول من ملك قضاة بالحيرة وأول من حدا النعال وأدلى الملوك ورفع له الشمع.
(٢) المستطرف ١ / ٢٨٥ الباب السابع والعشرون.
(٣) انظر المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق وقال: قال الجاحظ: المشهورون....

ضعف تدريجيا وبادت قواه، وكان جالسا ذات يوم في مكان لم يعهد أن يرى فيه ذئب، ففوجئ بذئب يهجم عليه فعجز عن الدفاع لضعفه، فافترسه الذئب من دبره فأخذ يخاطبه ويقول: يا ذئب إنك لتستمد بسرم كريم. يا للعجب من إنسان يعجز عن دفع شر حيوان أذل وأخس من الكلب، ويتظاهر بالكبر والعجب وهو في تلك الحالة!! وإذا أردنا ذكر حالات المتكبرين من العرب لطلال بنا المقام وخرجنا عن موضوع الكتاب، لذا سنكتفي بهذا القدر.

وصفة الكبر تمحق مراتب الإنسانية والشرف، وعكسه التواضع يرسخها ويشبتها. قيل: الرجال ثلاثة: سابق ولاحق وماحق؛ والأول من سبق الآخرين في الفضل، والثاني من مشى في درجات الشرف لاحقا بأبائه، والثالث من محق شرف آباءه.

وفي المثل «ليس للمختال في حسن الثناء نصيب» (١) حيث لا يثني عليه أحد من الخلق، وليس له نصيب عند الخالق، فهو محروم في الدنيا والآخرة و (ذلك هو الخسران المبين) (٢).

ومعلوم أن الإنسان كلما تفكر وتدبر ونظر في المعارف الدينية والصنائع الإلهية ازداد كمالاته في المعرفة واليقين وأعرض عن الصفات الرذيلة، ومال إلى الملكات الحسنة مثل التواضع والترايبية، واتجه نحو أسباب التقرب والطاعة وابتعد عن موجبات البعد عن الله.

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢ / ٢٢٤ رقم ٣٣٠٨ فيما أوله «لام».

(٢) الزمر: ١٥.

أنظر إلى من خلق الله العرش بعظمته لأجله بمستوى من التواضع بحيث يعلف ناقته بيده ويحلب شاته ويخصف نعله، وكذا هو حال وصيه حتى سمي «أبو تراب» سار في الناس بسيرة لا تميزه عن أحدهم، وكان أحسن الناس لباسا، وهو أفضل الخلق كافة خلقا وخلقا، مادة وطبيعة، علما ومعرفة، رحمة ومحبة، عبادة ورياضة، نورا وحكمة، سياسة ورياسة، نطقا ومهابة، صباحة وفصاحة، شوكة وشجاعة، زهدا وعفة، وهو - روعي فداه - الذي انطوى فيه العالم الأكبر بأتم وأكمل صورته وهو، (الذي خلق من الماء بشرا وجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) (١).

ومع كل ما آتاه الله تجده يتوجه إلى الله بإظهار العجز والحاجة والفاقة والمسكنة والعبودية والانكسار في حضرة ذي الجلال، حتى لكأنه - والعياذ بالله - قد قصر في عبادته أو بدر منه ذنب يقول (عليه السلام) في مناجاته: «إلهي! إرض عني فإن لم

ترض عني فاعف عني، فقد يعفو السيد عن عبده وهو غير راض (٢)؛ إلهي أألنار ربنتي أمي، فليتها لم تربني، أم للشقاء ولدتني، فليتها لم تلدني» (٣) والحال أنه لم يصدر منه ترك الأولى فضلا عن المعصية، ولكنه مقام معرفته بعظمة الله بدرجة من الكمال يرى فيها الله أمامه يراقب خضوعه، ومن شدة تواضعه لله لا يرى نفسه، ويستوحش عن أي ذكر سوى ذكر الله، كما قال ضرار في وصفه: «كان غزير الدمعة، كثير الفكرة، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته،

(١) الفرقان: ٥٤.

(٢) البحار ٩١ / ١٠٥ ح ١٤ باب ٣٢.

(٣) البحار ٩١ / ١٠٨ ح ١٤ باب ٣٢.

وهو يقلب كفه ويخاطب نفسه... الخ» (١).
وقال (عليه السلام): «الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم» (٢).
ومع كل هذا الاعتزال عن الناس تجده في مقام الإرشاد والهداية ساعيا
مجاهدا، ضرب بالسيف لإقامة قواعد الإسلام وتشبيد أساسه، حتى سمي «قتال
العرب»، وضرب خياشيم جبابرة العرب بسيفه، حتى قبلوا الإسلام رغم أنوفهم
رغبة ورهبة، وطوى أعلام الكفر ونشر راية الدين القويم.
لولا غليل شفته الأرض من دمهم * شربا لماجت ببحر منه ملتطم
قال سيد الساجدين (عليه السلام): «أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا
إله إلا الله» (٣).

ولنعم ما قال السيد علي خان:
ولا غلو إذا ما قلت عزمته * تكاد تثني رقاب الأعصر القدم
المهم! أننا توسعنا في الكلام لبيان صفته (عليه السلام) من أنه «عظيم الكراديس عظيم
المشاشين والمنكبين»، وقلنا: إنه لم يكن خارجا عن حد الاعتدال، وإنما كان - وهو
صاحب الخلافة والمكلف بإقامة أمور الدين والجهاد مع المشركين والمصحوب
بالنصر والفتح المبين - مزودا بالأسباب الظاهرية القائمة على الشجاعة وقوة
الساعد، وقد خلق الله تعالى هذا الإنسان الحقيقي والحقيقة الإنسانية في أحكم
صورة وأحسن تقويم (فتبارك الله أحسن الخالقين) (٤).

-
- (١) البحار ٣٣ / ٢٧٥ ح ٥٣٨ باب ٥٠.
(٢) البحار ٦٧ / ١١١ ح ١٤ باب ٤٩ وفيه «الفطنة» بدل «المعرفة».
(٣) البحار ٤٥ / ١٣٨ ح ١ باب ٣٩.
(٤) المؤمنون: ١٤.

ولا بأس بذكر شمة من قوة يد الله العظمى، فلعلنا ندخل بذلك السرور في قلوب الناظرين.
فقد اتفق المؤرخون على أنه كان في الطبقة الاولى من شجعان الدنيا، بل كان بطلهم، وهذا الأمر بديهي مسلم بين الخاصة والعامة.
قالوا: كان يغوص في حرب النهروان في أعماق الجيش ويحارب حتى يعوج سيفه، فيخرج ليقومه ويكر مرة أخرى، ويقول: لا تلوموني ولوموا هذا، ويشير إلى سيفه.
فداء لهذه اليد التي قال عنها العرب «ما لقينا كتيبة يكون بها علي إلا أوصى بعضنا بعضا».

ولعمرو بن العاص كلام مع معاوية وبنو أمية في كفاءة أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلمه بالحرب، نقله نصاباً: قال الكلبي النسابة: إنه اجتمعت بنو أمية ذات يوم وعاتبوه (١) في تفضيل عمرو بن العاص عليهم، فتكلم معاوية ثم حرك عمرا على الكلام، فقال عمرو: أنا الذي أقول في صفين «إذا تخازرت وما بي من خزر» أما والله ما أنا بالواني ولا العاني، وإني أنا الحية الصماء التي لا يسلم سليمها ولا ينام كليهما، إن همزت كسرت، وإن كويت انضجت، فمن شاء فليشاور، ومن شاء فليؤامر، مع أنهم لو عاينوا ما عاينت أو ولوا ما وليت، لضاق عليهم المخرج ولتفاقم بهم المنهج، إذ شد علينا أبو الحسن سلام الله عليه وعن يمينه وشماله أرباب البصائر والعشائر من المباشرين، فهنالك والله قد شخصت الأبصار خوفاً منه، وارتفعت الشرار وتقلصت الخصي إلى موضع الكلى، وفارقت الأمهات عن

(١) يعني معاوية.

شكلها وذهلت من حملها، واحمر الحدق، واغبر الأفق، وسال العلق، وثار القتام،
وصبر الكرام، وحام اللئام، وازبدت الأشداق، وقامت الحرب على ساق،
وتضاربت الرجال بأعماد سيوفها بعد فناء نبليها، وتقصفت رماحها، فلا تسمع
يومئذ إلا التعمم والتحمحم من الرجال والخيل ووقع السيوف على الهام كأنه دق
غاسل، فدأب ذلك يوما حتى طعن الليل بغسقه، وأقبل الصبح بفلقه، ثم لم يبق
للقتال إلا الهرير، لعلمتم أني أحسن بلاء وأعظم عناء الخ.
وقد اتضح من كلام عمرو بن العاص مدى كفاءة أمير المؤمنين (عليه السلام) في
الحروب «والفضل ما شهدت به الأعداء».
ونكتفي بهذا القدر لأن من أراد الحديث عن مراتب قوة تلك اليد التي هي يد
الله، وذلك القلب الذي هو قلب الله، كان كمن قال: السماء فوقنا، فلنطو سجل
الكلام هنا وندخل في خصيصة أخرى.

الخصيصة الرابعة والثلاثون
في بيان يد وعضد صهر الرسول وزوج البتول (عليه السلام)
أما يده الشريفه

«ولا يبين عضده عن ساعده قد أدمجت إدماجا»، أي أن عظمي الذراع
والعضد كانا متساويين لا يظهر أحدهما على الآخر، وكان ذراعا الشريهان
ضخمين في إعتدال؛ والعضد من الكتف إلى المرفق، وحد الذراع من المرفق إلى
مفصل الكف.

قال علماء التشريح: العضد مثل أنبوبة مدور مجوف مملوء مخا، والساعد
مؤلف من عظمين متلاصقين طولاً، ويسميان الزنديان، والفوقاني الذي يلي
الإبهام، ويسمى الزند الأعلى، والسفلاني الذي يلي الخنصر، وهو أغلظ من
الفوقاني لأنه حامل، والفوقاني أدق لأنه محمول، ويسمى السفلاني الزند الأسفل،
وجملتها ذراعا (١).

ويطلق العضد على القوة مجازاً، كما ورد في الدعاء «أنت عضدي» (٢) أي
قوتي وناصري أتقوى بك وأعتمد عليك.

(١) راجع البحار ٦٣ / ٢٧.

(٢) البحار ٧٦ / ٢٣٦ ح ٢٠ باب ٤٨.

وقال تعالى: (سنشد عضدك بأخيك) (١) أي نقوي نبوتك يا موسى بأخيك هارون.

وفي الحديث: «الإخوان كاليدين تغسل إحداهما الأخرى». ولليد استعمالات كثيرة، فقد تطلق ويراد بها العضد والذراع والأصابع جميعاً، وقد تطلق على الذراع والأصابع، وقد تطلق على الزند إلى رؤوس الأصابع، وقد تطلق ويراد بها ما وقع بين وسط الأصابع إلى الأظفار (٢). والمعروف أن اليد من المنكب إلى أطراف الأصابع وهو اسم للمجموع من حيث المجموع للأعضاء المخصصة. هذا ما ذكره الفقهاء في كتبهم في باب الديات وقطع يد السارق، واستشهدوا له بالآيات الشريفة، وذكروا شواهد من كلام الأئمة المعصومين. ولليد استعمالات مجازية من باب تسمية السبب باسم المسبب؛ من قبيل السلطنة، والطاعة، والحفظ، والوقاية، والسخاء، والملكية وغيرها. والمراد من الإدماج في وصف يده سلام الله عليه: دخول الشيء في الشيء واستحكامه واختفاؤه، فكأن العظمين متداخلان في استواء واعتدال وتركيب حسن بحيث لا يرى تداخلهما، وهو يدل على حسن التركيب وقوة الساعد والشجاعة في أفضل صورها؛ ولذا كان ساعده يبدو محكما متينا ضخما، وهو معنى «عبل الذراعين» أي متين الساعد. قال - روعي فداه - في غزوة خيبر مرتجزا:

(١) القصص: ٣٥.
(٢) انظر اللمعة الدمشقية ١٠ / ٢٢١ وما بعدها.

أنا الذي سمّنتي أمي حيدرة * ضرغام آجام وليث قسورة
عبل الذراعين شديد القسورة * أكيلكم بالسيف كيل السندرة (١)
والمراد من «عبل الذراعين» ضخامة الذراعين، وهو كناية عن القوة.
قلت: تطلق اليد على القوة أيضا، قال الله سبحانه تعالى: (والسماء بنيناها
بأيدي أي بقوة. وقال تعالى مخاطبا الشيطان: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
أستكبرت أم كنت من العالين) (٢) أي بيدي قدرتي، «وأولوا أيدي كما في تفسير
أهل البيت محمد وعلي (عليهما السلام) فأحدهما اليد اليمنى والآخر اليسرى، والمراد
من

«العالين» محمد وآله (عليهم السلام)».

وبيان آخر: قال المرحوم القاضي أبو سعيد القمي في شرح اعتقادات
الصدوق عليه الرحمة: صفات الله قسمان: جمالية وجلالية، والأول منوط بالرحمة
والرأفة ومظهرها خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، والثاني منوط بالقهر
والغضب ومظهرها
سلطان الأولياء؛ وقد أشرنا إلى هذا المعنى سابقا في الكلام عن الحاجبين؛ فهما
(عليهما السلام)

بأمر الرب جل وعلا بمنزلة اليدين من البدن في مصنع الملك من حيث القدرة
والإحاطة والتصرف والعطاء والمنع، قال (عليه السلام): «أنا يد الله المبسوطة على
عباده

بالرأفة والرحمة» (٣) وقال (عليه السلام) في خطبة له: «أنا يد الله القوي» (٤) إشارة
إلى كمال

القدرة والقوة، باعتبار أن أغلب الأعمال البشرية تظهر باليدين، وأن كثرة
الشجاعة تظهر بواسطة هذا العضو.

(١) روضة الواعظين ١ / ١٣٠.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) البحار ٤ / ٩ ح ١٨ باب ١.

(٤) انظر البحار ٢٤ / ١٩٤ ح ١٦ باب ٥٣.

واليد القصيرة من آلات القوة والإقتدار المذمومة في الحرب، على العكس من اليد الطولى الممدوحة لانبساطها ووصولها إلى المقصود والغلبة على الخصم وإذلال الأعداء.

وقوة عضد يد الله ذاك كانت فوق الأيادي، أذعن بذلك العدو والصديق، أنظر إلى أخت عمرو بن ود كيف ترثي أخاها وتندبه مع أنها فقدت أخاها بالقتل: لو كان قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكي عليه آخر الأبد لكن قاتله من لا يعاب به * وكان يدعى قديما بيضة البلد من هاشم في ذراها وهي صاعدة * إلى السماء تميت الناس بالحسد قوم أبى الله إلا أن يكون لهم * مكارم الدين والدنيا بلا أمد (١) وقصة قتل عمرو مشهورة لا حاجة إلى التفصيل، ولكن نشير إليها إجمالاً حيث أن الملعون قتل وأقحم في درك الجحيم بيد أسد الله في غزوة الأحزاب، وكان معروفاً بفارس ليليل، ويليل واد قريب من بدر، وكان قد عبر الخندق طلباً للمبارزة وارتجز:

ولقد بححت من النداء * بجمعكم هل من مبارز إلى آخره.

فانبرى له سلطان الولاية فعرض عليه الإسلام فرفض، فطلبه (عليه السلام) للمبارزة فقال: أنا لا أحب أن أقتلك. فقال (عليه السلام): ولكني والله أحب أن أقتلك،

فترجل الملعون ونزل عن ظهر جواده وحمل على أمير المؤمنين (عليه السلام). فتجاولا كغمامتين تكنفت * متنيهما ريحا صبا وشمال

(١) انظر: ثمار القلوب للشعبي باب ٤١، الرقم ٨٠٥.

وما انجلت الغبرة إلا وقد غلب الإيمان كله على الشرك كله، وكان قتالهما سجالاتا كما قال الشاعر:

يشيب الناهد العذراء فيها * ويسقط من مخافتها الجنين
ونعم ما قال المرحوم السيد علي خان:
لو أنه رام إغراق العداة له * لأصبح البر بحرا غير مقتحم
ونظم ابن حجة هذه الصورة بتعبير آخر عن تلك اليد البيضاء الموسوية التي أهلكت فراعنة المشركين من العرب:

لو شاء إغراق من ناواه مد له * في البر بحرا بموج فيه ملتطم
ومعلوم أن وجود سلطان الولاية نقمة على الكافرين كما أنه نعمة للمؤمنين، ويد الله الباسطة في الرأفة والرحمة على عباد الله أجمعين، وما استوجب النعمة إلا عباد الشيطان المستكبرون عن عبادة الله وإطاعة الرسول، فاستحقوا النعمة، لأن رأفته (عليه السلام) بعباد الله أشد من رأفة الوالد بولده، وما ورد من وصفه في الزيارة «كنت

للمؤمنين أبا رحيمًا إذ صاروا عليك عيالاً» (١) إنما هو من باب ضيق العبارة والتقريب إلى الأذهان ليس إلا.

امروز زنده أم به ولأبي تو يا علي * فردا به روح پاك امامان گواه باش
آنرا كه دوستی علی نیست کافراست * گو زاهد زمانه و گو شیخ راه باش (٢)
نسأل الباري جل وعلا بحقيقة الولاية - وهي معنى التوحيد وصفوة معرفة الله والإيمان - أن يجعلنا من مواليه.

(١) البحار ٤٢ / ٣٠٤ ح ٤ باب ١٢٨.

(٢) يقول: أنا اليوم حي بولائك يا علي، واشهد - بحق أرواح الأئمة الطاهرين. أن من لا يحبك - يا علي - كافر، حتى لو كان زاهد زمانه أو شيخا في الطريقة.

أبا حسن لو كان حبك مدخلي * جهنم كان الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النار من كان موقنا * بأن أمير المؤمنين قسيمها
ورأيت من المناسب أن أذكر في طي هذا الكلام فضيلة من فضائله التي تعد
من آثار قدرة الرب تبارك وتعالى، وإن كانت فضائله (عليه السلام) بأجمعها معاجز،
وأرجو

أن أرحم بنص الحديث الشريف «من كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي
طالب (عليه السلام) وجبت له الجنة» (١) وإن كان الفرد يعجز عن إدراج واحد من
الآلاف

المؤلفة من فضائله (عليه السلام) «وأين الثريا من يد المتناول»؟
روى المرحوم المجلسي (قدس سره) في كتاب السماء والعالم، عن القاضي أبي
الحسن

الطبري مسندا إلى ميثم التمار (رضي الله عنه)، قال: كنت بين يدي مولاي أمير
المؤمنين (عليه السلام) إذ

دخل غلام وجلس في وسط المسلمين، فلما فرغ من الأحكام نهض إليه الغلام
وقال: يا أبا تراب أنا إليك رسول، جئتك برسالة تزعزع لها الجبال من رجل حفظ
كتاب الله من أوله إلى آخره وعلم علم القضايا والأحكام، وهو أبلغ منك في
الكلام، وأحق منك بهذا المقام، فاستعد للجواب ولا تزخرف المقال، فلاح
الغضب في وجه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال لعمار: اركب جملك وطف في
قبائل الكوفة

وقل لهم: أجيئوا عليا لتعرفوا الحق من الباطل، والحلال والحرام والصحيح من
السقيم، فركب عمار، فما كان إلا هنيئة حتى رأيت العرب [كما قال الله تعالى: (إن
كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) (٢)] فضاق جامع
الكوفة وتكاثف الخلق تكاثف الجراد على الزرع الغض في أوانه، ونهض العالم

(١) انظر البحار ٢٦ / ٢٢٩ ح ١٠ باب ١.

(٢) يس: ٥١.

الأروع والبطل الأنزع ورقى في المنبر وراقى، ثم تنحج فسكت جميع من في الجامع فقال: ... والله لا يكون الإمام إماما حتى يحيي الموتى أو ينزل من السماء مطرا، أو يأتي بما يشاكل ذلك مما يعجز عنه غيره... ولقد أرسل إلي معاوية جاهلا من جاهلية العرب بحرف في مقاله، وأنتم تعلمون لو شئت لطحنت عظامه طحنا ونسفت الأرض من تحته نسفا، وحسفتها عليه حسفا، [إلا أن احتمال الجاهل صدقة]، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشار بيده إلى الجو،

فدمدم وأقبلت غمامة وعلت سحابة وسمعنا منها نداء يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ويا سيد الوصيين ويا إمام المتقين ويا غياث المستغيثين ويا كنز المساكين ومعدن الراغبين، وأشار إلى السحابة فدنت، قال ميثم: فرأيت الناس كلهم أخذتهم السكره، فرفع رجله وركب السحابة وقال لعمار: اركب معي وقل (بسم الله مجراها ومرساها) (١) فركب عمار وغابا عن أعيننا، فلما كان بعد ساعة أقبلت سحابة حتى أظلت جامع الكوفة، فالتفت فإذا مولاي جالس على دكة القضاء وعمار بين يديه والناس حافون به، ثم قام وصعد المنبر وأخذ بالخطبة المعروفة بالشقشقية، فلما فرغ اضطرب الناس وقالوا فيه أقاويل مختلفة، فمنهم من زاده الله إيمانا ويقينا ومنهم من زاده كفرا وطغيانا.

قال عمار: قد طارت بنا السحابة في الجو، فما كان هنيئة حتى أشرفنا على بلد كبير حواليتها أشجار وأنهار، فنزلت بنا السحابة، وإذا نحن في مدينة كبيرة... ثم قال: يا عمار اركب، ففعلت ما أمرني، فأدر كنا جامع الكوفة ثم قال لي: يا عمار تعرف البلدة التي كنت فيها؟ قلت: الله أعلم ورسوله وولييه. قال: كنا في الجزيرة السابعة من الصين...

(١) هود: ٤١.

ثم قالوا: أعطاك الله هذه القدرة الباهرة وأنت تستنهض الناس لقتال معاوية؟ فقال: ... والله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة وضربت بها صدر معاوية بالشام وأجذب بها من شاربه، فمد يده وردّها وفيها شعرات كثيرة فتعجبوا من ذلك، ثم وصل الخبر بعد مدة أن معاوية سقط من سريره في اليوم الذي كان (عليه السلام) مد يده وغشي عليه ثم أفاق وافتقد من شاربه ولحيته شعرات (١).

ومن قال «سلوني عما دون العرش» يقدر على إلغاء المسافة بين الكوفة والشام.

وقد انقذح في ذهني نكتة جيدة حول قوله (عليه السلام) «ما دون العرش». روى عمر بن الخطاب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة وعلي والحسن والحسين في

حظيرة القدس في قبة بيضاء سقّفها عرش الرحمن - عز وجل - (٢).
والحظيرة في اللغة: الحائط بيني في الفضاء، وجاء في قصة النمرود وإبراهيم الخليل (عليه السلام) وتأجيج النار أنهم بنوا حظيرة وجمعوا فيها الحطب، وفرق الحظيرة

والدار: أن الدار باحة فيها البيوت والمساكن، وسميت دارا لأنها تحيط بالبيوت وتدور عليها، وبهذا اللحاظ سميت الدنيا والآخرة بالدار، وأعلى المنازل في أعالي الجنة تسمى «حظيرة القدس»، وافترض البعض أن لكل واحدة من الجنات الثمانية حظيرة بمثابة الظل إلا جنة عدن لا ظل لها، وبعض جعل لهذه الحظائر

(١) البحار ٥٤ / ٣٤٢ ج ٣٦ باب العوالم.

(٢) البحار ٤٣ / ٧٦ ح ٦٣ باب ٣.

جنات أيضا، وجعلوها بمثابة الظلال والإمتداد الخاص، وجعلوا حظوظ قوم الإعتكاف في تلك الظلال والحظائر، لا ينعمون باللذات ولا يدخلون الجنات. وحظيرة القدس غير تلك الحظائر، وهي باطن آل محمد وحقيقتهم حيث كانوا يسكنون هناك.

قال المجلسي في المجلد السابع من بحار الأنوار: أن بيت علي وفاطمة والحسين من حجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، في قعر

بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم، وكان نورهم حاضرا دائما في دار الله وجوار الله، وبعد تعلق أنوارهم بأبدانهم صار بيتهم مهبط الملائكة من العرش الأعظم، فنظرهم إلى الدنيا والآخرة سواء، فهم يرون العقبى بدرجاتهما وهم في الدنيا (١).

وهذا البيان فيه إشعار بإحاطة علمهم هؤلاء الأربعة بما دون العرش، ولذا قال «سلوني عما دون العرش»، فكأن هذا البيت بلا سقف ليكون صورة من معنى حظيرة القدس.

وبالجملة فقد ذكروا بيانات عديدة متقاربة في «حظيرة القدس»، ويقول هذا العبد: إن الجنات الثمانية في العرض، وسقف هذه الجنات الثمانية العرض الأعظم، وهو محيط بالجنات جميعا، والجنات من الأجسام النورانية، وفي يمين العرش مقام خاص لا مقام فوقه، والعرش منتهى عالم الأجسام، وذلك المقام منتهى جميع المقامات العالية، وعبر عنه ب «عليين» في قوله تعالى: (كلا إن كتاب

(١) انظر البحار ٢٥ / ٩٧ ح ٧١ باب ٣.

الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون) (١)
وصدر عليين مقامهم، وسجين مقام أعدائهم.
وذلك المقام الأعلى لأشخاص محدودين، وكذا ظل اليعموم لأشخاص
محدودين لا يشاركهم غيرهم، وكما يشاهد أهل الأرض السماء في رفعتها، فكذلك
يشاهد أهل الجنة العرش في ارتفاعه، وكما يشاهد أهل الأرض الشمس والقمر
منيرين، فكذلك يشاهد أهل الجنان حظيرة القدس وعليين في نور وضياء
كالشمس والقمر، وهنا يمتاز مقام آل محمد عن مقامات أهل الجنة وهو «الرضوان
الأكبر»، ويؤيده ما في الحديث من أن الخمسة الطاهرة تسكن عن يمين العرش
وتنظر إلى الأرض وإلى محبيهم وشيعتهم، فهم في الأرض محيطون بما دون العرش،
فلا يبعد أن يطلعون إلى عالم الأرض إذ أصدعوا إلى العالم الأعلى ودخلوا مقامهم
الأصلي الأسمى في أعلى مراتب الملكوت.
وفي الكافي في ذكر أخبار الطينة، قال: إن الله خلق محمدا وآل محمد (صلى الله عليه
وآله وسلم) من
طين عليين، وخلق شيعتهم من طين دون طين عليين، وخلق عدوهم من طين
سجين (٢). «وكل إلى كل مضاف ومنسب».
وفي البصائر عن الصادق (عليه السلام):... إن الله خلق طينتنا من عليين، وخلق طينة
شيعتنا من دون ذلك فهم منا، وخلق طينة عدونا من سجين، وخلق طينة شيعتهم
من دون ذلك وهم منهم، وسلمان منا أهل البيت (عليهم السلام)، وسلمان خير من
لقمان» (٣).

(١) المطففين: ١٨ - ٢١.

(٢) البحار ٦٧ / ١٢٦ ح ٢٨ باب ٣.

(٣) بصائر الدرجات الجزء الأول ١٧ ح ١٣ وعنه البحار ٢٥ / ١٢ ح ٢٢.

وفي معاني الأخبار عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم، فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي، ما خلقت خلقا هو أحب إلي منهم، ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت نارِي» (١) الخبر.

وهذا الخبر من أسرار آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمقصود منه أن كل من خلق من

طينة في مقام معلوم فإنه يعود إلى ذلك المقام. وحديث سد الأبواب يشهد لمقامهم العالي وشأنهم الرفيع - وهو أرفع من مقامات جميع الممكنات - ويدل على طهارة أهل هذا البيت (عليهم السلام) وعصمتهم وعلو مقامهم على كافة المخلوقات.

روى أبو رافع، قال: خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أيها الناس إن الله تعالى أمر

موسى بن عمران أن يبني مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا هو وهارون وأبناء هارون: شبر وشبير، وإن الله أمرني أن أبني مسجدا لا يسكنه إلا أنا وعلي والحسن والحسين، سدوا هذه الأبواب إلا باب علي، فخرج حمزة يبكي فقال: يا رسول الله أخرجت عمك وأسكنت ابن عمك؟! فقال: ما أنا أخرجتك وأسكنته، ولكن الله أسكنه، فقال أبو بكر: دع لي كوة أنظر فيها! قال: لا ولا رأس إبرة (٢).

(١) البحار ١١ / ١٧٢ ح ١ باب ٣.
(٢) البحار ٣٨ / ١٩٠ ذيل ح ١ باب ٦٣.

واختصاصهم بهذه المكرمة دليل الطهارة، والطهارة إشارة إلى العصمة.
وروى الصدوق في الأمالي، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يحل لأحد أن

يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ومن كان من أهلي فإنه مني» (١).

ونعم ما قاله السيد إسماعيل الحميري في قصيدته البائية:
صهر النبي وجاره في مسجد * طهر بطيبة للرسول مطيب
سيان فيه عليه غير مذمم * ممشاه إن جنبا وإن لم يجنب (٢)
ولولا خوف الإطالة لكتبت شرحا مفصلا في هذا الباب، ولكنني سأذكر
عدة أسطر على نحو الإجمال في خصوص تطهيرهم من الرجس، ليتضح التلازم
بين الطهارة ومقام عليين وهو مقامهم، والتلازم بين الرجس ومقام سجين وهو
مقام أعدائهم.

إن طهارة الأئمة وعصمتهم من ضروريات مذهب الإمامية، قال رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعائه لهم: «واجعلهم مطهرين من كل رجس،
معصومين من كل

ذنب، وأيدهم بروح القدس» (٣). وهو شاهد على نزاهتهم عن كل عيب وريب،
وآية التطهير أدل دليل وأوضح برهان على ذلك.
والمراد من إذهاب الرجس ليس دفع الرجس الظاهري فقط، وإنما التطهير
من الذنب أيضا، ومنهم من فسر «التطهير» بذهاب الذنوب، مثل الفخر الرازي

(١) البحار ٢٣ / ١٤٥ ح ١٠٤ باب ٧؛ و ٢٥ / ١٦٨ ح ٣٧ باب ٤.

(٢) البحار ٣٧ / ٨٤ ح ٥٢ باب ٥٠.

(٣) البحار ٣٧ / ٨٤ ح ٥٢ باب ٥٠.

حيث يقول: (ليذهب عنكم الرجس) أي يزيل عنكم الذنوب، و (يطهركم) أي يلبسكم خلع الكرامة (١)، ومن أفضل خلع الكرامة العصمة من الذنوب حيث حفظهم الله عنها.

واتفق الفريقان أن آية التطهير نزلت في الخمسة الطيبة الساكنة في حظيرة القدس.

ولا كلام في عصمة تلك المنحدرة حتى عند المنصفين من العامة؛ لأن الاستشهاد والاستدلال بالسنة السنينة وأقوال صاحب مقام الخاتمية من أصح الأدلة وأمتنها أبداً، وليس لأحد أن يناقش فيها، بدليل قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) (٢).

ومن الأحاديث الصحيحة المتفق عليها عند الفريقين: الحديث المعروف الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة في باب مناقب فاطمة الزهراء (عليها السلام) وفي باب النكاح، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول وهو على المنبر:

استأذني بني هاشم بن المغيرة في تزويج ابنتهم من علي بن أبي طالب ولا يكون ذلك إلا أن يطلق علي ابنتي ويتزوج ابنتهم، فإنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريني ما رابها (٣).

وأخرج الترمذي في صحيحه أيضاً: إنهم أرادوا تزويج علي، من ابنة أبي

(١) البحار ٣٥ / ٢٣٤ ح ٣٤ باب ٥.

(٢) النجم: ٣ و ٤.

(٣) صحيح البخاري ٥ / ٢٠٠٤ ح ٤٩٣٢؛ والفقرة الأولى من الحديث اختلقها بنو أمية. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٦٣ باب ٥٦.

جهل، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني (١).

ونترك الآن الكلام في صحة وسقم المقطع الأول من الخبر، وغرضنا هو الجزء الأخير منه الذي رواه ابن شهر آشوب في المناقب، والسيد في الطرائف، وابن بطريق في العمدة، والمستدرک، وعلي بن عيسى في كشف الغمة في أبواب فضائل فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ووجه الإستدلال بهذا الحديث على عصمة الزهراء (عليها السلام): أن فاطمة (عليها السلام) إذا

كانت ممن يمكن أن يصدر منه الذنب - والعياذ بالله - وارتكبت ذنبا ما يستوجب الحد فأوجب إجراء الحد عليها وإيذائها لمكان المعصية، فلا يكون حينئذ رضاها رضا الله، ولا يكون سرورها سرور الله، فيلزم أن تكون معصومة لا تذنب، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يؤذيني ما يؤذيها»، وإلا لكان من يؤذيها لا يؤذي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال المرحوم المجلسي وغيره: إن قال قائل إن معنى الحديث هو أن من آذى فاطمة ظلما وأدخل عليها السرور في طاعة الله فقد آذاني وأسرني؛

الجواب: إن الحديث عام، وتخصيصه خلاف الأصل، ومدعي التخصيص يحتاج إلى دليل، إضافة إلى أنها - والحال هذه - لا مزية لها ولا تفضيل، وحالها حال سائر المسلمين، وغرض النبي الأكرم بيان امتياز تلك المخدرة عن سواها، وذكر ما تمتاز به من العصمة التي يفتقدها الآخرون.

ولو ثبتت عصمة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فثبوتها في الأئمة يقيني بالأولى. قال ابن أبي الحديد نقلا عن كتاب الكفاية: إن عليا (عليه السلام) معصوم، وإن لم يكن

واجب العصمة، ولا العصمة شرط في الإحاطة، لكن أدلة النصوص قد دلت على

(١) سنن الترمذي ٥ / ٦٩٨ ح ٣٨٦٧.

عصمته والقطع على باطنه ومغيبه، وأن ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا: «زيد معصوم» وقولنا «زيد واجب العصمة لأنه إمام، ومن شرط الإمام أن يكون معصوما» فالاعتبار الأول مذهبنا، والاعتبار الثاني مذهب الإمامية (١).

والآن لنر هل أن الصديقة الطاهرة معصومة أو أنها واجبة العصمة التي تعد من شروط الإمامة؟ وكون وجوب العصمة شرط الإمامة لا يعني التلازم بينهما أيضا، فليس كل من كان واجب العصمة كان واجب الإمامة، والقضية ليست صادقة من الجانبين على نحو الكلية، بل هي كلية من جانب وجزئية من جانب آخر.

إن تلك المخدرة كانت طاهرة مطهرة من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولذا اشتركت مع أمير المؤمنين والحسين بنص آية التطهير في العصمة، وافترقت عنهم في وجوب العصمة. وهذا التخصيص يحتاج إلى دليل، لأنهم - وإن كانوا متساويين في ماهية العصمة - إلا أنهم ينفردون في وجوبها ولزومها، وعلى المخصص إقامة الدليل؛ ولم يعرف أحد أقام هذا الدليل لإخراج فاطمة (عليها السلام). ولزوم

عصمة فاطمة له منشآن: أحدهما من الله مباشرة والآخر بالتبع. وقد أثبت التحقيق أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بد أن يكون معصوما على وجه

الوجوب واللزوم عندنا نحن الإمامية، وكم من الأنبياء بعثوا إلى أنفسهم ولم تكن لهم رئاسة في الرسالة، فهل نقول: إنهم ليسوا معصومين؟! لا؛ ليس الأمر كذلك، فقد يجعل الله العصمة واجبة في وجود امرئ ولا يجعل له الإمامة.

(١) شرح نهج البلاغة ٦ / ٣٧٧ باب ٨٦.

أما وجوب العصمة في الإمام فقد أقيم عليها براهين عديدة في كتب الإمامية، وملخصها:

إذا لم يكن الإمام معصوماً كان جائز الخطاء في كل شيء، سواء العقائد أو القواعد والأمور العامة، فإذا أسس عشرة أحكام أو عشرة قواعد وأجراها خطأ يقينا في واحد منها - إن لم يكن أكثر - بمقتضى الطبيعة البشرية، وكيف يكون الخطاء حجة من قبل الله على الخلق؟! وكيف يحكم الله بوجوب اتباع المخطئ؟ فالخطاء إذن لا يستحق الخلافة والإمامة الحقة، وحاشا لله أن يأمر عموم الممكنات من الملك والجن والبشر بإطاعة من تكون بعض أوامره صادرة عن الخطأ والضلال قطعاً. إذن فلا بد من القول بأن الإمام واجب العصمة. فإن قال قائل: إن الجهة المذكورة في وجوب عصمة الإمام لم تكن موجودة في فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فلماذا تقولون بعصمتها؟! نقول في جوابه: إن الجهة في وجوب العصمة فيها هي نفس الجهة في وجوب عصمة بعض الأنبياء الذين لم يبعثوا إلى الخلق ولم تكن لهم رسالة. وبعبارة أخرى، يمكن أن نجيب: إن وجوب عصمتها موهبة إلهية خاصة من حيث علمه سبحانه بحسن حالاتها وعبادتها (عليها السلام)؛ ولذا أتخفها بهذه الموهبة العظيمة كما أعطاه سائر المواهب العظيمة الأخرى دون سواها. ثم إن كل ما ينسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جزء أو كلاً فهو أفضل من البشر كافة، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت جزءاً كاملاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويشهد له قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «فاطمة بضعة مني»، فالحكم الثابت لكل في العصمة والأشرفية والأولوية ثابت للجزء أيضاً، وفاطمة بضعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببرهان العقل والنقل، كما أن أمير المؤمنين

هو نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو معصوم واجب العصمة كالنبي، فكيف يمكن - والحال

هذه - إخراج فاطمة (عليها السلام) من هذه الجهة؟
ويكفي ما ذكرنا من بيان، فقد طال بنا الحديث، ولكنها كانت مطالب نافعة
وضرورية استطردها فيها.

والآن نعود إلى صلب الموضوع ونتابع الكلام عن بقية الأعضاء المباركة
لأمير المؤمنين وسلطان الولاية (عليه السلام):

أما كفه الشريفة وأصابعه اللطيفة
قيل في وصف الكف الكفوءة الندية بالجواهر، بحر الموهبة والسخاء، وسماء
المكرمة والعطاء سلطان الخلافة آية الله عليه الصلاة والسلام أنه «كان (عليه السلام)
شن

الكفين» (١).

ولنعم ما قاله حسان بن ثابت عليه الرحمة:

فتى تهرب الأموال من جود كفه * كما يهرب الشيطان من ليلة القدر (٢)
قال الجوهري: الشن بالشين المعجمة والشاء المثناة بالتحريك مصدر شن
كفه، أي خشنت وغلظت، ويقال: رجل شن الكف والأصابع بالتسكين.
وقال صاحب المجمع: (شن الكفين الغلظة في الكف والأصابع، الدالة على
شده القبض والأخذ والقوة، وقيل: هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر» (٣). ولازم

(١) البحار ٣٥ / ٢ ح ١ باب ١.

(٢) قال حسان بن ثابت هذا البيت في وصف الكف المبارك لخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)
ولكن لا فرق بين

الكفين... (من المتن)

(٣) مجمع البحرين ٦ / ٢٧١.

هذا النوع من الأصابع حسن التركيب والإمتلاء، ومعلوم أن الأصابع كلما كانت ممتلئة أكثر كان حسن تركيبها أجمل؛ لأن عقودها لا تظهر، فإن لم تظهر عقودها صارت أطرافها أدق مما فوقها مرتبة على هذا النحو الأعلى فالأعلى، فإذا صارت الأصابع على هذا النحو كانت غاية في الحسن، وتكون هذه الكف قوية مقتدرة، ولازمها - حسب الخلق - سعة الراحة، وهي من محسنات الكف، كما قيل في وصف كف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «كان رحب الراحة» (١) أي واسع الكف.

والكف الصغيرة الناعمة مذمومة عند العرب في الرجال، ممدوحة في النساء؛ لأن الصغر والنعومة تلائم النساء، وصاحب الكف الصغيرة الناعمة بعيد عن الشجاعة، على العكس من الكف الغليظة المعروفة بالقوة. وكان سلام الله عليه إذا أمسك شيئاً بكفه المبارك صار في كفه كالشمع لا ينحو من يده بسهولة ولا يفلت منه ولا يستطيع حراكاً. وكان في كفه غلظة وخشونة عارضة ناشئة من كثرة ممارسته للسياق والقبض على مقبضه، ومن حفر الآبار والسقي، فكم من غلام أعتقه (عليه السلام) في سبيل

الله من كد يده، وكم أتعب بدنه الشريف طلباً لمرضاة الله، فمن الطبيعي جداً أن يكون في كفه خشونة وغلظة.

ولا بأس بالحديث عن «الكف» قليلاً:

حد الكف عند علماء التشريح من الكوع - بالضم - وهو طرف الزند الذي يلي الإبهام والكرسوع - بالضم - وهو طرف الزند الذي يلي الخنصر، وجمعه كفوف وأكفف مثل فلوس وأفلس، وفي اليد والرجل أربع عظام يقال لها «المشط»

(١) البحار ١٦ / ١٤٩ ح ٤ باب ٨.

و «السلاسيات»، وهو متصل بعظام الأصابع من جهة وبالرسغ من جهة أخرى، وهو مؤلف من ثمانية عظام مدورة منضودة صلبة متصلة بالساعد، وهذه المجموعة كاملة تسمى بالكف، ووجه التسمية باعتبار الحفظ والمنع والقبض والضبط. أنظر مقدر الأشياء سبحانه وتعالى كيف جعل هذه العظام الرسغية والمشطية مرتبطة بالأصابع، وجعل لها مفاصل لئلا تتشتت وتفصل عن بعضها، وجعل لها غضاريف ورابطات لتحفظ العظام ويتيسر لها الإنقباض والانبساط والحبس والجر ومقاومة الصدمات العنيفة. أجل؛ أفضل الأكل ما كان «رحب الراحة» واسعا منبسطا تبدو فيه آثار الكفاءة.

وبعبارة أخرى: إن تعبير «رحب الكف» كناية عن نداوتها، مثل قولنا «كثير الرماد»، ولا شك أن أمير المؤمنين كان أكرم وأسحى من عليها، حتى أن المؤرخين من العامة والخاصة جعلوه سيد الأجواد الأربعة. * * *

والأجواد الأربعة هم - كما قيل - حاتم وعبد الله بن جعفر الطيار وعرابة الأوسي وكعب بن مامة، وبعضهم عد «قيس بن عباد» في الأربعة. وقد يكون هناك رجل أكرم من هؤلاء الأربعة، ولكنه يكون أكرمهم في موقف واحد أو في فترة محدودة من عمره، ولا يكون ذلك ديدنه في الحياة من أول عمره إلى آخره لأن ذلك صعب جدا. ولهؤلاء الأجواد الأربعة قصص وحكايات. أما كعب بن مامة: فجاد بنفسه وأثر رفيقه بالماء في المفازة ومات عطشا،

حتى ضرب به المثل فقيل: «أجود من كعب بن مامة».

روي عن الهيثم بن عدي أنه قال: تمارى ثلاثة في الأجواد، فقال رجل: أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر، فقال الآخر: أسخى الناس قيس بن عبادة، فقال الآخر: بل أسخى الناس اليوم عرابة الأوسي، فتنازعا بفناء الكعبة، فقال لهم رجل: لقد أفرطتم في الكلام فليمض كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر بما يعود فنحكم على العيان.

فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له، فقال الرجل: يا بن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابن سبيل ومنقطع به. قال: فأخرج

رجله وقال: ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة، وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار.

ومضى صاحب قيس فوجده نائما، فقالت له جارية لقيس: ما حاجتك؟ فقال: ابن سبيل ومنقطع به، فقالت له الجارية: حاجتك أهون من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها، وامض إلى معادن الإبل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك.

قيل: إن قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها ولو لم تعلم أن ذلك يسره ما جسرت أن تفعله، فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه، قال بعض الشعراء:

وإذا ما اخترت ود صديق * فاختر وده من الغلمان
ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو أعمى، فقال: يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به، وكان معه عبدان يقودانه، فصفق بيده اليمنى

على اليسرى وقال: أواه أواه، والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء، ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدین. فقال الرجل: والله ما كنت بالذي يسلبك عبدین، فقال: إن أخذتهما وإلا فهما حران لوجه الله تعالى، فإن شئت فاعتق، فأخذ الرجل العبدین ومضى، ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد، فحكموا لعرابة لأنه أعطى على جهد (١).

والجود صفة حسنة، وصاحبها محمود بين الناس ومحجوب عند الله بشرط قصد القربة لا قصد الشهرة، ولو قصد الشهرة لافتتن به الناس أيضا. وقيل: إن الجود والسخاء والإيثار بمعنى واحد، وقيل: من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر فهو صاحب جود، ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب إيثار، وصاحب الإيثار قليل نادر، ولقلما تجد من يؤثر على نفسه طيلة عمره، فلربما آثر مرة واحدة في حياته لا أكثر. روي عن حذيفة العدوي أنه قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي في القتلى ومعى شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به بين القتلى فقلت له: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم؛ فإذا برجل يقول: آه، فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه واسقه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم، فسمع آخر يقول: آه، فأشار إلي أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات (٢). أجل؛ هذا هو الإيثار.

(١) المستطرف ١ / ٣٦٥ الباب ٣٣.

(٢) المستطرف ١ / ٣٤٣ باب ٣٣.

حكى أنه لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم، فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم، فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها، فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل، فقال: والله ما كنت أبالي لولا أم لي، وكان بجانبه بعض الفتيان فقال له: في رقعتي الجلد وليس لي أم، فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك، ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل (١).

وهذه الصفة محمودة للغاية بحيث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرش رداءه لعدي بن حاتم لما قدم عليه وأجلسه (٢).

وقد وصلتنا أخبار عديدة وبيانات أكيدة عن طرق العامة والخاصة في هذه الخصلة الحميدة، فنقل منها شيء على سبيل الاختصار للمناسبة، ولتكون باعثة على تهذيب الأخلاق لمن نظر في هذه الأوراق. ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: تجاوزوا عن ذنب السخي، فإن الله آخذ

بيده كلما عثر، ومانح له كلما افتقر (٣).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله» (٤).

وقال أيضا: «ألا وإن السخاوة شجرة في الجنة، وأغصانها مدلاة في

(١) المستطرف ١ / ٣٤٣ باب ٣٣.

(٢) البحار ٢١ / ٣٦٦ ح ١ باب ٣٥، وفيه أنه أجلسه على وسادة.

(٣) المستطرف ١ / ٣٤٤ باب ٣٣ وفيه «فاتح» بدل «مانح» كذا في مجموعة ورام ١ / ١٧١.

(٤) المستطرف ١ / ٢٥١ باب ٢٢.

الأرض، فمن تعلق بالسخاوة تعلق بغصن منها وأدخله الجنة، ألا وإن السخاء من الإيمان» (١).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في موضع آخر: «أحب العباد إلى الله من حبب إليه المعروف».
وإنما سمي المعروف معروفًا لأن الكرام والعظماء عرفوه وألفوه وشاع بينهم.
وقيل: الجواد من لا يكون جوده دفعا للأعداء، وطلبًا للجزاء.
قال عبد الله بن جعفر: أمطر معروفك، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً.
ونعم ما قاله زهير بن جزيمة في وصيته لأولاده: عليكم باصطناع المعروف واكتسابه، وتلذذوا بطيب نسيمه ورضابه، وارضوا مودات الرجال من أثمانه، فربة رجل قد صفر من ماله فعاش هو وعقبه في الذكر الجميل.
روي أن عبد الملك بن مروان أوصى أهله وأقرباءه وأولاده ورغبتهم في الكرم والسخاء، فقال: يا بني إن الكريم يحفظ شرفه بالمال فلا تبخلوا، فإن أفضل المال ما جلب محمداً أو دفع مذمة، ثم تلا قوله تعالى: (وما أنفقتكم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) (٢) والناس عيال الله قد تكفل بأرزاقهم، فمن وسع وسع عليه، ومن ضيق ضيق عليه.
سبحان الله ما أروع ما يقول هذا الخليفة، وما أعظم الاختلاف بين قوله وفعله، وهو المعروف بالبخل قد عد في مشاهير البخلاء، ولقب بـ «شح الحجر» والعجب كيف جمع بين اعتقاده وفعله سلماً وإيجاباً، فزين لسانه بالمدح وقلبه

(١) مجموعة ورام ١ / ١٧٠.

(٢) سبأ: ٣٩.

بالذم، وهذا نموذج من سيرته في الحياة، ولنعم ما قال الشاعر:
إذا كنت ذا حظ من المال فاكتسب * به الأجر وارفع ذكر أهل المقابر
وقال أبو بصير الميكالي:

وإذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان
وقال الجاحظ وهو من مشاهير الأدب وأعلام النواصب: ليس شيء ألد
ولا أسر من عز الأمر والنهي، ومن الظفر بالأعداء، ومن تقليد المنن أعناق
الرجال، لأن هذه الأمور نصيب الروح، وحظ النفس، فإن أحببت أن يزداد في
الإحسان إليك، وأن يثبت لديك ما أنعم الله به عليك، فاقض حاجة من قصدك،
وابسط له بالبشر وجهك، وبالمعروف يدك.

وقال قيس بن معدي كرب في وصيته لأولاده: يا بني! عليكم بهذا المال
فاطلبوه أجمل الطلب، ثم أخرجوه في أجمل مذهب، فصلوا به الأرحام،
واصطنعوا به الكرام، واجعلوه جنة لأعراضكم، ووسيلة تصلون بها إلى
أغراضكم، تحسن في الناس مقاتلكم، فإن بدله تمام الشرف وثبات المروءة، وإنه
ليسود غير السيد، ويقوي غير الأيد، حتى يكون في الناس نبيلًا، وفي القلوب
جليلا.

وقيل - ولعل قائله الحجاج - : لا يملن أحدكم المعروف، فإن صاحبه تعوض
خيرًا منه؛ إما شكرًا في الدنيا وإما ثوابًا في الآخرة، والمعروف كنز لا تأكله النار،
وثوب لا يدنسه العار.

وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من فتح عليه باب الخير فلينتهزه،
فإنه لا

يدري متى يغلق عنه» (١).

(١) البحار ٧٧ / ١٦٧ ح ٢ باب ٧.

وقال الشاعر أبو الهنداوي:
إذا هبت رياحك فاغتنمها * فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها * فما تدري السكون متى يكون
وقال الآخر:
واذكر فضيلة صنع الله إذ جعلت * إليك لا لك عند الناس حاجات
وقال البلغاء: سؤدد بلا جود كملك بلا جنود.
وقال سيد الأولياء وهو أجود الأجواد الأربعة بلا خلاف: إن للنعمة
أجنحة، فإن أمسكت بالإحسان قرت وإلا فرت.
وقد تحلى جميع العظماء - كل بحسبه - بهذه الخصلة الحميدة لأهميتها
وحسنها، فكان أكرم أهل الأرض السيد الأكرم النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله
وسلم).
ففي الحديث الصحيح المروي عن طرق العامة والخاصة: إنه ما سئل شيئاً
قط فقال: لا، فإن يكن عنده أعطى، وإن لم يكن عنده استدان.
وأعطى أعرابياً غنماً سدت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال: أسلموا فإن
محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة (١).
وأعطى عينية بن الحصن مائة من الإبل، وكذا أعطى الأقرع بن حابس (٢).
وروي عن طريق العامة عن أنس، قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمال
من
البحرين فقال: أنثروه في المسجد، وكان أكثر مال أتى به رسول الله (صلى الله عليه
وآله وسلم)، فخرج
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة
جاء فجلس إليه، فما

(١) إحياء علوم الدين ٢ / ٤١٠ (بيان سخاوته وجوده).
(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٤٩٣ في أمر أموال هوازن وسباياها.

كان يرى أحدا إلا أعطاه، إذ جاء العباس - عمه - فقال: يا رسول الله! أعطني،
فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلًا، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): خذ
فحثا في ثوبه، ثم

ذهب يقله فلم يستطع، فقال: يا رسول الله! أوامر بعضهم يرفعه إلي قال: لا... فنثر
منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق، فما زال رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) يتبعه ببصره

حتى خفي علينا، عجبنا من حرصه، فما قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وثم
منها درهم (١).

وذهب البعض إلى أن الأجواد في الجاهلية ثلاثة: كعب بن أمية، وهرم بن
سنان، وحاتم الطائي (٢)، ولكن هؤلاء الأشخاص معروفين بالكرم نسبة إلى عموم
الناس، ولا يقاسون بكرم أئمة الدين وإيثارهم، وعلى رأسهم سلطان الولاية
وأمر المؤمنين (عليه السلام)، فكرم هؤلاء تحت كرم الخالق وفوق كرم المخلوقين،
مثل سائر

أفعالهم صلوات الله عليهم.

لو أدرك العصر من كعب ومن هرم* وحاتم جود كفيه لما ذكروا
وجد أمير المؤمنين (عليه السلام) عمرو بن عبد مناف، وهو أول من هشم الثريد، ولذا
سمي هاشما، قال الشاعر:

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه* ورجال مكة مستنون عجاف (٣)

ومن الأمثال السائرة «ما أحدكم كهاشم وإن هشم، ولا كحاتم وإن حتم».

وممن عرف بالكرم في الإسلام عبد الله بن عباس وأخوه عبيد الله المعروف
ب «معلوم الجود». وهو أول من وضع الموائد في الطرق، وكانت نفقته في كل يوم

(١) البخاري ١ / ١٠٨ كتاب الصلاة، باب القسمة وتعليق القنو في المسجد.
(٢) قال في العقد الفريد ١ / ٢٨٧ (أجواد أهل الجاهلية) «الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر:
حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وهرم بن سنان المري وكعب بن مامة الأيدي».
(٣) البحار ١٥ / ١٢٤ ح ٦٣ باب ١.

خمسمائة دينار، وكان ربما وضع الموائد في الطرقات فيأكل الناس، ثم تأكل السباع، وكان يبدأ في العطاء قبل السؤال، وكان الفضل أخوهم معروفا بالجمال، فقيل: من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس، فالجمال للفضل، والفقه لعبد الله، والسخاء لعبيد الله.

وأجود الأجواد الأربعة الحسن بن علي (عليهما السلام) باتفاق الخاصة والعامة، حيث خرج عن ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى النعل ينفق واحدة ويمسك واحدة (١).

ومن المعروفين بالكرم أيضا عبد الله بن جعفر الطيار، وقد حكي عنه أنه اشترى حائطا من أنصاري بمائة ألف درهم وسلمه الثمن، فبكى الأنصاري، فقال: مم بكاؤك؟ قال: تمنيت لو أنني مت قبل أن أبيع الحائط، لأن فيه نخل غرسه أبي بيده، فرد عليه كتاب البيع ووهبه الثمن.

والمحقق؛ أن هذه الأسرة تجمع المراتب الكمالية ببركة الحضرة النبوية حسب قربهم معه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكلما كان أحدهم أقرب منه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أجمع لكمالات في

السماحة والشجاعة، وإذا وجدت قريبا لا يتحلى بتلك المكارم، فاعلم أن السبب في عدم استعداده وقابليته، فالمكارم كلها كانت مجتمعة في أهل ذلك البيت، وأكملها وأتمها في صاحب مقام الخاتمية ووصيه المطلق أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة الأحد عشر

من بعده، ولو جمعت ما في العالم من الجود والإيثار لما صار نموذجا واحدا لإيثار سلطان الولاية، ولو كان لبان في لسان التنزيل كما نزل في حقه (عليه السلام):
(ويؤثرون

(١) البحار ٤٣ / ٣٤٩ ح ٢١ باب ١٦، وفيه أنه قاسم الله ماله مرتين.

على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (١).
معلوم؛ أن من كان له ثروة بمقدار مائة ألف تومان - مثلا - فأنفقها ليس كمن
يستقي في هواء المدينة الحار دلوا دلوا ويعمل في البساتين ليشتري بما يحصل عبدا
ويعتقه في سبيل الله طلبا للتقرب مع شدة فاقته وحاجته إلى ذلك المال، حتى أعتق
ألف مملوك من كد يمينه.
والآن؛ أحكم بالإنصاف، فلو أن رجلا كانت له أموال الدنيا كلها فأعطها
لآخر دفعة واحدة، هل يستوي هو ومن يعتق الممالك من كد يمينه؟! إضافة إلى
مواقف الإيثار الأخرى التي وقفتها بنت النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبناء
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،
حتى كانت تتغير ألوانهم الشريفة من شدة الجوع - وهم الواسطة في خلق العرش
الأعلى - وأمير المؤمنين (عليه السلام) يعطي طعامهم الجاهز للسائل والفقير، فكيف
يقاس
كرمهم وجودهم بأي جود وكرم آخر؟! وكيف يذكر الجود والكرم عند جودهم
وكرمهم: «إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومنتهاه» (٢).
أولئك قوم شيد الله فخرهم * فما فوقه فخر وإن عظم الفخر
* * *

ثم ماذا يقول الإنسان؟ وماذا يكتب عن كرم هذا العظيم؟ وكلما كتب فهو
تسويد بياض ليس إلا...
فداء لتلك الكف الكفوّة التي جعل الله يدها «يد الله» وأناط إقامة دينه بها،
وجعل فيها من قوته قوه تمتد بها في طرفة عين من الكوفة إلى نواحي الشام على

(١) الحشر: ٩.

(٢) زيارة الجامعة الكبيرة؛ البحار ١٠٢ / ١٣٢ ح ٤ باب ٨.

بعد مائتين وخمسين فرسخ تقريبا لتأخذ قطعة من الثلج كما روى في البحار عن
عمار وزيد بن أرقم، قالوا:

كنا بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان يوم الاثنين لسبع عشر خلت من
صفر، وإذا بزعة عظيمة ملأت المسامع، وكان على دكة القضاء، فقال: يا عمار
اثني بذي الفقار [وكان وزنه سبعة أمان وثلاثي من مكى] فجئت به، فانتضاه من
غمده فتركه على فخذه، وقال: يا عمار هذا يوم أكشف لأهل الكوفة الغمة، ليزداد
المؤمن وفاقا والمخالف نفاقا، يا عمار إئت بمن على الباب، فخرجت وإذا على الباب
امرأة في قبة على جمل، وهي تشتكي وتصيح: يا غياث المستغيثين! و يا بغية
الطالبين! و يا كنز الراغبين! و يا ذا القوة المتين! ويا مطعم اليتيم! ويا رازق العديم
[ويا محيي كل عظم رميم! ويا من سبق قدمه كل قديم!] ويا عون من ليس له عون
ولا معين! يا طود من لا طود له! يا كنز من لا كنز له! إليك توصلت، وخليفة
رسولك قصدت، بيض وجهي، وفرج عني كربتي.

قال عمار: وحولها ألف فارس بسيوف مسلولة، قوم لها وقوم عليها،
فقلت: أجيئوا أمير المؤمنين (عليه السلام) أجيئوا عيبة علم النبوة. قال: فنزلت المرأة من
القبة ونزل القوم معها ودخلوا المسجد، فوقفت المرأة بين يدي أمير المؤمنين (عليه
السلام)

وقالت: يا مولاي يا إمام المتقين، إليك أتيت، وإياك قصدت، فاكشف كربتي
وما بي من غمة... فعند ذلك قال: يا عمار ناد في الكوفة: من أراد أن ينظر إلى ما
أعطى الله أخا رسول الله فليأت المسجد.

قال: فاجتمع الناس حتى امتلأ المسجد، فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال:
سلوني ما بدا لكم يا أهل الشام، فنهض من بينهم شيخ قد شاب عليه بردة يمانية،

فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ويا كنز الطالبين، يا مولاي هذه الجارية ابنتي قد خطبها ملوك العرب، وقد نكست رأسي بين عشيرتي، وأنا موصوف بين العرب، وقد فضحتني في أهلي ورجالي لأنها عاتق (١) حامل... وقد بقيت حائرا في أمري، فاكشف لي هذه الغمة فإن الإمام خبير بالأمر، فهذه غمة عظيمة لم أر مثلها ولا أعظم منها.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما تقولين يا جارية فيما قال أبوك؟
قالت: يا مولاي أما قوله: إني عاتق صدق، وأما قوله: إني حامل فوحقك يا مولاي ما علمت من نفسي خيانة قط، وإني أعلم أنك أعلم بي مني، وإني ما كذبت فيما قلت، ففرج عني يا مولاي.

قال عمار: فعند ذلك أخذ الإمام ذا الفقار وصعد المنبر، فقال: الله أكبر، الله أكبر، (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (٢) ثم قال (عليه السلام): علي بداية (٣)

الكوفة، فجاءت امرأة تسمى «لبناء» وهي قابلة نساء أهل الكوفة، فقال لها: إضربي بينك وبين الناس حجابا، وانظري هذه الجارية عاتق حامل أم لا؟! ففعلت ما أمر به، ثم خرجت وقالت: نعم يا مولاي هي عاتق حامل، فعند ذلك التفت الإمام إلى أبي الجارية، وقال: يا أبا الغضب ألسنت من قرية تسمى «أسعار» من أعمال دمشق؟ قال: بلى يا مولاي.

(١) قال العلامة المجلسي (رحمه الله): جارية عاتق أي شابة أول ما أدركت فخرت في بيت أهلها ولم تبني إلى زوج.

(٢) الإسراء: ٨١.

(٣) البداية: القابلة.

قال: ومن منكم يقدر على قطعة ثلج في هذه الساعة؟
قال: يا مولاي الثلج في بلادنا كثير، ولكن ما نقدر عليه هاهنا.
فقال (عليه السلام): بيننا وبينكم مائتان وخمسون فرسخا؟
قال: نعم يا مولاي.
ثم قال: أيها الناس أنظروا إلى ما أعطاه الله عليا من العلم النبوي، والذي
أودعه الله ورسوله من العلم الرباني.
قال عمار بن ياسر: فمد يده (عليه السلام) من أعلى منبر الكوفة وردها، وإذا فيها قطعة
من الثلج يقطر الماء منها، فعند ذلك ضج الناس وماج الجامع بأهله، فقال (عليه
السلام):
أسكتوا فلو شئت أتيت بجبالها، ثم قال: يا داية خذي هذه القطعة من الثلج
وأخرجي بالجارية من المسجد واتركي تحتها طشتا، وضعي هذه القطعة مما يلي
الفرج، فسترين علقه وزنها سبع مائة وخمسون درهما ودانقان. فقالت: سمعا
وطاعة لله ولك يا مولاي، ثم أخذتها وخرجت بها من الجامع، فجاءت بطست
فوضعت الثلج على الموضوع كما أمرها (عليه السلام)، فرمت علقه وزنتها الداية
فوجدتها كما
قال (عليه السلام)، فأقبلت الداية والجارية فوضعت العلقه بين يديه، ثم قال: يا أبا
الغضب
خذ ابنتك، فوالله ما زنت وإنما دخلت الموضوع الذي فيه الماء فدخلت هذه العلقه في
جوفها وهي بنت عشر سنين وكبرت إلى الآن في بطنها، فنهض أبوها وهو يقول:
أشهد أنك تعلم ما في الأرحام وما في الضمائر، وأنت باب الدين وعموده. قال:
فضج الناس عند ذلك وقال: يا أمير المؤمنين! لنا خمس سنين لم تمطر السماء علينا
وقد أمسك عن الكوفة هذه المدة، وقد مسنا وأهلنا الضر، فاستق لنا يا وارث
محمد، فعند ذلك قام في الحال وأشار بيده قبل السماء، فسال الغيث حتى بقيت

الكوفة غدرانا، فقالوا: يا أمير المؤمنين كفينا وروينا، فتكلم بكلام فمضى الغيث وانقطع المطر وطلعت الشمس، فلعن الله الشاك في فضل علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

ولا زال بيت الطشت موجودا في الكوفة وهو إشارة إلى هذه الواقعة.
أما الأصابع

إن جميع الفيوضات السماوية والأرضية، برية وبحرية، ناشئة من تلك الأصابع المباركة التي جعلها الرب تعالى محلا قابلا لهذا الفيض الكامل، وكانت غاية في الاعتدال وحسن الخلقة وجمال التركيب متناسبة مع سائر الأعضاء الشريفة في بنيته المباركة.

والأصابع جمع أصبع؛ تستعمل في التذكير والتأنيث، وقد تسمى «الأنامل» وهي رؤوس الأصابع؛ قال تعالى: (جعلوا أصابعهم في آذانهم) (٢) أي «أناملهم». ولكل واحد من الأصابع اسم خاص به: الإبهام، والسبابة، والوسطى، والبنصر، والخنصر، وقد جعل الله تعالى بحكمته الكاملة منافع كثير - ما أكثرها - في هذه الأصابع، قال الصادق (عليه السلام) للمفضل بن عمر: يا مفضل! أنظر إلى اليدين

كيف بسطها الله تعالى لتصل إلى ما يريد، وجعل الكف واسعا، وجعل فيه الأصابع، وجعل في كل أصبع ثلاث عقود ليقدر على القبض، وجعل الإبهام في طرف وجعل الأربع في طرف آخر، بحيث يحيط الإبهام بها ويتسلط عليها، ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يجعلوها بأفضل من هذا أو بمثله لما استطاعوا، بحيث يصدر

(١) البحار ٤٠ / ٢٧٧ ح ٤٢ باب ٩٧.

(٢) نوح: ٧.

منها في البسط فعل وفي القبض فعل آخر فتكون مرة عصا ومرة مغرفة ومرة صندوق تتمكن بواسطتها من الأخذ والعطاء والإشارة و ضبط العدد والحساب (١). ثم زين رؤوس الأصابع بالأظفار وجعلها كالسجاف لتحفظ الأنام من الصدمات والتشقق، إضافة إلى أن بعض الأشياء قد تكون صغيرة لا يمكن إتقاطها من الأرض بالأصابع فتلتقط بالأظفار، إضافة إلى أن البدن لا تسكن الحكمة فيه إلا بالأظافر.

وقد ورد في الحديث الأمر بالنظر إلى الأظافر في الغضب وعند الضحك الشديد، لأن النظر إليها يسكن الغضب والضحك؛ والسبب في ذلك أن آدم (عليه السلام) لما

أكل من شجرة الحنطة في الجنة وهبط إلى الأرض نبتت على أصابعه الأظافر، وهي بلون الحنطة وبلون لباسه في الجنة، فكان إذا نظر إليها تذكر الحنطة ولباس الجنة وتذكر معصيته - بترك الأولى - فبكى، ولذا يتذكر الإنسان ويتنبه إذا نظر إلى أظفاره فيزياله الغضب والضحك.

وكل واحدة من الأصابع الخمسة لها تعلق بواحدة من الأنوار الخمسة، كما في الحديث: فما يلي الإبهام للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والوسطى للولي (عليه السلام)، والبنصر للصديقة

الطاهرة (عليها السلام)، والخنصر للحسن، والإبهام للحسين (عليه السلام)، وهكذا كان ظهور الأنوار

الخمس من الأنامل الشريفة لآدم (عليه السلام) في بدء الخلقة.

ولو أردنا بيان جهة التناسب وسبب تعلق كل إصبع بمن تعلق به، لطال بنا الحديث.

ولكن يتضح من هذا الحديث اقتران خاتم الأنبياء وسيد الشهداء أرواحنا له

(١) توحيد المفضل.

الفداء، فشهادته كانت عمادا وإعلاما لشرع المصطفى الخاتم، ولولا شهادته (عليه السلام)

لاضمحلت هذه الآثار الإلهية والشرائع النبوية، ورجع الخلق القهقري إلى الضلالة والعمى، كما فعل أبوه سلام الله عليه من قبل، فلولا سيفه «لما مثل الدين شخصا فقاما» ويؤيد هذا المعنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «حسين مني وأنا من حسين» (١) وقوله

تعالى: (وفديناه بذبح عظيم) (٢) أي ذلك الوجود المقدس الذي فدى دين جده. فالنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) أظهر هذه الشريعة الغراء في بدء الإسلام، وأمير المؤمنين (عليه السلام) أنفذها بقوة السيف، والإمام الحسن أمضاها بالصلح مع معاوية

بمقتضى الحكمة والمصالح، وسيد الشهداء كشف عن أحقية دين جده وأبقاه، وكان التأييد الأساسي - ظاهرا وباطنا - حاصلًا بشهادته (عليه السلام). وتقسيم الأصابع هذا كتقسيم الصلوات؛ فصلاة الظهر للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)،

والعصر لأمير المؤمنين (عليه السلام)، والمغرب - ومنهم من قال هي الصلاة الوسطى -

للصديقة الطاهرة (عليها السلام)، والعشاء للإمام الحسن، والصبح - وهو وقت بزوغ الشمس النبوية والشريعة المصطفوية - لسيد الشهداء؛ ولذا قالوا «اقرأوا سورة الفجر بعد فرائضكم ونوافلكم لأنها سورة الحسين (عليه السلام)» (٣) وقالوا في قوله تعالى:

(يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) (٤) أن النفس المطمئنة هو الوجود المبارك لمولانا الإمام الحسين (عليه السلام).

أجل؛ لا نبتعد عن الموضوع، حيث كان الكلام في الحسن والجمال وغاية الإعتدال التي أودعها الله في أصابع المولى أمير المؤمنين الفياضة بكل خير وكمال.

(١) البحار ٣٧ / ٦٤ ح ٤٠ باب ٥٠.

(٢) الصفات: ١٠٧.

(٣) البحار ٢٤ / ٩٣ ح ٦ باب ٣٤.

(٤) الفجر: ٢٨.

أما ظهره الشريف
«وكان أقر الظهر ومحض المتن» (١) أي كان متينا محكما خالصا من أي نقص ظاهري، وهذا يعني أن مفاصله وعظامه المتصلة بالفقرات عن اليمين وعن الشمال لم تكن ظاهرة ناتئة، ولا متفاوتة في الارتفاع والإنخفاض الذي يؤدي إلى نقصان في التركيب وعدم انسجام في الهيئة، ومعلوم أن الظهر المستوي بهذه الصورة لا بد أن يكون غاية في الجمال وحسن التركيب، وهذا النوع من الظهر يكون طبيعته المتانة والقوة والصلاة، ولو لم يكن - حسب الأسباب البشرية الظاهرة - ذا متانة وقوة وصلابة لما تحمل كل تلك الشدائد والأعباء الظاهرية، ولما قهر الشجعان وفرسان العرب وأذاقهم الذل والهوان، وهو القائل «ولو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها» (٢). وهو (عليه السلام) يفعل ما يقول يقينا وحاشاه عن المبالغة. والقوة في الإنسان تظهر في عضوين من أعضائه: الظهر واليد، وهما عنده (عليه السلام) غاية في الكمال والتناسب والانسجام مع بقية أعضائه، وهو القائل (عليه السلام):

«أنا يد الله وأنا جنب الله» (٣).

فلا بد أن يكون ذلك الوجود المقدس أقوى القوى الإمكانية، وأن يكون قاهرا للجميع غالبا غير مغلوب. ولا بأس أن نختم الحديث عن شمائله المباركة بوصف صدره المبارك مخزن

(١) البحار ٢٤ / ٩٣ ح ٦ باب ٣٤؛ ٢٤ / ٣٥٠ ح ٦٢ باب ٦٧.

(٢) البحار ٢١ / ٢٦ ح ٢٥ باب ٢٢.

(٣) البحار ٢٤ / ١٩٤ ح ١٦ باب ٥٣.

سر الله ومعدن علوم الأولين والآخرين، لنتقل - من ثم - إلى الحديث عن أحداث زفاف الصديقة الطاهرة في خصيصة الزفاف إن شاء الله تعالى.

أما صدره الشريف

«وكان عريض الصدر»، وقد ورد في شمائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه «كان سواء البطن

والصدر» (١) فيكون الصدر والبطن متناسقين في الحجم والاعتدال، ومنسجمين مع «عظم الهامة»، وسبق وأن أشرنا في هذا الباب إلى أن الأخلاق الظاهرية تحكي الأخلاق المعنوية، وهذه الأعضاء الثلاثة تتوافق مع الشرف الحال فيها، فالرأس الكبير دليل على العقل الكبير، كما أن الرأس الصغير دليل على خفة العقل، والصدر الواسع دليل على انشراح الصدر وكثرة العلم للتناسب والتلازم بين المعالم الظاهرية والباطنية، وللعلم شرف وفضل كالعقل، وإنسانية الإنسان في هذين الأمرين، فلو لم يكن هذان الجوهران اللطيفان في الإنسان فهو لا شيء، وقد جعل الله تبارك وتعالى هذين العضوين وعاء ومخزنا لهذين الجوهرين، فتجلت آثار كل منهما في ذلك المحل العظيم، فالرأس بارز ينتفي الكل بانتفائه، والعقل كل الكلي لو لم يوجد لما وجد الخلق، والصدر محور ومركز لهذا العالم الصغير يتحرك به هيكل البنية الإنسانية، وتتصل به جميع الأعضاء الفوقانية والتحتانية وتحتاج إليه أشد الحاجة، وهو محل العلم، والعلم حال فيه من أجل بقاء العالم العالي والداني وما بينهما. وقد صرحت الآيات والأخبار بأن علة إيجاد الموجودات هي العلم والمعرفة، ويؤيد كون الصدر محل العلوم قوله (عليه السلام) «سلوني قبل أن تفقدوني، فإن

(١) البحار ١٦ / ١٤٩ ح ٤ باب ٨.

بين جوانحي علما جما» (١).
وكان (عليه السلام) عريض الصدر، وقد جعل الله تعالى لكل شيء وعاء ومحلا،
وجعل خزانة صدر سلطان الولاية وعاء للعلوم، ولو أردنا أن نتكلم عن علم
المولى لسودنا أسفاراً من الورق ونحن في أول الطريق، ولكن يكفي أن تعلم أن الله
جعل في صدر سيد الأولياء وخلاصة الأزكياء علي المرتضى مجموع عالم الإمكان
ونسخة العالم الأكبر وجامعه، وهذا هو عطاء الملك المنان.
ليس على الله بمستنكر* أن يجمع العالم في واحد
لا بأس أن نختم الحديث هنا ونواصل في خصيصة جديدة حول الزفاف
والزواج والوليمة المباركة التي أقيمت للصديقة الطاهرة سلام الله عليها.
ولا يظن أحد أن هذه الخصائص الخمس في شمائل الولي (عليه السلام) خارجة عن
موضوع الكتاب ولا علاقة لها بما نحن فيه، فالحديث عن شمائله من صلب
الموضوع بعدة لحاظات.
منها: دفع التوهم الحاصل من كلام نساء القریش المذكور سابقاً، حيث قلن
عنه (عليه السلام) أنه «دحداح البطن».. إلى آخره.
ومنها: أن ذكر الجمال الصوري الظاهري والمحاسن الكريمة يناسب الحديث
عن الزواج والخطبة «وقد عرض الطيب على عطاره»، ولذا ذكرنا شيئاً مجملاً
بمقدار الضرورة، والآن ننتقل إلى الخصيصة الأخرى بتوفيقه ولطفه.

(١) البحار ٣ / ٢٢٥ ح ١٥ باب ٦.

الخصيصة الخامسة والثلاثون
في الوليمة ومقدماتها وتعيين وقت الزواج (الزفاف)
تفيد بعض الأخبار المعتبرة أن الفرق بين العقد السماوي والعقد في الأرض
كان أربعين يوما، والفرق بين العقد والزفاف كان شهرا واحدا أو تسعة وعشرين
يوما كما في البحار.
وهناك عدة أقوال في تاريخ زواجها (عليها السلام)، قيل: انقضى من عمرها المبارك
تسع سنين وكانت قد بلغت كمال الرشد والعقل، وهي في حجرة أم سلمة،
فتكاثرت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الرسل والرسائل، وتقاطر الخطاب
من البعيد
والقريب من أهل المدينة وعظماء القبائل ورؤساء العشائر، بقصود فاسدة
وخيالات واهية يتوسلون إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم غافلون أن الله
العلي الأعلى قد
ادخر هذه الجوهرة الثمينة في أصداف العزة وكنف الحماية الربانية، وتكفل بتربيتها،
ولم يجعل في أبناء الدنيا من الملوك والرعايا وأرباب الفقر والغنى كفوا لها، فلما يأس
الجميع وعلموا أن لا سبيل إليها، زوجها رب العزة من سلطان الولاية
وأمر المؤمنين (عليه السلام).
وفي الخبر: «كان زواج فاطمة (عليها السلام) بعد بدر بأيام يسيرة» (١).

(١) البحار ٤٣ / ١٣٤ ح ٤٢ باب ٥.

وقال المرحوم المجلسي في بحار الأنوار: «.. ولدت فاطمة بمكة بعد النبوة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين في العشرين من جمادى الآخرة، وأقامت مع أبيها بمكة ثماني سنين، ثم هاجرت معه إلى المدينة، فزوجها من علي بعد مقدمها المدينة بسنتين، أول يوم من ذي الحجة، وروي أنه كان يوم السادس، ودخل بها يوم الثلاثاء لست خلون من ذي الحجة بعد بدر..» (١) وغزوة بدر وقعت في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان.

وقال المرحوم الكليني: «.. فزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من علي (عليه السلام) بعد قدومه المدينة بسنة» (٢).

وفي تعيين شهر الزفاف ثمانية أقوال:

الأول: النصف من رجب

الثاني: آخر شهر رمضان

الثالث: شوال

الرابع: أول شهر ذي الحجة

الخامس: السادس من ذي الحجة

السادس: العشرين من ذي الحجة

السابع: في شهر محرم الحرام

الثامن: في شهر صفر.

(١) البحار ٤٣ / ٦ ح ٧ باب ١ عن المناقب عن جابر بن عبد الله.

(٢) البحار ٤٣ / ٧ ح ٩ باب ١ عن الروضة.

وقال الشيخ المفيد: إن زفافها كان في محرم سنة ثلاث من الهجرة (١).
وقال أبو الفرج الأصفهاني: إنه في شهر صفر.
واختلف علماء العامة في تاريخ الزفاف ولكن المشهور بينهم ذلك الحين أنه
كان في شوال، ولذا يحمل القول «في شوال» على التقية لموافقته لمذهب العامة.
والحق عندي - أنا الحقير - أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هاجر في شهر ربيع
الأول وجعله

مبدأ السنة الهجرية، وبعد مرور عام وفي شهر رمضان من السنة الثانية مضى
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى غزوة بدر، وفي شهر ربيع الثاني من هذه
السنة كانت فاطمة

الزهراء (عليها السلام) قد قضت سن التاسعة من عمرها المبارك ووصلت حد البلوغ.
والمحقق أن عقدها تم في السماء أولاً، ثم تم في الأرض بعد شهر أو أكثر قليلاً،
واحتمل أن الاختلاف ناتج عن الاختلاف بين العقدين، فعقد لها في السماء في شهر
رجب - مثلاً -، ومرت فترة ثم هبط الأمين جبرئيل وأخبر النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) فزوجها

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الأرض قبل بدر، وبعد رجوعه من بدر في شهر
شوال وبعد مرور
عدة أيام وقع الزفاف في شهر ذي الحجة. إما في أوله أو في السادس أو في العشرين
منه على الأشهر.

وكان مولودها الأول الإمام الحسن (عليه السلام) في شهر رمضان، أي إن تمام الحمل
كان منذ ابتداء محرم إلى النصف من شهر رمضان، وما ذكره الكليني من أنه سنة بعد
الهجرة بعد الدخول في السنة الثانية من الهجرة فهو الحق؛ لأن فاطمة الزهراء (عليها
السلام)

قضت ثماني سنين من عمرها المبارك في مكة، وعشر سنين وبضعة شهور في
المدينة، وقضت سنة من العشر سنين قبل دخولها بيت أمير المؤمنين (عليه السلام)،
وبهذا

(١) البحار ٤٣ / ٩٢ ح ١ باب ٥.

الحساب - مع ملاحظة الزيادة والنقصان في السنين الشمسية والقمرية - كما في ناسخ التواريخ - يتعين زفافها في الشهر المذكور.

وتصح ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) في النصف من شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة، فيكون عمرها المبارك ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعين يوماً، وهذه الأيام الخمس والسبعين هي الأيام التي عاشتها (عليها السلام) بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسيأتي تحقيق آخر في عمرها المبارك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وقد وقع الخلاف في تاريخ ولادتها كما وقع الخلاف في تاريخ زفافها، فقول أنه في النصف من رجب، وقول في آخر شهر رمضان، وقول في أول ذي الحجة، وذهب بعض إلى أنها في الواحد والعشرين من محرم الحرام، وبعض إلى السادس من ذي الحجة، وذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين أن ولادتها في شهر صفر، وقال الشيخ المفيد في حدائق الرياض أنها في الواحد والعشرين من شهر محرم، وأن زفافها في شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة، وهو يختلف عن قول الكليني بسنتين.

ويعتقد الحقير أن المشهور أن زفاف كريمة النبوة إلى سلطان الولاية كان في شهر ذي الحجة، إما في أوله أو في السادس منه، ويستحب صيام يوم الزفاف شكراً لله على اجتماع الحجة والصفوة.

وبالجملة؛ بعد انقضاء العقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمر فاطمة بشيء، إستحياء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، غير أنني كنت إذا خلوت برسول الله يقول لي: يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، أبشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيده نساء العالمين.

قال علي: فلما كان بعد شهر دخل علي أخيه عقيل بن أبي طالب، فقال: يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدخلها عليك، فتقر عينا باجتماع شملكما؟

قال علي (عليه السلام): والله يا أخي إني لأحب ذلك، وما يمنعني من مسألته إلا الحياء

منه.

فقال: أقسمت عليك إلا قمت معي.

فقمنا نريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلقينا في طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلمه، فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال.

ثم اثنت راجعة فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاجتمعن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - وكان في بيت عائشة - فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرت بذلك عينا.

قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال: خديجة

وأين مثل خديجة، صدقتني حين كذبتني الناس، ووازرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها، إن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب [الزمرد] لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أم سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، إنك لم تذكر من خديجة أمرا إلا وقد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها، فهناها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك في

الدنيا وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته فاطمة (عليها السلام) وتجمع بها شمله. فقال: يا أم سلمة، فما بال علي لا يسألني ذلك؟ فقلت:

يمنعه الحياء منك يا رسول الله (١).

أجل؛ يمنعه الحياء، والحياء من أفضل الخصال يقينا، فقد ورد عن طرق العامة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إن لكل شيء خلقا، وخلق هذا الدين الحياء».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة» (٢).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «الحياء لا يأتي إلا بخير» (٣).
وقد ورد الأمر بالحياء في أخبار كثيرة، قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): استحوا

من الله حق الحياء. قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «من حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وذكر الموت والبلا، وترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء» (٤).
وللحياء مراتب: الأولى كف الأذى عن الخلق، وترك التجاهر بالقبيح، وأن يجتنب في الخلاء ما يجتنبه في الملاء، وقيل في وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه» (٥).
وقال عمرو بن بحر الجاحظ: الحياء لباس سابغ، وحجاب واق، وستر من

(١) البحار ٤٣ / ١٣٠ ح ٣٢ باب ٥ عن كشف الغمة ١ / ٣٦٠ (في تزويجه (عليه السلام) فاطمة (عليها السلام)).

(٢) البحار ١ / ١٤٩ ح ٣٠ باب ٤؛ و ٧١ / ٣٢٩ ح ١ باب ٨١.

(٣) البحار ٧١ / ٣٢٩ ح ١ باب ٨١.

(٤) البحار ١ / ١٤٢ ح ٣٠ باب ٤.

(٥) البحار ١٦ / ٢٣٠ ح ٣٥ باب ٩.

العيب، وأخو العفاف، وحليف الدين، ورقيب من العصمة، وعين كائلة تذود عن الفحشاء، وتنهى عن ارتكاب الأرجاس، وسبب إلى كل جميل. وقيل: لا ترض قول امرئ حتى ترضه فعله، ولا ترض فعله حتى ترضى عقله، ولا ترضى عقله حتى ترضى حياءه، فإن ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم، فإذا قوي الحياء قوي الكرم، وإذا ضعف الحياء قوي اللؤم. ونعم ما قال الشاعر:

ورب قبيحة ما حال بيني * وبين ركوبها إلا حياء
فكان هو الدواء لها ولكن * إذا ذهب الحياء فلا دواء
وقيل: حياة الشرف بالحياء كما أن حياة النبات بالماء.

ولما كان الحياء من الصفات الممدوحة ومن خصال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا بد أن يكون وصيه وخليفته بالحق متحلياً بأعلى مراتب الحياء. فلو أنه حضر بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلب منه ذلك شخصياً في غاية الحياء ورعاية الأدب فهو أيضاً عين الحياء، لأنه يدل على شدة ميله (عليه السلام) إلى هذا الأمر المحبوب عند الله، وقد فعل كما يظهر من بعض العبارات كما في كتاب كشف الغمة أنه (عليه السلام) سأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متى يكون ذلك؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الليلة إن شاء الله. وفي رواية: ليلتنا هذه، أو في ليلة غد إن شاء الله. ثم دعا بلالاً، فقال: يا بلال إني قد زوجت ابنتي من ابن عمي، وأنا أحب أن تكون من سنة أخي الطعام عند النكاح، فإئت الغنم فخذ شاة منها وأربعة أمداد (١)

(١) البحار ٤٣ / ١٢١ ح ٣٠، باب ٥؛ والمد ربع الصاع - وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

يغتسل بصاع ويتوضأ بمد،

والصاع بالوزن العراقي تسعة أرطال وبالمدني ستة أرطال وبالمكي أربعة أرطال ونصف الرطل وقال بعض الشراح: الصاع ألف ومائة وسبعون درهماً، وقال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): الصاع ألف ومائتا

وسبعون درهماً، على الاختلاف. (من المتن)

[من الحنطة]، فاجعل لي قصعة لعلي أجمع عليها المهاجرين والأنصار (١).
وعلى أي حال؛ فقد كانت وليمة للبعثة النبوية شاة وأربعة أمداد من
الحنطة، والمتفق عليه أن أربعة آلاف نفر أكلوا منها وأخذوا إلى بيوتهم للتبرك (٢).
وفي حديث المناقب: قالت أم أيمن: فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
انطلقني إلى

علي فأتيني به، فخرجت من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا علي
ينتظرني ليسألني عن
جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما رأيته قال: ما وراك يا أم أيمن؟
قلت: أجب

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
قال (عليه السلام): فدخلت عليه، وقمن أزواجه فدخلن البيت، وجلست بين يديه
مطرقا نحو الأرض حياء منه، فقال: أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟
فقلت وأنا مطرق: نعم فداك أبي وأمي.
فقال: وكرامة يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء
الله، فقامت فرحا مسرورا، وأمر أزواجه أن يزين فاطمة (عليها السلام) ويطيبنها
ويفرشن لها
بيتا ليدخلنها علي بعلها (٣).

(١) كشف الغمة ١ / ٣٥٠ في تزويجه فاطمة (عليها السلام).
(٢) قال في المناقب ٣ / ٤٠٢ (في تزويجها): ... «فأمر بطحن البر وخبزه، وأمر عليا بذبح الغنم، فكان
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفصل ولم ير على يده أثر دم فلما فرغ من الطبخ أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله
وآله وسلم) أن ينادى على رأس داره:
أجيبوا رسول الله، وذلك كقوله: (وأذن في الناس بالحج) [الحج: ٢٧] فأجابوا في النخلات والزرع،
فبسط النطوع في المسجد وحدد الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة ورفعوا منها
ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء...»
(٣) البحار ٤٣ / ١٣٢ ح ٣٢ باب ٥.

وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: هيئوا لابنتي وابن عمي في حجرتي بيتا، فقالت أم سلمة: في أي حجرة يا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): في حجرتك (١).

قال صاحب ناسخ التواريخ: لم يثبت عندي هذا المعنى، لأن أم سلمة كانت ذلك الحين عند أبي سلمة ولم يكن لها بيت في بيوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال صاحب تاريخ الخميس في رواية عن أنس أن التي تولت هذا الأمر هي أسماء بنت عميس.

قال أيضا: وهذا الأمر بعيد جدا، لأن أسماء بنت عميس كانت في ذلك اليوم مع زوجها جعفر الطيار في الحبشة ولم ترجع إلى المدينة إلا بعد فتح خيبر. وقال لسان الملك: قد يكون منشأ الالتباس من حيث أن عميس بن سعد الحارث كانت له ثلاث بنات، وأمهن هند بنت عوف بن زهير: الأولى: أسماء زوجة جعفر بن أبي طالب، ولدت له في الحبشة ثلاثة أولاد: عبد الله وعون ومحمد، وبعد استشهاد جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبي بكر، وبعد أبي بكر تزوجها علي (عليه السلام) فولدت له يحيى. والثانية: سلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبد المطلب، ولدت له أمامة: تزوجها شداد بن أسامة.

والثالثة: سلامة زوجة عبد الله بن كعب الخثعمي. ويحتمل أن تكون التي تولت زفاف الصديقة الطاهرة وخدمتها هي سلمى - أخت أسماء - زوجة حمزة بن عبد المطلب.

قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): «قد تكون أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري

(١) البحار ٤٥ / ٩٣ ح ٤ باب ٥.

بدل أسماء بنت عميس» (١) ولم تكن أم سلمة يومها في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما هي أم سليم أم أنس بن مالك، حيث كان أنس هذا خادماً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت أمه تخدم عند النساء، ولعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر أم سليم بتجهيز بيت فاطمة الطاهرة، ووقع تصحيف من الكتاب فأبدلوا أم سلمة بأم سليم، وقد مر شرح ذلك مفصلاً في الحديث عن أحوال أسماء بنت عميس. الحاصل؛ بناء على القول المشهور أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بتجهيز حجرة أم سلمة لتزف فيها المخدرة الكريمة، وتكون تلك الحجرة حجلة العصمة لذلك الناموس الأكبر... وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر نساءه أن يزينها ويصلحن من شأنها. قالت أم سلمة: فسألت فاطمة: هل عندك طيب ادخرته لنفسك؟ قالت: نعم، فأنت بقارورة فسكبت منها في راحتي، فشمتت منها رائحة ما شممت مثلها قط، فقلت: ما هذا؟ فقالت: كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وآله وسلم)، فيقول لي: يا فاطمة هات الوسادة فاطرحها لعمك، فأطرح له الوسادة فيجلس عليها فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه، فسألته عن ذلك، فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل (٢). وفي رواية أن فاطمة قالت: هذا عرق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كنت أخذه عند قيلولة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندي (٣).

(١) البحار ٤٣ / ١٣٤ ح ٣٢ باب ٥.

(٢) البحار ٤٣ / ٩٥ ح ٤ باب ٥.

(٣) البحار ٤٣ / ١١٥ ح ٢٤ باب ٥.

وفي رواية:.. وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الدراهم التي سلمها عشرة دراهم فدفعها ليشتروا بها سمنا وتمرًا وأقطًا، فاشتريت، فحسر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذراعيه، ودعا بسفرة من آدم، وجعل يشدخ التمر والسمن ويخلطهما بالأقط حتى اتخذه حيسًا (١).

ثم قال: يا علي ادع من أحببت، فخرجت إلى المسجد وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متوافرون فقلت: أجيئوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقاموا جميعًا وأقبلوا نحو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢). وهذا لا ينافي أن يكون بلال أيضًا قد دعا الناس، فقد تكون دعوة أمير المؤمنين للخاصة، ودعوة بلال لعامة الناس. وفي رواية، قال علي: ثم قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي إصنع لأهلك طعامًا

فاضلاً، ثم قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، فاشتريت تمرًا وسمنا، فحسر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه

حيسًا، وبعث إلينا كبشا سمينًا فذبح، وخبز لنا خبز كثير، ثم قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أدع من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحون بالصحابة فاستحييت أن أشخص قوماً وأدع قوماً، ثم صعدت على ربوة هناك وناديت: أجيئوا إلي وليمة فاطمة.

[فأوصل الله صوت علي إلى أهل المدينة قاطبة] فأقبل الناس ارسالا،

(١) الحيس بفتح المهملة وإسكان التحتانية هو التمر ينزع عند النوى ويخلط بالأقط والسمن ويعجن باليد وقد يضاف إليه السويق والسويق هو دقيق الحنطة أو الشعير المحمى. (من المتن)
(٢) البحار ٤٣ / ١١٤ ح ٢٤ باب ٥.

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الطعام بالبركة.. فأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي ودعوا لي بالبركة، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ولم ينقص من الطعام شيء.

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصحاف فمئنت ووجه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صفحة وجعل فيها طعاما وقال: هذا لفاطمة وبعلمها (١)... وانفض المجلس. ويستفاد من حديث المناقب أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر أن يدخل الناس عشرة

عشرة وأكثر فيأكلون وينصرفون، قال في المناقب: «فجعل الناس يزفون، كلما فرغت زفة وردت أخرى حتى فرغ الناس» (٢).

والزفاف هو السرعة في المشي، ويأتي بمعنى الإهداء، فكأن العروس تهدي إلى بيت زوجها، والمزفة المحفة التي تجلس عليها العروس.

والعروس على وزن رسول، المذكر والمؤنث فيه سواء، ولكن العروس إذا كان للمذكر فجمعه عرس، وللمؤنث جمعه عرايس، ويقال للمرأة ذات البعل «عرس»، وجمعها أعراس، والعرس - بالضم - الطعام والوليمة في الزفاف.

[في استحباب الوليمة]

ووليمة الزواج مستحبة استحبابا مؤكدا ففي الحديث «أولم ولو بشاة». والوليمة الطعام المهيأ للزواج، و «ولم» بمعنى الحبل، ولا يبعد أن تكون «الوليمة» مشتقة منه، لأن الحبل يوجب الاتصال والإنشاد، وطعام الزواج أيضا سبب للاتصال والتأليف والتحييب.

(١) البحار ٤٣ / ٩٥ ح ٥ باب ٥.

(٢) البحار ٤٣ / ١٢١ ح ٣٠ باب ٥.

ويستحب أن يكون إطعام الزواج في النهار، ويكون الزفاف في الليل، كما روي عن الصادق سلام الله عليه «زفوا عرائسكم ليلاً وأطعموا ضحى» (١). وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا سهر إلا في ثلاث: متهدج بالقرآن، أو في طلب العلم،

أو عروس تهدي إلى زوجها (٢).

ويستفاد من الآية الكريمة أن الليل أوفق لأنه سكن، والمرأة سكن للرجل أيضاً؛ إضافة إلى أن زفاف فاطمة الطاهرة (عليها السلام) كان في الليل، فمقتضى الاقتداء

والتأسي بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون الزفاف في الليل، ثم إن الخاطر يكون في الليل

مجموعاً أكثر والتفرغ ميسوراً، وستأتي إن شاء الله الأخبار عن مجيء جبرئيل وميكائيل في ألف ألف من الملائكة وسبعون ألف ملك في ليلة زفاف الصديقة الطاهرة، وقولهم «جئنا نرف فاطمة إلى زوجها» (٣).

وإطعام الطعام في العرس من سنن المرسلين، بشرط أن لا يخرج من تعليمات أولياء الدين وسيرة سائر المسلمين، فلا تتخذ المجالس للهو واللعب والمحرمات؛ ويحضرها أهل الفسق والفجور ويشغلون بأنواع المناهي والملاهي، فيسرفون غاية الإسراف والتبذير الحرام، ثم يسمونه وليمة عرس ويقولون: إنها مستحبة!! أو أنهم يتهيئون مجالس يصرفون فيها المصارف العظيمة، كأن تكون خمسة آلاف تومان أو عشرة آلاف تومان، ويدعون إليها الأغنياء والمتكبرين الذين يستنكفون من مد أيديهم إلى الطعام، فيأكلون متفرعين برؤوس الأصابع أو

(١) الوسائل ٢٠ / ٩١ ح ٢ باب ٣٧ أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

(٢) الوسائل ٢٠ / ٩٢ ح ٥ باب ٣٧ أبواب مقدمات النكاح وآدابه؛ والبحار ١ / ٢٢٢ ح ٣ باب ٧.

(٣) الوسائل ٢٠ / ٩٢ ح ٤ باب ٣٧ أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

بالآلات المعدة لجذب وجلب وحمل وقطع اللقمة، فيتناولون لقمتين أو ثلاثا ثم يعيرون الطعام وينظرون إلى المائدة نظرة استغناء، ويحضرون لهؤلاء المتكبرين على نعمة رب العالمين ألوان الطعام رياء وسمعة وفي محلتهم ألف فقير لم يؤذن لواحد منهم بالدخول، وحصتهم من الوليمة استشمام روائح الأطعمة إن كانوا جيرانا. ولو دخل فقير قهرا أو اتفاقا واستطاع الإفلات من المزاحمات وطوى المسافات والرواقات، وخرق الحجب وتجاوز الحجاب وحراس الثغور والأبواب، وأوصل نفسه إلى الحفل، فإنهم سرعان ما يوكلون به من يلتزمه ويقولون له: التزم هذا الفقير فورا وعلمه ماذا يفعل وأعطه عشاءه، وهذه التوصية تتم رسميا، أما الواقع فمعناه لا تجعلوا لهذا الفقير إلى الحفل سبيلا وأعطوه قليلا من العشاء وأخرجوه من المجلس لئلا تؤثر ملابسه الرثة على حريرهم واستبرقهم فيبلى.

ومثل هذه الولايم ليست مستحبة؛ بل هي محرمة ولا تسمى وليمة أصلا.

قال الباقر (عليه السلام): الوليمة يوم ويومان مكرمة، وثلاثة أيام رياء وسمعة (١).

وفي الوسائل عن أبي الحسن (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا وليمة إلا في خمس: في عرس، أو خرس، أو عذار، أو وكار، أو ركاز؛ فالعرس التزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار النختان، والوكار الرجل يشتري الدار، والركاز الرجل يقدم من مكة (٢).

وذكر الفقهاء العظام والعلماء الكرام أخبارا في باب الأطعمة والأشربة تدل على أن طعام العرس غالبا ما يكون هنيئا مريئا له طعم ورائحة خاصة، فعن

(١) الوسائل ٢٠ / ٩٤ ح ٢ باب ٤٠ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

(٢) الوسائل ٢٠ / ٩٥ ح ٥ باب ٤٠ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

معاوية بن عمار قال: قال رجل لأبي عبد الله (عليه السلام): إنا نجد لطعام العرس رائحة

ليست برائحة غيره. فقال له: ما من عرس يكون ينحر فيه جزور وتذبح بقرة أو شاة، إلا بعث الله إليه ملكا معه قيراط من مسك الجنة حتى يديفه (١) في طعامهم، فتلك الرائحة التي تشم لذا.

وفي حديث آخر: «أولم الإمام الصادق (عليه السلام) (٢) وليمة على بعض ولده، فأطعم

أهل المدينة ثلاثة أيام الفالوذجات في الجفان في المساجد والأزقة، فعابه بذلك بعض [جهال] أهل المدينة، فبلغه ذلك فقال (عليه السلام): ما أتى الله نبيا من أنبيائه شيئا إلا

وقد آتاه محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وزاده ما لم يؤتهم، قال لسليمان: (هذا عطاؤنا فامنن أو

أمسك بغير حساب) (٣) وقال لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٤).

وهذه الأخبار جميعا تدل على استحباب الوليمة في الأعراس.

عودة إلى الموضوع:

إعلم أن أغلب أهل المدينة أكلوا من وليمة الصديقة وأخذوا وبقي في الطعام زيادة، ثم عمد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فضل ما فيها فتقل فيه وبارك وقال: يا بلال احملها إلى أمهاتك وقل لهن، كلن وأطعن من غشيكن» (٥).

(١) يديفه: داف المسك بالماء: خلطه. (القاموس المحيط)

(٢) في الوسائل والكافي: «أولم أبو الحسن موسى (عليه السلام)».

(٣) ص: ٣٩.

(٤) الحشر: ٧.

(٥) البحار ٤٣ / ١٢١ ح ٣٠ عن الكشف.

وروي في الأمالي: «.. فأتى الصحابة بالهدايا، فأمر بطحن البر وخبزه، وأمر عليا بذبح البقر والغنم، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفصل ولم ير علي يده أثر دم، فلما فرغوا من الطبخ أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينادى على رأس داره» (١). فجلل السفرة بمنديل (٢) لكي لا يراه الحاضرون فتزداد بركته. وبعد أن أكل الحاضرون جميعا وحملوا معهم وانتهى الإطعام، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أم سلمة هلمي فاطمة، فانطلقت فأتت بها وهي تسحب أذيالها وقد تصببت عرقا حياء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعثرت فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة، فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها علي (عليه السلام)، ثم أخذ يدها فوضعها في يد علي (عليه السلام) وقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله، يا علي نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نعم البعل علي، انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا أمرا حتى أأتيكما» (٣). ثم أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضى الله (٤)، وأركبها على ناقته العضباء - في رواية بغلته الشهباء - وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمامها وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من خلفها يسبحون الله ويقدمونه (٥) وحولها سبعون ألف حوراء.

(١) البحار ٤٣ / ١١٤ ح ٣٢ باب ٥.

(٢) البحار ٤٣ / ١٣٢ ح ٣٢ باب ٥.

(٣) البحار ٤٣ / ٩٦ ح ٥ باب ٥ عن الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٢ ح ١٤ المجلس الثاني.

(٤) البحار ٤٣ / ١١٥ عن كتاب مولد فاطمة لابن بابويه.

(٥) البحار ٤٣ / ١١٥ عن تاريخ الخطيب و...

وروى علماء أهل السنة والجماعة عن جابر بن سمرة أنه لما زفت فاطمة (عليها السلام) إلى علي نزل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ومعهم سبعون ألف ملك، وقدمت بغلة رسول الله الشهباء (١) وعليها فاطمة مشتملة، قال: فأمسك جبرئيل باللجام، وأمسك إسرافيل بالركاب، وأمسك ميكائيل بالثغر، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسوي عليها الثياب، فكبر جبرئيل وكبر إسرافيل وكبر ميكائيل وكبرت الملائكة (٢). وروي أنه قال جابر: فأركبها على بغلته وأخذ سلمان زمامها وحولها سبعون ألف حوراء، والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قدامها يرجزن (٣). وفي الكافي عن البرقي قال: لما زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة قالوا: بالرفاء والبنين، قال: لا بل على الخير والبركة (٤). وقد نهى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقال للمتزوج بالرفاء والبنين؛ والرفاء: الإلتيام والاتفاق وكثرة النسل، وإنما نهى عنه لأنه كان من عاداتهم في الجاهلية. وروي أيضا: «... فأجابوا من النخلات والزرور، فبسط النطوع في المسجد وصدر الناس... ورفعوا منها ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء، ثم عادوا في اليوم الثاني وأكلوا، وفي اليوم الثالث أكلوا مبعوثة أبي أيوب (٥)، ثم دعوا بالصحاف

(١) في البحار والكشف «الدلدل» بدل «الشهباء».

(٢) البحار ٤٣ / ١٤٠ ح ٣٥ باب ٥ عن الكشف.

(٣) البحار ٤٣ / ١١٥ ذيل ح ٥٤ باب ٢.

(٤) البحار ٤٣ / ١٤٤ ح ٤٦ باب ٥ عن الكافي:

(٥) البحار ٤٣ / ١١٤ ذيل ح ٢٤ باب ٥.

فمئلت وأخذوها إلى نسائهم (١).
وفي كشف الغمة: «.. فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار
أصوعا من ذرة..» (٢) ويحتمل إما يكون هذا للإطعام في اليوم الأول، كما كانت
مبعوثه أبي أيوب للإطعام في اليوم الثالث.
وروي في البحار: ثم «انصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أزواجه، وأمرهن
أن يدفنن
لفاطمة (عليها السلام) فضربن بالدفوف» (٣). إعرابا عن فرجهن وسرورهن ليراهن
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتقربن بذلك إلى الله ويتوسلن إلى رسوله.

وأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا دليل على جواز ضرب الدف للنساء في
الأعراس،
والدف ما يضرب به في الأعراس والأفراح، ولعله مأخوذ من الدفيف وهو تحريك
الطائر جناحه في الهواء، وضرب الدف كذلك.
قال في المجمع: والدف الذي يلعب به (٤).
وقد يكون جواز ضرب الدف مشروطا بأن لا يكون ذو جلاجل،
والجلاجل بالضم الحلقات الصغيرة المعلقة في أطراف الدف، والدف الخالي من
الجلاجل لا يثير الضارب به.
وقد شاع في الأعوام والسنين الأخيرة أمور قبيحة بين الناس يأبأها العقل
والنقل، حيث يشتغل الناس - وهم في غفلة كاملة وغرور - باللغو واللعب بحجة

(١) في البحار «ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصحاف فمئلت ووجهه إلى منازل
أزواجه...».

(٢) كشف الغمة ١ / ٣٩٥ في تزويجه بفاطمة (عليها السلام).

(٣) البحار ٤٣ / ١٢٩ ح ٣٢ باب ٥ عن الكشف.

(٤) مجمع البحرين ٥ / ٥٩ مادة (دف).

العرس، فيقضون الأيام والليالي الطوال فيما لا يكون فيه سوى غضب الله وسخطه، وهذه الأمور هي السبب في سلب البركة والعافية والفوائد المعنوية من حياة الرجل والمرأة؛ ولذا تجد الزيجات غالبا ما تنتهي إلى الفراق والطلاق والإبتلاءات الغير مألوفة، وغالبا ما يلاحظ أن الأعراس التي يكثر فيها اللهو واللعب وألحان الطرب والتبذير والإسراف في الولائم سرعان ما تتقطع حبال الوصال وتشتت القلوب وتنتهي المحبة والموودة بين الزوجين وأقارب الطرفين، ويحرمون من أعظم فوائد النكاح، وهي كثرة النسل وسعة الأرزاق، فينحسرون في زوايا الخلوّة والعزلة ويختارون الندم والفراق على المحبة واللقاء، ويتورطون بضيق المعيشة ومرارة الحياة وقلة ما في اليد وضيق الرزق، في الوقت الذي يصرح فيه القرآن (وإن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله) (١) فيتضح أن سلب هذا الأثر بسبب تلك الأمور.

أنظر إلى خاتم الأنبياء وهو يوصي زوجاته باجتنب اللغو واللهو في زفاف الصديقة الطاهرة، وانظر إلى الأخبار الواردة عن آل العصمة (عليهم السلام) كيف استوعبت

جزئيات الزواج وكلياته وآدابه وسننه وحررت كل شيء، وهي كثيرة لو أراد الإنسان إحصاءهن أو العمل بها كاملة لعجز عن ذلك البتة، وفي جميعها رضا الرحمن، لا تجد في واحدة منها فعلا مكروها، ولكن مع كل هذا الاهتمام كيف يصح أن تشيع هذه المناهي والمحرمات، حتى أنك لا تجد واحدة من تلك الآداب والسنن والفضائل المؤكد عليها في الشريعة في باب الزواج والزفاف والأعراس - وسنذكر بعضها في محله المناسب إن شاء الله - في المجالس التي تتبع السنن والقواعد الملعونة،

(١) التوبة: ٢٨.

من قبيل تهئية أسباب الطرب والتذبيرات المحرمة التي صارت فعلا ديدنا عند أرباب الثروات، بل قد وردت الأوامر باجتناى ذلك والحكم بتحريمه. وهذه الأمور وأمئالها تكون سببا في انقطاع الخيرات والبركات عن الطرفين. فطوبى لمن طلب مرضات الله وأطاع رسوله في سننه وآدابه. تمت خصيصة الوليمة ومقدمات الزواج، والآن نشرع في بيان بقية أمور الزفاف وتفصيل كيفية إقامة محفل النورين، وتزيين فاطمة الطاهرة (عليها السلام).

الخصيصة السادسة والثلاثون
في بيان زفاف الصديقة الطاهرة (عليها السلام)
في كشف الغمة، عن المناقب: بعد أن تمت الوليمة وفرغ الناس عن الطعام،
قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى دخل على النساء وقال: «... ألا فدونكن
ابنتكن، فقام النساء
فغلفنها (١) من طيبهن وحليهن، وجعلن في بيتها فراشا حشوه ليف ووسادة وكساء
خيريا ومخضبا (٢)، واتخذت أم أيمن بوابة، ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
دخل» (٣) ليرى البيت
ويطلع بنفسه على ما هيئته فيه.

[في استحباب النكاح والتأكيد عليه]
وقد ورد في الأخبار كثيرا استحباب الطيب والعطر للنساء، ولكن لاستمالة
أزواجهن، كما ورد أن حب الرجال للنساء من أخلاق الأنبياء، ففي الحديث عن

(١) أي لطفنها.
(٢) المخضب: الممرن تغسل فيه الثياب.
(٣) كشف الغمة ١ / ٣٥١ في تزويجه فاطمة (عليهما السلام).

الصادق (عليه السلام): ما أظن رجلا يزداد في الإيمان خيرا إلا ازداد حبا للنساء (١).
وقال (عليه السلام) أيضا: العبد كلما ازداد للنساء حبا، ازداد في الإيمان فضلا (٢).
وعن الرضا (عليه السلام) في حديث صحيح: ثلاث من سنن المرسلين: العطر، وأخذ
الشعر وكثرة الطروقة (٣).
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحث على الزواج: ما يمنع المؤمن أن
يتخذ أهلا؟!
لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلا الله (٤).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من أحب أن يتبع سنتي، فإن من سنتي التزويج (٥).
وروي عن الباقر (عليه السلام) إنه قال: ... ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وإنني بت ليلة
وليست لي زوجة (٦).
وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل بيت أم سلمة [فشم ريحا طيبة،
فقال
أتتكم الحولاء؟
فقالت: هوذا، هي تشكو زوجها] فخرجت عليه الحولاء فقالت: بأبي أنت
وأمي إن زوجي عني معرض.
فقال: زيديه يا حولاء.
فقالت: لا أترك شيئا طيبا مما أتطيب له به وهو معرض.

-
- (١) وسائل الشيعة ٢٠ / ٢٢ ح ١ و ٣ باب ٣ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.
(٢) وسائل الشيعة ٢٠ / ٢٤ ح ١٠ باب ٣ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.
(٣) وسائل الشيعة ٢٠ / ١٥ ح ٦ باب ١ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.
(٤) وسائل الشيعة ٢٠ / ١٤ ح ٣ باب ١ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.
(٥) وسائل الشيعة ٢٠ / ١٨ ح ١٤ باب ٢ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.
(٦) وسائل الشيعة ٢٠ / ١٩ ح ٤ باب ٢ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

فقال: أما هو يدي ماله بإقباله عليك؟

قالت: وماله بإقباله علي؟

فقال: أما إنه إذا أقبل اكتنفه ملكان، وكان كالشاهر سيفه في سبيل الله، فإذا هو جامع تحات عنه الذنوب كما يتحات ورق الشجر، فإذا هو اغتسل انسلخ من الذنوب (١).

وروي عن الصادق (عليه السلام): إنما المرأة قلادة فانظر إلى ما تقلده... ليس للمرأة خطر لا لصالحتهن ولا لطالحتهن؛ أما صالحتهن فليس خطرهما الذهب والفضة، بل هي خير من الذهب والفضة؛ وأما طالحتهن فليس التراب خطرهما، بل التراب خير منها (٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): تزوجوا الأبيكار فإنهن أطيب شيء أفواها...

وأنشفه أرحاما، وأدر شيء أخلافا، وأفتح شيء أرحاما، أما علمتم أنني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط، يظل محبنتئا على باب الجنة، فيقول الله عز وجل: أدخل، فيقول: لا أدخل حتى يدخل أبواي قبلي، فيقول الله تبارك وتعالى لملك من الملائكة: ائني بأبويه، فيأمر بهما إلى الجنة فيقول: هذا بفضل رحمتي لك (٣).

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): تزوجوا سمراء عيناء عجزاء مربوعة، فإن

(١) وسائل الشيعة ٢٠ / ١٠٨ ح ٢ باب ٤٩ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه؛ والبحار ٢٢ / ١٢٤ ح ٩٣

باب ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة ٢٠ / ٤٧ ح ١ باب ١٣ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

(٣) وسائل الشيعة ٢٠ / ٥٥ ح ١ و ٢ باب ١٧ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

كرهتها فعلي مهرها (١).
والأخبار في استحباب النكاح والتأكيد عليه كثيرة.

عودة:

كان الكلام في تزيين فاطمة الطاهرة (عليها السلام) وتطييبها وتجهيز بيتها:
روى الدولابي - من علماء العامة - عن أسماء قالت: لقد جهزت فاطمة بنت
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي بن أبي طالب، وما كان حشو فرشهما
ووسايدهما إلا
ليف، ولقد أولم علي لفاطمة (عليها السلام)، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل
من وليمته،

رهن درعه عند يهودي، وكانت وليمته أصوعا من شعير وتمر وحبس (٢) (٣).
وروى في البحار مرسلًا أن جبرئيل أتى - ليلة زفاف فاطمة (عليها السلام) - بحلة
قيمتها الدنيا، فلما لبستها تحيرت نسوة قريش منها، وقلن: من أين لك هذا؟
قالت: هذا من عند الله (٤).

ويظهر من جملة الأخبار والأحاديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد
فاطمة (عليها السلام) في
يوم الوليمة ووضعها في يد علي (عليه السلام)، والحق أن النبي إنما ذهب إلى حجرة
الطاهرة
ليلة الزفاف، وقد يكون فعل ذلك مرتين لشدة حبه لهما، ولكن وقوع الزفاف في
الليل أصح وأقوى.

(١) وسائل الشيعة ٢٠ / ٥٦ ح ١ باب ١٨ من أبواب مقدمات النكاح وآدابه.

(٢) كشف الغمة ١ / ٣٦٦ عن الذرية الطاهرة للدولابي ٩٨ ح ٨٩.

(٣) بعض فقرات هذا الخبر يعارض ما ورد في أخبار أهل البيت (عليهم السلام) وإنما أوردناه لأننا أردنا
ذكر خبر عن

طريق العامة. (من المتن)

(٤) المناقب ٣ / ٤٠٢، البحار ٤٣ / ١١٥ ذيل ح ٢٤ باب ٥.

وفي حديث جابر بن عبد الله الأنصاري الذي أشرنا إليه سابقا، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: زوج الله فاطمة من علي ليلة المعراج، وأمر شجرة طوبى فحملت الحلي والحلل والدر والياقوت والمرجان، ثم نثرته فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن، فهن يتهادينه إلى يوم القيامة، ويقلن: هذا نثار فاطمة (١). فلما كان الليل قال لسلمان: ايتيني ببغلي الشهباء، فأتاه بها، فجعل عليها قطيفة - فحمل عليها فاطمة (عليها السلام)، فكان سلمان يقودها، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم بها، فبينما هو كذلك إذ سمع حسا خلف ظهره، فالتفت فإذا هو جبرئيل في سبعين ألف من الملائكة، وميكائيل في سبعين ألف - وفي رواية كشف الغمة: وإسرافيل في سبعين ألف - فقال: يا جبرئيل ما أنزلكم؟ قال: نزل فاطمة إلى زوجها، فكبر جبرئيل، ثم كبر ميكائيل، ثم كبر إسرافيل، ثم كبرت الملائكة... فصار التكبير خلف العرائس سنة من تلك الليلة (٢).

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه، وابن مردويه وابن المؤذن وشيرويه الديلمي بأسانيدهم عن ابن عباس وجابر: أنه لما كانت الليلة التي زفت فاطمة إلى علي (عليه السلام)، كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك خلفها يسبحون الله ويقدمونه حتى طلع الفجر (٣). وروى المرحوم المجلسي عن كتاب مولد فاطمة للمرحوم ثقة المحدثين الصدوق عليه الرحمة في خبر: أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين

(١) البحار ٨ / ١٩١ ح ١٦٦ باب ٢٣.

(٢) البحار ٤٣ / ١٤١ ح ٣٦ باب ٥.

(٣) البحار ٤٣ / ١١٥، المناقب ٣ / ٤٠٢.

والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضى الله. قال جابر: فأركبها على ناقته (العضباء) - وفي رواية على بغلته الشهباء - وأخذ سلمان زمامها (١)... وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قدامها يرجزن، وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز.

فأنشأت أم سلمة:

سرن بعون الله جاراتي * واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعمه رب العلى * من كشف مكروه وآفات
فقد هدينا (٢) بعد كفر وقد * أنعشنا رب السماوات
وسرن مع خير نساء الورى * تفدى بعمات وخالات
يا بنت من فضله ذو العلى * بالوحي منه والرسالات
ثم قالت عائشة:

يا نسوة استترن بالمعاجر * واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن رب الناس قد خصنا * بدينه مع كل عبد شاكر
والحمد لله على إفضاله * والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعلى ذكرها * وخصها منه بطهر طاهر
ثم قالت حفصة:

(١) ذكرت هذا الحديث في موردين أو ثلاثة للاختلاف في الحديث أو اختلاف طرقه ولا يظن أحد أنه تكرر المكررات. (من المتن)
(٢) في البحار والمناقب: «فقد هدانا».

فاطمة خير نساء البشر * ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك الله على كل الوري * بفضل من خص بأي الزبر
زوجك الله فتى فاضلا * أعني عليا خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها إنها * كريمة بنت عظيم الخطر
ثم قالت معاذة أم سعد بن معاذ:
أقول قولاً فيه ما فيه * وأذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم * ما فيه من كبر ومن تيه
بفضله عرفنا رشدنا * فالله بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى * ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها * فما أرى شيئاً يدانيه (١)
وَأَدْخَلُوا فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) مَكْرَمَةً مَجْلَلَةً مَعْظَمَةً عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام)،
وَقَدْ زَفَوْا
شمس الضحى إلى بدر الدجى، فجاء بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأجلسها
إلى جنبه على
الحصير القطري (٢)، ثم قال: «يا علي! هذه بنتي، فمن أكرمها فقد أكرمني، ومن
أهانها فقد أهانني» ثم قال: «اللهم بارك لهما واجعل منهما ذرية طيبة إنك سميع
الدعاء» (٣).

وروى في البحار مرسلًا أنه دعا لهما، فقال: «اللهم اجمع شملهما وألف بين
قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة

(١) البحار ٤٣ / ١١٥ ح ٢٤، المناقب ٣ / ٤٠٣.
(٢) الحصير القطري: حصير معروف له أعلام يحمل من قبل اليمن. (من المتن)
(٣) البحار ٤٣ / ١٤١.

مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك،
ويأمرون بما يرضيك» (١).
وفي رواية آخر قال: «بارك الله لكما في سيركما وجمع شملكما، وألف علي
الإيمان بين قلوبكما، شأنك بأهلك يا علي، السلام عليكما» (٢).
ويظهر من حديث الصدوق عليه الرحمة أن اجتماعهما كان في بيت السيد
المختار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
قال: ثم إنه أخذ في فيه ماء ودعا فاطمة فأجلسها بين يديه، ثم مج الماء في
المنخضب - وهو المرن - وغسل قدميه ووجهه، ثم دعا فاطمة (عليها السلام) وأخذ
كفا من ماء
فضرب به على رأسها وكفا بين يديها، ثم رش جلدها، ثم دعا بمنخضب آخر، ثم
دعا عليا فصنع به كما صنع بها، ثم التزمهما فقال: اللهم إنهما مني وأنا منهما، اللهم
كما
أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيرا، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ثم
قال: قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما... ثم قام فأغلق عليهما الباب بيده.. حتى
توارى في حجرته (٣).
وفي رواية أخرى: أدخل رسول الله عليا وفاطمة إلى بيت أم سلمة، فجلسا
مطرقين إلى الأرض حياء ولم يقولا شيئا، ثم جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) فدخل فأجلس
فاطمة من جانبه، ثم قال: يا فاطمة ايتيني بماء، فقامت إلى قعب في البيت فملاته
ماء ثم أتته به، فأخذ جرعة فتمضمض بها ثم مجها في القعب، ثم صب منها على

(١) البحار ٤٣ / ١١٦ ح ٢٤ باب ٥.

(٢) البحار ٤٣ / ١٤٢ ح ٣٧ باب ٥.

(٣) البحار ٤٣ / ١٤٢ ح ٣٧ باب ٥.

رأسها، ثم نضح منه بين ثدييها، ثم نضح منه بين كتفيها، ثم قال: اللهم هذه ابنتي وأحب الخلق إلي، وهذا أخي وأحب الخلق إلي، اللهم اجعله لك وليا وبك حفيا وبارك له في أهله. ثم قال: يا علي أدخل بأهلك بارك الله لك (١) ورحمة الله وبركاته عليكم إنه حميد مجيد، ثم انصرف فأخذ بعضادة الباب وقال: «طهركما وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما؛ أستودعكما وأستخلفه عليكم» (٢). ثم قال: «مرحبا ببحرين يلتقيان، ونجمين يقتربان» (٣). وروى في الكافي عن الصادق (عليه السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أتى ليلة الزفاف إلى حجرة فاطمة وعلي (عليهما السلام) فجلس عندهما «وأدخل رجله بينهما في الفراش» (٤)، ثم دعا لهما فقال: «اللهم إنهما أحب خلقك إلي، فأحبهما وبارك في ذريتهما، واجعل عليهما منك حافظا، وإنني أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم». ثم قال: «مرحبا ببحرين يلتقيان، ونجمين يقتربان»، ثم خرج إلى الباب يقول: «طهركما وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله وأستخلفه عليكم» (٥). قالت أسماء: إنها رمقت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يزل يدعو لهما خاصة ولا يشر كهما في دعائه حتى تواري في حجرته (٦). ودعاؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) لهما كثير أعرضنا عن ذكره مفصلا مخافة التطويل.

-
- (١) البحار ٤٣ / ١٤٢ ح ٣٧ باب ٥.
(٢) البحار ٤٣ / ٩٦ ح ٥ باب ٥ عن الأمامي.
(٣) البحار ٤٣ / ١١٧ ذيل ح ٢٤ باب ٥.
(٤) البحار ٤٣ / ١٤٤ ح ٤٥ باب ٥ عن الكافي.
(٥) البحار ٤٣ / ١١٧ ذيل ح ٢٤ باب ٥.
(٦) البحار ٤٣ / ١٢٢ ح ٣٠ باب ٥.

وفي البحار أيضا عن أسماء بنت عميس، قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما أصبحنا جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الباب، فقال: يا أم أيمن أدعي لي أخي، قالت: هو أخوك وتنكحه ابنتك؟ قال: نعم يا أم أيمن (١). وروى في الأمالي أنه قال: «لقد زوجها كفوا كريما وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين» (٢).

قالت أسماء: وسمع النساء صوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتنحن، واختبيت أنا في ناحية فجاء علي (عليه السلام)، فنضح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الماء ودعا له. ثم قال: أدعي لي فاطمة، فجاءت فاطمة خرقا من الحياء، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أسكني، لقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي، ثم نضح عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرأى سوادا بين يديه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا أسماء، قال: جئت في زفاف فاطمة تكرمينها؟ قلت: نعم، قالت: فدعا لي (٣).

وفي البحار: قال علي بن عيسى: وحدثني السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخر الموسوي بما هذا معناه - وربما اختلف في الألفاظ - قال: قالت أسماء بنت عميس هذه: حضرت وفاة خديجة (عليها السلام) فبكت، فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين وأنت زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مبشرة على لسانه بالجنة؟! فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تفضي إليها بسرها، وتستعين بها على حوائجها؛ وفاطمة حديثة عهد بصبي، وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها

(١) البحار ٤٣ / ١٣٧ ح ٣٤ باب ٥.
(٢) البحار ٤٣ / ١٠٥ ح ١٨ باب ٥.
(٣) البحار ٤٣ / ١٣٧ ح ٣٤ باب ٥ عن الكشف.

حينئذ، فقلت: يا سيدتي لك علي عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فلما كانت تلك الليلة وجاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر النساء فخرجن وبقيت،

فلما أراد الخروج رأى سوادي، فقال: من أنت؟ فقلت: أسماء بنت عميس، فقال: ألم أمرك أن تخرجي؟ فقلت: بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي وما قصدت خلافاً، ولكنني أعطيت خديجة عهداً - وحدثته - فبكي فقال: بالله لهذا وقفت؟ فقلت: نعم والله، فدعا لي (١).

ويظهر مما رواه علي بن عيسى في كشف الغمة عن المناقب أن أسماء بنت عميس بقيت عدة أيام بعد الزفاف تقوم بالخدمة.

قالت أسماء (٢):... فلما كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعمية، فقال لها: ما يقفك هاهنا في الحجرة رجل؟ فقالت له: فذاك أبي وأمي، إن الفتاة إذا زفت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تقوم بحوائجها، فأقمت هاهنا لأقضي حوائج فاطمة (عليها السلام). قال: يا أسماء قضى

الله لك حوائج الدنيا والآخرة (٣).

وروي في البحار: إن أسماء باتت عند فاطمة (عليها السلام) أسبوعاً بوصية خديجة إليها، فدعا لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دنياها وآخرتها (٤).
الحاصل؛ لما حلت الزهرة الزهراء في الحجرة العلوية المرتضوية حلول

(١) البحار ٤٣ / ١٣٨ ح ٣٤ باب ٥.
(٢) في كشف الغمة: «قال علي: ومكث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا فلما كان في صبيحة...».

(٣) كشف الغمة ١ / ٣٦٢، البحار ٤٣ / ١٣٢.

(٤) البحار ٤٣ / ١١٦ ح ٢٤ باب ٥.

إجلال وعظمة، قام أمير المؤمنين - حسب الاستحباب الشرعي - فغسل أقدام فاطمة الطاهرة بيده المباركة، ولغسالة رجل العروس ليلة الزفاف حكم عديدة. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فلما كانت تلك الليلة قامت فاطمة إلى السراج فأطفئته لشدة حياءها، قالت أسماء: فأضاء البيت وسطع النور فيه من جمالهما (عليهما السلام)

ونورهما، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فلما وقعت عيني عليها في المرة الأولى ملئت قلبي هيبتها، وكأنني رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت تلك المخدرة أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلقا وسمتا، وكانت مشيتها ما تحرم مشية أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم استأذن أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليقوم إلى الصلاة والذكر والدعاء شكرا لله على نعمته، فأذنت له، فلما قام إلى الصلاة قامت هي أيضا (عليها السلام)

اقتداء به (عليه السلام)، وهكذا كانا يحييان الليل تلك الليلة وما بعدها من الليالي حتى نزلت فيه الآية الكريمة (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) (١)، ومنهم من قال: إنها نزلت في ليلة الزفاف خاصة.

وفي كشف الغمة - تنمة الخبر - قال علي (عليه السلام): وكانت غداة قرّة، وكنت أنا

وفاطمة تحت العباء، فلما سمعنا كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأسماء ذهبنا لنقوم، فقال:

بحقي عليكم لا تفترقا حتى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا، ودخل (صلى الله عليه وآله وسلم)

وجلس عند رؤوسنا وأدخل رجله فيما بيننا، وأخذت رجله اليمنى فضممتها إلى صدري، وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضممتها إلى صدرها، وجعلنا ندفع رجله من القر (٢).

(١) السجدة: ١٦.

(٢) البحار ٤٣ / ١٣٣ ح ٣٢ باب ٥ عن الكشف.

ويظهر من عبارة أمير المؤمنين (عليه السلام) «وكانت غداة قرّة... وجعلنا ندفع رجليه من القرّة» أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءهم صبيحة ليلة الزفاف، ففي الخبر: لما كان صبيحة

عرس فاطمة جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعس فيه لبن، فقال لفاطمة: إشربي فذاك أبوك،

وقال لعلي: إشرب فذاك ابن عمك (١).

وفي رواية: إنه مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك ثلاثا لا يدخل، فلما كان في

صبيحة اليوم الرابع جاء وأدخل رجليه بينهما تحت العباء، لذا قال صادق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): لا غيرة في الحلال بعد قول رسول الله: لا تحدثا شيئا حتى أرجع

إليكما، فلما أتاهما أدخل رجله بينهما في الفراش (٢).

ثم قال: يا علي ائتني بكوز من ماء، فأتيته، فتفل فيه ثلاثا وقرأ فيه آيات من كتاب الله تعالى، ثم قال: يا علي! إشربه واترك فيه قليلا، ففعلت ذلك فرش باقي الماء على رأسي وصدري، وقال: أذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهرك تطهيرا... وأمرني بالخروج من البيت وخلا بابنته، وقال: كيف أنت يا بنية وكيف رأيت زوجك (٣)؟

فقالت: يا رسول الله؛ ليلة دخل بي لسمعت الأرض تحدثه ويحدثها، فأصبحت وأنا فزعّة، فسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال: يا

فاطمة أبشري بطيب النسل، فإن الله فضل بعلك علي سائر خلقه، وأمر الأرض أن تحدثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرق الأرض إلى غربها (٤).

(١) البحار ٤٣ / ١١٧ ذيل ح ٢٤ باب ٥.

(٢) البحار ٤٣ / ١٤٤ ح ٤٥ باب ٥ عن الكافي.

(٣) البحار ٤٣ / ١٣٣ ح ٣٢ باب ٥.

(٤) البحار ٤٣ / ١١٨ ح ٢٦ باب ٥ عن الكشف.

فقلت له: يا أبة خير زوج، إلا أنه دخل علي نساء من قريش وقلن لي: زوجك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من فقير لا مال له. فقال لها: يا بنية ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت علي خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عز وجل. يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمجت الدنيا في عينيك، [والله يا بنية ما ألوتك نصحا] أن زوجتك أقدمهم سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما. [يا بنية] إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختر من أهلها رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك... ثم صاح بي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي [فقلت: لبيك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)] قال: أدخل بيتك وأطف بزوجتك وأرفق بها، فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها، ويسرنني ما يسرها؛ أستودعكما الله وأستخلفه عليكما (١). قال علي (عليه السلام): فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرا، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان (٢). وفي الحديث: «إن الله أوحى إلى رسوله: قل لفاطمة أن لا تعصي عليا، فإنه إن غضب غضبت لغضبه» (٣). ومن المعلوم أن هذين النورين مطهران معصومان مهذبان عن جميع الصفات المكروهة فضلا عن الصفات القبيحة، ولا يمكن أن يصدر منهما ما يسخط

(١) البحار ٤٣ / ١٣٣ ح ٣٢ باب ٥.

(٢) البحار ٤٣ / ١٣٣ ح ٣٢ باب ٥.

(٣) البحار ٤٣ / ١٥١ ح ٨ باب ٦.

الله ورسوله، وكلما يصدر عنهما إنما هو من الأخلاق الحميدة المرضية عند الله، كما صرح بذلك في الزيارة الجامعة «وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان» فكيف تعصي فاطمة (عليها السلام) ولي الله وحجته وهي معصومة؟! وكذلك في وصية النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين (عليه السلام) «أرفق بها فإن فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها» فإنه لا يصدر

منه (عليه السلام) في تعامله مع بضعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا الرفق واللطف والحسنى (١). وأعتقد - أنا الحقير - أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لهما (عليهما السلام): «لا تحدثا شيئا حتى أرجع إليكما» ليلة الزفاف حينما وضع يد علي (عليه السلام) في يد فاطمة (عليها السلام) وليس في صبيحة ليلة الزفاف أو بعد ثلاثة أيام من ذلك، حينما جاء وأدخل رجله تحت العباء. نعم؛ مجيئه ودخوله تحت العباء كان في صبيحة ليلة الزفاف، حيث يقول أمير المؤمنين: وكانت صبيحة باردة، وقد يكون مجيئه هذا في اليوم الثالث إلا أنه بعيد.

وفي الحديث أنه لما أراد أن يخرج (صلى الله عليه وآله وسلم)، تعلقت به فاطمة الزهراء وبكت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما يبكيك؟ لقد زوجتك أعظمهم حلما وأكثرهم علما» (٢). وفي حديث آخر: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لها صبيحة ليلة الزفاف: «زوجتك سيذا في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين» (٣).

وروى المرحوم الشيخ في الأمالي عن أم سلمة: «... حتى إذا انصرفت الشمس للغروب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أم سلمة هلمي فاطمة، فانطلقت

(١) لما كان مقصودي - أنا الحقير - استقصاء تمام الأخبار والأحاديث الواردة في الزفاف، فقد يبدو للنظر شيء من التطويل والتكرار، وليس الأمر كذلك، إذ لا تكرار وإنما تقارب مضامين الأحاديث واختلافها اختلافا جزئيا. (من المتن)

(٢) البحار ٤٣ / ١٤٠ ح ٣٦ باب ٥.

(٣) البحار ٤٣ / ١٠٨ باب ٥ عن تاريخ الخطيب والبلاذري وحلية أبي نعيم...

(३००)

فأتيت بها وهي تسحب أذيالها وقد تصببت عرقا حياء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،
فعثرت فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أقالك الله العثرة في الدنيا
والآخرة، فلما وقفت
بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها علي (عليه السلام)، ثم أخذ يدها فوضعها
في يد
علي (عليه السلام)، فقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله، يا علي نعم الزوجة فاطمة،
ويا
فاطمة نعم البعل علي، انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا أمرا حتى آتيكما.
قال علي (عليه السلام): فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتى جلست في جانب
الصفة وجلست في جانبها وهي مطرقة إلى الأرض حياء مني، وأنا مطرق إلى
الأرض حياء منها، ثم جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (١): من
هاهنا؟ فقلنا: أدخل يا
رسول الله مرحبا بك زائرا وداخلا، فدخل فأجلس فاطمة (عليها السلام) من جانبه، ثم
قال: يا فاطمة أتيني بماء، فقامت إلى قعب (٢) في البيت فملأته ماء، ثم أتته به،
فأخذ منه جرعة فتمضمض بها، ثم مجها في القعب، ثم صب منها على رأسها، ثم
قال: أقبلي، فلما أقبلت نفخ منه بين ثدييها، ثم قال: أدبري، فلما أدبرت نضح منه
بين كتفيها، ثم قال: «اللهم هذه ابنتي وأحب الخلق إلي، اللهم وهذا أخي وأحب
الخلق إلي، اللهم لك وليا وبك حفيا وبارك له في أهله» ثم قال: يا علي أدخل
بأهلك، بارك الله لك ورحمة الله وبركاته عليكم إنه حميد مجيد» (٣) (٤).

(١) يستفاد من سياق الحديث وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «من هاهنا» إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) استأذن قبل الدخول عليها. (من المتن)

(٢) القعب: القدح الضخم الغليظ.

(٣) أمالي الشيخ ٤٢ ح ١٤ المجلس الثاني، وعنه البحار ٤٣ / ٩٦ ح ٥ باب ٥.

(٤) مر سابقا حديثنا بهذا المضمون باختلاف يسير ولكننا ذكرنا هذا أيضا لأننا أردنا استقصاء أحاديث الزفاف. (من المتن)

ومن التشريعات الخاصة التي شرف الله بها الصديقة الطاهرة في هذه الأمة
المرحومة ولم يشرف بها أحدا من قبل، تحريم النكاح على أمير المؤمنين (عليه السلام)
بأية

امرأة ما دامت فاطمة (عليها السلام) حية.

روى ابن شهر آشوب عن صادق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: حرم الله
عز وجل

على علي النساء ما دامت فاطمة حية، قلت: كيف؟ قال: لأنها لا تحيض (١) (٢).
وروى الشيخ الصدوق: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله تبارك
وتعالى آخى

بينني وبين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وزوجه ابنتي من فوق سبع سماواته،
وأشهد على

ذلك مقربي ملائكته، وجعله لي وصيا وخليفة، فعلي مني وأنا منه، محبه محبي،
ومبغضه مبغضي، وإن الملائكة لتتقرب إلى الله بمحبته» (٣).

لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كلامه ثم قام لينصرف فقالت له
فاطمة: يا أبة لا

طاقة لي بخدمة البيت، فأخدمني خادما تخدمني وتعيني على أمر البيت.
فقال لها: يا فاطمة أولا تريدين خيرا من الخادم؟

فقال علي: قولي بلى.

قالت: يا أبة خيرا من الخادم.

فقال: تسبحين الله عز وجل في كل يوم ثلاثا وثلاثين مرة، وتحمدينه ثلاثا
وثلاثين مرة، وتكبرينه أربعاً وثلاثين مرة، فذلك مائة باللسان وألف حسنة في
الميزان؛ يا فاطمة إنك إن قلتها في صبيحة كل يوم، كفأك الله ما أهمك من أمر الدنيا
والآخرة (٤).

(١) وقد مرت الإشارة إلى الحديث سابقا. (من المتن)

(٢) البحار ٤٣ / ١٥٣ ح ١٢ باب ٦.

(٣) البحار ٤٣ / ٩٨ ح ٨ باب ٥ عن أمالي الصدوق.

(٤) البحار ٤٣ / ١٣٤ ح ٣٢ باب ٥.

فكانت فاطمة (عليها السلام) تقول ذلك صبيحة كل يوم.
وفضائل أهل بيت العصمة والطهارة لا تحد ولا تحصى، وليس لها نهاية، ولا
يمكن لأحد أن يبينها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ولولا ذلك لما كان للقلم
إلا أن يتشظى وللورق أن يسود، وللمؤلف أن يقر بعجزه.
«وإن مناقب فاطمة (عليها السلام) لو كثرت النجوم كانت أكثر، ولو ادعت شمس
النهار الظهور كانت مراياها أظهر، ولو فاخرها الأملاك كانت (عليها السلام) أشرف
وأفخر

أولادها من قريش في سنامه وغاربه، وأبوها الذي أحاط به الشرف من كل
جوانبه، وكان قاب قوسين من مراتبه ومناصبه، وبعلمها الذي شاركه في علائمه
ومناسبه، ورفعها بما نبه به على منزلته على أصحابه وأقاربه.
وهي (عليها السلام) شجرة مجد هذه أصولها وفروعها، ومزنة فخار صفا ماؤها،
وطاب ينبوعها، وقصة سؤدد صح في أسباب العلا منقولها و مسموعها، فكيف
يبلغ وصف فضلها وقد بلغت؟ ما عدت فضيلة إلا وهي لها بالأصالة أو هي من
أهلها، فمن عراه شك فليأت بمثلها أو مثل أبيها وبعلمها وبنيتها.
هذا المآثر لا ثوبان من يمن* خيطا قميصا فصارا بعد أسمالا
صلى الله عليها وعليهم صلاة تقوم بشرف محلهم من الآن إلى يوم ينفخ في
الصور ونشر أهل القبور».

الخصيصة السابعة والثلاثون

في بيان نزول هدية الجنة من السماء في زفاف فاطمة (عليها السلام) من فضل الله تعالى شأنه وعظم علائه على حبيته فاطمة الطاهرة سلام الله عليها تشریفها بالمائدة والهدية السماوية في ليلة زفافها كما روى في كتاب الخرائج والجرائح: «.. هبط جبرئيل في زمرة من الملائكة بهدية في سلة من السماء وفيها كعك وموز وزبيب، فقال: هدية جبرئيل وقلب من يده سفرجلة فشقتها نصفين وأعطى عليا نصفًا وفاطمة نصفًا وقال: هذه هدية من الجنة لكما» (١). وروي أن جبرئيل أتى بحلة قيمتها الدنيا فلما لبستها تحيرت نسوة قريش منها وقلن: من أين لك هذا؟ قالت: هذا من عند الله (٢). وكذا أكرمها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعزها بهدية صبيحة ليلة الزفاف فحمل لها بيده المباركة لبنا كما أشرنا إليه سابقا: ولما كان صبيحة عرس فاطمة (عليها السلام) جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعس فيه لبن (٣)... إلى آخر الخبر. وفي كتاب ابن شاهين والروضة وكتاب الفضائل عن ابن عباس يرفعه إلى

(١) البحار ٤٣ / ١٠٦ ح ٢١ باب ٥ عن الخرائج.
(٢) البحار ٤٣ / ١١٥ ذيل ح ٢٤ باب ٥.
(٣) البحار ٤٣ / ١١٧ ح ٢٤.

سلمان - (رضي الله عنه) - قال: كنت واقفا بين رسول الله أسكب الماء على يديه إذا دخلت

فاطمة وهي تبكي فوضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يده على رأسها وقال: ما يبكيك، لا أبكي الله

عينيك يا حورية قالت: مررت على ملاء من نساء قريش وهن مخضبات، فلما نظرن إلي وقعوا في وفي ابن عمي، فقال لها: وما سمعتي منهن؟ قالت: قلن: كان قد عز على محمد أن يزوج ابنته من رجل فقير قريش وأقلهم حالا؟! فقال لها: والله يا بنية ما زوجتك ولكن الله زوجك من علي فكان بدوه منه؛ وذلك أنه خطبك فلان وفلان فعند ذلك جعلت أمرك إلى الله تعالى وأمسكت عن الناس، فبينما صليت يوم الجمعة صلاة الفجر إذ سمعت حفيف الملائكة وإذا بحبيبي جبرئيل ومعه سبعون صفا من الملائكة متوجين مقرطين مدملجين، فقلت: ما هذه القعقة من السماء يا أخي جبرئيل؟ فقال: يا محمد إن الله عز وجل إطلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها من الرجال عليا (عليه السلام) ومن النساء فاطمة (عليها السلام)، فزوج فاطمة من علي، فرفعت

رأسها وتبسمت بعد بكائها وقالت: رضيت بما رضي الله ورسوله.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا أزيدك يا فاطمة في علي رغبة؟ قالت: بلى.

قال: لا يرد على الله عز وجل ركبان أكرم منا أربعة: أخي صالح على ناقته، وعمي حمزة على ناقتي العضباء، وأنا على البراق، وبعلك علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة.

فقلت: صف لي الناقة من أي شيء خلقت؟

قال: ناقة خلقت من نور الله عز وجل، مدبجة الجنين، صفراء، حمراء الآس، سوداء الحدق، قوائمها من الذهب، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عيناها من الياقوت

وبطنها من الزبرجد الأخضر، عليها قبة من لؤلؤة بيضاء يرى باطنها من ظاهرها
وظاهرها من باطنها، خلقت من عفو الله عز وجل.
تلك الناقة من نوق الله لها سبعون ركنا بين الركن والركن سبعون ألف ملك
يسبحون الله عز وجل بأنواع التسبيح، لا يمر على ملام من الملائكة إلا قالوا: من هذا
العبد؟ ما أكرمه على الله عز وجل؟! أترأه نبيا مرسلا أو ملكا مقربا أو حامل عرش
أو حامل كرسي؟! فينادي مناد من بطنان العرش: أيها الناس ليس هذا بنبي
مرسل ولا ملك مقرب هذا علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فييدرون
رجالا رجالا فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، حدثونا فلم نصدق، ونصحونا
فلم نقبل، والذين يحبونه تعلقوا بالعروة الوثقى كذلك ينجون في الآخرة.
يا فاطمة! ألا أزيدك في علي رغبة؟
قالت: زدني يا أبتاه.

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن عليا أكرم على الله من هارون لأن هارون
أغضب موسى

وعلي لم يغضبني قط، والذي بعث أباك بالحق نبيا، ما غضبت عليه يوما قط وما
نظرت إلى وجه علي إلا ذهب الغضب عني.
يا فاطمة! ألا أزيدك في علي رغبة؟
قالت: زدني يا نبي الله.

قال: هبط علي جبرئيل وقال: يا محمد إقرء عليا من السلام السلام. فقامت
وقالت فاطمة (عليها السلام): رضيت بالله ربا، وبك يا أبتاه نبيا، وبابن عمي بعلا ووليا
(١).

وروي أن فاطمة (عليها السلام) قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا
رسول الله ما يدع علي شيئا

(١) البحار ٤٣ / ١٤٩ ح ٦ باب ٦.

من رزقه إلا وزعه على المساكين (١)... إلى آخر الخبر.
وقال بعض المحققين من المحدثين: إن الله تبارك وتعالى قد أنزل «هل أتى» في أهل البيت وليس شيء من نعيم الجنة إلا وذكر فيها إلا الحور العين وذلك إجلالا لفاطمة (عليها السلام) (٢).

وروي عن سفيان الثوري - وهو من المخالفين ولكن الفضل ما شهدت به الأعداء - عن أبي صالح في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) (٣) قال: ما من مؤمن يوم القيامة إلا إذا قطع الصراط زوجه الله على باب الجنة بأربع نسوة من نساء الدنيا وسبعين ألف حورية من حور الجنة إلا علي بن أبي طالب فإنه زوج البتول فاطمة في الدنيا وهو زوجها في الآخرة في الجنة ليست له زوجة في الجنة غيرها من نساء الدنيا لكن له في الجنان سبعون ألف حور لكل حور سبعون ألف خادم (٤) زادها الله شرفا وكرامة.
وروي في كتاب الخصال عن صادق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مسندا عن أبي أيوب

الأنصاري قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرض مرضة فأتته فاطمة (عليها السلام) تَعُودُهُ وَهُوَ نَاقَةٌ (٥) من مرضه، فلما رأت ما برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجهد والضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعته على خدها فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لها: يا فاطمة إن الله - جل ذكره -

إطلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها بعلك فأوحى إلي فأنكحتك أما علمت يا

(١) البحار ٤٣ / ١٥٣ ح ١١ باب ٦ عن مصباح الأنوار.

(٢) البحار ٤٣ / ١٥٣ ح ١٣ باب ٦ عن المناقب.

(٣) التكويز: ٧.

(٤) البحار ٤٣ / ١٥٤ ذيل ح ١٣ باب ٦.

(٥) يقال: نقه المريض من علته إذا برئ وأفاق لكن فيه ضعف لم يرجع إلى كمال قوته بعد فهو ناقه.

فاطمة أن لكرامة الله إياك زوجك أقدمهم سلما وأعظمهم حلما وأكثرهم علما.
قال: فسرت بذلك فاطمة (عليها السلام) واستبشرت بما قال لها رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم)، فأراد
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يزيدا مزيد الخير كله من الذي قسمه الله له
ولمحمد وآل محمد.

فقال: يا فاطمة لعلي ثمان خصال: إيمان بالله ورسوله، وعلمه، وحكمته،
وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقضاؤه
بكتاب الله.

يا فاطمة! إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا
ولا يدركها أحد من الآخرين بعدنا: نبينا خير الأنبياء، وهو أبوك، ووصينا خير
الأوصياء، وهو بعلك، وشهيدنا سيد الشهداء، وهو حمزة عم أبيك، ومنا من له
جناحان يطير بهما في الجنة، وهو جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة، وهما إبنك (١) (٢).

(١) البحار ٤٣ / ٩٧ ح ٨ باب ٥ عن الخصال:

(٢) لا يظن من يطالع هذا الكتاب ويرى فيه بعض الأحاديث المتقاربة أنها مكررة كلا؛ فإن هذه الروايات
إما متقاربة في المضمون أو مختلفة في طريق الرواية والرواة والأسانيد ولهذا نذكرها جميعا ليعلم أنه مورد
اتفاق عند الفريقين وجامعها وراويها أكثر إحاطة بها ممن يقرأها مرة واحدة وهو ملتفت إلى هذه النكتة
ومعرفة هذه الأخبار والإكثار من ذكرها ولو كانت متحدة المعنى ومختلفة لفظا في الجملة فيه فوائد دينية
كثيرة وقديما قيل «كل شيء إذا كثر رخص إلا العلم فإنه إذا كثر غلا» وأفضل العلوم معرفة أحوال حجج
الله وهم الأصل في حسن الاعتقاد والنجاة يوم المعاد ومسلم أن أي فضيلة ومدح يذكر بألسنة شتى
وبيانات مختلفة لا واقعية له إلا ما كان في شأن أهل بيت العصمة والطهارة بل لا يمكن الإحاطة بكنهه
الممدوح منهم وإذا أطاعهم أحد واتبع آثارهم وبلغ مقاما يؤهله لمدحهم على الحقيقة فهو من أندر النواذر
ونموذج عنهم لا يبلغ واحد بالألف بالألف منهم وإن كان ملكا مقربا إلا أن النسبة تبقى كالنسبة بين الثريا
وبين الثرى.

وللدر والياقوت حسن وزينة* ولكنها في جيد حسناء أحسن

فلا بد للمحب المؤمن المصدق بكلمات الله ورسوله أن يكون طالبا راغبا في أخبار وفضائل أهل
البيت (عليهم السلام) ولا بد أن يعتقد بأن قراءتها ومعرفتها أصل في البصيرة والمؤنة في نور البصر فلا يحمل
ما يراه

من تكرار الاسم المبارك لفاطمة الطاهرة وذكر فضائلها المتواترة في صفحة واحدة مما أكتبه - أنا الحقيير -
تطويلا وإطنابا ويعرف قدر هذه النعمة العظمى والموهبة الإلهية الكبرى ولا يتبلي بالكفران فقد قيل
«الكفران أشد من الكفر لأن هذا واحد وذاك اثنان».

مكن كفران نعمت زآنكه كفران* چو نيكو بنگرى باشد دو كفران
(من المتن)

ولا يمكن أن يحد ويوصف قدر تلك المخدرة وجلالها بهذه البيانات القاصرة المحدودة.

ففاطمة (عليها السلام) حبيبة الله وابنة حبيبه ومصدر للفيوضات الإلهية، وقد خلق الله تعالى جميع الكائنات متطفلة على وجودها ووجود أبيها وبعلمها وبنيتها الطاهرين، ومع ذلك تختار طريق المشقة في دار الدنيا إثارة لرضا الله، وتعرض عن زينة الدنيا ونعيمها حتى ترقع ملحفتها في عدة مواضع منها بليف النخل، وهي سعيدة في طاعة الله، ومن كانت هكذا فمن الطبيعي جدا أن تنزل لها هدية سماوية في ليلة زفافها ويرسل لها حلة سماوية حينما تريد الحضور في مكان خاص - حسب مقتضى المصلحة - ليعلم المعاند مقامها ومنزلتها كما ورد في الخبر: جاء جمع من كبار العرب وصناديد قريش إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جالس في

المسجد فقالوا: يا فخر العرب خطبنا بنت فلان إلى ابن فلان وهم من الأشراف ولهم معكم صلة قرابة وخلقتك العظيم يقضي أن تجيز فاطمة للحضور في هذا العرس لتزين مجلسنا.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): حتى أستاذن فاطمة فإن أحببت حضرت وقال: يا فاطمة!

يا نور عيني! هؤلاء كبار العرب جاءوا يدعونك إلى عرس عندهم فماذا تقولين؟

فأطرقت فاطمة (عليها السلام) قليلاً ثم رفعت رأسها وقالت: يا أبة! إنهم دعوني ليستهزؤا بي ويسخروا مني لأن نساء قريش يحضرن بالحلي والحلل الفاخرة المزينة بالجواهر وأنا ليس لي إلا ملحفة مرقعة وثوب قديم، فإذا ذهبت إليهم فلا يكون إلا الشماتة.

فاغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما سمع من فاطمة (عليها السلام) ونزل الأمين جبرئيل مبعوثاً

من رب العالمين فقال: يا رسول الله السلام يقرءك السلام ويقول: أرسل فاطمة بما عندها من لباس فإن لله في ذلك حكمة، فأبلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة بذلك فشكرت الله

وقالت: صدقنا وآمنا، فقامت ولبست ثوبها القديم واستأذنت النبي وتوجهت إلى مكان الدعوة وهي متضايقة من نوايا نساء قريش.

فتوسل ملائكة السماوات السبع إلى الله أن يا رب بنت نبي آخر الزمان الذي أخرته على أنبياءك تخرجها مكسورة القلب؟!!

فجاء الخطاب من رب الأرباب أن يا جبرئيل أدرك ابنة من اصطفينا وهياً لها ما يلزمها.

فبادر جبرئيل إلى جنة الفردوس وأخذ لها حلة من الجنة فما خطت فاطمة سبع خطوات خارج المنزل حتى أحاطت بها مائة ألف حورة من الحسان وجللها جبرئيل من رأسها حتى قدميها بالسندس والإستبرق، والهوريات يأخذن كل ساعة من تراب أقدامها ويكتحلن به، فلما رأت فاطمة الطاهرة هذا الإكرام والالطف الإلهي خرت ساجدة شكراً لله فجللها الله من نور لطفه وشعشعته ما لا يمكن بيانه.

ذهبت فاطمة (عليها السلام) إلى العرس وهي تحمد الله وتثني عليه، ونساء قريش

ينتظرن قدومها المبارك، وفجأة شاهدن نورا وجلالا كالبرق الخاطف، فتعجب كل من كان يسكن في تلك المنطقة وسألوا عن هذا النور؟ فارتفع أصوات الحوريات أنغاما ذهل لها كل من سمعها وتحيرت النساء جميعا لحسن صورة فاطمة وتركن العروس لوحدها وبادرن لاستقبالها، فرأين فاطمة (عليها السلام) مقبلة في مائة ألف

حورية من الحور الحسان يحملن بأيديهن البخور ومجامر العنبر، فذهلن للرائحة الطيبة، فسجدن جميعا أمام فاطمة وأخذن يقبلن يديها وقدميها وأدخلنها إلى البيت في غاية التعظيم والتبجيل والإكرام، فلما استقر بسيدة النساء المجلس أحاطت بها الحوريات ووقفن في الهواء لا تمس أقدامهن الأرض ونساء العرب يقعن مرة بعد مرة للسجود وبين يديها، ووقعت العروس مغشيا عليها، وبعد ساعة من الإغماء سلمت الروح إلى بارئها وماتت، فارتفعت أصوات النساء بالويل والشبور وعلا نحيبهن وبكائهن وانقلب العرس إلى عزاء.

فلما رأت فاطمة (عليها السلام) ذلك تكدر صفوها وقامت إلى الوضوء فجددت الوضوء وصلت ركعتين ثم سجدت وقالت: يا مالك ويا ملك بعزتك وجلالك الذي لا يزول وبحرمة طاعات عبيدك المخلصين وبركة محمد وعلي المصطفين عندك أحي هذه العروس.

وقبل أن ترفع رأسها من السجود عطست العروس وقامت ثم وقعت على أقدام السيدة فاطمة (عليها السلام) ويديها تقبلها وقالت: السلام عليك يا بنت رسول الله إنك

وأباك على حق وإن ربكم الذي تعبدون حق وأن المشركين على باطل.
قيل: آمن ذلك اليوم سبعمائة رجل وامرأة من أقرباء العروس وغيرهم وهجروا الشرك وتشرفوا بالإسلام واشتهر الأمر في البلد، ثم رجعت فاطمة إلى

بيتها فسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لله شكرا ثم قال: يا نور عيني! إن أُملي بالله أكبر الآلاف

المرات مما قصصني علي (١).

معلوم أن الله تعالى جعل هذه الأنوار الطيبة محلا للخير وهداية الخلق: «بأبي أنتم وأمي بكم علمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا». وكما أن جبرئيل نزل من أجل فاطمة البتول في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك نزل بعد وفاته

ليسليها ويعزيها كما روي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): إن فاطمة (عليها السلام) مكثت بعد

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوما وكان دخلها حزن شديد على أبيها وغم عظيم

لما تلقاه من أذى الأعداء وكان يأتي جبرئيل فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها (٢) وكانت فاطمة تشم رائحة طيبة وتسمع الصوت ولا ترى جبرئيل.

طرق الجد غير طرق المزاح* هكذا هكذا وإلا فلا

وخصائص ومناقب فاطمة الطاهرة (عليها السلام) خارجة عن حد الاستقصاء وأكثر من العد والإحصاء ومثل تلك المخدرة في عبادة الحق ومعرفة الله مثل لسان الميزان.

روي علي بن عيسى الأربلي عن محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «دخلت يوما منزلي فإذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس والحسن (عليه السلام)

عن يمينه والحسين (عليه السلام) عن يساره وفاطمة (عليها السلام) بين يديه وهو يقول: يا حسن ويا

حسين! أنتما كفتا الميزان، وفاطمة لسانه، ولا يعدل الميزان إلا باللسان، ولا يقوم

(١) البحار ٤٣ / ٣٠ ح ٣٧ باب ٣ عن الخرائج ٥٣٨ ح ١٤ وفيه:

(٢) الكافي ١ / ٤٥٨ ح ١.

اللسان إلا على الكفتين، أنما الإمامان ولأمكما الشفاعة، ثم التفت إلي فقال: يا أبا الحسن! أنت تؤتي المؤمنين أجورهم وتقسم الجنة بينهم». والحدِيث صريح في إناطة الشفاعة بفاطمة الطاهرة وأن الله تعالى جعل هذا النور المقدس سببا لإيصال رحمته كما جعل أباهما الأكرم رحمته الواسعة. «ولا شك ولا ارتياب أن هذه الثمرة من تلك الشجرة، كما أن الواحد جزء العشرة، وأن هذه النطفة العذبة من ذلك المعين الكريم، وهذه الدوحة المباركة من ذلك الأصل القديم، وهذه الدرة من ذلك البحر الزاخر، وهذه الطلعة من ذلك القمر الباهر، وهذه النتيجة من تلك المقدمة، فأصولها اصول النبوة، وفروعها فروع الولاية، فما أشبه الأول بالآخر، فهم (عليهم السلام) مشكاة الأنوار، وسادة الأخيار، وامناء الأبرار».

وسياتي بيان شفاعتها (عليها السلام) في الخصائص بعد الوفاة مفصلا إن شاء الله تعالى رزقنا الله شفاعتها في الآخرة بمحمد وآله.

الخصيصة الثامنة والثلاثون
في تأويل قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان)
ذكرنا في ذيل التزويج السماوي لحضرة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها من
أمير المؤمنين (عليه السلام) بيانا في تأويل وتنزيل قوله تعالى (هو الذي خلق من الماء
بشرا... (١)، ومن المناسب أن نذكر في هذه الخصيصة في ختام الكلام عن الزفاف
بيانا في قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء
ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) (٢).
إعلم؛ أن أغلب الفريقين من العامة والخاصة ذهبوا - دون اختلاف - إلى
تأويل الآية في النبي والمرضى علي والصديقة الكبرى والحسين (عليهم السلام)، وأنها
إخبار
عن حالهم وحسن مآلهم.

والمرج لغة الصحراء المعشبة، ومنه تسمية كتاب مروج الذهب
للمسعودي، ومرج بمعنى أرسل، ومنه الحديث «إنما الصدقة على السائمة المرسلة
في عامها» يقال مرجت الدابة، قال الطبرسي عليه الرحمة: «مرج أي أرسل» (٣)

(١) الفرقان: ٥٤.

(٢) الرحمن: ١٩ - ٢٢.

(٣) قال الطبرسي (رحمه الله) في مجمع البيان ٩ / ٣٣٤ - ٣٣٥ في تفسير سورة الرحمن: «مرج الدابة
في المرعى إذا
خلها لترعى... ومعنى مرج أرسل».

فيكون معنى (مرج البحرين) أي أرسل البحرين.
وذكر المفسرون وجوها لمعنى «البحرين»؛ قال المرحوم الطبرسي: «...»
خلق البحرين العذب والمالح يلتقيان، ثم لا يختلط أحدهما بالآخر» (١).
(هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) (٢) وهذا ليس عجيبا غريبا في قدرة الله
جلت قدرته، ولكن الغرابة في تساوي سطحي البحرين وتماسهما من دون أن
يختلطا ولا أن يبغيا أحدهما على الآخر.

وقيل: أرسل البحرين وهما بحر فارس وبحر الروم، أرسلهما الله يدخلان في
البحر المحيط، وكل منهما يصبح خليجا بالقياس إلى المحيط. أو المراد النهران اللذان
يصبان في البحر المالح ويطويان فراسخ يجريان فيه دون أن يتغير طعمهما.
[كلام في البحار]

لما بلغ بنا الكلام إلى هنا ناسب أن نتكلم شيئا عن بعض البحار وغرائبها
لنعرف عظمة الخالق من عظمة المخلوق، ثم نعود إلى المقصود.
وفي كل شيء له آية* تدل على أنه واحد

ومن غرائب البحار قضية المد والجزر، وفيهما حكمة غريبة يعلمها الله، وإن
كان الحكماء يقولون: أن هيجان ماء البحر مثل هيجان الأخلاط في بدن الإنسان،
وسبب ارتفاع الماء أن الماء يكون في موضع حار لتأثير الشمس وسائر الكواكب
فيه، فتنحلل بعض أجزاءه لذلك وتطلب مكانا أوسع وتتدافع، وفي قعر البحر

(١) مجمع البيان ٩ / ٣٣٥.

(٢) الفرقان: ٥٣.

صخور وأحجار كثيرة، فإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته إلى تلك الصخور والأحجار التي في قراره، ثم انعكست من هناك راجعة فسخنت تلك المياه وحمت ولطفت وطلبت مكانا أوسع، وارتفعت إلى فوق ودفعت بعضها بعضا وتموجت إلى سواحلها، فلا يزال ذلك دأبها ما دام القمر مرتفعا إلى وتد سمائه، فإذا انتهى إلى هناك وأخذ ينحط سكن عند ذلك غليان تلك المياه وبردت وانضمت تلك الأجزاء وغلظت...

فهذا هو الجزر وذاك هو المد.

وقيل: إن علة هيجان البحار وسكونها يعود إلى تشكل الفلك والكواكب ومطارح شعاعاتها على سطوح تلك البحار واتصالات القمر بها عند حلوله في منازل المعينة.

وهذه الأقوال متروكة عند أهل الشرع وليست صحيحة، والله أعلم بعلل هذه الحوادث، وكل أقوالهم ناقصة وليس لهم عليها براهين عقلية قاطعة، ومنشأها في الغالب الحدس والفرض والتغليب.

والبحار الموصوفة بالعظمة هي: بحر الهند، وبحر الشام، وبحر طبرستان، وبحر

الهند ويقال له: بحر السند، وبحر فارس، وبحر صين أيضا. وطوله من أرض الصين إلى أرض الحبشة ألفان وستمائة وستة وستون فرسخا، وعرضه تسعمائة فرسخ، ويقع في شمال خط الاستواء بثلاثمائة وثلاثين فرسخا. وفي بعض مواضعه لا يدخل الأقاليم، وبعض شعبه تدخل في الأقاليم مثل خليج البربر، وخليج فارس، وخليج الهند، والبحر الأخضر، وفي هذا البحر ألف

جزيرة أحدها مقابل ملك الصين وقدرت بألف فرسخ كما قال المجلسي أعلى الله مقامه.

وبحر الشام ويقال له بحر الروم، وبحر أفريقية، والبحر الأكبر أيضا. وطوله من المشرق إلى المغرب ألف وثلاثمائة فرسخ، وعرضه من هناك إلى أن يتصل بالمحيط ثلاث فراسخ، ويصل عرضه في بعض المواضع إلى مائتين فرسخ، فإذا بلغ حدود الشام صار مائتين وستمائة فرسخ، ويتشعب منه شعبتان: أحدهما خليج آذربيش، والآخر خليج اليونان، وفيه مائتين وستون جزيرة.

ثم بحر المغرب ويقال له: بحر الأندلس، وبحر طنجة، وبحر السودان، والبحر الأكبر أيضا. وهو يحاذي أرض السودان من أقاصي الجنوب، ويمر بحدود السوس وبلاد الأندلس والجانب الشرقي، ويقال: إنه هو البحر المحيط (أقيانوس)، ويتصل به بحر الهند في ناحية المغرب، وهو مجمع البحرين، يرتفع فيه بحر المغرب فيصب في

بحر الهند من طلوع الشمس إلى الزوال، ومن الزوال إلى الغروب بالعكس، ولا يمكن لأحد أن يعبر من هناك ولا يعرف طوله وعرضه، وفيه تقع الجزائر الخالدات.

وبحر الطبس ويقال له: بحر أيدون، وبحر السوس أيضا. ويمتد من وراء القسطنطينية إلى أرض الروس والصقالبة، وتقع عليه مدينة القسطنطينية، وطوله أربعمائة وثلاثون فرسخا، وله شعبتان: أحدهما قريبة من جزيرة السودان، والثانية خليج قريب من شمال بلاد الصقالبة إلى أرض البلغار.

وبحر طبرستان ويقال له: بحر كيلان، وكرگان، وباب الأبواب، وخزر، أخذ من المشرق إلى المغرب بأكثر من مائتين وخمسين فرسخا، وهو دائري الشكل يمتد إلى الديلم وطبرستان وشيروان ثم يعود إلى خزر، ويصب فيه نهر أرس وگرد و «سفيد رود».

وبحر البربر ويقال له: بحر الزنج، وهو من خلجان بحر الهند، وطوله مائة وستون فرسخا، وعرضه ثلاثون فرسخا، وراكبه يرى «سهيل» والقطب الجنوبي بوضوح ولا يرى القطب الشمالي، ويحمل من سواحل الصندل والآبنوس. وبحر القلزم ويقال له: لسان البحور، وبحر اليمن، وبحر عدن أيضا. وهو من خلجان بحر الهند، تقع على الضلع الشرقي منه أراضي تجاور اليمن وعدن، وفيه هلك فرعون لأنه يبعد عن مصر ثلاث منازل، وقد اشتهر بحر استرباد باسم بحر القلزم وهو غلط.

وبحر فارس ويقال له: بحر البصرة، وعمان، وبحر الهند أيضا، طوله أربعمائة وستون فرسخا، وعرضه مائة وثمانون فرسخا، ويفصل بينه وبين بحر القلزم خمسمائة فرسخ تسمى جزيرة العرب، وهو مصب دجلة والفرات، ونهر خراسان، وقره سوى كرمانشاه، ونهر خزر، ويسمى بحر الهند لأنه يقع مقابل أرض الهند. وبحر آذربيش من خلجان الشام، طوله إلى شمال مائتين وخمسين فرسخ، وهو يتصل بالمحيط، والدليل إمكان المسير براً من صحراء الصقالبة والروس إلى القسطنطينية.

وبحر اليونان، وهو قريب من أرومية، وينشعب من بحر الشام وتقع بالقرب منه جزائر اليونان، والمشهور أن السفن وركابها إذا وصلوا قبالة أرض يونان تذكروا ما نسوه منذ سنتين أو ثلاث وعاد إلى أذهانهم كل ما محي منذ تلك الفترة، هكذا قيل، ولا يدري أصحح هذا الكلام وله أصل أو لا؟

وكانت جزائر اليونان تدعى سابقا بيت الحكمة، وكانت موائد سليمان في بيت الحكمة، وكان ملوك اليونان قد جعلوا فيها المراصد وأكملوا بعض العلوم

وجعلوها في صورته طلاسمة ومعميات وضبطوها في بيت الحكمة، وكانت لتلك الطلاسمة آثار خاصة، وجعلوا لبيت الحكمة أقفالا، حتى جاء أحد ملوكهم فأراد فتح تلك الأقفال والنظر إلى ما هناك، فمنعه وزراؤه فلم يمتنع، فلما فتحها وجد تابوتا ووجد على جدران بيت الحكمة صورا بشكل رجال عرب ملثمين على أفراس عربية وبأيديهم رماح وقد شدوا السيوف على ظهورهم، وكتب على الجدار: متى ما فتحت هذه الأقفال اندرست حكمة اليونان واستولى عليهم قوم أشكالهم مثل هؤلاء، وما مضت الأيام حتى أرسل بنو أمية موسى بن نصر اللخمي لفتح جزائر الأندلس، فدخل بيت الحكمة وفيه تابوت وفي التابوت قطع من الجلد مكتوب عليها بالخط اليوناني، ولم يكن العرب قادرين على قراءة ذلك الخط، وقد يكون فيها طلسم خاص بالمحافظة والتذكير ترجع إليه الخصوصية التي ذكرت لتلك الأرض.

وبالجملة فإن بحر الأندلس شعبة من شعب بحر المغرب. وبحر طنجة؛ بحر مستطيل وعرضه فرسخان ونصف الفرسخ، وتصل شعبة منه إلى حدود الروم وشعبة تمتد إلى بلاد الزنج وأرض المغرب. وبحر السودان، وعرضه مائة فرسخ ولا يعرف طوله إلى الشمال. وبحر الأفرنج، شعبة من بحر ايدون ينشعب عنه في شمال أرض الصقالبة وينتهي إلى حدود البلغار ويسكن حوالبه الأفرنج. بحر حتج، بحر عظيم في تركستان، قيل أن أفراسياب ألقى بنفسه في هذا البحر لينجو من هام العابد. بحر الماسس: ويقع في جزيرة الماسس.

بحر الشمال: بحر واقع تحت القطب الشمالي، ولا يعرف مدى عمقه وبعد قعره، ويكثر هناك حصان البحر.

وبحر السحاب: ويقع في أراضي الزنوج ويغطيه الدخان والبخار دائما، ويعتقد الزنوج أن آدم (عليه السلام) هبط في جزائر هذا البحر.

والبحر المظلم: بحر عظيم يقع بالقرب من بحر المغرب، وفيه جزيرة الياقوت وينتهي إلى ما وراء بلاد القواق وسيلان، ويمتد من قلعه قبيضة باتجاه يأجوج ومأجوج، وينتهي بحدود سد ذي القرنين.

هذه هي البحار العظيمة في الدنيا؛ وهناك أيضا بحار صغيرة وبحيرات: منها: بحيرة برحاطيس، طولها من المشرق إلى المغرب فرسخ واحد، وعرضها أربعة وثلاثون فرسخا، وتمتد إلى حدود القسطنطينية وتتصل ببحر الشام في أطراف مصر.

بحيرة خوارزم، مدورة ومحيطها تسعون فرسخا، وتبعد عن بحر الخزر عشرون منزلا (يوما) وقيل: أن نهر جيحون يصب فيها، وماؤها مر، ومع ذلك توجد فيها حيوانات بحرية وإن كانت قليلة.

بحيرة طليكري، ويقال لها: بحيرة قبطيان أيضا، وهي قريبة من «چين وماچين»، ومحيطها سبعون فرسخا، وفيها سبعون جزيرة وليس لسكان تلك النواحي دين ولا ملة.

بحيرة الأرمن في نواحي آذربيجان.

البحيرة الميتة؛ ماء راكد بين جبلين في نواحي الشام، وقيل لها البحيرة الميتة لأنهم لم يشاهدوا فيها حيوانات حية.

بحيرة الروم; ويقال لها: بحيرة أسوان ويكثر فيها السمور والسنجاب.
بحيرة طيس; واقعة في أرض مصر وتتصل ببحر الروم، وينتهي إليها شعبة
من شعب النيل، وفيها سمك يقال له «الدلفين» يستخدم دهنه في عمل السيميا،
وأكله يوجب زيادة الفهم، وفيه نوع آخر من أكل لحمه رأى كوايس ومنامات
هائلة مرعبة يفزع لها.

وبحيرة أخرى من بحيرات الشام عميقة غاية العمق، ذرعها طوله أربعة
آلاف ذراع، ولم يبلغوا قعرها.

بحيرة فرغانة ومحيطها خمسون فرسخا.

بحيرة الصخرة، وهي بحيرة صغيرة في ناحية الشمال والماء في طرف من
أطرافها أسود حالك كالليل البهيم، فإذا استخرجوا من طينه ووضعوه في الشمس
صار حجرا، وهو عميق جدا يبلغ عمقه أكثر من أربعة آلاف ذراع، وقيل: لا يوجد
بحر أعمق منه. قيل: ألقى فيه عرش كيخسرو والكرة السحرية «جام جهان نما».
وأحد طرفي هذا البحر أبيض يرى عمقه وكأنه ذراعين أو ثلاثة، ثم لا
يختلط الماءان، جل الخالق (بينهما برزخ لا يبغيان) (١).

بحيرة سحر: ومحيطها مائة وعشرون فرسخا، تقع وسط بلاد خزر، بنى
أنوشيروان سدا على هذا البحر لا زالت آثاره باقية، بناه ليمنع الناس ويحميهم من
هجوم الأتراك، وقيل: علم أنوشيروان بناء هذا السد في المنام.
بحيرة أرجيس في ناحية فلسطين قرب مدينة ذعروان، مدينة نجاها الله من
العذاب ببركة دعاء النبي لوط على نبينا وآله وعليه السلام.

(١) الرحمن: ٢٠.

بحيرة دشت أرژن، مائها عذب فرات.
بحيرة گاو خوان بين يزد وإصفهان، مأوها عذب حلو جدا، يصب فيها نهر
«زاینده رود» قيل: منبعه من کرمان، واستدلوا لذلك أنه كلما زاد الماء في إصفهان
زاد في کرمان، وكلما قل هنا قل هناك.
البحيرة التي جفت في ناحية الكوفة ولكنها الآن يابسة، لذا قيل «جف».
بحيرة جرون في ناحية المغرب، عميقة جدا نقل عنها صاحب روضة الصفا
عجائب أعرضنا عن ذكرها لاستبعادها، وإن كانت عجائب البحر وغرائبه
مضرب مثل، كما قيل «حدث عن البحر ولا حرج».
وقيل: إن الموج في هذا البحر يتولد من قعره خلافا لباقي البحار.
بحيرة ساوة ومحيطها خمسة وعشرون فرسخا، غار مأوها ليلة ولادة النبي
الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم). وكان العبور منها عسيرا قبل أن تجف، قيل: إذا
غرق فيها أحد
سكنت وهدأ هيجانها وأمكن العبور منها، والله أعلم بسبب جفافها ليلة ولادة
النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) وحمود نيران فارس المشتعلة منذ سنين.

نعود إلى تفسير الآية وتأويلها
قال تعالى: (مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان) (١). ذكرنا
معنى «مرج البحرين» في أول الخصيصة.
والبرزخ: الحائل بين الشئين، وسمي القبر برزخا لأنه عالم بين الدنيا
والآخرة، وسميت وسوسة النفس برزخا لأنها واسطة بين الشك واليقين.

(١) الرحمن: ١٩ و ٢٠.

و (لا يبغيان) أي لا يختلف أحدهما بالآخر ولا يتجاوز عن حده، لا يبطل أحدهما خواص الآخر نتيجة الامتزاج والاختلاط.
وللبغي معنيان: أحدهما بمعنى الطلب أي «لا يطلبان»، والآخر بمعنى التجاوز عن الحد، وكلا المعنيين مناسبان.
والمراد ظاهرا من (اللؤلؤ والمرجان) الدر الأبيض الذي يتكون في بحر الهند وبحر فارس غالبا. والمرجان قيل: شجر ينبت في قعر البحر، والمشهور أنه الدر الكبير يقال له «لؤلؤ» والصغير يقال له «المرجان».

[كلام في تكوين الدر]

وأصل اللؤلؤ والمرجان: قطرات المطر تسقط فتدخل في صدف المحار حينما يكون مفتوحا، فيغلق المحار صدفه عليه، ثم يتكون الجواهر النفيس كما تتكون النطفة في الرحم؛ وذلك للقابلية الموجودة في الحال والمحل، ولا شك أن لقابلية المحل مدخلية تامة في ذلك.

كقطر الماء في الأصداف درا* وفي بطن الأفاعي صار سما
وصلاية الصدف ورخاوته كمثل العظام والحجر، وأفضل الصدف ما كان في
المياه العذبة، والحلزون هو الاسم الجامع للحيوانات الصدفية، وهو بري وبحري
ونهري، والصدف في قعر البحر له جذور سوداء كالنباتات، ويكثر وجوده بين
الأحجار، ويكبر قليلا قليلا، ويتغذى على الأسماك الصغيرة والديدان والأحياء
المائية، وكلما كان أكبر كان جذره أقوى وكان صدفه براقا أكثر، والدر في جوفه
قريب من قلبه، وكلما كان قعر البحر صخريا كانت أصدافه ودرره أفضل،

والأطباء ينكرون تكون الدر من قطرة المطر، إلا أن المشهور ذلك، ويشهد لذلك قول الشيخ السعدي:

يكي قطره باران زابری چكيد * خجل شد چو پهناى دريا بديد
که جائي که درياست من كيستم * گر او هست حقا که من نيستم
چو خود را به چشم حقارت بديد * صدف در کنارش چو جان پروريد
سپهرش بجائي رسانيد کار * که شد نامور لؤلؤ شاهوار (۱)

واختلفوا في تأويل البحرين، ف قيل: المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض
وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول، وبحر الأرض من الصعود (۲).
وقيل: المراد بالبحرين الدنيا والآخرة، والبرزخ القبر.
قال القشيري: البحرين: بحر الخوف والرجاء، أو القبض والبسط، والبرزخ
قدرة الحضرة الأحديّة التي لا تحتاج إلى تعليل.
وقال ابن عطا: بين العبد والرب بحران عميقان: أحدهما: بحر النجاة وهو
القرآن العظيم، والثاني: بحر الهلاك وهو الدنيا من ركن إليها هلك.
وللعرفاء وأهل الذوق وجوه عديدة حسب اختلاف المشارب، وذكرها
تفصيلاً يلزم التطويل، وقد ذكرت جملة منها ليتضح المعنى لأهل النظر.

(۱) يقول: سقطت قطرة مطر من الغيوم، فلما شاهدت البحر الواسع خجلت.
وقالت في نفسها: أين أنا من هذا البحر؛ وإنما أنا لا شيء في مقابله.
فلما استصغرت نفسها، احتوت عليها صدفة محار كانت إلى جوارها.
وغذتها وربتها حتى صارت لؤلؤة فريدة نادرة.
(۲) مجمع البيان ۹ / ۳۳۶ قال: عن ابن عباس والضحاك ومجاهد.

وقد مر سابقا أن صاحب الحضرة النبوية المقدسة قال ليلة الزفاف لفاطمة وعلي (عليهما السلام): «مرحبا ببحرين يلتقيان ونجمين يقتربان» (١). وروى المرحوم الكراجكي في كنز الفوائد عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله)، عن الصادق (عليه السلام): البحرين علي وفاطمة، ولا يبغى علي علي، ولا تبغى فاطمة علي علي، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين (عليهما السلام) (٢).

وروى عن أبي سعيد الخدري مثله، ولم يبين معنى البرزخ (٣). وروى الضحاك عن ابن عباس (بينهما برزخ لا يبغيان) [قال: البرزخ النبي].

وروى المجلسي في البحار أيضا عن أبي ذر: البحرين واللؤلؤ والمرجان هم الأربعة المقدسون، ثم قال: «فمن رأى مثل هؤلاء الأربعة: علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا كافر، فكونوا مؤمنين بحب أهل البيت، ولا تكونوا كفارا يبغض أهل البيت فتلقوا في النار» (٤). وذهب إلى هذا القول جماعة من الصحابة والتابعين، مثل سلمان الفارسي عليه الرحمة وسعيد بن جبير وسفيان الثوري، قالوا: إن البحرين علي وفاطمة، بينهما برزخ: محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين؛ ولا غرو أن يكونا بحرين سعة فضلهما ونشر خيرهما، فإن البحر إنما يسمى بحرا لسعته (٥).

(١) البحار ٤٣ / ١١٦ ح ٢٤ باب ٥.

(٢) البحار ٢٤ / ٩٧ ح ١ باب ٣٦.

(٣) البحار ٢٤ / ٩٨ ح ٤ باب ٣٦.

(٤) مجمع البيان ٩ / ٣٣٦؛ والبحار ٣٧ / ٦٤ ح ٣٥ باب ٥٠.

(٥) البحار ٢٤ / ٩٩ ح ٧ باب ٣٦، و ٤٣ / ٤٢ ح ٣٩ باب ٣.

وروى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتاب الخصال عن سعيد القطان، عن الصادق (عليه السلام) مثله، وكذا في تفسير فرات (١).
وروى محمد بن شهر آشوب المازندراني في كتاب المناقب عن ابن عباس في شأن نزول هذه الآية: إن فاطمة بكت للجوع والعري، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إقنعي يا

فاطمة بزوجك، فوالله إنه سيد في الدنيا سيد في الآخرة، وأصلح بينهما، فأنزل الله (مرج البحرين يلتقيان) يقول: أنا الله أرسلت البحرين: علي بن أبي طالب بحر العلم وفاطمة بحر النبوة (يلتقيان) يتصلان، أنا الله أوقعت الوصلة بينهما، ثم قال (بينهما برزخ) مانع، رسول الله، يمنع علي بن أبي طالب أن يحزن لأجل الدنيا، ويمنع فاطمة أن تخاصم بعلمها لأجل الدنيا، (فبأي آلاء ربكما) يا معشر الجن والإنس (تكذبان) بولاية أمير المؤمنين وحب فاطمة الزهراء، فاللؤلؤ الحسن والمرجان الحسين؛ لأن اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار (٢).

وقال سفيان الثوري والثعلبي في تفسيره - وكلاهما من فحول العامة - إن الآية نزلت في الخمسة الطاهرة (٣). وذكروا في ذلك بيانات كثيرة ذكرنا إجمالاً منها وطرحنا الزوائد، والغرض من الاستشهاد بأقوال هؤلاء لئلا يظن الشيعي أن هذه الأقوال مسلمة عند علماء الشيعة ورواتهم فقط، بل إن أغلب علماء العامة يروون ذلك أيضاً، وفضائل هؤلاء الخمسة تشهد بها ذرات الكون.
«وإذا ما شهدت الشمس فلتعلم «السهي» خبر القضية»

(١) البحار ٢٤ / ٩٨ ح ٥ باب ٣٦.

(٢) المناقب ٣ / ٣٦٥ في تفضيلها على سائر النساء.

(٣) البحار ٤٣ / ٤٢ ح ٣٩ باب ٣.

روي عن سلمان الفارسي: حضرت صلاة الصبح مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما انتهينا قام النبي الأكرم وقال: أين ابن عمي علي بن أبي طالب؟ أين من يقضي ديني وينجز عدااتي؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): لبيك لبيك يا رسول الله! فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي، هل تريد أن تنظر مقامك ومنزلتك؟ قال: نعم يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقال النبي: أخرج إلى فناء المسجد وكلم الشمس إذا طلعت، وقل: السلام عليك أيتها الشمس. فقام أمير المؤمنين وسلم على الشمس كما أمره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأجابته الشمس: السلام عليك يا أول ويا آخر، ويا ظاهر ويا باطن، ويا من هو بكل شيء عليم. قال سلمان: فلما رأى الأصحاب ذلك هرعوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا: يا رسول الله بالأمس كنت تقول لنا إن الأول والآخر من صفات الله تعالى؟! فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وهو كذلك. فقالوا: إذن كيف تخاطب الشمس عليا بما تقولون إنه لله تعالى؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): استغفروا الله ثم توبوا إليه؛ أما ما قالته الشمس لعلي «يا أول» فقد صدقت، فهو أول من آمن بي، و«يا آخر» فهو آخر الناس عهدا بي، يغسلني ويكفني ويدخلني قبوري، و«يا ظاهر» فهو يظهر دين الله بسيفه، ويا «باطن» فإنه المستبطن لعلمي، و«هو بكل شيء عليم» فأقسم بالله إن ربي ما علمني علما إلا علمته إياه، فهو أعلم بطرق السماوات من طرق الأرضين؛ ولذا

خاطبته الشمس بذلك الخطاب (١).

إن الشمس تشهد له هذه الشهادة يقينا، وهو من الأنوار المقدسة التي خلقها الله قبل أن يخلق الشمس والقمر والأرض وزين بها عرشه، ثم خلق منها الشمس والقمر؛ جاء في الزيارة الجامعة: «خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محققين» (٢). ولنعم ما قال الشاعر:

نجوم طوالع جبال فوارع * غيوث هوامع سيول دوافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما أوصوا بهن شرايع
فأي يد مدت إلى المجد لم يكن * لها راحة من جودهم وأصابع
بهاليل لو عاينت فيض أكفهم * تيقنت أن الرزق في الأرض واسع
«فلعن الله الغاصبين لحقوقهم الذين نصبوا العداوة والبغضاء، لهم وانتهكوا
حرمة الرسول بعده، وأوغلوا في عداوتهم وطغيانهم، وبالغوا في مخالفتهم
وعدوانهم، وأبانوا عن دنائة أصلهم بقبيح فعلهم، وركبوا مركبا وعرا أطاعوا فيه
دواعي سلطانهم وبواعي شيطانهم، ورجعوا إلى أصولهم الخبيثة وأنسابهم
المدخولة، فمرقوا عن الدين، وضيعوا شريعة سيد المرسلين، وليتهم أخزاهم الله
فنعوا بذلك ولم يلقوا العترة الطيبة بتلك الأفعال الشنيعة من القتل والنهب، فإن
آبائهم غرسوا شجرة العداوة والأبناء سقوها، ولا عجب فالإناء ينضح بما فيه،
والولد سر أبيه، فقديمهم ذلك القديم، وحديثهم هذا الحديث، وإذا كان النسب
مدخولا فالمروة والديانة عنه بمعزل، فأبعد الله عن خيره تلك الأنفس الخبيثة،

(١) انظر البحار ٤١ / ١٨٠ - ١٨١.

(٢) فقرة من الزيارة الجامعة. البحار ١٠٢ / ١٣٠ ح ٣، باب ٨.

والعقول المختلة، والهمم الساقطة، والعقائد الواهية، والاصول الفاسدة، والقلوب التي لا تهتدي إلى الرشاد والسداد. وصلوات الله على الطيبة الطاهرة فاطمة وأبيها، وبعلمها وبنيتها، السادات الأفاضل المعروفين بالمعروف، والفواضل ليوث الجدال والجلاد، الأمرين بالقسط والناطقين بالحق، والعادلين الفارعين بمجدهم الجبال الشم، الآخذين بالعفو والحلم، المعصومين من الزلل والخطل، والضاربين الهام والقلل، القائمين بأمر الله، الراضين بحكم الله، الممسوسين في ذات الله، والفرحين بلقاء الله، جعلنا الله من شيعتهم، وأعادنا الله من النار بحبهم إنه قريب مجيب».

الخصيصة التاسعة والثلاثون

بيان إجمالي في قوله تعالى (وإن منكم إلا واردة) (١) وفي هذه الخصيصة بشارة لمحبي فاطمة (عليها السلام).

لا يخفى أن أخبار زفاف معدن الحياء والعفة كثيرة جدا في كتب الفريقين، ولا يسع هذا المختصر التعرض إليها بتمامها، لذا اقتصرنا على ما كان سهل التناول منها. ثم إنني لم أجد في أخبار كتب الشيعة ما يدل على أكثر مما ذكرنا سابقا في صداقها من الأرض والسماء والشجر وغيرها، إلا ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي صاحب كتاب «نزهة المجالس ومنتخب النفايس»، عن الفاضل النسفي من أعظم علماء السنة: أن فاطمة (عليها السلام) سألت أباهما أن يكون صداقها الشفاعة لأمته فقبل ذلك، فإذا كان يوم القيامة وقفت تلك المخدرة على الصراط وطالبت بصداقها.

وفي كتاب الفصول المهمة عن بلال قال: طلع علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات

يوم مبتسما ضاحكا ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ قال: بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، فإن الله زوج عليا من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى

(١) مريم: ٧١.

فحملت رقاقا - يعني صكاكا - بعدد محبي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من النور، ورفع إلى كل ملك صكا، فإذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محب لفاطمة إلا دفعت إليه صكا فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار (١).
ثم لما نزل قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) اغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غما

شديدا وحزن لدخول أمته النار، فجلس في بيته وكلما سأله الأصحاب عن سبب حزنه لم يجب، فتوسلوا بفاطمة (عليها السلام) فقامت إلى أبيها وسألته عن سبب حزنه،

فقال: أخبرني ربي بكذا وكذا وتلا الآية، فبكت فاطمة (عليها السلام) ثم توسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وأمر المؤمنين وفاطمة والحسنان بالله تبارك وتعالى وفدوا أمتهم بأنفسهم، فنزل جبرئيل وقال: يا محمد! الله يقرءك السلام ويقول: قل لفاطمة لا تحزن، فإني أفعل ما تحب.

وهذه البشارة نظير البشارة في نزول قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (٢) وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله.

فانظر يا شيعة فاطمة ومحبتها كم لهذه العظيمة من مزية ومنزلة عند الله تبارك وتعالى بحيث يقول جبرئيل: يا محمد! قل لفاطمة لا تحزن (٣).

وإن هذه الأسرة التي فدت سعادة الأمة في الآخرة بنفسها أخرى بتقديم الغير على نفسها في هذه الدنيا، مع أنها أحق من غيرها غاية الاستحقاق كما أخبر

(١) الفصول المهمة ٢٨ في مقدمة المؤلف.

(٢) الضحى: ٥.

(٣) والخبر في كتاب الفصول المهمة عن بلال أيضا. (من المتن)

الله عنهم في قوله تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (١) فقد روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل يوما على فاطمة فوجدها جائعة والحسنان قد

هجرا النوم من الجوع (٢)، فقالت فاطمة الطاهرة: يا علي! اطلب لهؤلاء الصبية طعاما فإنهم لا ينامون من الجوع.

فخرج أمير المؤمنين إلى عبد الرحمن بن عوف واستقرض منه دينارا، فجاءه عبد الرحمن ببدره فيها ذهب، وقال: يا علي! هذه صرة فيها مائة دينار، خذها ولا تردها.

فقال أمير المؤمنين: لا حاجة لي في شيء من ذلك، إن يكن قرضا قبلته، فقد سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «اليد العليا خير من اليد السفلى» (٣) ولكن أقرضني دينارا واسمع ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن «الصدقة عشرة والقرض ثمانية عشر ضعفا» (٤)؛

فأقرضه دينارا، فأخذه علي وخرج فرأى المقداد بن الأسود جالسا على قارعة الطريق تصهره الشمس، فقال: ما أقعدك هنا يا مقداد في مثل هذا الوقت؟ فقال: الجهد. قال: أي جهد؟ قال: منذ أربعة أيام لم يذق عيالي الطعام. فقال علي (عليه السلام):

خذ هذا الدينار فأنتم أحق به منا، لأنكم جياع منذ أربعة أيام ونحن منذ ثلاث. فأخذ مقداد الدينار.

(١) الحشر: ٩.

(٢) وليت يدي شلت وعيني عميت قبل أن أقرأ هذه الرواية وقبل أن أكتبها، ولكن ما الحيلة؟ فلو لم أكتبها لما علمت كيف اختار هؤلاء المتصرفون بالولاية التكوينية الإلهية المشقة، فهم في تلك القدرة لأنهم يبقون في مثل هذه الحاجة إثارا لمقام رضا الرب ولتحصيل الأجر الأخروي. (من المتن)

(٣) البحار ٢١ / ٢١١ ح ٢ باب ٢٩.

(٤) انظر البحار ١٠٣ / ١٤٠ ح ١١ باب ١.

فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة العشاء انفتل، وقال لعلي (عليه السلام): يا أبا الحسن هل عندك شيء نتعشاه فنميل معك؟ فقال علي (عليه السلام): حبا وكرامة، وتقدم إلى البيت

ييشر فاطمة (عليها السلام) ثم أعقبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم إن فاطمة دخلت البيت ووضعت وجهها على التراب، وقالت: اللهم بحق محمد وآل محمد ابعث إلينا طعاما. فشمت وهي في السجود رائحة الطعام، فرفعت رأسها فوجدت جفنة تفوح منها رائحة أطيب من المسك. فحملتها وجاءت بها إلى أبيها فقدمتها إليه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنى لك هذا الطعام؟ قالت: من عند الله

يرزق من يشاء بغير حساب. فأكل منها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والحسنان، فجاء سائل فقام علي (عليه السلام) ليعطيه من ذلك الطعام، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي هذا إبليس سمع أننا نأكل من طعام الجنة فجاء يشار كنا (١). وروي أن الله عوض عليا عن الدينار الذي أعطاه لمقداد عشرين أجرا: اثنين في الدنيا وثمانية عشر في الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وأجرا الدنيا هما ما ورد في الخبر:

إن النبي وعلياً كانا في المسجد فجاء أعرابي واعتزل عليا وأعطاه صرة فيها ذهباً ثم غاب، فحمل علي الصرة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي هل تعلم من هو ذا الأعرابي؟ فقال علي: الله ورسوله أعلم، فقال: هو جبرئيل استخرج الآن كنزاً من كنوز الدنيا أعطاك هذا عوضاً عن دينارك الذي أعطيتَه المقداد.

هذا الأجر الأول، والأجر الآخر تلك المائدة التي نزلت عليهم.

(١) البحار ١٤ / ١٩٧ ح ٤ باب ١٦.

وهذه البشائر تزرع الأمل في قلوب محبي فاطمة الزهراء (عليها السلام).
وهنا أروي ما في كتاب «التبر المذاب»، لأنني أردت نقل بعض الأخبار عن
طرق العامة مما تسالم عليه الفريقان، وهو ما رواه أيضا ابن الجوزي ليعلم محبو هذه
الأسرة إذعان الآخرين بهذه الفضائل واتفاقهم عليها مع الخاصة في الجملة.
«إعلم لما حضرت الوفاة سيدة العصمة والعفاف دخل عليها أمير المؤمنين
فوجد عندها حقة، فسألها عنها فقالت: فيها حرير أخضر، وفي الحرير ورقة
بيضاء، وفي الورقة عدة سطور يسطع منها النور. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):
وماذا

كتب فيها يا بنت خديجة الكبرى؟ قالت: يا سفينة النجاة ويا ابن عم رسول الله، لما
زوجني أبي منك وأخبر أن عقدي قرء تحت شجرة طوبى فنثرت الحلبي والحلل -
وقد ذكرنا نثار شجرة طوبى مرارا - كان عندي ثوبان أحدهما قديم والآخر
جديد، وكنت جالسة للعبادة ليلة الزفاف فإذا بسائل ينادي: يا أهل بيت النبوة
ومعدن الخير والفتوة أعطوني ثوبا قديما فإني فقير، فأعطيته الثوب الجديد، فلما
أصبح الصباح غدا علينا رسول الله بوجهه المنور، فقال: أين ثوبك الجديد ما أراك
تلبسينه؟! فقلت: ألم تقل أن الصدقة باقية فإني تصدقت به. فقال: لو تصدقت
بالقديم ولبست الجديد فهو أرعى لزوجك وللفقير، وأحفظ لك من حرارة الصيف
في أيام الصيام. فقلت: لقد اقتديت بك يوم تزوجت بخديجة فبذلت مالها وجاءك
السائل فأعطيته ثوبك واشتملت بالحصير، ورأيتك تصنع مثل ذلك كثير مما لا
يفعله غيرك، حتى جعلت الجنة لك ونزل فيك: (ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا) (١) فبكى النبي وضممني إلى صدره، وقال: هبط الأمين جبرئيل

(١) الإسراء: ٢٩.

وقال: إقرأ فاطمة السلام وقل لها فلتطلب ما في الغبراء والخضراء، وبشرها أنني أحبها.

فقلت: يا رسول الله: شغلتنني عن مسألته لذة خدمته، لا حاجة لي غير النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام. فقال: إرفعي يديك، فرفعت يدي ورفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يده حتى بان بياض أبطيه ثم دعا لأمته فقال: «اللهم اغفر لأمتي».

فقلت: آمين، فهبط جبرئيل وقال: قال الله: غفرت لمن أحب فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها من أمتك، فطلبت كتابا فجاءني جبرئيل الأمين بهذا الحرير الأخضر وفيه هذه الرقعة البيضاء مكتوب فيه بيد القدرة (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (١) وشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل؛ فقال أبي: احفظي ذلك وأوصي أن يدفن معك في قبرك، فإذا كان يوم القيامة وتصاعد لهيب النيران أدفعه إلى أبي ليأخذ لي بما وعدني ربي.

أنظروا يا شيعة فاطمة إلى علو هممتها وسمو فتوتها وبعد نظرها، حيث بذلت فاطمة الطاهرة ما عندها اقتداءً بأبيها وسألت رضا الله ولقاء المولى بمفاد قوله تعالى (ومن يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) (٢) ولم تسأل شيئا من حطام الدنيا ولا من أجر الآخرة سوى النظر إلى وجهه الكريم، ومسلم أن هذا المقام من أعلى المقامات التي قد ينالها كبار الأنبياء وأولو العزم غدا يوم القيامة. وهذا هو معنى «عدم ترك الخدمة والإقبال على النعمة»، وإذا طلبت شيئا آخر فإنما تطلب المغفرة والسعادة لأمتها.

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) الكهف: ١١.

أجل؛ كذا هو شأن الرحمة الإلهية الواسعة، وهذا هو مقام طلب لقاء الله، وهو في قبال طلب الحور والقصور مثل طلب الدنيا في قبال طلب الآخرة، كما قال وريث تلك الطيبة الطاهرة سيد الساجدين: «لقاؤك قرّة عيني، ووصلك مني نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك ابتغائي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي، وقربك غاية مسئلتني، وفي مناجاتك روعي وراحتي، وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي، فلا تقطعني عنك، ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي، ويا دنياي وآخرتي» (١). ولنعم ما قال «سعدي»:

خلاف مروت بود كا ولياء* تمنا كنند از خدا جز خدا (٢)
وحقيقة العبادة أن لا تكون للرغبة أو الرهبة، بل للحب، ولأن المعبود أهل للعبادة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك أهل للعبادة فعبدتك (٣).

وقال سيد الساجدين (عليه السلام): «إن قوما عبدوا الله رهبة وتلك عبادة العبيد وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وقوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار» (٤).

فإذا كانت عبادة فاطمة وأولادها سلام الله عليهم من هذا النوع، وقد ذكر الجميع فضائلهم وآدابهم في كتبهم، فكيف يخالفونها ويخالفون أولادها ويقدمون

(١) البحار ٩٤ / ١٤٨ ح ٢١ باب ٣٢.
(٢) يقول: إن من غير المروءة أن يطلب الأولياء من الله غير لقاءه.
(٣) البحار ٧٠ / ١٨٦ ح ١ باب ٥٣.
(٤) البحار ٤١ / ٤١ ح ٤ باب ١٠١؛ و ٧٠ / ١٩٦ ح ٢ باب ٥٣.

الغير عليهم، ويعتقدون في مخالفيهم وغاصبيهم أئمة يقتدون بهم، ويؤذون فاطمة
باتباعهم، وهم يروون أن فاطمة طلبت رضا الرب ولم تطمع في جنة أو نعيم.
فالدنيا بأسرها في عين فاطمة هباء منثور بالقطع واليقين، فما حال بستان أو
قطعة من أرض أو أمثال ذلك؟!!

روي في كتاب «التبر المذاب» وروى مثله ابن الجوزي - كما ذكرنا -
باختلاف يسير ما هذا نصه:

«إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صنع لفاطمة قميصا جديدا ليلة عرسها وزفافها،
وكان لها

قميص مرقوع، وإذا بسائل على الباب يقول: أطلب من بيت النبوة قميصا خلقا،
فأرادت فاطمة (عليها السلام) أن تدفع إليه القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى: (لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (١) فدفعت له الجديد، فلما قرب الزفاف نزل
جبرئيل وقال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله يقرؤك السلام وأمرني أن اسلم
على فاطمة، وقد

أرسل لها معي هدية من ثياب الجنة من السندس الأخضر، فلما بلغها السلام
وألبسها القميص الذي جاء به، لفها رسول الله بالعباءة ولفها جبرئيل بأجنحته
حتى لا يأخذ نور القميص بالأبصار، فلما جلست فاطمة بين النساء الكافرات ومع
كل واحدة شمعة، رفع جبرئيل جناحه ورفع العباءة، وإذا بالأنوار قد طبقت
المشرق والمغرب، فلما وقع النور على النساء الكافرات خرج الكفر من قلوبهن
وأظهرن الشهادتين».

وروى الصفوري الشافعي عن كتاب العقائق خبرا قريبا منه، وروى عن
ابن عباس خبرا يشهد له أعرضت عنه طلبا للاختصار واكتفيت بما رواه ابن
الجوزي.

(١) آل عمران: ٩٢.

وأيضاً في ذلك الكتاب عن صاحب كتاب مرج البحرين، قال: ذهب بعض الجهال إلى أن عائشة أفضل من فاطمة الزهراء (عليها السلام)، مع أن فاطمة كانت طاهرة

مطهرة لم تر حمرة، وعائشة تقول مراراً: ليتني كنت شعرة في رأس فاطمة (عليها السلام).

وكذا أخرج في ذلك الكتاب أخبار شفاعة فاطمة وفيها ما لم أره في كتب الشيعة والإمامية.

والآن؛ أنظر أي واحدة من نساء الأولين والآخرين كانت لها هذه الفضائل وتشرفت بهذه الخصائص والألطف من الله جل شأنه «هيئات فما كل ما يع ماء، ولا كل سقف سماء» ومن ذا الذي تحلى بمثل هذا الشرف والأدب في ذاته؟! فإن أنا لم أشكر لنعمك جاحداً * فلا نلت نعمي بعدها توجب الشكراً وفضل تلك المخدرة على سائر النساء «كسواد العين في بياضها» ونعمة وجود تلك الزكية الطاهرة مما خلقه الله كنعمة العافية للبدن وكالشمس للعالم وهل عن هذين عوض أو عنهما خلف فهنئاً لها خاصة.

خلقت محامدها الشريفة والعلی * بمثابة الأرواح في الأبدان ومسلم أن العبد كلما التزم شرائط العبودية ولو أزمها وراعى آداب عبادة الحق شمله الله أيضاً بالطفاه الخاصة. روز فطرت چون سعادت شد مقرر بر کسی * هر زمان مقدارش افزون پایه برتر می شود (۱)

«زاد الله شرفها وعلاها، وإن مناقبها أكثر من أن يأتي الحصر عليها، ومزاياها أسنى وأعلى من أن تتوجه الإحاطة بها، لأن شرفها (عليها السلام) قد جاوز الحد

(۱) يقول: إذا تقررت السعادة لأحد يوم خلقه وفطرته، فإن سعادته ستترسخ يوماً فيوماً.

وبلغ النهاية، وكم لها من علامات سؤدد، وآيات فضل وشرف منصب، وعلو نسب وفخر حسب، وطهارة أم وأب، ومهما اقتسمت المجد كان لها معلاها، أو قسمت غنائم الرفعة والشأن كان لها أحماسها وصفاياها، وأجريت جيات العصمة كان لها سابقها ومنها لاحقها، وصلى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها وأولادها الطاهرين الأئمة الغر الميامين، ولا حرمننا الله - معاشر شيعتها - شفاعتها في الآخرة؛ إنه قريب مجيب».

الخصيصة الأربعون
في الآيات القرآنية المنزلة والمأولة في حق
فاطمة الطاهرة، ومنها ما لها بالانفراد خاصة،
ومنها ما لها بالاشتراك مع غيرها
إعلم؛ إن الرحمة الإلهية والعناية الربانية التي شملت السيدة فاطمة الزكية (عليها السلام)
فاقت نساء العالمين من الأولين والآخرين، وقد سبق وجودها المعصوم المقدس
ونورها المطهر جميع النساء، بل إن جميع النساء المصطفيات في مقام القرب
والعبودية تنتسب إليها نسبة الأمة إلى سيدتها حتى مريم (عليها السلام)، ويؤيد ذلك -
إضافة
إلى مقام عبوديتها - عدة آيات مباركات، وهي براهين واضحات وأدلة محكمات،
ومنها ما كان خاصا بها (عليها السلام)، ومنها ما شاركها فيها غيرها، ثنائية أو ثلاثية
أو
رباعية أو خماسية، ومنها ما شملت الأئمة المعصومين وأولادها الطاهرين، بل حتى
شيعتها. وسندكرها هنا إجمالاً، ويأتي بيانها في الخصائص الآتية إن شاء الله - وهي
خمسون آية.
الآية الأولى: (هو الذي خلق من الماء بشرا وجعله نسبا وصهرا) (١) وقد مر

(١) الفرقان: ٥٤.

بيان الآية سابقا.
الآية الثانية: (مرج البحرين يلتقيان) (١) إلى آخرها.
الآية الثالثة: (وأت ذا القربى حقه...) (٢) إلى آخرها.
الآية الرابعة: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٣).
الآية الخامسة: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (٤).
الآية السادسة: (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) (٥).
الآية السابعة: (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) (٦).
الآية الثامنة: (رب المشرق والمغرب لا إليه إلا هو فاتخذه وكيلا) (٧).
الآية التاسعة: (الذين يذكرون الله قياما وقعودا) (٨) وتفسيرها في الجملة.
الآية العاشرة: (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) (٩) وسيأتي بيان الآية في باب الذرية إن شاء الله.
الآية الحادية عشر: (ذلك الدين القيم) (١٠).

-
- (١) الرحمن: ١٩.
(٢) الإسراء: ٢٦.
(٣) الشورى: ٢٣.
(٤) الضحى: ٥.
(٥) الإسراء: ٢٨.
(٦) المجادلة: ١٠.
(٧) المزل: ٩.
(٨) آل عمران: ١٩١.
(٩) البقرة: ٢٦١.
(١٠) التوبة: ٣٦.

الآية الثانية عشر: (وما خلق الذكر والأنثى) (١).
الآية الثالثة عشر: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة) وسيأتي تفسيرها إن شاء الله (٢).
الآية الرابعة عشر: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (٣).
الآية الخامسة عشر: (لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا) (٤).
الآية السادسة عشر: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (٥) وسيأتي بيانها في خصيصة الشفاعة إن شاء الله تعالى.
الآية السابعة عشر: (فتلقى آدم من ربه كلمات) (٦)... إلى آخرها وسيأتي تفسيرها في باب التوسل.
الآية الثامنة عشر: (يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) (٧).
وقد مر بيان الآية الشريفة في الكلام عن معنى «المنصورة»، وسيأتي في الحديث عن أحوال القيامة إن شاء الله تعالى.
الآية التاسعة عشر: (وإنها لإحدى الكبر) (٨).

-
- (١) الليل: ٣.
(٢) الأحزاب: ٥٧.
(٣) الحشر: ٩.
(٤) الإنسان: ١٣.
(٥) الفرقان: ٧٤.
(٦) البقرة: ٣٧.
(٧) الروم: ٥.
(٨) المدثر: ٣٥.

الآية العشرون: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) (١) إلى آخرها.
الآية الحادية والعشرون: (ليلة القدر خير من ألف شهر) (٢).
الآية الثانية والعشرون: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) (٣) مر بيانها إجمالاً في هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
الآية الثالثة والعشرون: (إن الأبرار يشربون) (٤) في سورة هل أتى، نزلت هي وسبع عشر آية أخرى في شأن فاطمة (عليها السلام) خاصة، وأربعة آيات منها بالاشتراك؛ وسيأتي بيان قوله تعالى (ويطعمون الطعام) في باب إنفاق الخمسة (عليهم السلام) وزهدهم إن شاء الله تعالى.
الآية الرابعة والعشرون: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً...) (٥) إلى آخرها، وسيأتي ذكرها في باب ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) إن شاء الله تعالى.
الآية الخامسة والعشرون: (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم) (٦).
الآية السادسة والعشرون: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) (٧) وسيأتي بيانها في باب إيمان فاطمة (عليها السلام).

(١) الدخان: ٣.

(٢) القدر: ٣.

(٣) آل عمران: ١٩٥.

(٤) الإنسان: ٥.

(٥) الأحقاف: ١٥.

(٦) البقرة: ١٣٦. وفي سورة آل عمران: ٨٤ قال تعالى: (آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم).

(٧) البقرة: ١٣٧.

الآية السابعة والعشرون: آية المباهلة التي نزلت فيها وفي أصحاب الكساء، وهي قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) (١) الخ.
الآية الثامنة والعشرون: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٢) وسيأتي بيانها في الكلام عن «الأقارب».
الآية التاسعة والعشرون: (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) (٣)، وسيأتي بيانها في باب دخول الجنة.
الآية الثلاثون: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٤).
الآية إحدى وثلاثون: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل... (٥).
الآية الثانية والثلاثون: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) (٦).
الآية الثالثة والثلاثون: (واذكروا الله ذكرا كثيرا) (٧) وسيأتي بيانها في تسبيحات فاطمة الزهراء (عليها السلام).
الآية الرابعة والثلاثون: (إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى... (٨) إلى آخرها.

-
- (١) آل عمران: ٦١.
 - (٢) الشورى: ٢٣.
 - (٣) فاطر: ٣٤.
 - (٤) الأحزاب: ٣٣.
 - (٥) طه: ١١٥.
 - (٦) النور: ٦٣.
 - (٧) الأحزاب: ٤١.
 - (٨) الليل: ٤ و ٥.

الآية الخامسة والثلاثون: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) (١) وسيأتي بيانها.

الآية السادسة والثلاثون: (إن الله اصطفاك وطهرك...) (٢) إلى آخرها، وهي مأولة في فاطمة الزهراء (عليها السلام).
الآية السابعة والثلاثون: آية النور التي نزلت فيها وفي أصحاب الكساء على ما هو المذكور (٣).

الآية الثامنة والثلاثون: (طوبى لهم وحسن مآب) (٤).
الآية التاسعة والثلاثون: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (٥).
الآية الأربعون: في كنز الفوائد: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) (٦).

الآية إحدى والأربعون: نزلت في الحجة: (إن كتاب الأبرار لفي عليين)*
وما أدراك ما عليون) (٧).
الآية الثانية والأربعون: (إخوانا على سرر متقابلين) (٨)؛ في العوالم نزلت في

-
- (١) الطور: ٢١.
(٢) آل عمران: ٤٢.
(٣) النور: ٣٥.
(٤) الرعد: ٢٩.
(٥) النور: ٣٧.
(٦) المجادلة: ١.
(٧) المطففين: ١٨ - ١٩.
(٨) الحجر: ٤٧.

حق فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وعقيل وجعفر (١).
 الآية الثالثة والأربعون: (لئن أشركت ليحبطن عملك) (٢)، في البحار نزلت
 هذه الآية فيها (٣).
 الآية الرابعة والأربعون: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٤).
 الآية الخامسة والأربعون: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له
 عزما) (٥).
 الآية السادسة والأربعون: (مناع للخير معتد أثيم) (٦) عن علي بن
 إبراهيم: نزلت فيمن غصب حقها.
 الآية السابعة والأربعون: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (٧).
 الآية الثامنة والأربعون: (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) (٨)
 في معاني الأخبار عن الباقر (عليه السلام): «نزلت هذه الآية في النبي (صلى الله عليه
 وآله وسلم) والوصي وفاطمة
 وأولادها» (٩).

-
- (١) قال في العوالم ١١ / ١٦٥: مجمع الزوائد [٩ / ١٧٣] بإسناده عن أبي هريرة: إن علي بن أبي طالب
 قال:
 يا رسول الله أيما أحب إليك: أنا أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز علي منها؛ فكأنني بك
 وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإن عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء؛ إني وأنت والحسن
 والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة (إخوانا على سرر متقابلين). [الحجر: ٤٧]
- (٢) الزمر: ٦٥.
 (٣) البحار ٤٣ / ٤٣، العوالم ١١ / ٩٧، المناقب ٣ / ١٠٦، نور الثقلين ٤ / ٤٩٧ ح ١٠٢، صحيح
 الدارقطني:
 (٤) الأنبياء: ٢٢.
 (٥) طه: ١١٥.
 (٦) القلم: ١٢.
 (٧) الشعراء: ٢٢٧.
 (٨) إبراهيم: ٢٤.
 (٩) البحار ١٦ / ٣٦٣ ح ٦٥ باب ١١.

الآية التاسعة والأربعون: في الكافي عن الباقر (عليه السلام): إن هذه الآية أنزلها جبرئيل هكذا وهي (إن الذين كفروا وظلموا) آل محمد حقهم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم) (١).

الآية الخمسون: (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا) (٢)، في التفسير أن هذه الآية نزلت في الخمسة الطاهرة بالاشتراك. هذا فهرس للآيات النازلة المؤولة في حقها بالانفراد أو بالاشتراك، وسيأتي بيان كل واحدة في مقامها المناسب إن شاء الله تعالى.

ولا شك أن القرآن الحميد وكلام الله المجيد هو أساس الإسلام ومدرك الإيمان، وأن هذا الأمر السماوي والسجل السبحاني ذو البنيان المشيد والأساس الممهد في جميع مراتبه، وحبل الله الممدود كان ولا يزال في كافة عوالم الغيب والشهود والحجة القاطعة والرحمة الربانية الواسعة، وأن في كلمات خلاق السماوات والأرض أسراراً كامنة وبيانات واضحة خاطب بها أخص عباده المقربين، شاء الله أن يفهم علوم الأولين والآخرين من خلال كلامه البليغ هذا، ويكشف بالعبادات الموجزة طريق التكليف والأحكام، ويشير السبيل على العباد، فهدانا إلى هذه الأسرة، ودلنا على أهل بيت النبوة الذين أنزل عليهم الكتاب المبارك وخاطبهم بالكلام الكريم، وكشف لهم حقائق الآيات الشريفة لتهدى بكلامهم إلى قراءة ظواهر القرآن ومعرفة بواطنه.

(١) النساء: ١٦٨.

(٢) يونس: ٦٤.

هم آل بيت النبوة، ومختلف الملائكة، ومعدن الوحي، ومنبع الرحمة، وبيوتهم أرفع البيوت، وأعلى بقعة واقعة في العوالم الإمكانية، بمدلول قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) (١).

وأهل ذلك البيت أركان الإمكان والسبب الكلي والعلة الغائية في إيجاد نوع الإنسان «ولهم كرائم القرآن ومحاسنه، وهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» بهم تعرف معالم القرآن ومعارفه، وهم طريق معرفته، وخاصة هذا البيت وخلاصته وأسه وأصله زبدة الأخيار وقدوة الأبطال، ومن علمهم راسخ بالحقائق القرآنية والدقائق الربانية، صدف العصمة للأنوار المطهرة الأحد عشر، الجوهرة اليتيمة فاطمة الطاهرة سلام الله عليها؛ الفريدة في الأوصاف الكمالية، ومظهر الصفات الإلهية، ومصدر الآيات الربوبية، ومشكاة أنوار النبوة، ومرآة أسرار الولاية، الكلمة الجامعة الربانية، والصحيفة الصحيحة الرحمانية، الوجود المقدس، فهي فضلا عن أصالتها وعصمتها الذاتية تنتهي وتنتمي إليها الدوائر الإمكانية من الأعيان الثابتة، فذات آية الله العظمى المقدسة متينة تتفرع عند أصالتها الذاتية وشرافتها الأصلية فروع عديدة تشيد وتسدد أركان الدين بتلك الفروع، وذلك الأصل وذلك النور متحد دائما بحقيقة النبوة، ومتصل أبدا بباطن الولاية، تسايرها في جميع المراحل والمنازل وتطلع على العلوم اللدنية، أجمع على صدق هذه الدعوى الغريب والقريب، والعدو والصديق، والمخالف والمؤلف، يعني أن صحيفة حقيقة العصمة الكبرى تشكل الثلث الأتم والجزء الأقوم للمصحف الشريف والكتاب المنيف. ومعرفة تلك الطاهرة المطهرة من المكملات والمتممات

(١) النور: ٣٦.

للإقرار والإذعان بنبوة سيد المرسلين والولاية الكبرى لأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة

المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذا ما يستفاد من الرواية «نزل القرآن أثلاثا: ثلث فينا...» (١) وهم نور واحد، لا تغاير ولا تباين بين تلك الأنوار الطيبة.

وقالوا أيضا: «نحن القصص والأحكام»، ومعلوم أن أكثر القرآن أحكام وقصص.

وكذا هي معرفة بعلمها وخلافته بلا فصل من متمامات النبوة، يعني أن الإقرار بالنبوة دون الإقرار بالخلافة المتصلة إقرار عقيم لا ثمرة فيه، وهباء منشور لا فائدة فيه، وكون علي مع القرآن والقرآن مع علي مما وردت به الرواية المعتبرة، فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: علي مع القرآن

والقرآن معه، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة (٢).

وأیضا عن شهر بن حوشب، قال: كنت عند أم سلمة رضي الله عنها فسلم رجل، فقيل: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر. قالت: مرحبا بأبي ثابت ادخل، فدخل فرحبت به، وقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: مع علي بن أبي طالب. قالت: وفقت، والذي نفس أم سلمة بيده لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (٣)... إلى آخر الحديث.

(١) البحار ٩٢ / ١١٤ ح ٢ باب ١٢.

(٢) البحار ٣٨ / ٣٨ ح ١٤ باب ٥٧.

(٣) البحار ٢٢ / ٢٢٢ ح ٢ باب ٣؛ و ٣٢ / ٢٠٦ ح ١٦١ باب ٣.

ولا أدري أي فضيلة تبقى مع هذه الفضيلة يستوجب بها الشخص التقديم في الخلافة؟ أو تقتضي ترجيح الغير، إلا أن يكون صرف المكابرة ومجانبة الإنصاف، ومن كابر وجانب الإنصاف فليس لنا معه كلام «لأن من جنح إلى الهوى وتورط في العمى وتبع كل ناعق لا يهتدي إلى الصواب، ولا يفرق بين مسألة وجواب، وهو يخبط خبط العشواء ويهوي على أم رأسه في غياهب الظلماء، ولا يقبل دليلاً ولا يسلك سبيلاً، ضال تابع وجاهل مقلد، فلا طمع في هدايته ولا رغبة ورجاء في انقاذه من غوايته، وإنما الخطاب لذوي العلم والعقل والإنصاف والديانة وأهل الفهم الذين عضدهم الله بمعاونة التوفيق، وهداهم إلى سواء الطريق، فهم الذين يستخرجون الغوامض من العلوم بالفكر الدقيق، ويتأملون أسرار الولاية وينظرون إلى الحق من ستر دقيق».

أجل؛ فهم بيان القرآن، وعالم الأسرار، فضلاً عن أنهم عدل القرآن وشركاؤه، وكم هو ذا الفرقان وكتاب الرحمن صريح في مضامينه، ومشعر ببركتهم وعلو شأنهم، ومن المسلم أن فاطمة الطاهرة داخلية في عنوان «الراسخين في العلم» تعلم المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ كما أنزل، وكيف يمكن أن يكون كتاب ينطوي على مدح وتعظيم وبيان لشأن شخص في أكثر مواضعه، ثم لا يعلم ذلك الشخص بما فيه ولا يعرفه، أو أن يوجد من هو أعرف به منه؟؟! إلا أن ينكر أن تكون بضعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يعتقد أنها من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منها.

ويكشف لك هذا المقال ما ستسمعه الآن من مثال:

للكعبة أربعة أركان، وكذلك لمعاني القرآن وبطونه وأسراره ورموزه حقائقه ودقائقه أربعة أركان: الرسول الأكرم وأمير المؤمنين والصديقة الطاهرة

والأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين، فمن أراد الوصول إلى كعبة المراد
وحقيقة الإيمان فعليه بطريق الولاية للعصمة الكبرى، والتوسل بهدايات
ودلالات فاطمة الزهراء، فلو أنه عبد عبادة الجن والإنس ولم يوال تلك المخدرة
ويسلك سبيل طاعتها، لسلك - البتة - وادي برهوت وسارع إلى عقبات الهاوية؛
وذلك أننا بينا سابقاً أن حقيقة الجنة والنار مخلوقة من الإطاعة والمعصية والحب
والبغض لفاطمة (عليها السلام)، بل إنك إذا أمعنت النظر في أكثر معاني القرآن وجدتها
أوصاف فاطمة (عليها السلام)، فتلك المستورة الكبرى والمرأة الكاملة كانت في أعلى
وأتم

درجة من درجات العبودية والكمال، وكل صفة من الصفات الممدوحة التي
سجلت في القرآن لكل واحد من العباد الصالحين والمقربين، ولكل نبي من الأنبياء
والمرسلين كانت في تلك المخدرة بمستوى عين الكمال، وكانت هي مجموعة جامعة
لتلك الصفات العديمة المثال، ولذا فإن ثلث القرآن بل أكثر جاء في مدح فاطمة
والثناء عليها، بل إن بعض الشؤون والمزايا التي وردت في القرآن لبعض
المصطفين المقربين كنزول المائدة على مريم، قال تعالى: (فتقبلها ربها بقبول حسن
وأنبثها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً
قال

يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) (١)
ونظائر ذلك أعطاه الله لموليات فاطمة وخدام الصديقة الطاهرة كما في كتاب
بصائر الدرجات وكتاب ذريعة النجاح، من أن أم أيمن كانت امرأة صالحة وعفيفة
وهي خادمة سيدة القيامة وكوكب برج الرسالة، فلما ماتت فاطمة (عليها السلام)
خرجت
من المدينة فأصابها الحر والظمأ، فدعت الله فنزل عليها دلو من السماء فيه ماء،

(١) آل عمران: ٣٧.

وقد مر تفصيل الخبر في الخبيصة الثانية والعشرين.
أجل؛ إن بعض عبارات القرآن مدح وثناء لتلك السيدة وبيان لمحاسنها
وكشف عن أوصافها، ولا يمكن أن يكون الوصف - من حيث هو وصف - أشرف
من الموصوف، ولا شك أن تلك المخدرة أشرف من الكعبة بمراتب، بل إن المؤمن
والمصدق بها أشرف من الكعبة عقلا ونقلا، فكيف بها وهي حقيقة الإيمان التي
لازمت واعتصمت دائما بحقيقة النبوة والولاية، وعرفت ظاهر القرآن وباطنه
ومحكمه ومتشابهه، وهي أحد أركان القرآن، ولا يمكن الإعراض عنها والتمسك
بالأركان الأخرى، ولو فعل لكان معرضا قهرا عن سائر الأركان، وموليا ظهره
للظاهر والباطن من القرآن، وكل أعماله لا تزن قشة ولا ورقة تسقط من شجرة،
سيكون بعيدا عن فهم معاني القرآن مقلوب الإيمان وفساد الجنان.
لا والله: إن من لا يعتقد بعصمة فاطمة الطاهرة وأشرفيتها على كافة نساء
العالمين لا إيمان له، كما أن من لا يقر بولاية بعلمها أمير المؤمنين وأفضليته على
العالمين بعد النبي الأمين لا إيمان له.
أجل؛ أنظر إلى هؤلاء النسوة المعدودات اللواتي مدحهن الله في كتابه، فأبي
واحدة منهن لا تفضلها فاطمة؟! وأي فضيلة كانت فيهن ولم يكن في شبيعة يوم
الجزاء على النحو الأتم والأكمل؟! أيم الله لو لم تكن فاطمة لما خلقن...
وهذا هو المذهب الحق، إن كل الصفات الممدوحة التي ذكرها القرآن
موجودة في تلك الذات الشريفة المقدسة، وإن كل الملكات المحمودة والصفات
الممدوحة التي ظهرت في جميع النساء برزت فيها بشكل أكمل وأشمل «وكل ما
للصالحين جميعا جمع فيك وحدك».

وأى امرأة من نساء الدنيا ممن وصفت في القرآن الكريم كان لها هذا الشأن بحيث تكون الحصى لها طعاما مطبوخا لذيذا؟! وهي مع كل تلك القدرة تصبر على الشدائد والنوائب والجوع.

روى في كتاب الأربعين: اشتد بالحسنين الجوع وأخذ منهما مأخذا (١) وبعد مرور ثلاثة أيام طلبوا من أمهم - ناموس الله الأكبر - شيئا يأكله وليس في بيت فاطمة (عليها السلام) من شيء، فكانت المنحدرة الكبرى تسليها في كل مرة وتقول: سيأتي

جدكما ويحمل لكما شيئا، فيذهبان ويعودان مرة أخرى ويكيان، فتصدع قلب فاطمة لضعفهما وجرت الدموع من عينيها، قامت إلى جفنة وجمعت فيها الحصى وصبت فيها الماء وأشعلت النار تحتها لتشغلها حتى يغلي الماء، وقالت: يا ريحانتي رسول الله ويا روح أمكما، صنعت لكما طعاما إصبرا حتى ينضج ما في القدر، فكانا يخرجان ساعة ويعودان ويقولان: يا أماه أحضري لنا الطعام إن نضج، وتعللها فاطمة الطاهرة وتصبرهما وتقول: الآن وضعت على النار، إصبرا ساعة حتى ينضج، فقام الحسن (عليه السلام) إلى القدر ورفع عنه الغطاء، وقال: يا أماه أحضري لنا

شيئا منه إن كان ناضجا أو بعد لم ينضج، فأخذت فاطمة صحيفة وعمدت إلى القدر وهي تقول: العجب إن كان هذا الطعام ناضجا. فلما رفعت غطاء القدر وإذا فيه طعام فاح قتاره، فاغترفت منه وقدمته لهما فأخذا يأكلان، فقامت فاطمة (عليها السلام) وجددت وضوءها ووقفت تصلي ركعتين شكرا لله، وكانت كلما وقعت فاطمة

(١) ليت الموت أعدمني الحياة فأنا أكتب شيئا وأنت تقرأ شيئا ثم لا تدري أي مقام هذا؟ ولو تأمله الإنسان لذهل عقله وطار لبه، حيث تمر ثلاثة أيام على علل خلق الأملاك والأفلاك ولا تنال أيديهم قطعة من الخبز اليابس ثم لا يتوانون ولا يكسلون في عبادتهم!! أي مقام وإعجاز أكبر من هذا؟! (من المتن)

الظاهرة في شدة جمعت من ذلك الحصى ووضعت في القدر، فكانت تصنع منه طعاما لذيذا تقدمه لولديها.
فلما سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الخبر قال: الحمد لله الذي جعل لفاطمة ما جعل لذرية الأنبياء.

أقول: لعل عبارة الحديث: «يا فاطمة جعل الله لك خيرا مما جعل لذرية الأنبياء» فإني لم أجد قط أن السابقين وضعوا الحصى في القدر فصار طعاما لذيذا وغذاء لطيفا؛ نعم حدثت معجزات من هذا القبيل للأنبياء، ولكن لم أر فيها مثل هذه الخصوصيات بل إن هذه الخصوصيات كرامة خاصة بفاطمة صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها، فكم لها من الآثار والأخبار والمناقب التي لا تستر ويستتر وجه النهار، والسيرة التي هي عنوان السير والمفاخر التي يتعلم منها من فخر، وأي فخر يقابل فخرها وقد قرن الله تعالى رضاه بحبها وسخطه بغضبها، ونعم ما قيل:

محاسن من مجد متى يقرنوا بها * محاسن أقوام تعد كالمعائب
وكانت (عليها السلام) موصوفة بركة القلب، وهموع الطرف، وإسكاب الدمع، وأوقاتها مستغرقة بمشاغل البيت والعبادة، وهي تخدم في بيتها مع أنها أحب الخلق إلى رسول الله، وأي حسنة ومزية تعدل حب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ورد في التفسير في

قوله تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) (١). عن أبي هريرة قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): «يا رسول الله! أينا أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز علي منها، وكأني بك وأنت

(١) الحجر: ٤٧.

على حوضي تذود عنه الناس، وأن عليه الأباريق مثل عدد النجوم، وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخوانا على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إخوانا على سرر متقابلين) لا ينظر أحدهم في ققاء صاحبه» (١).

وهذه الرواية من طرق العامة، وإنما ذكرت هذه الرواية من طرقهم دفعا للمكابرة واستثناء بما نقلوه من مناقبها، ونعم ما قيل: مآثر صافحت شهب النجوم علا * مشيدة قد سمت قدرا على زحل ووالله لو أقسم قسما برا أن بنتا يكون محمد أباهما وخديجة أمها وعلي زوجها لجديرة أن تطوي السماء علاء وشرفا والأملأك سلفا وذاتا وخلفا، والذي نذكره من صفاتها دون مقدارها، واللسان قصير وطرف البلاغة حسير، ولهذا يرجع عن بث صفاتها كالا، ومن النظر إلى مدايحها كليلا مقرا بالقصور، لأن قوى الإنسان لها مقادير تنتهي إليها، وحدود تقف عندها، وغايات لا تتعدها: يفنى الزمان ولا يحيط بوصفهم * أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

تأمل؛ أنظر إلى هذه الفانية في رضا الله وهذه الصديقة والشفيعة يوم الجزاء كيف تتعامل مع أولادها وتغضي عنهم حينما تكون في مقام الطاعة والعبودية، مع ما أوتيت من القوة البشرية، ومع كل حبها لهم بحيث تخرج سبعين مرة إلى باب البيت حينما خرج الحسين يوما وتأخر ساعة، وإن كان حبها لهم - طلبا لرضا الله لأن حب محبوب الله حب لله، ولكنها كانت لعلقة الأمومة والبنوة أيضا، ومع هذه العلاقة تتجلد وترى أطفالها جياعا ثلاثة أيام وتصبر في الله كما روي في جامع

(١) شواهد التنزيل ١ / ٤١٣ - ٤١٤ ح ٤٣٦.

الأسرار قصة افتقادها الحسين (عليه السلام):
خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى غزوة من غزواته وكان أمير المؤمنين
(عليه السلام) كعادته

بصحبه، وكان الحسنان طفلان صغيران، فخرج الحسين إلى النخيل يدور فيها
ويتفرج عليها، فمر به يهودي اسمه صالح بن رقة، فرأى الحسين (عليه السلام) فأخذه
معه

إلى البيت وأخفاه هناك، فلما حان وقت صلاة المغرب افتقدته فاطمة الطاهرة فلم
تجده، فوجب قلبها عليه وكانت تخرج إلى باب الدار وتعود، حتى فعلت ذلك
سبعين مرة - كما في الرواية - لعلها تجد من ترسله في طلبه، وأخيرا توجهت إلى
الإمام الحسن (عليه السلام) وقالت: يا روح أمه قم واطلب أخاك فإن قلبي فرق على
فراق
أخيك.

فقام الحسن وخرج من المدينة إلى بساتين النخيل وأخذ يطوف فيها وهو
يصيح «يا حسين بن علي يا قرّة عين النبي أين أنت؟» فلم يسمع جوابا، وفجأة
رأى ظبيا فسأله الحسن (عليه السلام) «يا ظبي هل رأيت أخي حسيناً؟»، فأنطقه الله
فقال:

«أخذه صالح بن رقة اليهودي وأخفاه في بيته». من كان هذا الظبي؟ أكان ملكا أو
موجودا آخر؟ المهم أنه كان يعلم مكان الحسين (عليه السلام)، وما كان الحسن وأمه
يعلمان،

ولهذا حكم ومصالح لا يسعنا هنا بيانها، وكل في محله صحيح وله حكمة وعلّة ذات
فائدة.

جاء الإمام الحسن سلام الله عليه إلى بيت صالح فقال: يا صالح! أخي
الحسين في بيتك؛ أخرجني إلي وإلا دعت عليك أُمّي في السحر فلا يبقى يهودي على
وجه الأرض، ويهجم أبي بسيفه فلا يبقى أحدا من اليهود، وكذا إذا أطلق جدي
سهما من سهام دعائه من كنانة الإخلاص فإنه يصيب هدفه قاب قوسين ويفني

اليهود عن آخرهم. فلما سمع صالح كلام الحسن تعجب وقال: من أمك يا هذا؟
قال: أمي الزهراء، وروضة الصفوة، وواسطة قلادة العزة، ودرة صدف
العصمة والطهارة، وغرة وجه العلم والحكمة، أمي نقطة دائرة المفاخر، ولمعة
ناصية المحامد والمآثر، أمي نطفتها المباركة من تفاح الجنة، كتب في سجل عقد
زواجها عتق العصاة، أمي البتول العذراء فاطمة الزهراء.
قال صالح: فمن أبوك؟

قال: أسد الله، زين الرجال، من صلى على المصطفى للقبلتين وفدى سيد
الأبرار بنفسه ليلة الغار، أبي من امتدح جبرئيل فتوته وسماه ربه «علي»، السيد
الغالب، ومحور فلك المواهب، علي بن أبي طالب.
فقال صالح: عرفت أباك، فمن جدك؟

قال: هو در من صدف الخليل، ومن صلى في مكة صلاة الليل، وأدى السنة
في المسجد الأقصى، وقام بالوتر تحت العرش، ومسلم عليه الحق تعالى، ودعاه إلى
مقام قاب قوسين، جد السبطين الحسن والحسين.

فلما فرغ الحسن من كلامه فاضت من عيني صالح دموع الندم وانزاح عن
قلبه رين الكفر، وقال: يا سرور قلب المصطفى قبل أن أسلمك أخاك الحسين (عليه
السلام)

أعرض علي الإسلام، وعلمني أحكامه لأسلم وأكن من المطيعين. فعرض عليه
الحسن الإسلام وأسلم صالح مخلصا ودخل بيته وأخرج الحسين ووضع يده في يد
الحسن ونثر على رأسه طبقا من الذهب الأبريز، فأخذ الحسن بيد أخيه وعاد إلى
البيت، فهدأ قلب فاطمة المباركة وهو بمنزلة العرش الأعظم.
وفي اليوم التالي جاء صالح مع سبعين من قومه إلى بيت الزهراء فأسلموا

بأجمعهم وأظهروا الشهادتين ووضعوا وجوههم على الأعتاب المباركة التي تحرسها الملائكة، وتوسلوا إليها وصالح يقول: يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلت سوءا

وأذيت ولدك وأنا نادم على ما فعلت، فهل من توبة؟ فأرسلت إليه الصديقة الطاهرة: إني عفوت عنك، وإنه ابن علي المرتضى ولا بد أن تعتذر إليه. فانتظر صالح حتى رجع أمير المؤمنين من غزوته، فقص عليه الخبر فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يا صالح إني رضيت عنك وعفوت، ولكنه ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ونور عيني سيد أولاد آدم، فاذهب إليه واعتذر منه، فذهب صالح إلى النبي الأكرم وهو باكي العين وقال: يا سيد المرسلين ويا رحمة للعالمين، هذا صالح بين يديك وقد فعل سوءا وقصته كيت وكيت وقد أظهر الشهادتين والندم والتوبة واتباع الشريعة، فهل من توبة؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): عفوت عنك، ولكنه حبيب الله

والمصطفى عنده ولا بد أن يعفو عنك الله ويرضى عنك ليغفر لك، فخرج صالح إلى الصحراء وضح إلى الله بالعويل والبكاء والتضرع والاستغفار، وبقي على هذه الحال سبعة عشر يوما يطوف في البرية ويكي ويتهل ويعلو صراخه فوق الثريا، وفي اليوم الثامن عشر هبط الأمين جبرئيل من عند الملك الجليل وهو يقول: يا خاتم النبيين، السلام يقرؤك السلام ويقول: أدعو صالحا فإني قبلت توبته وغفرت ذنبه، فبشره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمغفرة وقبول التوبة.

فداء لهذه المنزلة والمقام العظيم القدر الذي أعطاه الله لهذه الأسرة، رجالا ونساء، ياله من مقام عظيم، وشأن خطير، ومنزلة جليلة، وهل يستطيع أحد أن يطمع في الزواج من هذه الأسرة مع مالها من جلال موهوب من رب العزة؟! مهما كان ذلك الشخص، ومهما تشبه بهم وادعى منزلتهم وغضب حقهم والتف حوله جماعة.

حق و باطل مثل هم خواهند بود * بلکه شیطان بر نبی خواهد فزود
شبه حق در کیش بد کی حق شود * گرچه از بوجهل کافر شق شود
کیش بدمغ را خداوندی نداد * آتش و خورشید را سودی نداد
قلب از گفتار سیم و زر نشد * زاغ از رفتار کبک اندر نشد
گر همه عالم ثنای بد کنند * یا که بدگوئی خوب از حد کنند
«اللهم اجعلنا من الذين اتبعوا فاطمة وأباها وبعلمها وابنيها، لأنهم سادات
أهل السماء والأرض، ولهم المزايا الطاهرة الفاخرة والأخلاق الشريفة الطاهرة،
وأقوالهم سديدة، وأفعالهم رشيدة، وسيرتهم حميدة وعهودهم في الله أكيدة، وزاد
الله في حسناتنا بحبهم والبراءة من أعدائهم إنه قريب مجيب».

الخصيصة الحادية والأربعون
في أن لفاطمة (عليها السلام) نصيبا في كل جزء وكل حرف من القرآن
وكذا الأنوار الخمسة

إعلم؛ إننا ذكرنا أن كل مدح ورد لممدوح في الكتاب الكريم فإن فاطمة
الصديقة الطاهرة شريكة في ذلك، ولها السهم الأوفى من ذلك الفيض والفضل
الخاص؛ وذلك أن كل مدح مذكور موجود في هؤلاء الخمسة وأوصيائهم ذاتيا،
وكل قدح ورد في القرآن الكريم فهو في حق مخالفهم ومن جحد ولايتهم وتنكر
لمحبتهم ولو كان في الأمم السابقة؛ لأن إطاعة الله التي توصل إلى السعادة الأبدية في
قبول ولايتهم ومحبتهم، وعصيان الله الذي يوصل إلى الشقاوة السرمدية في
غضبهم وسخطهم، فالذي عصى الله في زمن موسى (عليه السلام) فهو ليس ولي
ومحب

لهؤلاء ومخالفهم وفي زمرة أعدائهم، ولو مات قبل توبته فهو مسخوط عليه
ومغضوب عليهم من قبلهم فضلا عن أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وملة
القرآن،

وسأضرب لك مثلا في هذا المقام يوضح المراد:

لو فرضنا القرآن الكريم إنسانا كاملا جامعا من الجهة الروحانية - وطبيعي
أنك تعرف معنى الإنسان الكامل - فإن كل واحد من الأنوار الخمسة بمنزلة جزء
من أجزاء القرآن؛ فالرسول الأكرم هو العقل المجرد، وأمير المؤمنين (عليه السلام)
الروح

المؤيد، والصديقة الطاهرة هي النفس القدسية، والإمام الحسن بمنزلة الكبد من حيث كون الكبد يقسم الغذاء على القوى، والإمام الحسين كالقلب يفيض الحياة بواسطة النفس وتعود إليه التديرات البدنية، ومنه تفاض الحياة إلى الأعضاء وشجرة النخاع ووعاء الذاكرة والحافظة والعاقلة والحس المشترك، والقلب يحتاج إلى الكبد في التغذي وتديرات النفس، وتوجهات الروح تحتاج إلى العقل المجرد، وهو آية من آيات عالم الملكوت الأعلى والجبروت الأقصى، والعقل المجرد محتاج غاية الاحتياج ومتوجه كمال التوجه إلى ذلك العالم، وهو واسطة الفيوضات الكاملة من مبدأ المبادئ إلى ما دونه من الروحانيات، من قبيل الملك والجسمانيات كالبشر، فكما أن جزء جزء من الوجود الإنساني - مثلا - يجري فيه الفيض الرحماني بواسطة هذه الوسائل المدبرة والوسائط المرتبة، ولكل واحدة منها مدخلية تامة، وبدونها يبقى هيكل الإنسان مهملا معطلا، فكذلك هي الصديقة الطاهرة لها نصيب وسهم في كل جزء جزء من الآيات القرآنية. وهذا البيان مثل أردت به تقريب المراد إلى الذهن، فلا بد أن تمعن النظر فيه جيدا.

وهذا هو تحقيق قوله «نحن القصص والأحكام»، فمن قصص القرآن - مثلا - حكاية مائدة بني إسرائيل، وقد أرسل الله تعالى مائدة من أتم وأكمل الموائد بدعاء السيدة فاطمة (عليها السلام) كما في الرواية:
... فوثب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى ورد إلى حجرة فاطمة، ففرع الباب فلما أن فتحت له الباب نظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى صفار وجهها وتغير حدقتها، فقال لها: يا بنية ما الذي أراه من صفار وجهك وتغير حدقتك؟ - أف لك يا دنيا - فقالت: يا أبة إن لنا ثلاثا

ما طعمنا طعاما، إن الحسن والحسين قد اضطربا علي من شدة الجوع، ثم رقدا كأنهما فرخان منتوفان. فأنبههما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذ واحدا علي فخذه الأيمن والآخر علي فخذه الأيسر وأجلس فاطمة بين يديه واعتنقها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودخل علي بن أبي طالب فاعتنق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ورائه، ثم رفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طرفه نحو السماء فقال: إلهي وسيدي ومولاي، هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ثم وثبت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى دخلت إلى مخدع لها، فصفت قدميها فصلت ركعتين ثم رفعت باطن كفيها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي، هذا محمد نبيك، وهذا علي ابن عم نبيك، وهذا الحسن والحسين سبطا نبيك، إلهي أنزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل أكلوا منها وكفروا بها، اللهم أنزلها علينا فإننا بها مؤمنون.

[قال ابن عباس: والله] ما استتمت الدعوة فإذا هي بصحفة من ورائها يفور قنارها، وإذا قنارها أزكى من المسك الأذفر، فاحتضنتها ثم أتت بها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

[وعلي والحسن والحسين]، فلما نظر إليها علي قال لها: يا فاطمة من أين لك هذا؟... فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): كل يا أبا الحسن ولا تسأل، الحمد لله الذي لم يمتني حتى رزقني ولدا مثلها مثل مريم بنت عمران (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) (١).

(١) آل عمران: ٣٧.

فأكل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

والكرامات من هذا القبيل كثيرة جدا ذكرنا طرفا منها سابقا. ولا يظن قاصر الطرف جاهل أن عدم ذكر اسم الصديقة المباركة صراحة في القرآن والتصريح باسم مريم مرارا دليل على أشرفيتها على فاطمة (عليها السلام)، فقد

أجبنا على ذلك بجهات عديدة في الخصيصة التاسعة عشر، ونضيف أن تكرر اسم مريم لا يكون دليلا على أشرفيتها، وعدم ذكر الاسم أو قلة ذكره أيضا لا يستلزم عدم الأشرفية، فإن الله لم يذكر اسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من مرة واحدة (٢) ونقل في

مورد آخر عن التوراة اسم «أحمد»، مع أن عيسى (عليه السلام) لم يبلغ مقام القرب إلا بمحبته

للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل لولا وجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخلق عيسى (عليه السلام)، وهذا شاهد على المراد؛ فلو كان ذكر الاسم دليلا على الأشرفية، للزم أن يذكر اسم النبي في ألف موضع بل أكثر.

وفي «روح البيان» نسب النبوة إلى مريم، وذهب إلى ذلك جماعة من المسلمين ولكن قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) (٣) ينافي القول بنبوة النساء، وأجيب بأن الآية صرحت باختصاص «الرسول» بالرجال، فلا ينافي ثبوت النبوة بلا رسالة للنساء، وسيأتي الجواب على ذلك في خصيصة مستقلة (٤).

(١) البحار ٤٣ / ٧٣ ح ٦١ باب ٣، العوالم ١١ / ٢٠٦ ح ١٤ باب ٦ عن الخرائج.
(٢) لقد تكرر اسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عدة آيات قرآنية: فقد ورد بلفظ «محمد» في آل عمران / ١٤٤، والأحزاب / ٤٠، والفتح / ٢٩، ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) / ٢؛ وورد بلفظ «طه» في طه / ١؛ ولفظ «يس» في

يس / ١؛ ولفظ «أحمد» في الصف / ٦.

(٣) يوسف: ١٠٩، والنحل: ٤٣، والأنبياء: ٧.

(٤) سأجيب - أنا الحقير - على هذا الإشكال في خصيصة مستقلة أتحدث فيها عن أشرفية الزهراء على الأنبياء، وقد مر ذكر الأخبار المعتبرة في تساوي تلك المخدرة مع الأنبياء العظام في الخصيصة العاشرة، وسأعالج الأخبار المتعلقة بهذا الإشكال بتوفيق الله تعالى. (من المتن)

وأيم الله إن مريم خلقت من قبسة من قبسات وجود الزهراء (عليها السلام). أنشدك
بالله أي خبر يروي لنا أن رضوان خازن الجنان أعد - بأمر الله ثياب العيد لأولاد
مريم كما فعل مع أولاد فاطمة (عليها السلام)؟!
ففي أمالي الشيخ المفيد - أعلى الله مقامه - من ثامن الأئمة (عليهم السلام) قال: عرى
الحسن والحسين (عليهما السلام) وقد أدركهما العيد، فقالا لأمهاتهما فاطمة (عليها
السلام): يا أماه قد تزين
صبيان العرب، فمالك لا تزينينا بشيء من الثياب؟! فقالت لهما: يا قرّة عيني إن
ثيابكما عند خياط القدرة، فإذا خاطهما وأتاني بهما زينتكما بها يوم العيد - تريد
بذلك تطيب قلبيهما - فلما كان ليلة العيد أعادا القول على أمهاتهما وقالوا: يا أماه الليلة
ليلة العيد، فبكت فاطمة رحمة لهما وقالت: يا قرّة عيني طيبا نفسا، إذا أتاني الخياط
زينتكما إن شاء الله تعالى.
ثم توجهت إلى قاضي الحاجات ورفعت يديها بالدعاء خاشعة خاضعة،
وقالت: إلهي وسيدي أنت قادر أن تدخل السرور على ولدي وتطيب نفسيهما بما
شاء، وقد وعدتهما آملة فضلك.
فما استتمت كلامها فإذا قرع الباب قارع، فقالت فاطمة: من هذا؟ فنادها:
يا بنت رسول الله افتحي الباب أنا الخياط قد جئت بثياب الحسن والحسين،
فقامت فاطمة ففتحت الباب فإذا هو رجل.. فناولها منديلا مشدودا ثم انصرف
لشأنه، فدخلت فاطمة وفتحت المنديل فإذا فيه قميصان ودراعتان وسروالان
وورداءان وعمامتان وخفان، فسرت فاطمة بذلك سرورا عظيما، فلما استيقظ

الحسنان ألبستهما وزينتهما، فسرا بذلك سرورا عظيما وقالوا: يا أماه لم ير صبيان العرب ثيابا فاخرة لطيفة كهذه الثياب، فدخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها فقبلهما وحملهما

على كتفه ومشى بهما إلى أمهما، ثم قال: يا فاطمة رأيت الخياط الذي أعطاك الثياب؟ هل تعرفينه؟ قالت: لا والله لست أعرفه...

فقال: يا فاطمة ليس هو خياط، وإنما هو رضوان خازن الجنان. قالت فاطمة: فمن أخبرك يا رسول الله؟ قال: ما عرج حتى جاءني وأخبرني بذلك (١). لم تكن فاطمة الزهراء (عليها السلام) نبية بمفاد الحديث النبوي «لا نبي بعدي»، إلا أنها

سيدة نساء الأولين والآخرين وأفضلهن، وعقيلة الرسالة وحليمة الولاية، وسيدة حرائر أبناء آدم، وتلقبها بلقب «الحرّة» دليل إكرامها وتعظيمها، وهي المستورة الكبرى، وهذا اللقب هو سر اسمها المبارك، وزهدا وعبادتها دليل واضح على سيادتها على عامة نساء العالمين، وفي الحديث (٢) الذي رواه المجلسي في البحار: إن

الله تعالى قال في حق فاطمة «فاطمة سيدة إمائي» وخاطبها أمير المؤمنين (عليه السلام)

ب «أيتها الحرّة» (٣) أي حريتها وخلوصها في العبادة والعمل، ونزاهتها عن الأدناس والميولات والعلائق الدنيوية، وهذا بنفسه دليل على أشرفيتها وشدة عفتها واهتمامها بالحجاب وحياءها الفطري وحجابها وسترها. وعدم التصريح باسمها المبارك في القرآن من قبيل خفاء المعنى في اللفظ، والسر المكنون في الكلام الملفوظ، واختفاء الاسم الأعظم في الأسماء الحسنی،

(١) البحار ٤٣ / ٢٨٩ ح ٥٢ باب ١٢، العوالم ١١ / ٢٠٠ ح ٢ باب ٥، مدينة المعاجز ٣ / ٣٢٣ ح ٧٢

الرابع

والستون.

(٢) وقد مر ذكره في عبادتها. (من المتن)

(٣) كما مر في شرح هذا اللقب. (من المتن)

وليلة القدر في سائر الليالي، والصلاة الوسطى في باقي الصلوات، وساعة الاستجابة في الساعات، والأولياء الكاملين في سائر الخلق، والأعمال المقبولة في الطاعات، وحقيقة العصمة تلك مظهر للإسم الستار في الأسماء. والعقل حاكم باستحسان احتجاب اسم النساء واستتاره، وحسن تستر اسمها مثل حسن تستر مسماها، لأن كل ما يتعلق بالنساء يحسن استتاره واختفاؤه. قالت (عليها السلام): خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال. وهذا حكم جامع

لكل نساء العالم، لو عمل به الجميع لفاضوا وسعدوا. بديهي أن فاطمة الطاهرة عيبة العلوم ومخزنها، وخزينة الأسرار ومستودع دقائق الأحكام الإلهية، وكل خير خلقه الله فهو متطفل في وجوده على وجود تلك المخدرة ووجود أبيها وبعلمها وبنيتها؛ فإنك تراهم مغلوبين في بعض الأمور وفق الحسابات الدنيوية، أو أنهم لا مال لهم أو لهم مال قليل، فإن هذا بنفسه دليل واضح على أفضليتهم وأشرفيتهم على كافة من في العالم، وذلك لأن مبغوض المولى لا يكون محبوبا عند الولي أبدا، فحب الدنيا وحطامها - عند الله جل وعلا رأس كل خطيئة، فكيف لا يعرض هؤلاء المقربون عنها، وكيف يطلبونها ويرغبون فيها؟! وقد قدر الله لهم الحياة والغنى الأبدي فاكتفوا بالحد الأدنى الذي يكفل لهم البقاء في هذه الحياة الدنيا - بحيث يعجز الغير عن أن يعيش بمثله - ثم أعرضوا عن الباقي. ناشدتك بالإنصاف أن تحكم، هل كان عيشهم غير ما ذكرت؟ وهي ابنة من كان ملوك العجم مثل كسرى وصناديد العرب مثل ملوك بني لخم والغسانيين وبني النعمان وغيرهم يحسبون له ألف حساب خوفا من زوال ملكهم بيديه ثم تبقى ابنته بعد الزواج جائعة ثلاثة أيام ثم ثلاثة ويكون جهازها مخدة حشوها ليف

لأنهم يرون الصوف والقطن لفراشهم من الترف (١) والحال أن الله خلق كل زينة لفاطمة:

روى في كتاب السنن الجامع لسيف الطوسي (رحمه الله):
إن منافقا لام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته لفاطمة الزهراء (عليها السلام)،
وقال له: يا

علي أنت معدن الفضل والأدب، ولو سئلت من أشجع العرب لما عدوتك، ثم
تخطب امرأة لا تملك عشاء ليلتها، ولو أنك خطبت ابنتي لجهزتك بالإبل قطارا من
بيتي إلى بيتك. فقال (عليه السلام): إن هذا بمشيئة الله وإرادته والحكم لله العلي
الكبير، أما

نحن فلا طمع لنا في مال ولا نظر إلى دنيا، ولا نريد سوى رضا الله، وفخرنا
بالأعمال لا بالأموال ولا نقيم وزنا للدرهم والدينار، فلما صدر الحكم الإلهي
وتحقق الزواج وصل النداء: يا علي إرفع رأسك لترى قدرة الحق تعالى، وترى
جهاز بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما رفع رأسه رأى النوق من النور
من فوق رأسه إلى

العرش العظيم محملة بالدر والجواهر والمسك والعنبر والنفائس من الجنات، وعلى
كل ناقة أمة كأنها الشمس الساطعة، وزمامها بيد غلام، والكل ينادي: هذا جهاز
بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). فلما رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك سر
سرورا عظيما ودخل على

فاطمة ليخبرها بهذه النعمة الكبرى والخصيصة العظمى التي أعطها الله لتلك
المخدره ليسرها بالألطف اللامتناهية التي أفاضها الحق الأحد عليها، فلما رآته
فاطمة قالت له: يا علي تخبرني أم أخبرك؟ فقال: بل أخبريني، فقصدت عليه (عليه
السلام)

قصة شماتة ذلك المنافق وما رآه أمير المؤمنين من النوق.
«زاد الله في شرفها كما شرفها بأب قد فاق العالمين فضلا، وجعلها نور

(١) وقد مر بيان جهازها (عليها السلام). (من المتن)

مشكاة الرسالة في الأنام، وبام كانت أقدم نساء العالمين اسلاما وأبدلهن مالا في الإسلام، وبزوج خصه الله بالولاية، وهو الإمام الرباني والهيكل النوراني، قطب الأقطاب وسلالة الأقطاب، والعامل بالسنة والكتاب، والناطق بالصواب، نقطة دائرة الإمامة، طيب المولد، كريم المحتد، زكي الارومة، طاهر الجرثومة، الذي حارت العقول والأفكار في زهده وتعبدته وحشوعه وتهجده ووقوفه موقف العصاة مع شدة طاعته على براءة ساحته، وبكائه ونحيبه وخفوق قلبه من خشية الله، ووجيبه وانتصابه بين يدي الجبار وقد أرخى الليل سدوله مناجيا ربه، وقد انسلخ من الدنيا الدنية، وتعرى من الجنة البشرية، ويتململ تمللم السليم، مع أنه قسيم الجنة والنار، فهذه الأمور كلها منقبة من مناقب زوجها سلام الله عليه وعليها، وأما ابناها الحسن والحسين فإنهما ريحانتي الرسول وسيدي شباب أهل الجنة».

أجل؛ أنى لهذا القلم المكسور واللسان الكال الأخرس أن يصف من كانت أسماؤهم كلمات قبلت بها توبة آدم - على نبينا وآله وعليه السلام - قال تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) (١) فلولا أسماء هؤلاء ومعرفة صفاتهم لما قبلت توبة آدم أبدا، وكانت معرفة آدم (عليه السلام) لهم في الجنة في ذلك

القصر الذي رأى فيه أنوارهم فسأل جبرئيل عنها كما ذكرنا في الخصيصة الرابعة عشر في حديث طويل. كما أن الشجرة المنهية أولت بمقام فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها، ومنهم من فسر الشجرة المنهية بالحنطة ظاهرا، وترك الأولى الذي ارتكبه

(١) البقرة: ٣٧.

آدم هو غبطته لهم وتمنيه مقامهم وقربهم ومكانهم في الجنة (١).
أجل؛ لو لم يكن توسلهم بالأنوار الخمسة لما عادا إلى مقام القرب أبدا بعد أن
أغواهما الشيطان كما ذكر ذلك في كتب عديدة، منها كتاب الدر الثمين وغيره.
وإغواء إبليس اللعين كان بسبب العداوة والبغضاء التي كان يكتنحها لآدم، حيث إنه
طرد من الجنة لامتناعه عن السجود لآدم، فكان يتحين الفرص ليخدع آدم
ويورطه في البلاء، فلما حانت له الفرصة أوصل نفسه إلى حواء وخدعها وأغواها
ورغبها في أكل من الشجرة المنهية، وقال لها: أنظري إلى هذه الشجرة التي تحمل
أنواع الثمار اللطيفة المرئية، لماذا لا تأكلي منها فإن فيها من اللذة ما لم يكن في أي
شجرة من أشجار الجنة!

فقال حواء: سمعت آدم (عليه السلام) ينهاني عن الأكل منها.
فقال الشيطان: إن هذا غلط، وآدم الآن غائب، كلي منها لتعلمي إن كنت
صادقا أو كنت من الكاذبين.

فأكلت حواء من تلك الثمرة بتبليس إبليس، ثم إنها كلمت آدم في ذلك فأكل
آدم منها أيضا، وما أن أكل منها حتى اضطربت عليه بطنه وسقط عنه تاج
الكرامة، ونزع عنهما لباسهما فعريا معا وسمعا من الملائكة ما فيه إهانة لهما،
فاستحى آدم واضطرب وهو يسمع عن اليمين والشمال نداء (وعصى آدم ربه

(١) والسبب في كشف جبرئيل عن الأنوار الطيبة هو التفات آدم وحواء إلى ذاتيهما وغفلتهما - أنا ما
بمقتضى

البشرية - عن مبدأ المبادئ، لما رأوا ما هم فيه من الاستغراق في النعم والمواهب الإلهية، فظننا أن ذلك
لاستحقاقهما الذاتي وأن ليس في الوجود خلق أفضل منهما، فكشف لهم جبرئيل عن الأنوار المقدسة بأمر
الله، وبين لهما منزلتهم ومقامهم على تفصيل مر ذكره سابقا في حديث طويل. (من المتن)

فغوى) (١) فبكى آدم لما رأى نفسه عريانا ذليلا لا يجد ما يستر به نفسه، فالتفت إلى أشجار الجنة وكان لها أوراق عريضة يمكن أن تستر عورته فبادر إليها يقطع منها، وكان كلما اقترب من شجرة ابتعدت عنه وراحت تعلو وتعلو بحيث لا تصل إليها يده، فبادر إلى شجرة التين وكانت هذه الشجرة قد رأت آدم من قبل في جلاله وعظمته، فرحمته وحنن عليه لما رأت من ذله وحيائه، فانحنت فقطع منها أربعة أوراق، وفي رواية ورقتين، ستر بأحدهما أمامه وبالأخرى أمام حواء، فدعى آدم للشجرة ووصل النداء من الحضرة الأحذية في عالم المعنى لشجرة التين: أن يا شجرة لماذا أعطيت آدم ما يتستر به وباقي أشجار الجنة امتنعت عن ذلك؟ فقالت الشجرة: يا مليكي ويا معبودي إني رأيت عزتك وحرمتك التي عاملت بها آدم من قبل، فلما رأيت في حاله هذه رحمته فأعطيته ما يتستر به رعاية لحرمتك، فإن كنت قد أخطأت فاغفر لي خطيئتي، وقالت بلسان الحال «إلهي ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يا غفار الذنوب». فجاءها النداء من جانب رب الأرباب: لأنك أكرمت عزتي وحرمتي، فإني جعلت ثمرتك بفضلتي حلوة وأكرمتك وأحترمتك. فلما ستر آدم نفسه أخرجوه من الجنة وقيل: أركب آدم على حية وحواء على طاووس وأخرجوا من الجنة. فهبط آدم على جبل «سرانديب» في ناحية الهند (٢)، وأنزلت حواء في ناحية الحجاز قرب اليمن، وكانت المسافة بينهما حوالي ألف وسبعمائة فرسخ، فاشتغل آدم بالبكاء والتضرع مدة مائتي عام، وفي الرواية

(١) طه: ١٢١.

(٢) انظر تاريخ الخميس ١ / ٥٠ وما قبلها وما بعدها.

الأصح أربعين عاما غافلا عن الطعام والنوم، وكان يضعف يوما بعد يوم، فبكى حتى أظلم يومه ونحل جسمه من الغم والمحنة والألم والجوع والعطش والوحدة والغربة، وتضرع حتى خافت جميع الملائكة وسكان السماوات السبع والأرض، وتعجبت لغم آدم وحزنه ودهشته من الغضب الإلهي، فحسر سكان العرش والكرسي وملائكة السماوات السبع عن رؤوسهم ومرغوا جباههم على أعتاب العجز وتوسلوا إلى الله: أن يا رب أنت غفار ستار وقابل التوب، وإنك تعلم ما لا يعلمه أحد، ولا جرأة لنا على الشفاعة لآدم، ولكنك ما خلقتة عبثا، ونحن نطمع في كرمك وعفوك.

فلما توسل الملائكة إلى الله ماجت بحار الرحمة الإلهية ووصل النداء إلى جبرئيل: أن يا جبرئيل أدرك آدم، فنزل جبرئيل فورا إلى السرانديب فوجد آدم واقعا بين الموت والحياة لا قوة له ولا حول ولا حراك، وقد تناثر لحمه وابتضت عيناه وجرح وجهه من كثرة البكاء، وتخددت وجنتاه حتى برز العظم في وجهه، فاقترب منه جبرئيل وقال: كيف أنت يا آدم؟ سمع آدم صوت جبرئيل وعرفه ولكنه لم يجبه حياء، فخاطبه جبرئيل شفقة ورأفة به وقال: يا آدم أتذكر الأسماء التي علمتها في روضة الرضوان؟ فقال آدم: يا جبرئيل وهل يبقى في خاطر أحد شيء وهو في مثل هذه الحالة؟

فعلمه جبرئيل تلك الأسماء مرة أخرى، فقال آدم: إلهي أقسم عليك بحرمة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ما أقلتني عشرتي وغفرت لي زلتي وعفوت عن ذنبي، وبكى حتى أغمي عليه.

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه التواب الرحيم) (١).
استشفع آدم بهذه الأسماء فجاء الخطاب إلى جبرئيل: بشر آدم بقبول توبته،
فبشر جبرئيل آدم بأن الله قبل توبته وعفا عنه ببركة هذه الأسماء.
فلما سمع آدم البشارة سجد لله شكراً، فلما رفع رأسه رأى ضياء الصبح
ورأى أعضائه صحيحة سالمة، فسجد ثانية ورفع رأسه وسأل جبرئيل: ألم يكن
ضياء لحد الآن؟ فقال جبرئيل: لقد أظلم العالم بسبب فعلك، فلما قبلت توبتك
عاد الضياء إلى العالم، ثم إن جبرئيل أخذ آدم إلى عرفات وسلم حواء هناك، ولذا
سميت تلك الأرض «عرفات» لأن آدم وحواء تعارفا فيها.
أنظر إلى ما فعل بآدم وقد أكل من الشجرة المنهية مرة واحدة، فما حالنا أنا
وأنت؟

جد تو آدم بهشتش جای بود * قدسیان کردند بهر وی سجود
يك گنه ناکرده گفتندش تمام * مذنبی مذنب برو بیرون حرام
تو طمع داری که با چندین گناه * داخل جنت شوی ای رو سیاه (٢)
[كلام في الخوف والرجاء]

تبين مما سبق أن أفضل الأعمال لقبول التوبة البكاء والتضرع والتوسل
والاستشفاع بالخمسة الطيبة، بل الأمر منحصر في هذين الأمرين.

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) يقول: لقد كان جدك آدم في الجنة، وسجد له سكنة العالم القدسي.
لكنه ودع لذنب واحد لم يفعله وقيل له اخرج منها.
أفتطمع - وأنت ذو الذنوب الكثيرة والوجه المسود بالذنوب - أن تدخل الجنة؟

وفي الخبر عن الصادق (عليه السلام): إذا كنت خائفا من ذنبك أو كانت لك حاجة، فابدأ بتعظيم الله والحمد والثناء كما ينبغي، ثم صل على محمد وآل محمد وتوسل

بهم

وابك أو تباك، وليخرج من عينك ولو مثل رأس ذبابة (١).
والخوف من الذنب والمعاصي نافع جدا للعبد ورافع له إلى المقامات العالية بعد أن كان ساقطا في حضيض المعاصي.

ولا بأس بنقل الحديث التالي في الخوف والرجاء، ثم نعود إلى الموضوع: أعلم أنه لا بد للعبد أن يكون خائفا بحيث لا يتجاوز حد الرجاء، والخائف قريب من السعادة البتة:

روى الكليني بسند معتبر عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: إن رجلا ركب البحر بأهله فكسر بهم، فلم ينج ممن كان في السفينة إلا امرأة الرجل؛ فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها، فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه فرفع رأسه، إليها فقال: إنسية أم جنية؟
فقال: إنسية، فلم يكلمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما هم بها اضطربت فقال لها: مالك تضطربين؟
فقال: أفرق (٢) من هذا وأومات بيدها إلى السماء.

(١) في الكافي ٢ / ٤٨٣ ح ١٠ باب البكاء من أبواب الدعاء. قال أبو عبد الله (عليه السلام) لأبي بصير: إن خفت أمرا يكون أو حاجة أو تريدها فابدأ بالله ومجده واثن عليه كما هو أهله، وصل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسل حاجتك، وتباك ولو مثل رأس الذباب إن أبي كان يقول: إن أقرب ما يكون العيد من الرب عز وجل وهو ساجد باك.
(٢) أفرق: أخاف.

قال: فصنعت من هذا شيئاً؟

قالت: لا وعزته.

قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً، وإنما أستكرهك استكراها، فأنا والله بهذا الفرق والخوف أحق منك.

قال: فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليست همه إلا التوبة والمراجعة. فبينما هو يمشي إذ صادقه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب: أدع الله يظلنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس.

فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربي حسنة أتجاسر على أن أسأله شيئاً. قال: فأدعو أنا وتؤمن أنت.

قال: نعم.

فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة، فمشيا تحتها مليا من النهار، ثم تفرقت الجادة جادتين، فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فإذا السحابة مع الشاب، فقال الراهب: أنت خير مني، لك أستجيب ولم يستجب لي، فأخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة، فقال: غفر الله لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل (١). أجل؛ كلما كان الله عظيماً في عين العبد كان خوفه منه أشد وتوبته أقرب للقبول.

أنظر إلى الصديقة الطاهرة - سلام الله عليها - وأمير المؤمنين (عليه السلام) مع ما لهم من المقام عند الله تعالى، ومع أنهم كانوا يعرفون مقامهم ومنزلتهم، بحيث يقول

(١) الكافي ٢ / ٦٩ ح ٨ باب الخوف والرجاء، البحار ١٤ / ٥٠٧ ح ٣٢ و ٧٠ / ٣٦١ ح ٦ باب ٥٩.

أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا قسيم النعيم والجحيم، قسيم الجنة والنار (١). ويقول للحارث

الهمداني: يا حارث غدا يوم القيامة أقول للنار، خذي هذا فهو عدوي، ودعي هذا فهو وليي (٢)، ومع ذلك تراه يغشى عليه مرة بعد مرة من شدة الخوف والخشية، حتى يراه الراوي واقعا في حائط بني النجار كأنه خشبة يابسة فيظنه قد مات، فيسارع إلى بيت فاطمة ليخبرها، فتقول له: لا لم يمت علي، وإنما هي الغشية، وهذا دأبه في كل ليلة (٣).

وكذا كانت فاطمة الطاهرة مع ضعفها وخدمتها في البيت وما تحمله من الجوع أياما بعد أيام، ولكنها كانت - في مقام الخوف والخضوع - تبكي بكاء شديدا وتصلي وتتضرع، ولقد سمعت قول الحسن البصري حيث قال: «ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورم قدمها» (٤).

وكذا كان أبوها، كما في المروي عن عائشة إنها قالت: كان إذا سمع صوت الأذان تغير من الخوف والخشية وغلَى صدره كالمرجل (٥)، وهو المخاطب بـ «لولاك»

لما خلقت الأفلاك» (٦) وقال الله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (٧)، ولو كان ثمة مقام أعلى من مقام الخوف والخضوع والخشية لاختاره الأنبياء والأولياء، والفرق بينهم وبين غيرهم أن خوفهم - وهم معصومون - من حيث مقام الرهبة

(١) البحار ٧ / ٣٣٩ ح ٣٠ باب ١٧ على لسان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢) البحار ٦ / ١٧٩ ح ٧ باب ٧.

(٣) الخبر طويل في البحار ٤١ / ١٢.

(٤) البحار ٤٣ / ٧٥ ح ٦٢ باب ٣.

(٥) البحار ٧٠ / ٣٩٤ ح ٦٤ باب ٥٩، بالمضمون.

(٦) البحار ١٥ / ٢٨ ح ٤٨ باب ١.

(٧) فاطر: ٢٨.

والعظمة، وخوف غيرهم من العبيد العصاة خوفا من العقوبة، وهو خوف ممدوح أيضا، كما روى ابن بابويه: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مستظل بظل شجرة في يوم شديد

الحر، إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة، وبطنه مرة، وجبهته مرة، ويقول: يا نفس ذوقني، فما عند الله عز وجل أعظم مما صنعت بك، ورسول الله ينظر إلى ما يصنع، ثم إن الرجل لبس ثيابه ثم أقبل، فأومأ إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده ودعاه، فقال له: يا عبد الله، لقد رأيتك صنعت شيئا ما رأيت أحدا

من الناس صنعه، فما حملك على ما صنعت؟

فقال الرجل: حملني على ذلك مخافة الله عز وجل، وقلت لنفسي: يا نفس

ذوقني، فما عند الله أعظم مما صنعت بك.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لقد خفت ربك حق مخافته، فإن ربك ليباهي بك أهل

السماء.

ثم قال لأصحابه: يا معشر من حضر أدنو من صاحبكم حتى يدعو لكم،

فدنونا منه فدعا لهم وقال: اللهم إجمع أمرنا على الهدى، واجعل التقوى زادنا، والجنة مأبنا (١).

اعرف معنى الكلام؛ فالخوف لا بد أن يكون متوازنا بحيث لا يجر إلى اليأس من رحمة الله والقنوط وترك العمل، لأن اليأس من رحمة الله في حد الشرك، وهو ذنب عظيم، والخوف لا بد أن يكون باعثا للعبد على العمل والاهتمام بالعبادات وترك المحرمات، وصاحب هذه الملكة القدسية خائف صادق، فمن خاف من شيء هرب منه، وإلا فالخائف العاصي كمن خاف من أسد ثم وضع يده في فمه وهو

(١) البحار ٦٧ / ٣٧٨ ح ٢٣ باب ٥٩ عن أمالي الصدوق:

يقول: إني خائف منه.
ثم إن العبد المؤمن لا بد أن يكون خوفه ورجاؤه متوازنين ككفتي ميزان.
والرجاء: عبارة عن الأمل في رحمة الله الواسعة والطمع فيها، وآثار صدق
الرجاء تظهر في العمل، والراجي التارك للعمل كاذب، وليس ما يدعيه رجاء بل
هو من الصفات الذميمة، ومثله مثل من لا يحترث الأرض ولا يسقيها ولا يبذر
فيها، ثم ينتظر الحاصل والثمر ويقول: إن لي رجاء في هذه الأرض، وهذا عين السفه
وليس من الرجاء في شيء.

نعم؛ عليه أن يعمل العمل الصالح ولا يعتمد عليه وإنما يثق بالرجاء ويطمع
في فضل الله، فإذا رأى المؤمن في نفسه غلبة الرجاء على الخوف، بحيث صار سببا
للإطمئنان والتقصير في العمل، فعليه أن يبادر إلى معالجة نفسه كما يعالجها الطبيب
الحاذق، فيتفكر في عقاب الله، ويتذكر آيات الوعيد، ويضع العذاب الإلهي نصب
عينيه، ولو انعكس الأمر وغلب الخوف الرجاء وآيس من رحمة الله، فعليه أن
يتفكر في ألطاف الله اللامتناهية وأفضاله ورحمته الواسعة، ويتأمل أخبار الرجاء
حتى يوازن بين الكفتين.

ولا يظن أحد أن غاية الخوف تنافي غاية الرجاء، فالخوف والرجاء
موطنهما ليس واحدا، بحيث تؤدي زيادة أحدهما إلى نقصان الآخر، فحمل
الرجاء الحضرة الأزلية التي لا يصدر منها إلا الفضل والرحمة ولا يخاف منها بحال،
وحمل الخوف النفس البشرية وشهواتها ومعاصيها وداخل الإنسان، فالإنسان
يخاف من نفسه ومن العقوبات اللازمة لفعله، ويرجو الله ورحمته، فإذا نظر العبد
إلى أعماله ازداد خوفه، وإذا نظر إلى فضل ربه ازداد رجاءه وأمله.

قال سيد الساجدين صلوات الله عليه في دعاء أبي حمزة الثمالي: «إذا رأيت - مولاي - ذنوبي فزعت، وإذا رأيت كرمك طمعت، فإن عفوت فخير راحم، وإن عذبت فغير ظالم» (١) وبديهي أن بيانات الإمام (عليه السلام) إرشاد لي ولك، وإلا فهو مهذب

معصوم عن الخطأ والذنب والزلل.

والأخبار في الخوف والرجاء كثيرة:

عن الصادق (عليه السلام): .. قال لقمان في وصيته لابنه: خف الله - عز وجل - خيفة لو

جئته ببر الثقلين لعذبك، وأرج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين رحمك.

ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): كان أبي يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا (٢).

وبسند معتبر عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا إسحاق خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين إليك (٣).

وروي أنه قيل لأبي عبد الله (عليه السلام): إن قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو!! فقال: كذبوا ليسوا لنا بموال، أولئك قوم ترجحت بهم الأماني؛ من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف من شيء هرب منه (٤).

(١) البحار ٩٨ / ٨٣ ح ٢ باب ٦.

(٢) الكافي ٢ / ٦٧ ح ١ باب الخوف والرجاء.

(٣) الكافي ٢ / ٦٨ ح ٢ باب الخوف والرجاء.

(٤) الكافي ٢ / ٦٨ ح ٦ باب الخوف والرجاء.

ولا شيء يجر العبد إلى الصلاح مثل الخوف من الله تعالى، ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا يتدارك ما يخافه ويرجو.
وفي الحديث عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال - وهو على منبره -: والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمنا قط خيرا

الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو، لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين، والذي لا إله إلا هو، لا يحسن الظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن؛ لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا بالله والظن وارغبوا إليه (١).
وقال الصادق (عليه السلام): حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك (٢).

والخائف موعود بجنتين؛ قال تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (٣).
وروي عن الصادق (عليه السلام) أيضا: أرج الله رجاء لا يجرؤك على معاصيه؛ وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته (٤).

(١) الكافي ٢ / ٧١ ح ٢ باب حسن الظن بالله.

(٢) الكافي ٢ / ٧٢ ح ٤ باب حسن الظن بالله.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) في الكافي ٢ / ٧٠ ح ١٠ باب الخوف والرجاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: (ولمن خاف

مقام ربه جنتان) قال: من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعلمه من خير أو شر، فيحجزه ذلك من القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وليس من عبد يظن بالله خيرا إلا كان عند ظنه به، وذلك قوله: (وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) (١) (٢).
أجارنا الله من خسران الدنيا والآخرة، ونعوذ به من القنوط وسوء العاقبة،
وجعلنا الله من الراجين لعفوه والمؤمنين بصفحه والخائفين من عذابه إنه سميع
الدعاء.

(١) فصلت: ٢٣.

(٢) البحار ٦٧ / ٣٨٤ ح ٤٢ باب ٥٩ عن تفسير القمي.

الخصيصة الثانية والأربعون
في بيان أن الله حصر الولاية والإمامة في أولاد فاطمة بعد
زوجها وأن حقيقة الإيمان هي ولاية أهل بيت فاطمة (عليها السلام)
روي في كتاب كامل الزيارات: عن محمد بن جعفر الرزاز، عن ابن أبي
الخطاب، عن محمد بن عمرو بن سعيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام): إن جبرئيل
نزل على
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا محمد! إن الله يقرؤك السلام ويشرك
بمولود يولد من
فاطمة (عليها السلام) تقتله امتك من بعدك.
فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي من
مولود
تقتله امتي من بعدي.
فخرج جبرئيل إلى السماء، ثم هبط وقال له: يا محمد! إن ربك يقرؤك السلام
ويشرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية.
فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): قد رضيت.
ثم أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فاطمة (عليها السلام) وقال: إن الله
يبشرني بمولود يولد منك
تقتله امتي من بعدي، فأرسلت إليه فاطمة: أن لا حاجة لي في مولود يولد مني
تقتله امتك من بعدك، فأرسل إليها أن الله تعالى جاعل في ذريته الإمامة والولاية
والوصية، فأرسلت إليه أن قد رضيت - وهو تأويل قوله تعالى: (حملته أمه كرها

ووضعتة كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي (١).

فلو أنه قال: أصلح لي ذريتي، لكانت ذريته كلهم أئمة ولكن خص هكذا. ولم يرضع الحسين من فاطمة (عليها السلام) ولا من اثني، ولكنه يؤتى به إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين (عليه السلام) من

لحم رسول الله ودمه، ولم يولد مولود بستة أشهر إلا عيسى ابن مريم (عليه السلام) والحسين

بن علي (عليهما السلام) (٢).

والظاهر أن في الحديث يحيى بن زكريا بدل عيسى بن مريم، لأن في تفسير القمي في قوله تعالى في سورة مريم (عليها السلام) (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) قال:

فنفخ في جيبها فحملت بعيسى بالليل، فوضعتة بالنهار، وكانت حملها تسع ساعات، وجعل الله له الشهور ساعات، وكذا في الكافي عن الصادق (عليه السلام). وهذا الحديث دليل على عظم جلاله فاطمة وعلو شأنها، حيث جعل الله الخلافة العامة منحصرة في بطنها، وجعلها سليل النبوة ووعاء الإمامة، وبديهي أن المحل ما لم يكن قابلا مستعدا للفيض الكلي لما تلقى الفيض، وإذا كان هناك معادل له أو مماثل في سائر نساء العالمين لما انحصر فيها، ولو كان لأبيها عدل في الأنبياء ولزوجها عدل في الأوصياء، لكان لها عدل في قبول هذا الفوز العظيم، ولذا أولت الآية الكريمة (فحملته كرها ووضعتة كرها) في حقها، والضمير في الآية يعود عليها تأويلا.

(١) أحقاف: ١٥.

(٢) كامل الزيارات ٥٦ ح ٤ باب ١٦ ما نزل به جبرئيل في الحسين (عليه السلام) أنه سيقتل.

أيضا في كامل الزيارات، عن سعد عن أحمد بن عيسى، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن سالم بن مكرم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما حملت فاطمة (عليها السلام) حمله وحين وضعته كرهت وضعه، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): هل رأيتم في الدنيا أما تلد غلاما فتكرهه، ولكنها كرهته لأنها علمت

أنه سيقتل. قال (عليه السلام): وفيه معنى الآية (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)» (١). وما أشبه قصة الإمام الحسين (عليه السلام) بقصة يحيى بن زكريا، ولطالما كان (عليه السلام)

يذكر يحيى بن زكريا في طريقه إلى كربلاء، ويقول: من هوان الدنيا على الله أن يهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، وسيهدى رأسي إلى رجل فاسق فاجر زان (٢)، ولا بد أن تكون مماثلة بين المصديق كما كانت مناسبة بين التنزيل والتأويل والظاهر والباطن في الآية الشريفة. وبديهي أن مقام القرب عند الله لسيد الشهداء أعلى بمراتب من مقام يحيى مع ما له من مقام النبوة، ولما استشهد يحيى بكت السماء دما، وعند استشهاد الحسين (عليه السلام) بكت السماء دما ورمادا، كما ورد في مجالس الصدوق مسندا عن

الصادق عن أبيه عن جده (عليهم السلام): «إن الحسين (عليه السلام) دخل يوما على أخيه الحسن، فلما نظر إليه بكى، فقال له الحسن: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: لما يصنع بك. فقال له الحسن (عليه السلام): إن الذي

يؤتى إلي سم يدس إلي فاقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد (عليه السلام) ويتحلون دين الإسلام،

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) البحار ١٤ / ١٧٥ ح ١٣ باب ١٥.

فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاج ثقلك، فعندها يحل بيني أمية اللعنة، وتمطر السماء رمادا ودماء، ويكي عليك كل شيء، حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار» (١).
أنظر إلى يحيى بن زكريا لم يكن للرماد الماطر من السماء في خبره ذكر، ولا لبكاء كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحر.
وبديهي؛ إن عظمة هذا الشهيد ومنزلته عند الله أكثر بكثير من ذلك، ولذا ثبتت له هذه الأمور، وهي شمة بسيطة من فضائله (عليه السلام)، وأي فضيلة أعظم من حرمان الله الغفور لقتلته من رحمته الواسعة، وجعلهم والمشارك في صعيد واحد في عدم المغفرة، وقد أخبر تعالى موسى (عليه السلام) في الحديث المعروف: إني أغفر للمذنب

التائب إلا قاتل الحسين (عليه السلام) (٢).
كما أنه أناط قبول العبادات جميعا بالإقرار بولايتهم (عليهم السلام)، وخلق السماوات والأرض من أجلهم، كما في حديث الكساء «ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية... إلى أن يقول: إلا بمحبة هؤلاء الخمسة» فقال جبرئيل: ومن تحت الكساء؟ قال تعالى: «هم فاطمة وأبوها وبعلاها وبنوها». وفي إرجاع الضمائر إليها (عليها السلام) مزيد شرف على شرف، ولهذا بيان تحقيقي يأتي إن شاء الله تعالى.

وبعد أن شرط الله سبحانه وتعالى أصل الإيمان بالإقرار بولايتهم، بماذا يطمع المخالفون لإمامتهم وخصومهم الذين يتنكرون لهم، وكم من دليل عقلي ونقل على اشتراط الإيمان بالإقرار بولايتهم بعد الإقرار بالتوحيد، بل إن الإقرار

(١) البحار ٤٥ / ٢١٨ ح ٤٤ باب ٤٠.

(٢) البحار ٤٤ / ٣٠٨ ح ١٩ باب ٣٦.

بالتوحيد بدون الولاية هباء منثور لا فائدة فيه ولا ثمر، كما روى ابن بابويه بسند معتبر عن الصادق (عليه السلام)، قال: نزل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا محمد! السلام

يقرؤك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع ومن عليهن، وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبدا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاخدا لولاية علي لأكبته في سقر (١). وفي حديث آخر: أوحى الله إلى نبيه: يا محمد! وعزتي وجلالي، لو أن عبدا عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثم أتاني جاخدا لولايتهم لم أدخله جنتي، ولا أظلمته تحت عرشي (٢).

وعن علي بن الحسين (عليهما السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: ... والذي نفس محمد بيده،

لو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي (٣).

أيضا عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم. فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلا عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضوع، ثم لقي الله بغير ولايتنا، لم ينفعه ذلك شيئا (٤).

(١) البحار ٢٧ / ١٦٧ ح ٣ باب ٧ عن الأمالي.

(٢) البحار ٢٦ / ٣٠٨ ح ٧١ باب ٦.

(٣) البحار ٢٧ / ١٧٢ ح ١٥ باب ٧ عن أمالي ابن الشيخ.

(٤) البحار ٢٧ / ١٧٢ ح ١٦ باب ٧ عن أمالي ابن الشيخ وثواب الأعمال والمحاسن.

وروى العامة والخاصة متواترا «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (١).
وروي بأسانيد معتبرة عن الرضا (عليه السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): من أحبك كان مع النبيين في درجاتهم يوم القيامة، ومن مات وهو يبغضك فلا يبالي مات يهوديا أو نصرانيا (٢).
وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أول ما يسئل عنه العبد حبنا أهل البيت (عليه السلام) (٣).
وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) بسند معتبر، قال (عليه السلام): والله إن في السماء لسبعين صفا (٤) من الملائكة، لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلهم يحصون عدد صف منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدنون بولايتنا (٥).
وعن أبي عبد الله الجدلي قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ألا أنبئك بالحسنة التي من جاء بها دخل الجنة، والسيئة التي من جاء بها أكبه الله في النار ولم يقبل معها عملا؟ قلت: بلى. قال: الحسنة حبنا والسيئة بغضنا (٦).
وروي «حب علي حسنة لا تضر معها سيئة» (٧) ولكن لا بد من معرفة معنى الحديث، فلا يظن أن مجرد ادعاء حب علي يجيز ارتكاب المخالفات وترك العبادات والتجاسر على المحرمات فالمحب لا يرتكب ما يخالف رضا المحبوب، فلا تظن أن

-
- (١) البحار ٢ / ٣١٦ ح ٨٤ باب ٣٤؛ مسند أحمد ٤ / ٩٦.
(٢) البحار ٢٧ / ٧٩ ح ١٦ باب ٤ عن العيون:
(٣) البحار ٢٧ / ٧٩ ح ١٨ باب ٤ عن العيون:
(٤) في البحار: «صنفا».
(٥) البحار ٢٧ / ٣٤٠ ح ٦ باب ٨ عن البصائر والكافي.
(٦) البحار ٣٦ / ١٠٢ ح ٤٥ باب ٣٩.
(٧) الفردوس للديلمي ٢ / ١٤٢ ح ٢٧٢٥؛ المناقب للخوارزمي ٧٥ ح ٥٦.

من قال: إني أحب عليا وأواليه فليرتكب من المعاصي ما يهوى ثم لا يخاف في الآخرة والعقبى، كلا، ليس الأمر كذلك بتاتا، فالمحب يطيع المحبوب، ويحث عما يرضيه ليفعله.

بديهي أن حب علي حصن حصين، لكن بشرط الإطاعة، كما روى ابن بابويه بأسانيد كثيرة عن الإمام الرضا (عليه السلام)، عن آباءه الكرام، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن

جبرئيل عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله عز وجل: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي (١). وروي بأسانيد عديدة في كتب السنة والشيعة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: لو

اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار (٢). وروي أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: يبعث الله عبادا يوم القيامة تهلل وجوههم نورا، عليهم ثياب من نور، فوق منابر من نور، بأيديهم قضبان من نور عن يمين العرش وعن يسار، بمنزلة الأنبياء وليسوا بأنبياء، وبمنزلة الشهداء وليسوا بشهداء... ثم وضع يده على منكب علي (عليه السلام) فقال: هذا وشيعته (٣). أيضا روى الشيخ الطوسي بأسانيد معتبرة عن الرضا (عليه السلام)، عن آباءه الأقطاب، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من حساب

الخالق، دفع الخالق - عز وجل - مفاتيح الجنة والنار إلي، فأدفعها إليك فأقول لك: أحكم (٤)، أدخل من شئت النار، وأدخل من شئت الجنة.

(١) البحار ٣٩ / ٢٤٦ ح ١ باب ٨٧ عن جامع الأخبار وأمالى الصدوق وعيون الأخبار ومعاني الأخبار.

(٢) البحار ٣٩ / ٢٤٨ ح ١٠ باب ٨٧.

(٣) البحار ٦٥ / ١٥ ح ١٨ باب ١٥ (في الكتاب عن أنس فليخرج).

(٤) البحار ٣٩ / ١٩٨ ح ٩ باب ٨٤ عن أمالي الشيخ:

وبديهي أن مظهر العدل الإلهي وهو العادل بالقضية والحاكم بالسوية يرى من أحبه حبا كانت حقيقته طاعة الله وعدم مخالفة أحكامه، فيأمر به إلى الجنة، وكل من عاداه وعادى ذريته الأطياب، وعداوتهم هي في الحقيقة مخالفة لأمر الله وكفر وجحود يجعل لهم سنخية مع النار، فيأمر به فيلقى في دركات الجحيم، وهذا هو معنى أنه «قسيم الجنة والنار».

روي عن سلمان الفارسي، قال: كنا جلوسا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أقبل علي بن

أبي طالب (عليه السلام)، فناوله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحصة، فلما استقرت الحصة في كف علي (عليه السلام) نظقت وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا، وبعلي بن أبي طالب وليا، ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): من أصبح منكم راضيا بالله وبولاية

علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد أمن خوف الله وعقابه (١).
ثبت من هذه الأحاديث أن العبودية والعبادة لله والوصول إلى رحمة الله موقوفة على حب أهل البيت، ولا تنفع أي عبادة بدون حبهم. فماذا ينتظر أولئك الذين أضمروا لهم العداة وغضبوا حقهم وأقصوهم عن الخلافة العامة، وقدموا عليهم أئمة الكفر والفسق، وتصدوا لإيذائهم واحدا بعد واحد.. كيف سيعاملهم الرب العادل الحكيم على ما قدمت أيديهم من ظلم العترة وتأليب هذه الأمة الملعونة؟

روى الصدوق في مجالسه مسندا عن ابن عباس ما هذا نصه:
«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جالسا ذات يوم، إذ أقبل الحسن (عليه السلام)، فلما رآه بكى، ثم قال: إلي يا بني، فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليمنى.

(١) البحار ٦٥ / ١٣٤ ح ٦٨ باب ١٨ عن بشارة المصطفى وأمالي الشيخ.

ثم أقبل الحسين (عليه السلام)، فلما رآه بكى، ثم قال: إلي يا بني، فما زال يدينه حتى أجلسه على فخذه اليسرى.

ثم أقبلت فاطمة (عليها السلام)، فلما رآها بكى، ثم قال: إلي يا بنية، فأجلسها بين يديه.

ثم أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما رآه بكى ثم قال: إلي يا أخي، فما زال يدينه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن.

فقال أصحابه: يا رسول الله! ما ترى واحدا من هؤلاء إلا بكيت، أو ما فيهم من تسر برؤيته؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية، إني وإياهم لأكرم الخلق على الله عز وجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إلي منهم:

أما علي بن أبي طالب فإنه أخي وشقيقي وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وهو صاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقي، وهو وصيي وخليفتي على أهلي ومالي وأمتي في حياتي وبعد موتي، محبه محبي ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعد وفاتي صارت بالمخالفة له ملعونة، وإنما بكيت حين أقبل لأنني ذكرت غدر الامه به بعدي، حتى أنه ليزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور، وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

أما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، هي بضعة مني ونور عيني وثمره فؤادي، وهي روح التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية،

متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: انظروا لامتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنني قد آمنت شيعتها من النار، وإني لما ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغضب حقها، ومنع إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها وهي تنادي: يا محمداه فلا تغاث، فلا تنزل بعدي محزونة مكروبة باكية تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقني أخرى، وتستوحش إذا جنبها الليل لفقد صوتي الذي كانت تسمع إليه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة، فنادت بما نادى به مريم بنت عمران فتقول: إن الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين، يا فاطمة اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، ثم يبتدي بها الوجع فتمرض، فيبعث الله عز وجل إليها مريم بنت عمران تمرضها وتؤنسها في علتها، وتقول عند ذلك: يا رب إني قد سئمت الحياة وتبرمت بأهل الدنيا فألحقني بأبي، فيلحقها الله عز وجل بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم علي محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غضبها، وذلل من أذلها، فخلد في نارك من ضرب جنينها حتى ألت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك آمين.

وأما الحسن فإنه ابني وولدي ومني وقرّة عيني وضيء قلبي وثمره فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة، أمره أمري وقوله قولي، من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من

الذل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلما وعدوانا، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويكيه كل شيء، حتى الطير في جو السماء والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقعته تثبت أقدامه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام.

وأما الحسين (عليه السلام) فإنه مني وهو ابني وولدي وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين ومولى المؤمنين وخليفة رب العالمين وغيث المستغيثين وكهف المستجيرين وحجة الله على خلقه، وهو سيد شباب أهل الجنة وباب نجات الأمة، أمره أمري، وطاعته طاعتي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني، وإني لما رأيته تذكرت ما يصنع به بعدي، كأني به قد استجار بحرمي وقربي فلا يجار، فأضمه في منامه إلى صدري، وأمره بالرحلة عن دار هجرتي وابشره بالشهادة، فیرتحل عنها إلى أرض مقتله وموضع مصرعه، أرض كرب وبلاء وقتل وفناء، فتنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادات شهداء أمتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه وقد رمي بسهم فخر عن فرسه صريعا، ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوما. ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم دعا وهو يقول: اللهم أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي من بعدي، ثم دخل منزله» (١).

إنتهى الحديث.

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب
كلا وحاشا أن تنال شفاعة شفيع يوم الجزاء أولئك الذين تصدوا لإيذاء

(١) البحار ٢٨ / ٣٧ ح ١ باب ٢ عن أمالي الشيخ الصدوق.

عتره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتلوهم وسبوهم ونهبوهم، مع ما لهم من الشرف والمنزلة عند الله، ومع ما جعل الله في عداوتهم من الشقاء، إضافة إلى فرط محبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة وبعلمها وبنيتها، والله الذي أمر بمحبتهم، فكم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة بضعة مني من أذاها فقد آذاني. وقال في أمير المؤمنين (عليه السلام): إن الله يغضب بغضب

علي (عليه السلام). وكتب سيد الأولياء في كتابه البليغ إلى ولده الحسن (عليه السلام): «وجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني..» (١) ومنه يعلم غاية اتحاده بأولاده وشدة علاقته بهم (عليهم السلام)، بل يفيد غاية

الإتحاد بين كل أب وابن صالحين ونسبة الابن إلى الأب والأم نسبة الروح والنفس والقلب والكبد ونور العين، بل هو عامة وجوده وحقيقته، والابن أحب إلى الأب وألصق به وأقرب إليه من غيره، ويشهد لذلك «أولادنا أكبادنا». وكم من أم تتمنى الموت قبل أن ترى ولدها مصاباً، بل تطلب الموت حقاً ولا تكتفي بالتمني كما في قصة العجوز جاءت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بعثت بولدها مع خاتم الأنبياء إلى غزوة تبوك ونال الشهادة هناك، فلما سمعت توصلت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدعو لها لتلتحق

بولدها، والحديث طويل سنذكره بعد قليل لتعرف مقدار علاقة الأمهات بأبنائهن، ومنه تعرف مدى علاقة السيدة فاطمة الطاهرة بأبنائها، ومدى حبها لهم، مع أن حبها يفوق آلاف المرات حب غيرها، لأنه كان محض استحقاق وأهلية، وحبهم حب الله، فلا بد أن يكون حبهم أشد وأكد فضلاً عن الجهات والمؤهلات الأخرى، مع أنها كانت تعلم بما سيجري عليهم وترى ما يصب عليهم من المصائب، ولكنها كانت ترضى انطلاقا من مقام التسليم والرضا في سبيل الله،

(١) البحار ٧٧ / ٢٠١ ح ١ باب ٨.

فكانت تربيهم وتنميتهم للقتل وهي شاكرة.
تأمل جيدا، فهل يمكن القوة البشرية أن تتصور ذلك؟! حاشا لا يكون ذلك
إلا من صاحبة الملكة الربانية والنفس القدسية ذات القوة الخاصة التي تتحمل مثل
هذا المشهد لأولاد مثل أولادها ممن عقت النساء أن يلدن بمثل من ولدت من
الأزل إلى الأبد.

وأما حديث المرأة العجوز التي استشهد ولدها في تبوك، فقد ورد في كتاب
الأربعين عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعمار وأبي ذر:
بينما كان رسول الله جالسا في المسجد بعد صلاة المغرب وأصحابه حوله وهو
يخطبهم وإذا بجبرئيل ينزل ويقول: يا رسول الله! أمر الملك العلام أن تغدو صباحا
بأصحابك وتعدهم لحرب الكفار، وتخرج من المدينة بعد ثلاثة أيام فقد اجتمع
عدد غفير من جيش الكفار يريدون قتالكم، وستقع الحرب في تبوك، ولا تستهين
بهذه الحرب، واحتط وكن على حذر لئلا يلحق الضرر بأصحابك، ورأس الكفار
رجل يدعى مكيد بن عمرو ومعه جيش كبير، واعلم أنك ستغلبه وتقهره.
فجهز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جيشه وأعلن الرحيل عن المدينة بعد ثلاثة أيام
لمواجهة
مكيد إن شاء الله.

فلما ذاع الخبر سمعت امرأة عجوز كانت جارة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
وكان لها ولد
موصوف بالشجاعة والتقوى، فسارع إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا من
اصطفاه الله
أرجوك أن تلحقني بجيش المسلمين لآخذ من الجهاد نصيبي فخذني معك.
فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): استأذن أمك، فإن لم تأذن لك فابق عندها
ولا تؤذيها.
فذهب إلى أمه يستأذنها، فقالت له: لا طاقة لي على الإذن لك، وأخشى أن

تذهب إلى الحرب ويصيبك شيء وأبقى أنا وحدي.
فقال لها: أأذني لي وسوف لن أفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
فقالت: إن ضمنك لي رسول الله أذنت لك.
فجاءت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت له: إن ابني استأذني في الخروج معك، فإن
ضمنت لي أنك ترجعه لي أذنت له.
فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ضمننت لك إن شاء الله. فرضيت العجوز
وعادت إلى
بيتها. فأوصى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه بولدها، وخلف أمير المؤمنين
(عليه السلام) على المدينة
وخرج إلى تبوك.
فلما وصل إلى تبوك وصف الجيشان وأصبح الصباح خرج مكيد رأس
الكفار وصف جيشه ثم أخذ يطلب المبارز، فخرج إليه الشاب وخرج من جيش
الكفار رجل يقال له كيفر فاقتتلا، فقتل الشاب كيفرا وعجل بروحه إلى جهنم، ثم
قاتل عدة أبطال من جيش الكافرين، حتى برز له مكيد فقتل الشاب، فبرز إليه
عمر بن الخطاب فضربه مكيد بسيفه على رأسه، فاتقاها عمر فوقعت على عاتقه
وأدبر موليا إلى معسكر المسلمين وأخذ يغسل الدم عن نفسه، والتحم الجيشان
واققتلا قتالا شديدا، فنزل جبرئيل من عند الملك الجليل فقرأ على النبي (صلى الله عليه
وآله وسلم)
السلام وقال له: إن الله يقول: لا ينزل عليكم النصر حتى تدعو أمير المؤمنين
عليا (عليه السلام) فليحضر معك، فإن نصر دينك في سيفه ذي الفقار.
فلما سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك نادى من مكانه: يا أخي ووصيي وابن
عمي هلم
إلي.
روي أن سيد الأولياء كان حينها في بستان له، فسمع نداء النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم)

وأجاب: لبيك وسعديك يا نبي الله، السلام عليك يا شفيع يوم الدين، ثم حضر
آنذاك - بقدرة الله - عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رآه النبي (صلى
الله عليه وآله وسلم) قرت به عينه وذكر

شيئا من فضائل ساقى الكوثر وخصاله الحميدة، ثم توجه أمير المؤمنين إلى ساحة
المعركة وطلب مكيد للبراز وقال له: ويلك آمن وإلا ألحقتك الساعة بجهنم وأزلت
ملكك، فرفض اللعين، فرفع إليه ذا الفقار وأهوى به على رأسه وضربه ضربة
شقت هامته نصفين، لو وزن أحدهما لما رجع على الآخر، فعلا التكبير من الملاء
الأعلى وممن حضر المعسكر.

فلما رأى المجوس شجاعة أمير المؤمنين لاذوا بالفرار، فلحقهم جيش
المسلمين يجمعون الغنائم وأسروا الكثير منهم وأسلم بعضهم، وعاد جيش
المسلمين إلى المدينة ظافرا منتصرا.

فلما سمعت العجوز بنصر المسلمين فرحت كثيرا وانتظرت عودة الموكب
المحمدي العظيم، فلما شاهدت الطلعة الأحمدية الزاهرة أوصلت نفسها عند سيد
الأبرار وسألت عن ابنها، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عجوز كلنا ير حل
ولا يبقى إلا وجه

الله، وقد قبل الله ولدك وأدخله جنة الفردوس واستشهد على يد الكفار.
فلما سمعت ذلك صرخت صرخة وسقطت على الأرض مغشيا عليها، فلما
أفاقت قالت: يا رسول الله! ولدي وقرّة عيني وسكن فؤادي ماذا فعلت به؟ ثم
صرخت وأخذت تقوم وتقعّد كالمجانين وتشبثت بأذيال النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) وهي تقول: لا

أتركك يا رسول الله حتى ترجع إلي وديعتي المضمونة.
فحزن لها قلب النبي وجرت الدموع من عينه المباركة، فبكى أصحابه
لبكائه ثم استغاث النبي بحضرة الباري تعالى وقال: يا رب فك ذمتي من ضمان هذه

المرأة، وسجد لله، فأعاد الله ذلك الشاب كحالته الاولى وهو راكب على فرس
والملائكة يمسكون بزمامه، فلما رأى الشاب النبي هوى بنفسه من على الفرس
وسجد شكرا لله ثم أكب على قدمي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبلها،
وسرت المرأة بولدها

سرورا عظيما وقالت: يا سيدي يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اغفر لي
وأعفو عني، فإنك تعلم
كيف هي حرارة فقد الولد وشدة الثكل.

فقال النبي للشاب: أخبرهم عما جرى عليك.

فقال الشاب: لما سقطت من جوادي أدخلوني جنة الفردوس وجاء
لزيارتي مائة ألف من الحور والولدان، ثم جاء الأمر بعودتي إلى الدنيا وقيل لي:
ارجع فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتظرك وأمك قد تعلقت بأذياله، فأحضروني
عندك الساعة ثم

توجه إلى أمه وقال لها: يا أماه لماذا فعلت هذا الفعل وحرمتيني من تلك اللذة، فإني
لا أحب هذه الدنيا، قال ذلك وانكب على قدمي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
يقبلهما ويتوسل إليه

أن يدعو له ليرجع إلى مقامه الذي كان فيه. فدعا له النبي فمات، فاضطربت
العجوز وقالت: يا رسول الله! لا أقوى على فراق الولد فادعوا لي أن أموت معه،
فدعا لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فماتت من فورها، فأمر النبي (صلى الله عليه
وآله وسلم) فغسلت وكفنت ودفنت في

البقيع. (إنتهى)

فكيف إذا كان الولد بمنزلة الروح والنفس والقلب للأب والأم، والأم تعلم
قبل ولادة ابنها بل قبل الحمل به علما يقينا أخذته من المخبر الصادق أن ولدها
سيقتل ويستشهد، وهي تعلم أنه صاحب الخلافة العامة وأن الإمامة منحصرة في
ذريته.. كيف سيكون حال هذه الأم وهي تعلم بمصيبته ومع ذلك ترضى وتبقى دائما
في مقام الشكر على هذه البليات، ولا تعرض عنهم مع تلك المصائب الشديدة،

وتراها سهلة هينة في رضا الله، ومثل هذه الأم لا بد أن تكون وعاء للإمامة والخلافة الإلهية العامة لأنه لا يوجد - ولن يوجد - محل قابل مثل هذا المحل، ولهذا انحصرت هذه النعمة الكبرى والموهبة العظمى بوجودها المقدس، الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وكما قدر الله للإمامة أن تكون في ثمرة الرسالة، فالخلافة والإمامة أمر أودع الله فيه جميع خيرات الأولين والآخرين، وجعلها في ظلها ونتيجة عنها، توجد بوجودها، ولذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومأواه ومنتهاه» (١).

فكل خير يعود إليهم ويصدر منهم، ولا يكون إلا بسبب وأهلية فاطمة وأبي فاطمة وبعلى فاطمة وأولاد فاطمة وذرية فاطمة المعصومين (عليهم السلام)، وذكر فضائلهم وخصائصهم كافة خارج عن القدرة الكلامية والكتابية لكل شيء مما سوى الله، وإذا ما ذكر شيء منها فإنما هو من باب «الميسور لا يسقط بالمعسور» ولولا ذلك فبالله أقسم إن كانت الآجام والأشجار أقلاما، والبحار مدادا، والجن حساب، والإنس كتاب، لما أحصوا فضائل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل لا يمكن استيفاء

حق البيان بهذه الآلات والأسباب العاجزة «وأنا عاجز عن الكلام، والخلق عاجزون عن السماع».

كيف أذكر مناقب من إذا ذكر الذاكر فضيلة من فضائلهم مع اعتقاده بها، أوجبت له غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسماعها يوجب غفران الذنوب التي اكتسبها السامع بالسمع، والنظر إليها إليها يوجب غفران الذنوب المكتسبة

(١) فقرة من زيارة الجامعة؛ البحار ١٠٢ / ١٣٢ ح ٤ باب ٨.

بالبصر (١)، بشرط الإيمان بها والتصديق والإذعان لها، وكل ما ذكرته وارد في الأخبار المضبوطة المعتبرة الإسناد كما روي في كشف الغمة عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيدا.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكملا الإيمان.

ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ومنكر ونكير.

ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت

زوجها.

ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة.

ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس

من رحمة الله.

ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا.

ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة» (٢).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في تأويل قوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر

(١) انظر: البحار ٢٦ / ٢٢٩ ح ١٠ باب ١.

(٢) البحار ٧ / ٢٢٢ ح ١٣٣ باب ٨؛ و ٢٣ / ٢٣٣ باب ١٣.

أمثالها) (١) قال علي (عليه السلام): «الحسنة حبنا أهل البيت، والسيئة بغضنا، من جاء بها

أكبه الله على وجهه في النار».

وفي قوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار) (٢) قال علي (عليه السلام): «الحسنة حبنا أهل

البيت، والسيئة بغضنا» (٣).

وفي قوله تعالى: (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) (٤)

قال علي (عليه السلام): «ناكبون عن ولايتنا أهل البيت» (٥).

جعلنا الله من المهتدين والمستقيمين على صراط مودتهم وإطاعتهم، وأعوذ بالله من بغضهم ومخالفتهم إنه سميع الدعاء.

(١) الأنعام: ١٦٠.

(٢) النمل: ٨٩.

(٣) البحار ٧ / ١٥٤ باب ٨؛ و ٢٤ / ٤٢ ح ٣ باب ٢٨.

(٤) المؤمنون: ٧٤.

(٥) البحار ٣٦ / ١١٩ ح ٦٤ باب ٣٩.

الخصيصة الثالثة والأربعون
في بيان الأحاديث عن صحاح العامة التي
تدل على فضيلة فاطمة (عليها السلام)
من المناسب - بعد بيان الآيات القرآنية المأولة في حق الصديقة الطاهرة - أن
نذكر شيئا من الأقوال المصطفوية المقدسة، نكتبها لمحض اطلاع القراء على
كراماتها وخصائصها (عليها السلام).
الحديث الأول: في الجز الرابع من صحيح البخاري، في الثلث الآخر منه،
قال: قال: حدثنا شعبة عن الحكم قال: سمعت ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي بن
أبي طالب (عليه السلام) أن فاطمة (عليها السلام) شكت ما تلقى من أثر الرحي، فأتى
النبي سبي،
فانطلقت فلم تجده، فوجدت عايشة فخبرتها، فلما جاء النبي أخبرته عايشة
بمجيء فاطمة (عليها السلام)، فجاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخذنا
مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): مكانكما وجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على
صدري، وقال: ألا
اعلمكما خيرا مما سئلتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا أربعاً وثلاثين، وأحمدا
ثلاثاً وثلاثين، وكبرا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» (١).

(١) صحيح البخاري ٣ / ١١٣٣ ح ٢٩٤٥ باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويستفاد من هذا الحديث أن تسبيحات الزهراء (عليها السلام) معتبرة عند العامة أيضا. وقد ورد هذا الحديث الشريف بعدة طرق من طرق العامة والخاصة. فقد روي في علل الشرائع بسند ينتهي إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):
قال (عليه السلام) لرجل من بني سعد: «ألا احداثك عني وعن فاطمة (عليها السلام)؟ إنها كانت

عندي وإنها كانت من أحب أهله إليه، وإنها استقت بالقربة حتى أثرت في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسئلته خادما يكفيك ضرر ما أنت فيه من هذا العمل؟ فأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدت عنده حدثا، فاستحت وانصرفت، فعلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها جاءت لحاجة، فعدا علينا ونحن في لفاعنا، فقال: السلام عليكم،

فسكنتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم، فسكنتنا، ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك؛ يسلم ثلاثا فإن اذن له وإلا انصرف، فقلت: وعليك السلام يا رسول الله، ادخل، فلم يعد أن جلس عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمة! ما كانت حاجتك أمس عند محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله اخبرك يا رسول الله، إنها استقت بالقربة حتى أثرت القربة في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، فقلت لها لو أتيت أباك فسئلته خادما يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل.
قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أفلا اعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما

منامكما فسبحا أربعاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا ثلاثاً وثلاثين. قال

أمير المؤمنين (عليه السلام): فأخرجت فاطمة (عليها السلام) رأسها فقال: رضيت عن الله ورسوله -

ثلاث مرات -» (١).

والحديث هو نفس الحديث المروي في البخاري من حيث المضمون، وإن كان يختلف عنه في الطريق، ويختلف في اللفظ اختلافا يسيرا. أجل؛ إن الله لا يريد الراحة لأوليائه في هذه الدنيا، واختار لهم فيها البلاء والمشقة، أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لفاطمة (عليها السلام): لولا خوف أن يفوتك فضل وأجر لأعطيتك خادمة تخدمك، وبهذا تبين أن النعمة كلما زادت قل الأجر، وبالعكس كلما زادت المشقة ارتفعت الدرجة، وهو ضابط قوي في سنن أولياء الله «وإن دأب الله في أوليائه المقربين أنه تعالى يزودهم عن لذات الدنيا كما يزود الراعي الشفيق إبله عن مراتع الهلكة، وكما يحمي الحاذق مريضه عن لذيد الأطعمة». فكلما كان الولي أقرب إلى الله، كانت أذيته في هذه الدنيا أكثر؛ ويؤيد ذلك أحاديث كثيرة.

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أوذني نبي مثل ما أوذيت (٢). وروي أن موسى على نبينا وآله وعليه السلام ذهب إلى مناجاة قاضي الحاجات، فاعترضه في الطريق رجل من عباد الله الصالحين وقال له: إذا ذهبت إلى المناجاة فقل للرب إني أحبك وأطيعك. فلما ذهب موسى وفرغ من مناجاته أتاه النداء أن: يا موسى ما بلغتنني رسالة عبدي؟

(١) البحار ٤٣ / ٨٢ ح ٥ باب ٤.

(٢) البحار ٣٩ / ٥٦ ح ١٥ باب ٧٣.

فقال موسى: إلهي أنت أعلم بما قاله عبدك.
فأتاه النداء: يا موسى! أنا أيضا أحب عبيدي، فازداد يقين موسى أن هذا
العبد من العباد الصالحين، فلما رجع سأل عنه فقيل له: إن سبعا افترسه، فتعجب
موسى وحزن كثيرا، وقال: إلهي عبدك تحبه ويحبك، وقد سلطت عليه السباع
فمزقته؟! فمزقته!

فجاء الخطاب من رب الأرباب: بلى يا موسى، هكذا أفعل بأحبائي
وأوليائي وأبتليهم في دار المشقة والبلاء في هذه الدنيا، ثم أسكنهم عندي في
غرفات الجنان.

وروي أيضا: إن رجلا جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا رسول الله
إني أحب الله.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): استعد للبلاء.

فقال: إني أحبك.

فقال: استعد للفقير.

فقال: إني أحب أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقال: استعد للأعداء.

والأخبار في فضل المصيبة للمؤمن كثيرة جدا، بل لم يخلق الله تحفة لعبده
المؤمن أفضل من البلاء، ولكن بشرط الرضا والصبر؛ وكم من آية في القرآن تأمر
بالصبر وتحث عليه، ولذا صدر التوقيع الشريف من الإمام جعفر بن محمد الصادق
صلوات الله عليهما لعمه عبد الله بن الحسن يبشره فيه بالمصيبة والبلاء، ويأمره
بالصبر، ويعزيه ويسليه لما سيناله من السجن والحبس هو ومن معه، كما روى
السيد في الإقبال بسند ينتهي إلى إسحاق بن عمار الصيرفي وعطية بن نجيح
الرازي، وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم
إلى الخلف الصلح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه.
أما بعد؛ فلئن كنت تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابك ما
انفردت بالحزن والغیظ والبكاء وأليم وجع القلب دوني، فلقد نالني عن ذلك الجزع
والغلق وحر المصيبة مثل ما نالك، ولكن رجعت إلى ما أمر الله جل جلاله به
المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبیه (صلى الله عليه وآله وسلم): (واصبر
لحكم ربك فإنك
بأعيننا) (١).

وحين يقول عز وجل: (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) (٢).
وهو يقول لنبیه (صلى الله عليه وآله وسلم) حين مثل بحمزة سيد الشهداء: (وإن عاقبتهم
فعاقبوا

بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (٣) وصبر (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يعاقب.

وحين يقول: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن
نرزقك والعاقبة للتقوى) (٤).

وحين يقول عز وجل: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه
راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (٥).
وحين يقول: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (٦).

(١) الطور: ٤٨.

(٢) القلم: ٤٨.

(٣) النحل: ١٢٦.

(٤) طه: ١٣٢.

(٥) البقرة: ١٥٦ و ١٥٧.

(٦) الزمر: ١٠.

وحين يقول عز وجل عن لسان لقمان لابنه: (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) (١).
وحين يقول عز وجل عن موسى (عليه السلام) وقال لقومه: (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) (٢).
وحين يقول عز وجل: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر) (٣).
وحين يقول: (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) (٤).
وحين يقول عز وجل: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) (٥).
وحين يقول: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (٦).
وحين يقول: (والصابرين والصابرات) (٧).
وحين يقول عز وجل: (واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) (٨) وأمثال ذلك من القرآن كثير.

-
- (١) لقمان: ١٧.
(٢) الأعراف: ١٢٨.
(٣) العصر: ٣.
(٤) البلد: ١٧.
(٥) البقرة: ١٥٥.
(٦) آل عمران: ١٤٦.
(٧) الأحزاب: ٣٥.
(٨) يونس: ١٠٩.

واعلم أي عم وابن عم أن الله عز وجل لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط، ولا شيء أحب إليه من الضر والجهد والأداء مع الصبر، وأنه تبارك وتعالى لم يبال بنعم الدنيا لعدوه ساعة قط، ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أوليائه ويخيفونهم ويمنعونهم، وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون.

ولولا ذلك ما قتل زكريا ويحيى ظلما وعدوانا في بغي من البغايا.

ولولا ذلك ما قتل جدك علي بن أبي طالب لما قام بأمر الله جل وعز ظلما.

ولولا ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه: (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليبوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) (١).

ولولا ذلك لما قال الله عز وجل في كتابه: (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) (٢).

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافرين عصابة من حديد لا يصدع رأسه أبدا» (٣).

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «إن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولولا ذلك ما سقى كافرا منها شربة من ماء» (٤).

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «لو أن مؤمنا على قلة جبل لبعث الله له كافرا أو منافقا يؤذيه» (٥).

(١) الزخرف: ٣٣.

(٢) المؤمنون: ٥٦.

(٣) البحار ٦٧ / ٢١٦ ح ٢٤ باب ١٢.

(٤) انظر البحار ٦٤ / ٣٢٠ ح ١٠ باب ١٢.

(٥) البحار ٦٧ / ٢٢٨ ح ٣٧ باب ١٢.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث أنه: «إذا أحب الله قوما أو أحب عبدا صب عليه البلاء، فلا يخرج من غم إلا وقع في غم» (١).
ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «ما من جرعتين أحب إلى الله عز وجل أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها، وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب» (٢).
ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد.
فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومتي وإخوتي بالصبر والرضا، والتسليم والتفويض إلى الله عز وجل والتمسك بطاعته والصبر على بلائه، أفرغ الله علينا صبرا، وختم لنا ولكم بالأجر والسعادة، وأنقذنا وإياكم من الهلكة بحوله وقوته، إنه سميع قريب، وصلى الله عليه صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته» (٣).
لذا تجد الخواص من الأولياء أبدانهم منهم في تعب ومشقة دائما، يعرضون عن لذائذ الدنيا لأنهم يعلمون أن التمتع في دار الدنيا يلزم نقصان الأجر في الأخرى، فكانوا يحبون الفقر ويعرضون عن لذات الدنيا.
روي أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا علي إني أحبك. فقال أمير المؤمنين: أعد للفقر جلبابا (٤).
وأصل الإيمان بعد معرفة الله وتوحيده محبة أمير المؤمنين (عليه السلام)، والمؤمن

(١) البحار ٤٧ / ٣٠١ ح ٢٥ باب ٩.

(٢) البحار ٤٧ / ٣٠١ ح ٢٥ باب ٩.

(٣) البحار ٤٧ / ٣٠٠ ح ٢٥ باب ٩.

(٤) البحار ٢٧ / ٨٧ ح ٣٣ باب ٤.

معرض عن الدنيا والدنيا مدبرة عنه، ويؤيد ذلك ما ورد في كتاب مدينة المعاجز في
أحوال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الباب ثلاثمائة وأربعة وأربعين في بيان علامات
المحب

والمبغض ما هذا نصه:

المفيد في الإختصاص، عن أحمد بن محمد بن عيسى وإبراهيم بن هاشم، عن
محمد بن خالد البرقي، عن خلف بن حماد، عن سعد بن ظريف، عن أصبغ بن
نباتة، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
«أيها الناس! إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق الله آدم (عليه السلام) بألفي عام،
لا يشذ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل، وإني لأعرفهم حين أنظر إليهم، لأن
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تفل في عيني وكنت أرمدا، قال: اللهم
اذهب عنه الحر والبرد،
وأبصره صديقه من عدوه، فلم يصبني رمد ولا حر ولا برد، وإني لأعرف صديقي
من عدوي».

فقام رجل من الملاء فسلم، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إني لأدين الله وإني
لاحبك في السر كما أظهر لك في العلانية.
فقال له (عليه السلام): «كذبت، فوالله لا أعرف اسمك في الأسماء، ولا وجهك في
الوجوه، وإن طينتك لمن غير تلك الطينة».

فجلس الرجل وقد فضحه الله، ثم قام آخر فقال: يا أمير المؤمنين! إني
لأدين الله بولايتك، وإني لأحبك في السر كما احبك في العلانية.
فقال له: «صدقت، طينتك من تلك الطينة، وعلى ولايتنا اخذ ميثاقتك، وإن
روحك من أرواح المؤمنين، فاتخذ للفقر جلبابا، فوالذي نفسي بيده لقد سمعت

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن الفقر أسرع إلى محبينا من السيل من أعلى الوادي» (١).

وقد وجدت عدة أحاديث بهذا المضمون باختلاف لفظي يسير، لا بأس بنقلها تسكيناً لقلوب الشيعة:

المفيد في الإختصاص عن الأصبح، قال: كنت مع أمير المؤمنين، فأتاه رجل فسلم عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين! إني لاحبك في الله، واحبك في السر كما احبك في العلانية - ويبد أمير المؤمنين عود - فطأطأ رأسه ثم نكت بالعود ساعة في الأرض ثم رفع رأسه، فقال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حدثني بألف حديث، لكل

حديث ألف باب، وإن أرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشتم وتتعارف، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وبحق الله لقد كذبت، فما أعرف في الوجوه وجهك، ولا اسمك في الأسماء».

ثم دخل عليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين! إني لاحبك واحبك في السر كما احبك في العلانية.

قال: فنكت الثانية بعوده في الأرض ثم رفع رأسه، فقال له: «صدقت، إن طينتنا طينة مخزونة أخذ الله ميثاقنا من صلب آدم، فلم يشذ منها شاذ ولم يدخل فيها داخل من غيرها، إذهب فاتخذ للفقر جلباباً فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

يقول: يا علي! والله الفقر أسرع إلى محبينا من السيل إلى بطن الوادي» (٢).

(١) مدينة المعاجز ٢ / ١٩٥ ح ٥٠١ الرابع والأربعون معرفته (عليه السلام) الرجلين المبغض والمحب، الإختصاص

٣١٠، بصائر الدرجات ٣٩٠ الجزء ٨ ح ١، وعنهما البحار ٢٦ / ١٣٠ ح ٣٨ و ٢٥ / ١٤ ح ٢٧ و ٦١ / ١٣٤ /

ح ٧.

(٢) مدينة المعاجز ٢ / ١٩٦ ح ٥٠٢ الخامس والأربعون وثلاثمائة، الإختصاص ٣١١، بصائر الدرجات ٣٩١ ح ٢، البحار ٢٥ / ١٤ ح ٢٧ و ٦١ / ١٣٤ ح ٧.

بديهي أن نظر الولي (عليه السلام) نظر الولاية الإلهية العامة، فكيف لا يعرف محبه من مبغضه؟! وعبد الله من عبد الجبت والطاغوت؟ والكلام الصحيح من الكلام الفاسد الخاطيء؟

كيف وقد مر سابقا أن علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفاض عليه (عليه السلام) بالاستحقاق، وقد

قال الله تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول) (١). قال أبو سعيد الخدري: أي يبغضهم علي بن أبي طالب (٢)، فكما أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرف مبغض أمير المؤمنين، فكذلك

أمير المؤمنين يعرف مبغضيه ويعرف لحن القول، فعلى محبيه أن يبشروا أنفسهم بولايته (عليه السلام)، ويعرضوا عن حطام هذه الدنيا الدنية وتقر أعينهم بمودتها وهي كيمياء السعادة الأخروية، ويتأسوا بإمامهم حيث أعرض عن زخارف الدنيا وأقبل على المشقة والضيق طلبا لرضا الرب. أنظر إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي خضعت له رقاب الملوك والقيصرة

والأكاسرة، وفتح الله عليه الفتوحات العظيم في القلاع والأصقاع والطوائف والقبائل والملوك، وصار في قمة الاقتدار والسلطنة والغنى ولم يكن له سوى بنت واحدة، وهو القائل «أولادنا أكبادنا» (٣) وكان لها من العزة والشرف والفضل العميم، ومع ذلك تجدها تقوم بالخدمات الصعبة بنفسها من السقي والطحن وما شاكل وهي في غاية الرضا، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم مدى المشقة التي تعانيتها بنته (عليها السلام)، ولكنه يحثها على التحمل ويرغبها في الفقر، وتلك المخدرة تطيع ولا تتبرم أبدا!!

(١) محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ٣٠.

(٢) البحار ٣٦ / ١٧٧ ج ١٧١ باب ٣٩ عن كشف الغمة.

(٣) البحار ٤٣ / ٢٨٤ ح ٥٠ باب ١٢ عن المناقب و ١٠١ / ٩٧ ح ٥٨ باب ٢.

والآن؛ ناشدتك بالإنصاف، لو لم تكن لها أي فضيلة سوى هذه، ألم تكن مستحقة لأن تكون سيدة نساء العالمين جميعا، وأن يجعل الله تبارك وتعالى الكفر والإيمان منوط بحبها وبغضها جزاءا على تسليمها ورضاها بألطفه؟! وهذه بنفسها خصيصة فوق الخصائص، وسنذكر في الخصائص الآتية الأخبار الأخرى الدالة على المراد إن شاء الله تعالى.

جعلنا الله من المتمسكين بحبل ولاء فاطمة صلى الله عليها، التي جعلها الله صفوة الصفوة ونور الأنوار، وكيف لا يكون كذلك والأب محمد المصطفى، والأم خديجة الكبرى، والزوج علي المرتضى، والأولاد السبطان، وقد اكتنفها الشرف من جميع أكنافها، وظهرت فضائل السؤدد على شمائلها وأعطافها، وكان الجلال يقطر من نواحي بيتها وأطرافه، فلها الرتبة العالية، والمكانة السامية، وهي واضحة الظهور، وسنا شرفها مشرق النور، وأيم الله - وأنا صادق فيما حلفت - إن نسبها افترع هام الكواكب شرفا وعلاء، وحسبها فاق النيرات فضلا وسناء، زاد الله في شرفها، ولا حرمننا الله - كافة محبيها - ولايتها في الدنيا وشفاعتها في الآخرة، إنه حميد مجيد.

الخصيصة الرابعة والأربعون
في بيان ما روي في صحاح العامة وكتب الخاصة
في فضيلة تلك المخدرة صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها
في صحيح البخاري «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة سيدة نساء
أهل

الجنة» (١)؛ والإطلاق في الحديث فيه دلالة عامة على أن تلك المخدرة لها السيادة
على جميع نساء أهل الجنة بالاستقلال، فينبغي أن لا توجد امرأة في حدها من
حيث التقوى والصلاح والتقرب، وإلا لكان ترجيحاً للمرجوح على الراجح،
فسيادة السيدة فاطمة (عليها السلام) على المرأة المساوية لا تصح بحال، لأن التفاضل
عند الله

بالطاعة وملازمة التقوى وليس بالحسب والنسب، فإذا كان مناط التفاضل
والقرب التقوى، وكانت (عليها السلام) بصريح الحديث النبوي الصحيح المتفق عليه
سيدة

نساء أهل الجنة، فلازمه أن لا تكون امرأة أعز ولا أعظم منها عند الله، حتى
مريم (عليها السلام) - وهي من النساء المصطفيات في القرآن - وحتى أمها المكرمة
خديجة

الكبرى التي كانت سابقة إلى الإسلام وأول امرأة في الدنيا آمنت بالنبى (صلى الله عليه
وآله وسلم).

(١) صحيح البخاري ٤ / ٢١٩ باب مناقب فاطمة (عليها السلام).

وفي الحديث الصحيح «إن آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد يمشين أمام فاطمة كالحجاب لها إلى الجنة» (١).
وفضيلة هؤلاء النسوة الأربع على نساء العالمين ثابتة بالنص النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم)،

وشرافة فاطمة الطاهرة على النسوة الثلاث منهن ثابتة أيضا بالحديث المذكور، حيث قال: «يمشين أمام فاطمة كالحجاب».

والأحاديث في كون هؤلاء النسوة الأربعة أفضل وأشرف النساء كثيرة، منها: ما في كتاب أبي بكر الشيرازي، عن محمد بن الحنفية، عن أبيه (عليه السلام): أن

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ... يا علي خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وخديجة

بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم (٢).

رواه أيضا عبد الملك في كتاب الفضائل وأحمد في المسند (٣).

وروى الخطيب البغدادي مثله بزيادة، ثم قال: وأفضلهن فاطمة (٤).

وروت عائشة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: يا فاطمة أبشري، فإن الله تعالى

اصطفاك على نساء العالمين، وعلى نساء الإسلام وهو خير دين (٥).

وقد أشرنا سابقا في الخصيصة الخامسة وغيرها إلى أن فاطمة أشرف من مريم ومن جميع نساء العالمين ولكن نريد أن نشير هنا إلى ذلك بطريق آخر:

(١) البحار ٤٣ / ٣٧ ح ٤٠ باب ٣.

(٢) البحار ٤٣ / ٣٦ ح ٣٩ باب ٣.

(٣) البحار ٤٣ / ٣٦ ح ٣٩ باب ٣.

(٤) البحار ٤٣ / ٣٦ ح ٣٩ باب ٣.

(٥) البحار ٤٣ / ٣٦ ح ٣٩ باب ٣.

بيان وفيه نور وإيمان
قال الشيخ البهائي في إثبات النبوة الخاصة: الإنسان إما أن يكون ناقصا
وهو أدنى الدرجات، وإما أن يكون كاملا في ذاته لا يقدر على تكميل غيره وهم
الأولياء، وإما أن يكون كاملا في ذاته قادرا على تكميل غيره وهم الأنبياء صلوات
الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم في الدرجة العالية، ثم إن الكمال والتكميل إنما يعتبر
في القوة النظرية والقوة العملية، ورئيس الكمالات في القوة العملية طاعة الله
تعالى، وكل من كانت درجاته في كمالات هاتين المرتبتين أعلى، كانت درجات
ولايته أكمل، وكل من كانت درجاته في تكميل الغير في هاتين المرتبتين أعلى،
كانت درجات نبوته أكمل، إذا عرفت هذا فنقول: إن عند قدوم سيدنا محمد (صلى
الله عليه وآله وسلم)

كان العالم مملوء من الكفر والشرك والفسق، أما اليهود فكانوا من المذاهب الباطلة
في التشبيه وفي الافتراء على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وفي تحريف
التوراة، وأما النصارى فقد كانوا في إثبات التثليث وتحريف الإنجيل قد بلغوا
الغاية، وأما المجوس فقد كانوا في إثبات الإلهين ووقوع المحاربة بينهما وفي تحليل
نكاح الأمهات والبنات قد بلغوا الغاية، وأما العرب فقد كانوا في عبادة الأوثان
والأصنام وفي النهب والغارة قد بلغوا النهاية، وكانت الدنيا مملوءة من هذه
الأباطيل، فلما بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقام هو بدعوة الخلق إلى
الدين الحق انقلبت

الدنيا من الباطل إلى الحق ومن الكذب إلى الصدق، ومن الظلم إلى النور، وبطلت
هذه الكفريات وزالت هذه الجهالات في أكثر بلاد العالم وفي وسط المعمورة بمعونة
الله، وانطلقت الألسن بتوحيد الله تعالى، واستنارت العقول بمعرفة الله تعالى،

ورجع الخلق من حب الدنيا إلى حب المولى بقدر الإمكان، وإذا كان لا معنى للنبوة إلا تكميل الناقصين في القوة النظرية والقوة العملية، ورأينا أن هذا الأثر حصل بمقدم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أكمل وأكثر مما ظهر بسبب مقدم موسى وعيسى على نبينا وآله وعليهما السلام، علمنا أنه سيد الأنبياء وقدوة الأصفياء (١). وقد تقرر حسب قاعدة اللطف وجوب إرسال الرسل وإتمام الحجة، وتحقق أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلن في مكة نبوته وخاتمته، وجاء بكتاب من عند الله، وأظهر المعجزات وخوارق العادات التي أعجزت الجميع، فلم يغلبه غالب بالرغم من أن أغلب الأمم والأقوام كذبوه، وأنه كان في الظاهر فقيرا يتيما وحيدا ويأمر الناس بما يخالف هواهم وآرائهم، والحال كان في مكة حين الدعوة كثيرون أقوى من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع ذلك كله غلب الجميع ونصر دعوته وقهر الملوك والسلاطين وما كان أحد يجرؤ على التمرد عليه، وهذا بنفسه معجزة فوق المعاجز. بديهي أن هذا لا يكون إلا بتأييد الله تبارك وتعالى. والعقل - مستقلا - حاكم في قضية النبوة والخاتمية، فبعد إثبات وجود اللطف ووجوبه على الله، ووجوب إرسال الرسل، فإن عدم مجيء نبي بعد نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه دليل على الخاتمية؛ وبنفس هذا الدليل تثبت الإمامة والخاتمية بنفسها دليل الأفضلية فضلا عن الأدلة الأخرى. ولما خلق الله الخلق قسمهم قسمين: ذو روح وجماد، وفضل ذي الروح على الجماد، وقسم ذو الحياة إلى قسمين: نبات وحيوان، وفضل الحيوان على النبات، وقسم الحيوان إلى قسمين: ناطق وغير ناطق، وفضل الناطق على غيره، وقسم

(١) الكشكول ١٣١.

الناطق إلى قسمين: عاقل وغير عاقل، وفضل العاقل واختاره، وقسم العاقل إلى قسمين: مؤمن وغير مؤمن، واختار المؤمنين، وقسم المؤمن إلى قسمين: عالم وغير عالم، وفضل العالم، وقسم العالم إلى قسمين: الأنبياء وغير الأنبياء، واختار الأنبياء، وقسم الأنبياء إلى قسمين: رسل وغيرهم، واختار الرسل، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وقسم الرسل إلى أولي العزم، واختار أولي العزم وفضلهم، وهم خمسة، واختار منهم محمدا المصطفى وفضله عليهم، وبه ختم النبوة، حيث قال وهو الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا نبي بعدي» (١). وهذا الخبر هو محض الصدق، ولو

كان نبي بعده لظهر وبان وجاء بكتابه وأعلن دعوته وجاء بالمعجزات البهرات والكرامات البيئات.

فتحقق أن أفضل ما خلق الله هو الوجود الأقدس المصطفوي، وقد أكد (صلى الله عليه وآله وسلم) في موارد عديدة أن فاطمة مني كالروح في البدن، كما روى مجاهد: قال

رسول الله وهو آخذ بيد فاطمة (عليها السلام) «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي

فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي (٢) ... إلى آخره.

وروى مجاهد أيضا: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن فاطمة شجنة مني، يسخطني

ما أسخطها، ويرضيني ما أرضاها» (٣) وغير ذلك مما قاله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق فاطمة (عليها السلام).

ومعلوم أن من قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه «بضعة مني» وأنه «روحي»

(١) ورد قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مصادر عديدة ومواضع كثيرة جدا في البحار، نذكر منها الموضوع الأول،

البحار ٢ / ٢٢٥ ح ٣ باب ٢٩، ومن أراد التفصيل فليراجع.

(٢) البحار ٤٣ / ٥٤ ح ٤٨ باب ٣ و ٨٠ ح ٦٩ باب ٣.

(٣) البحار ٤٣ / ٥١ ح ٤٨ باب ٣ عن كشف الغمة عن معالم العترة.

وقلبي» فهو بمنزلته من حيث الأفضلية، غاية ما في الأمر أن هناك خصوصيات خاصة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، مثل النبوة، لكنها من حيث الشرف فهي البتة أشرف نساء

العالمين بل رجالهم أيضا باستثناء عدة أفراد لهم خصوصية الإمامة، وهم أيضا من فاطمة وكفو فاطمة ومشتقون منها، ولا بد من وجود المناسبة والمشاكلة بين المشتق والمشتق منه صورة ومعنى، أما صورة، فقد قالت أم سلمة: كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشبه الناس وجها وشبها برسول الله (١). وأما معنى، فقد ذكرنا سابقا أن فاطمة الطاهرة لم تكن نبيية، إلا أنها كانت محدثة تكلمها الملائكة، وكذا حكم الصلاة على فاطمة حكم الصلاة على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالصلاة عليها توجب غفران الذنوب، كما روى أمير المؤمنين (عليه السلام)

عنها قال: قالت فاطمة (عليها السلام): قال لي رسول الله: يا فاطمة من صلى عليك غفر الله له

وألحقه بي حيث كنت من الجنة (٢). وهذه فضيلة فوق الفضائل وخصيصة فوق الخصائص، أن جعل الله للصلاة عليها مرتبة وثوابا كالصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن ذا يشاركها في هذه المزية؟! فلا بد أن تكون البتة خيرة النسوان، كما قال أمير المؤمنين في حديث رواه شرف الدين النجفي في ما نزل في أهل البيت من القرآن عن الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس الله روحه من كتاب مسائل البلدان، رواه بإسناده عن أبي محمد الفضل بن شاذان يرفعه إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: دخل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) على

أمير المؤمنين (عليه السلام) فسئله عن نفسه، فقال (عليه السلام): «يا سلمان! أنا الذي دعيت الامم

(١) البحار ٤٣ / ٥٥ ح ٤٨ باب ٣ عن كشف الغمة عن معالم العترة.

(٢) البحار ٤٣ / ٥١ ح ٤٨ باب ٣.

كلها إلى طاعتي فكفرت فعذبت بالنار، وأنا خازنها عليهم حقا أقول يا سلمان إنه لا يعرفني أحد حق معرفتي في الملاء الأعلى. قال: ثم دخل الحسن والحسين (عليهما السلام)

فقال (عليه السلام): يا سلمان! هذان شنفا عرش رب العالمين، بهما تشرق الجنان، وامهما

خيرة النسوان، أخذ الله على الناس من الميثاق بي، فصدق من صدق وكذب من كذب، وأنا الحجة البالغة والكلمة الباقية، وأنا سفر السفراء».

قال سلمان: لقد وجدتك في التوراة كذلك وفي الإنجيل كذلك، بأبي أنت وامي يا قتيل كوفان، والله لولا أن يقول الناس رحم الله قاتل سلمان، لقلت فيك مقالا تشتمئز منه النفوس، لأنك حجة الله الذي به تاب الله على آدم (عليه السلام)، وبه نجى

يوسف (عليه السلام) من الجب، وأنت قصة أيوب (عليه السلام) وسبب تغيير نعمة الله عليه.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أتدري ما قصة أيوب (عليه السلام) وسبب تغيير نعمة الله

عليه؟» قال: الله اعلم وأنت (١)... إلى آخر الحديث. إجمالاً؛ يكفي كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا في إثبات أفضلية تلك المخدرة على

نساء العالمين، بل في رواية أنها أفضل من الحسنين، فلا تصل النوبة إلى مقارنتها بنساء العالم، وسنذكرها في خصيصة آتية إن شاء الله، ليثبت صحة مجهولية قدرها وهي قطب سماء الرفعة والشان، ونعم ما قيل:

ليس على الله بمستنكر* أن يجمع العالم في واحد (٢)
وشواهد مناقبها باهرة، وكراماتها كالشمس ظاهرة، وقد خصها الله بمزايا كثيرة ما شاركها فيها أحد من خليقته كافة، من خشوعها لربها ورهبتها له

(١) البحار ٢٦ / ٢٩٢ ح ٥٢ باب ٦ عن كنز الفوائد.

(٢) شرح النهج ٧ / ١٢٠ خ ١٠٨.

ورغبتها في العبادة وتعففها وميلها إلى الزهادة، وموقفها في محرابها بسر بال سابع وإزار سابل، برقة قلب، وهموع طرف، وإنسكاب دمع، وتأوه حزين، وإخبات منيب، وسغب عيش، وجشب غداء، وقلة قوت، وخشونة لباس، ونوائب ومصائب، زاد الله في رتبها كما جعلها من أهل الذروة العالية، وجعلنا من شيعتها ومحبيها، ونسأل الله أن يجعلنا من خدام عبيدها ويشرفنا بهذا الشرف والكرامة حتى لا نلمس الجوزاء إلا قاعدا، ولا نعبد إلا ربا واحدا، وصلى الله على محمد وآله والأئمة الطاهرين المعصومين.

الخصيصة الخامسة والأربعون
في بيان الحديث الثالث من الأربعين حديثا التي وردت
في صحاح العامة وعن طرقهم
قد مر ذكر الحديثين الأول والثاني في الخصيصة السابقة، وأما الحديث
الثالث فعن ابن مخرمة إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: فاطمة بضعة
مني من أغضبها
أغضبني (١).

وكثيرا ما تكرر لفظ «بضعة» في الأحاديث النبوية، والغرض من نقل هذه
الرواية هنا بيان تسالم الفريقين عليها، وإلا فما رواه علماء الشيعة الإمامية ورواتهم
يبلغ إلى ما شاء الله بالأسانيد الصحيحة، كما روي في كتاب نواذر الراوندي بإسناد
معتبر:

قال: قال علي (عليه السلام): «استأذن أعمى علي فاطمة (عليها السلام) فحجبتة، فقال
رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لم حجبتيه وهو لا يراك؟ فقالت: إن لم يكن يراني فأنا
أراه، وهو يشم
الريح. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أشهد أنك بضعة مني» (٢).

(١) البحار ٢٧ / ٦٢ ح ١٦ باب ١.

(٢) البحار ٤٣ / ٩١ ح ١٦ باب ٤.

وبهذا الإسناد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ... سألنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المرأة ما

هي؟ فقلنا: عورة، فقال: فمتى تكون أدنى من ربها؟ فلم ندر، فقالت فاطمة لعلي (عليهما السلام): ارجع إليه فأعلمه أن أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها، فانطلق

فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما قالت فاطمة (عليها السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن فاطمة بضعة مني (١).

بديهي أن بضعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بد أن تكون في القمة في العفة والحياء التي تعد

من خيرة الصفات سيما للنساء. وليس الحياء فحسب بل جميع الصفات الحسنة التي تليق بشأن خيرة نساء العالمين لا بد أن تكون تامة كاملة في السيدة فاطمة الطاهرة، ويؤيده حديث «لولا علي لما كان لفاطمة كفؤ» (٢) وذلك أن سيد الأولياء هو الأشرف بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعنى أنه كفؤ فاطمة (عليها السلام) أنه لا يوجد لها كفؤ

آخر قط، وقد ثبتت أفضلية أمير المؤمنين وأشرفيته على من على الأرض كافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأدلة العقلية والنقلية، وقد وردت النصوص القاطعة الكثيرة

الخارجة عن حد البيان عن النبي في ذلك، ومنها ما رواه ابن بابويه في الأمالي، قال: حدثنا سعد بن الحكم بن أبي مريم بن أبية بن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن أبي مرة، عن سلمة بن قيس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«علي في السماء السابعة كالشمس في رابعة النهار، وفي الأرض وفي السماء الدنيا كالقمر بالليل، أعطى الله عليا جزءا من الفضل لو قسم على أهل الأرض لو سعه، وأعطاه الله من الفهم جزءا لو قسم على أهل الأرض لو سعه، شبهت لينة بلين

(١) البحار ٤٣ / ٩١ ح ١٦ باب ٤.

(٢) البحار ٤٣ / ٥٨ ح ٥٠ باب ٣.

لوط، وخلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيوب، وسخاءه بسخاء إبراهيم، وبهجته بيهجة سليمان بن داود، وله اسم مكتوب على كل حجاب في الجنة، بشرني به ربي، وكانت له البشارة عندي، علي محمود عند الخلق، مزكى عند الملائكة، وخاصتي وخالصتي، ومصاحبي وحببي، ورفيقي وأنسني به ربي، سئلت ربي أن لا يقبضه قبلي، وسئلته أن يقبضه شهيدا، دخلت الجنة فرأيت حور علي أكثر من ورق الشجر، وقصور علي كعدد البشر، علي مني وأنا من علي، من تولى عليا فقد تولاني، حب علي نعمة، واتباعه فضيلة، دان به الملائكة، وحفت به الجن الصالحون، لم يمش في الأرض ماش بعدي إلا كان هو أكرم منه عزا وفخرا ومنهاجا، لم يكن قط عجولا ولا مسترسلا لفساد، ولا منعقدا حملته الأرض فأكرمه، لم يخرج من بطن انثى بعدي أحد إلا كان هو أكرم خروجا منه، ولم ينزل منزلا إلا كان ميمونا به، أنزل الله عليه الحكمة ورداه بالفهم، يجالسه الملائكة ولا يراها، ولو أوحى الله إلى أحد بعدي لأوحى إليه، فزين الله به المحافل وأكرم به العساكر وأخصب به البلاد وأعز به الأجناد، مثله كمثل بيت الله الحرام؛ يزار ولا يزور، مثله كمثل القمر إذ طلع أضواء الظلمة، ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أنارت، وصفه الله تعالى في كتابه ومدحه بآياته، ووصف فيه آثاره وحسن منازلته، وهو الكريم حيا والشهيد ميتا» (١).

فمعنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لولا علي لما كان لفاطمة كفؤ إلى يوم القيامة» يعني أن

ليس في الرجال - سوى علي (عليه السلام) - من يدانيها فضلا وشرفا، فهي أفضل رجال العالمين طرا لعدم وجود «الكفؤ» أي المساوي لها في الفضل والشرف فيهم إلى يوم القيامة.

(١) أمالي الصدوق ١٧ المجلس الثاني ح ٧.

وهذا معنى قولهم إنها «الكلمة الجامعة للمفاخر والفضائل نسبا وحسبا» ولولاها لكانت أم الفضائل ثكلى، فالحمد لله الذي فضلها على العباد، وجمع لها بين طريف الفضل والتلاد، وألبسها ملابس التقوى والمفاخرة، وأعلى مقامها في الدنيا والآخرة.

والأحاديث في فضيلة تلك المخدرة كثيرة، حتى أن المجلسي روى حديثا يدل على أفضليتها (عليها السلام) على الحسنين، وبيانه مفصلا في الخصيصة الثانية عشر،

وعليه فالمسلم أفضلية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) عليها، أما غيرها فمحل خلاف.

وأي فضيلة أعلى وأفضل لفاطمة من تلك التي ذكرها سيد الأنبياء حينما عدد مناقب علي الثمانية، فجعل زواجه بفاطمة أحدها، كما في الحديث الصحيح المفصل الذي رواه الدارقطني بسند ينتهي إلى أبي سعيد الخدري عن النبي - في حديث قال في آخره -:

«يا فاطمة! ولعلي ثمانية أضراس - يعني بالأضراس المناقب - : إيمان بالله ورسوله، وحكمته، وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف، والنهي عن المنكر.

يا فاطمة! اعطينا أهل البيت ست خصال لم يدركها أحد من الأولين والآخرين غيرنا: نبينا خير الأنبياء; وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء; وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء; وهو حمزة عم أبيك، ومنا سبطا هذه الأمة; وهما ابنك، ومنا مهدي هذه الامه الذي يصلي خلفه عيسى (عليه السلام)». ثم ضرب على منكب

الحسين (عليه السلام) فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من هذا (١).

(١) البحار ٣٨ / ١٠ ح ١٧ باب ٥٦ عن كشف الغمة عن كتاب كفاية الطالب، عن الدارقطني.

وهذا بديهي فيمن كان والدها المكرم حبيب الله وصاحب الشفاعة
وصاحب مقام الخاتمية والتواضع والسكينة والمسألة والإجابة والسيف والتكبير
والأحكام الحتفية والأقسام والقضية والنور والشرف وعلو الدرجة والرفعة
والسخاء والشجاعة والنجدة والرحمة والتهيل والصلوات المفروضة والزكاة
والحج والإحرام وزمزم والمقام والمعراج والمشعر الحرام واليوم المشهود والمقام
المحمود والحوض المورود.
وكان بعلمها وصي هذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووزيره وعيبة علمه، الذي
يقول (صلى الله عليه وآله وسلم)
فيه (عليه السلام): «انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب» (١).
وقال فيه: «علي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر» (٢).
وقد أنزل الله فيه قرآن في عدة مواطن، فقال في حقه: (وجعلنا لهم لسان
صدق عليا) (٣).
وقال أيضا: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) (٤).
وأُنزل فيه: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) (٥) الآية.
وقال تعالى في حقه: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا) (٦).

(١) البحار ٣٨ / ١٨٩ ح ١ باب ٦٣.

(٢) البحار ٣٨ / ٧ ح ١٣ باب ٥٦.

(٣) مريم: ٥٠.

(٤) السجدة: ١٨.

(٥) التوبة: ١٩.

(٦) الأحزاب: ٣٣.

وقال الله تعالى في حقه: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (١).
هذه بعض الآيات النازلة في حق سيد الأولياء، ثم إن ما ذكره النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه - وهو كله بيان وتفسير لكلام الله تعالى - خارج من حد

الاستقصاء، من قبيل الحديث الطويل الذي يروي قصة كلام الذئب مع الراعي وذكره مناقب الرسول وزوج البتول، فتعجب الراعي من كلامه وجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقص عليه الخبر وحدثه بما سمع من الذئب، وكان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
جماعة من المنافقين، والحديث طويل ننقل منه موضع الحاجة:
«فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لئن شككتم أنتم فيه، فقد تيقنته أنا

وصاحبي الكائن معي في أشرف المحال من عزيز الملك الجبار، ومطوف معي في أنهار الحيوان من دار القرار، والمردد معي في أرحام الزاكيات، والمنقلب معي في أصلاب الطاهرات، والراكض معي في مسالك الفضل، وهو الذي كسى ما كسيته من العلم والحكم والعقل، وشقيقي الذي انفصل مني عند الخروج إلى صلب عبد الله وصلب أبي طالب، وعديلي في اقتناء المحامد والمناقب علي بن أبي طالب. آمنت به أنا والصديق الأكبر، وساقى أوليائه من نهر الكوثر. آمنت به أنا والفاروق الأعظم، وناصر أوليائي، السيد الكريم. آمنت به ومن جعله الله محنة لأولاد البغي، وجعله للوالي له أفضل العدة. آمنت أنا ومن جعله لديني قواما، ولعلمي علاما، وفي الحروب مقداما، وعلى أعدائه ضرغاما، أسدا قمقاما.

(١) المائدة: ٥٥.

آمنت أنا ومن سبق الناس إلى الإيمان، فتقدمهم إلى رضاء الرحمن، وتفرد
دونهم بقمع أهل الطغيان، وقطع بحججه وواضح بيانه معاذير أهل البهتان.
آمنت به أنا وعلي بن أبي طالب الذي جعله الله لي سمعا وبصرا ويذا ومؤيدا
وسندا وعضدا، لا ابالي من خالفني إذا وافقني، ولا أكثر من ازور عني إذا
ساعدني.

آمنت به ومن زين الله به الجنان وملاً بشانته طبقات النيران، ولم يجعل أحدا
من أمتي يكافيه ولا يدانيه، لن يضرني عبوس المعبسين منكم إذا تهلل وجهه، ولا
إعراض المعرضين منكم إذا خلص لي وده، علي بن أبي طالب الذي لو كفر الخلق
كلهم من أهل السماوات والأرضين لنصر الله عز وجل به وحده هذا الدين، والذي
لو عاداه الخلق كلهم لبرز إليهم أجمعين» (١).

فهذا هو علي (عليه السلام) كما يصفه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا نظير له
ولا عديل، ولولاه لما

كان لفاطمة كفو ولا كان لوجود فاطمة المقدس زوج، وهذا الأمر ليس خاصا
بالدنيا، فهو (عليه السلام) ليس له زوجة في الآخرة سوى فاطمة الطاهرة (عليها
السلام)، وهو دليل

أشرفيتها على وجه العموم، حيث لا يشاركها في هذا الأمر غيرها، وهي
خصوصية اختص الله به حبيته، فالحور العين في الجنة تنتسب إلى سائر المؤمنين
نسبة الزوجية كما في الدعاء «وزوجني من الحور العين». إلا في الوجود المقدس
لأمير المؤمنين، فزوجته فاطمة (عليها السلام) والحور العين خدم وإماء، وذلك كرامة
لفاطمة

على الله وغيره لها ولنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم).
ويشهد لذلك ما رواه السيد هاشم البحراني عن كتاب مناقب فاطمة مسندا

(١) البحار ١٧ / ٣١٧ ح ١٥ باب ٢.

إلى عمار بن ياسر، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي يوم زوج فاطمة من

علي: يا علي! إرفع رأسك إلى السماء فانظر ما ترى. فقال: أرى جوار مزينات معهن هدايا، قال: فأولئك خدمك وخدم فاطمة في الجنة، انطلق إلى منزلك فلا تحدث شيئا حتى آتيك... وأمرني أن أهدي لها طيبا.

قال عمار: فلما كان من الغد جئت إلى منزل فاطمة ومعى الطيب، فقالت: يا أبا اليقظان ما هذا الطيب؟

قلت: طيب أمرني به أبوك أن أهديه لك.

قالت: والله لقد أتاني من السماء طيب مع جوار من الحور العين، وإن فيهن جارية حسناء كأنها القمر ليلة البدر، فقلت: من بعث بهذا الطيب؟ قالت: دفعه إلي رضوان خازن الجنان وأمر هؤلاء الجواري ينحدرن معي، مع كل واحدة منهن ثمرة من ثمار الجنة في اليد اليمنى وفي اليد اليسرى تحية من رياحين الجنة، فنظرت إلى الجوار وإلى حسنهن، فقلت: لمن أنتن؟ فقلن: نحن لك ولأهل بيتك وشيعتك من المؤمنين، فقلت: أفيكن من أزواج ابن عمي أحد؟ قلن: أنت زوجته في الدنيا والآخرة، ونحن خدمك وخدم ذريتك (١).

وبديهي أن هذا كله للشرف والمنزلة التي أعطاها لتلك المخدرة وهو من معاني سيدة نساء أهل الجنة، ففي الخبر أن ملك استأذن الملك العلام ونزل إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يكن نزل من قبل، فسلم عليه وبشره أن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة الطاهرة سيدة نساء أهل الجنة (٢).

(١) مدينة المعاجز ١ / ٣٦٧ الثلاثون والمائة ح ٢٣٥.

(٢) البحار ٣٧ / ٣٩ ح ١٠ باب ٥٠ عن حذيفة بن اليمان قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أتاني ملك لم يهبط

إلى الأرض قبل وقته، فعرفني أنه استأذن الله عز وجل في السلام علي فأذن له، فسلم علي وبشرني أن ابنتي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة. وقد ورد الحديث في مصادر عديدة بألفاظ مختلفة اختلافا يسيرا.

فالويل لمن سن ظلمها وأذاها وغصب حقها وأسخطها وجعلها صفر الكف والإناء في هذه الدنيا، حتى أنهم كانوا يؤمنون معاشهم بالكد، وقد يمنعون من ذلك أيضا ويمنعون من الأنفال والغنائم؛ أف لك يا دنيا.
قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اللهم إني أستعديك من (١) قريش فإنهم فرغوا إنائي» (٢).

ويقينا؛ أن من ظلم الآل مثل هذا الظلم فهو مسخوط عليه، وهو أبغض عند الله من الشيطان، وعذابه أشد من عذاب الشيطان، والفساد الذي ترتب لاحقا على غصب حقوق أهل البيت أشد وأكبر بمراتب من الفساد الذي لحق أهل الأرض من إغواء إبليس لآدم (عليه السلام) سابقا؛ لذا تعين عقلا ونقلا أن يكون عذاب أولئك أشد من عذاب إبليس، كما أخبر بذلك إبليس نفسه؛ فقد روى السيد هاشم البحراني عن الإختصاص للشيخ المفيد بأسانيد متعددة معتبرة عن القاسم بن محمد الهمداني، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الكوفي، قال: حدثنا أبو الحسين يحيى بن محمد الفارسي، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «خرجت ذات يوم يوم إلى ظهر الكوفة

وبين يدي قنبر، فقلت: يا قنبر! ترى ما أرى؟
فقال: قد ضوء الله عز وجل لك يا أمير المؤمنين عما عمي عنه بصري.

(١) خل «علي». (من المتن)

(٢) البحار ٣٣ / ٥٦٩ ح ٧٢٢ باب ٣٠ وفيه «علي» بدل «من» و «أصغوا» بدل «فرغوا».

فقال: يا أصحابنا! ترون ما أرى؟
فقالوا: قد ضوء الله لك يا أمير المؤمنين عما عمي عنه أبصارنا.
فقلت: والذي خلق الجنة وبرئ النسمة لترونها كما أراه، ولتسمعن كلامه،
فما لبثت إلا أن طلع شيخ عظيم الهامة، شديد القامة، له عينان بالطول، فقال:
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.
فقلت: من أين أتيت يا لعين؟
قال: من الأنام.
فقلت: وأين تريد؟
فقال: إلى الأنام.
فقلت: بئس الشيخ أنت.
فقال: لم تقول هذا يا أمير المؤمنين، فوالله لاحدثتك بحديث عني عن الله، ما
بيننا ثالث.
فقلت: يا لعين! عنك عن الله عز وجل ما بينكما ثالث؟
قال: نعم، إنه لما هبطت بخطيئتي من السماء، ناديت: يا الهي وسيدي! ما
أحسبك خلقت خلقتا هو أشقى مني.
فأوحى الله تبارك وتعالى إلي: بلي، خلقت من هو أشقى منك، فانطلق إلى
مالك يريكه، فانطلقت إلى مالك، فانطلق بي مالك إلى النار، فرفع الطبقة الأعلى
فخرجت نار سوداء ظننت أنها قد أكلتني وأكلت مالكا، فقال لها: اهدئي،
فهدأت، ثم انطلق بي إلى الطبقة الثاني، فخرجت نار هي أشد من تلك، فقال لها:
احمدي، إلى أن انطلق بي إلى السابع، وكل نار تخرج من طبق هي أشد من الأولى،

فخرجت نار ظننت أنا قد أكلتني وأكلت مالكا وجميع ما خلقه الله عز وجل، فوضعت يدي على عيني، وقلت: فأمرها يا مالك أن يخمد وإلا خمدت. فقال: إنك لن تخمد إلى يوم الوقت المعلوم، فأمرها فخمدت، فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النيران معلقين بها إلى فوق، وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونها بها. فقلت: يا مالك! من هذان؟ فقال: فما قرأت على ساق العرش وكنت قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده ونصرته بعلي (عليه السلام). فقال مالك: هذان من أعداء أولئك أو ظالمهم - الوهم من

صاحب الحديث - (١).

«ويل لمن كفره نمرود»!!

فإذا كان إبليس بتلك الشقاوة أخف عذابا من غاصبي حقوق أهل البيت، فلا بد أن تفهم أن معاداة أهل البيت وعدم التصديق بولايتهم أكبر الكبائر وموجبة للشقاوة الأبدية، كما أن محبتهم توجب السعادة الأبدية، والحال أن معصية واحدة من معاصي الشيطان لو اشترك فيها أهل العالم لاستوجبوا جهنم، كما بين إبليس بنفسه بعض معاصيه:

ففي المناقب لابن شهر آشوب في حديث طويل عن علي بن محمد الصوفي أنه لقي إبليس وسأله، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا من ولد آدم.

فقال: لا إله إلا الله، أنت من قوم يزعمون أنهم يحبون الله ويعصونه، ويغضون إبليس ويطيعونه.

(١) مدينة المعاجز ١ / ١٢١ ح ٦٩ السابع عشر أخباره مع إبليس، الإختصاص ١٠٨، البحار ٣٩ / ١٩١ ح ٢٧.

فقال: من أنت؟

فقال: أنا صاحب الاسم الكبير والطبل العظيم، أنا قاتل هايبيل، أنا الراكب مع نوح في الفلك، أنا عاقر ناقة صالح، أنا صاحب نار إبراهيم، أنا مدبر قتل يحيى، أنا ممكن قوم فرعون يوم نيل، أنا مخيل السحر وقائده إلى موسى، أنا صانع العجل لبني إسرائيل، أنا صاحب منشار زكريا، أنا السائر مع أبرهة إلى الكعبة بالفيل، أنا المجمع لقتال محمد يوم احد وحنين، أنا ملقي الحسد يوم السقيفة في قلوب المنافقين،

أنا صاحب الهودج يوم الخريبة والبعير، أنا الواقف في عسكر صفين، أنا الشامت يوم كربلا بالمؤمنين، أنا إمام المنافقين، أنا مهلك الأولين، أنا مضل الآخرين، أنا شيخ الناكثين، أنا ركن القاسطين، أنا امل المارقين، أنا أبو مرة المخلوق من نار لا من طين، أنا الذي غضب عليه رب العالمين.

فقال الصوفي: بحق الله عليك إلا دللتني على عمل أتقرب به إلى الله، وأستعين به على نوائب دهري.

فقال: إقنع من دنياك بالعفاف والكفاف، واستعن على الآخرة بحب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبغض أعدائه، فإني عبدت الله في سبع سماوات وعصيته في سبع

أرضيه، فلا وجدت ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا إلا وهو يتقرب بحبه [قال: ثم غاب عن بصري] فأتيت أبا جعفر (عليه السلام) فأخبرته بخبره، فقال (عليه السلام): آمن الملعون بلسان وكفر بقلبه (١).

والواضح من كلامه (عليه السلام) أن الركن الأعظم للإيمان هو الإقرار بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وحبه وبغض أعدائه، ولا بد من الاثنين معا حكما، ولا ينفع

(١) البحار ٣٩ / ١٨١ ح ٢٣ باب ٨٣ عن المناقب: ٢ / ٢٨٥.

أحدهما دون الآخر، وإن كان لزوم وجود التالي لوجود المقدم واضح للعاقل العالم. ويكفي الناس أن يسمعوا نصيحة الشيطان هذه ويعملوا بها، فحب أمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين لازمة اتباعهم، فالمحب يحب ما يحبه الحبيب، فيكون عاملا بالسنن والآداب البتة؛ لأنها محبوبة عندهم ولا يمكن أن يتركها بحال، ولازم هذا الحب أيضا أن يبغض مبغضهم ومن تجاسر عليهم، خاصة ظالمي فاطمة الطاهرة التي خلق الله الكائنات بذراتها من أجل وجود هذه المعصومة وبعلمها وأبيها وبنيتها، وهي وعاء الإمامة لأحد عشر إماما من أولادها (عليهم السلام). فتبين أن حب فاطمة وبنيتها من أركان الإيمان وكذلك بغض أعدائها من أركان الإيمان، وإنما كتب الله ذلك العذاب الأليم العظيم على أعدائها - استحقاقا - حبا وإجلالا لأهل بيت الرسالة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وشفى الله بهم غليل الطالبين، وقطع بأحكامهم حجج القاتلين، وأعد لهم ولشيعتهم في الدار الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، كما أعد لأعدائهم نار الجحيم والنكال المقيم؛ جعلنا الله من المقتنين بآثارهم والمتبرين من أعدائهم إنه ولي الأمر.

الخصيصة السادسة والأربعون
في بيان البعض الآخر من الأربعين حديث المروية
في صحاح العامة الدالة صريحا على أن أذى فاطمة
أذى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
الحديث الرابع: في الجزء الرابع من صحيح مسلم عن ابن مخرمة: قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها (١).
وقد مر تحقيق معنى «البضعة» في الخصيصة السابقة، وهذا الحديث متقارب
اللفظ والمعنى مع سابقه، وصريح في أن أذية فاطمة لأذى لرسول الله (صلى الله عليه
وآله وسلم)، ويفيد
الجزئية.

الحديث الخامس: في الجزء الثالث من صحيح مسلم عن عبد الله بن زيد
المازني: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ما بين قبري ومنبري روضة
من رياض الجنة» (٢).

روى مسلم هذا الحديث بعدة طرق. ومعلوم أن شرف المحل من شرف
الحال؛ لأن تلك البقعة تضمنت الجثة الطيبة الطاهرة لفاطمة (عليها السلام)، فجعلها
الله

(١) صحيح مسلم ٢ / ٤٦٦ ح ٩٤ باب ١٥.

(٢) صحيح مسلم ١ / ٦٣٣ ح ٥٠٠ - ٥٠٢ باب ٩٢ وفي الأخبار الثلاثة «بيتي» بدل «قبري».

روضة من رياض الجنة بناء على أن تلك المعصومة دفنت في تلك البقعة. والحديث يدل على ذلك. والتعبير عن الأرض التي تضم بضعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) روضة من رياض الجنة

ناشئ من ضيق العبارة، ولو كان مكان أفضل من الجنة لذكر؛ لأن الجنة خلقت لأجلها وتشرفت بوجودها واستعارت المكارم واللطف والحسن منها، ونموذج من خلقها وخلقها، ومثلها ومثل الجنة كشرافة مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على سائر المساجد والكعبة على سائر بيوت الله وأرض كربلاء على سائر الأراضي، فلو لم تنسب الكعبة إلى الله لما شرفت كل ذلك التشريف ولما صارت مكانا يطوف حولها العالم، ولو لم يهاجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة لما شرفت المدينة، وقد قيل «زينة اللباس باللابس».

[مفاخرة بين مكة والمدينة]

وللأدباء بيانات أدبية مليحة عن اللسان المعنوي لمكة والمدينة والمفاخرة بينهما لا تخلو عن بعض النكات البلاغية، وأعجبني مقالة لصاحب «برهان الحق» ابن نور الدين في المفاخرة بين الحرمين، فلا بأس بذكرها هنا وإن كانت خارجة عن الموضوع، ولكن سنذكرها باختصار ثم نعود إلى الموضوع ثانية.

قال ابن نور الدين المكي: إنهما اجتمعا في ميدان المفاخرة وبينهما حجاز، فبرز حرم المدينة وقال: الحمد لله الذي فضلني على سائر البلاد، وجمع بي بين طريف الفضل والتلاد، وشرفني بحلول خير العباد، أشرف كل حاضر وباد،

وألبسني ملابس المفاخرة، وأعلى مقامي في الدنيا والآخرة، وجعل تربتي شفاء من السقام، وغباري دواء للجذام. قال الشاعر:
لا تحسب المسك الزكي كتربها * هيهات أين المسك من رياها
فإلى مسجدي تشد الرحال من كل قرية وفلاة، والصلاة فيه بألف صلاة،
فلا غرو إن سبقت في هذا المضمار، وركضت في ميدان الفخار، فأحق الخيل الفرس
المعار.

فلما سمع الحرم المكي هذه العبارة وتضمنها الإشارة، وقال كأنك تقولين
إياك أعني واسمعي يا جارة، أيتها المدينة المسكينة عليك بالسكينة، إلي تعرضين؟
أم علي تتعرضين؟ تالله ما سال إليك إلا ما فاض مني، ولا وصل إليك إلا ما فصل
عني، أما سمعت قوله تعالى: (فيه آيات بينات) (١)، ألك مثل الكعبة ذات
السور؟ أو البيت المقابل بالبيت المعمور؟ أفي صفاتك مثل الصفا؟ أم هل كان لك
مقام كمقام إبراهيم؟ وهل ظفرت بالحجر المكرم الذي هو كالمقلة السوداء في
البيت؟ فإن كانت الصلاة في مسجدك بألف، فهي في مسجدي بمائة ألف، وإن
فخرت بحلول الشفيع ففي كان مسقط الرأس الرفيع، فارفقي بنفسك ولا تترفعي
على أبناء جنسك.

فلما سمعت المدينة هذه المقالة اشتعلت ولا اشتعال الذبالة، وبرزت كالقمر
وسط الهالة، وقالت: يا لله العجب! ما هذا الفعل الذي أتيت؟
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم
ويلك ارفعي ذيل إعجابك، هيهات أين النجم من البدر؟ والقطر من

(١) النور: ١.

البحر؟ فإن كان فيك مقام الخليل، فعندي المقام الجليل، وإن كانت كعبتك بينة الحسن فحالي كله جميل، وإن فخرت بتقابل بيت المعمور، فبيوتي كلها بنور الحبيب مغمور، وإن أتيت بالصفة أتيت بالنبي المصطفى، وإن نظرت إلي من عين البيت وزمزم بالمقلة السوداء قابلتك بالقبة الخضراء، وبهرتك من بيت مالي البيضاء والصفراء، ونظرت إليك بالعين الزرقاء.

وأما ما ذكرت من تضعيف صلاتك، فالتضعيف يحتاج إلى طبيب حاذق فإنه ضعيف ولم يسلم بسنده ولا متنه بأسنة السنة النقاد من الطعن والتجريح. وأما حديث مسجدي فشائع سائغ من المحض الصريح، أو ما بلغك أنه سينزل في كل يوم وليلة بعد صلاة الفجر على الضريح سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إلى آخر الدهر.

وأما ما ذكرت من أن فيك مولد النبي العظيم فقد صدقت، ولكن ولدته وربيته، وأخرجته وآويته، وخذلته ونصرته، وعقته وبررته، كان بطني وعاءه، وكنت له أما شفيقة وذلك كما قيل بجدي لا بكدي.

فحين قرع سمع مكة هذا الكلام، قامت وقعدت وبرقت وأسفرت عن وجهها فضل نقابها، وكشفت ما كانت سدلت من حجابها، ونطقت بملء فيها، وأظهرت السرائر التي كانت تخفيها، وقالت: وا عجباه! يا صفراء ويا بيضاء! غري غيري!! ويحك تجوع الحرة ولا تأكل بشدييها، فما هلك امرء عرف قدره، ولم يتعد طوره، ألسنت أم القرى؟ أليس أنه أقام في ثلاثة وخمسين سنة سيد الورى؟ وإنما أقام بك عشرا أو ما دون العشر، ألسنت أول بيت وضع للناس؟ أليس الخليل والذبيح رفعا مني الأساس؟ أفيك كل يوم وليلة تنزل مائة وعشرون رحمة؟ أم

فيك الأماكن التي الدعاء فيها متحقق الإجابة؟ أم لك مثل الميزاب الذي تصب عنه الرحمة صبا ويغدو المشتاق إليها مغرما ويروح صبا؟ ألك كالأبطح والبطحاء؟ أم في ثنايا ثغورك ككداء وكدا؟ كلا والله لا قائمة لك معي في بيت الفخار، ولا قاعدة ولا بارقة لك في سماء العلى ولا راعدة، وإياك ثم إياك تحتقرين مما يعود عليك ضرره، واقصري عن ثنائك، وقصري بعض خطوك، فقد دلتك طريق اخوان الصفا، ونصحتك فيما قلته وكفى.

فقامت المدينة عند ذلك على قدمها، ونظرت بعين الحمراء إليها، وكشفت للحرب عن ساقها، وقالت: ويحك! ما هذا الفخار مع الافتقار، فإن تقولين أنا أصغر منك سنا، فإن أشرف أعضاء الإنسان العين، وأشرف العين الحدقة، وكيف ومقداري كبير وشرفي خطير، أما يكفيك مالك لا تعين، وتقولين ولا تسمعين، فلا بالوعظ تتعظين، ولا من عض الملام تمتعضين، فإن كنت أم القرى، وجميع البلاد افتتحت بالسيف، افتتحت أنا بالقرآن، وبالحقيقة أنا التي فتحتك، ومنعت عنك الشر فنجيتك، لا يشكر الله من لا يشكر الناس، وأما قولك بأنك خصصت في الإقامة بالأكثر فذهلت عن المعنى، (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) (١)، ومتى طلع بدري من ثنيات الوداع لم يطلع لك معي نجم، أو تبسمت ثنايا ثغور أكامي بكت جفون ثلاث كدائك، أو استرقت شياطين خرابتك السمع من سماء سموي قابلتها ملائكة السكينة من سكانني بالرجم، وإن افتخرت بوادي إبراهيم ففي أوديتي قلب المحب يهيم، وأين العقيق من البطحاء؟ فلما سمعت مكة قالت: اللهم إني أبرأ إليك من القوة والجدل، وأستمد منك

(١) الحج: ٤٧.

الفضل والطول، ثم قالت: الآن حمى الوطيس، وزال التلبس، ذكرتني الطعن وكنت ناسيا، ويحك! أتسددين إلي سهما أنا لك ريشتها؟ وترسلين إلي ظبا أنا أحرشتها؟ أما خشيت أن يذهب عنك أنصارك ويفترق الجمع متى قابلتك؟ أتراك أو أحضرت بوادي لا أراك؟ يخطر ببالك أن ما ثم سواك؟ فكم من مخالف لهواه وهو لي بمخالف؟ وكم واقف ببابي وعاكف؟

فلما سمعت المدينة كلامها ضربت طولها، ونشرت أعلامها، وبرزت بروز الأسد من غابه، والسيف من قرابه، وقالت: أتستصغرين قدرتي وأنا جذيلها المحكك (١)؟ ليس ذا بعثك فارجي، وحيث وصلت إلى هذا المعترك وقعت في الشرك وأمكنت الرامي من الرمية، وأرحته من هذه القضية، ومهما بدت لك عاتبي فررت من آساده، أو لاحت لك العوالي ردت سيوفك في أغمادها، أما سمومك يذوب فيها كل كبد حراء، فأنت في جبالك مع أراضي الواسعة في ضيق وأن، أجريت ذكر زمزمك، أو مراعى شعابك وواديك، فاسمعي وانظري فليس الخبر كالعيان ماء، ولا كصدى ومرعى، ولا كسعدان، فكم لي بأراضي من عين كالخنساء تجري علي، وساكني سيد العباد، وأنا سيده البلاد، واقسم بكل ساقية جارية ولئن لم تتركي بعض نفارك، وتلبسي ثوب وقارك، لأجردن إليها من المعالي حيث يقلع خيام، فخرجنا لها بأوتادها، وأما ما احتججت بالمشهور وكلام

(١) الجذيل المحكك: عود ينصب في مبارك الإبل لتحك به الإبل الجرباء نفسها، وذهب الكلام مذهب المثل

عند العرب، كما يقال «أنا عذيقها المرحب» والعذيق النخلة كثيرة الحمل ترحب لثلا تصاب أو يصاب ثمرها لثقل حملها بناء على اختلاف معنى الترحيب، حيث قيل الترحيب هو جعل المساند للنخلة لثلا تميل، وقيل هو شد شماريخها بالخصوص لثلا يهزها الهواء فيتساقط التمر، وهذا النوع من النخل عزيز جدا، والمعنى الأول يناسب المثل، لأن أغلب النخل تشد شماريخها حفاظا على التمر. (من المتن)

الجمهور فجوابك أنه فرق بين الدرهم والدينار في الصرف، والناس ألف منهم
كواحد وواحد، كنهم كألف وهاك من الفضائل ما يكون فوق طاقتك، وإن
الطاعون لا يقرب قبابي، ولا يدخل الدجال من أبوابي، فاسبلي عليك أستر
حجبك، وارجعي إلى ربك.

فلما انتهى بهما الحال إلى هذا المقام، أقبلت مكة عليها وقالت: دعينا من هذا
الجدال، وكثرة القيل والقال، فإلى كم نكيل الكلام بالمد والصاع، فتعالى حتى نرفع
أمرنا إلى حاكم ينجينا من التعب والنصب.

فقلت لها اختها: ومن يكون ذلك؟ أو يجسر أن يسلك هذه المسالك؟ غير
من اعتضدت بنصرته الملة الإسلامية... إلى آخر المقام. ومن أراد التفصيل
فليرجع إلى كتاب «نزهة الجليس».

عود إلى بدء:

كان الكلام في أن شرف المحل بحلول الحال، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
قال: «بين

قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» وما ذاك إلا لحلول الوجود المقدس
الفاطمي في تلك البقعة.

وفي المناقب لابن شهر آشوب: قال أبو جعفر الطوسي: «الصواب أنها
مدفونة في دارها أو في الروضة، يؤيد قوله قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «بين
قبري ومنبري

روضة من رياض الجنة» (١).

(١) المناقب ٣ / ٤١٤، صحيح البخاري ٢ / ٢٢٤ كتاب الحج؛ البحار ٤٣ / ١٨٥ ح ١٧ باب ٧.

وقالوا: حد الروضة ما بين القبر إلى المنبر إلى الأساطين التي تلي صحن المسجد (١).

وفي البخاري «بين بيتي ومنبري» (٢).

وفي الموطأ والحلية والترمذي ومسند أحمد بن حنبل «ما بين بيتي ومنبري» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «منبري على ترعة من ترع الجنة» (٤).

وليس الغرض تعيين قبر الصديقة الطاهرة هنا، وسيأتي ذلك مفصلاً في الخصائص بعد الوفاة إن شاء الله تعالى.

وبديهي أن من نبت لحمها ونشأ بدنها - مع كونها بشراً - على أغذية الجنة وفواكهها وموائدها، بل أن نطفتها انعقدت منها لا بد أن يكون مدفنها ومضجعها روضة من رياض الجنة وقطعة من الجنة.

وقصة تغذيتها من موائد الجنة وفواكهها في الدنيا تكررت مرارا لا مرة ولا عشر مرات، ووردت في أخبار صحيحة كثيرة في دفعات عديدة لا يسعنا نقلها جميعاً خوفاً من الإطالة.

روى أبو موسى في مصنفه «فضائل البتول صلوات الله عليها»: إن جبرئيل جاء بالرمانتين والسفرجلتين والتفاحتين وأعطى الحسن والحسين (عليهما السلام) وأهل البيت يأكلون منها، فلما توفيت فاطمة صلوات الله عليها تغير الرمان والسفرجل،

(١) البحار ٤٣ / ١٨٥ ح ١٧ باب ٧.

(٢) عنه: البحار ٤٣ / ١٨٥ ح ١٧ باب ٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) البحار ٤٣ / ١٨٥ ح ١٧ باب ٧.

والتفاحتين بقيتا معهما، فمن زار الحسين (عليه السلام) من مخلصي شيعتنا بالأسفار وجد ريحها.

قال السيد في مدينة المعاجز: «ولست أدري [أن الأمرين] واحدا أو اثنين وقد وقع الاختلاف في الرواية (١).

وروى قبله أن الهدية النازلة «كان فيه بطيختان ورمانتان ورزقكم من جنات النعيم، وكان أهل البيت يأكلون منها وتعود، حتى قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فتغير البطيخ فأكلوه فلم يعد، ولم يزالوا كذلك إلى أن قبض أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فتغير السفرجل، فأكلوه فلم يعد. قال الحسين (عليه السلام): «وبقي التفاحتان

معي ومع أخي، فلما كان يوم آخر عهدي بالحسن (عليه السلام) وجدتها عند رأسه وقد

تغيرت، فأكلتها وبقيت التفاحة الأخرى [معي]» (٢).

وروي عن أبي محيص أنه قال: كنت عارفا بها، وكنت بكر بلاء مع عمر بن سعد - لعنه الله - فلما كرب الحسين العطش أخرجها من رداءه واشتمها وردها، فلما صرع - صلوات الله عليه - فتشت فلم أجدها [وسمعت صوتا من رجال رأيتهم ولم يمكنني الوصول إليهم] أن الملائكة تلتذ بروائحها عند قبره عند طلوع الفجر عند قيام النهار (٣).

والموائد النازلة من الجنة للأنوار الخمسة كثيرة وفاطمة الطاهرة شريكهم فيها، منها حديث الرطب الذي كان فيه نوع اختصاص لتلك المخدرة:

(١) مدينة المعاجز ١ / ٣٣٩ ح ٢١٧ الثالث عشر والمائة.

(٢) مدينة المعاجز ١ / ٣٣٨ ح ٢١٥ الثالث عشر والمائة عن الثاقب في المناقب.

(٣) مدينة المعاجز ١ / ٣٣٩ ح ٢١٦ الثالث عشر والمائة عن الثاقب في المناقب.

روى الفخري (١) المعاصر في كتابه عن جمع من الصحابة، قالوا: دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دار فاطمة (عليها السلام) فقال: يا فاطمة إن أباك اليوم ضيفك. فقالت: يا أبة إن الحسن والحسين يطلبان بشيء من الزاد فلم أجد لهما شيئاً يقتاتان به، ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل وجلس مع علي والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام) متحيرة ما تدري كيف تصنع، ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر إلى السماء ساعة، وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا محمد، العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: قل لعلي وفاطمة والحسن والحسين أي شيء تشتهون من فواكه الجنة؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي ويا فاطمة ويا حسن ويا حسين، إن رب العزة علم أنكم جياع، فأبي شيء تشتهون من فواكه الجنة؟ فأمسكوا عن الكلام ولم يردوا جواباً حياءً من رب العزة (٢)، فقال الحسين: عن إذن منك يا أباه يا أمير المؤمنين، وعن إذن منك يا أماه يا سيدة نساء العالمين، وعن إذن منك يا أخا الحسن الزكي أختار لكم شيئاً من فواكه الجنة. فقالوا جميعاً: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختاره لنا. فقال: يا رسول الله قل لجبرئيل: إنا نشتهي رطباً جنياً [في غير أوانه]. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): قد علم الله ذلك، ثم قال: يا فاطمة قومي ادخلي البيت فأحضري لنا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلور مغطى بمنديل من السندس الأخضر وفيه رطب جنياً [في غير أوانه]. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة وهي حاملة المائدة: أنى لك هذا؟

(١) هو فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح النحفي الطريحي، عالم لغوي له كتاب

معروف سماه «مجمع البحرين». توفي سنة ١٠٨٧.

(٢) في المصدر «حياء من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)».

(قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب) كما قالت مريم. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وتناوله منها وقدمه بين أيديهم، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم أخذ رطبة واحدة فوضعها في فم الحسين (عليه السلام)، فقال: هنيئا مريئا لك يا حسين، ثم أخذ رطبة ثانية فوضعها في فم الحسن، فقال: هنيئا مريئا لك يا حسن، ثم أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة، وقال: هنيئا مريئا لك يا فاطمة الزهراء، ثم أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم علي بن أبي طالب، وقال: هنيئا مريئا لك يا علي، وتناول رطبة أخرى ورطبة أخرى والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: هنيئا مريئا لك يا علي، ثم وثب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائما ثم جلس ثم أكلوا جميعا من ذلك الرطب، فلما اكتفوا وشبعوا ارتفعت المائدة إلى السماء بإذن الله. فقالت فاطمة: يا أبة لقد رأيت اليوم منك عجبا. فقال: يا فاطمة أما الرطبة الاولى التي وضعتها في فم الحسين وقلت له: هنيئا لك يا حسين، فإني سمعت ميكائيل وإسرافيل يقولان: هنيئا لك يا حسين، فقلت موافقا لهما بالقول: هنيئا لك يا حسين، ثم أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن، فسمعت جبرئيل وميكائيل يقولان: هنيئا لك يا حسن، فقلت موافقا لهما في القول، ثم أخذت الثالثة فوضعها في فمك يا فاطمة، فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان وهن يقلن هنيئا لك يا فاطمة، فقلت موافقا لهن بالقول هنيئا لك يا فاطمة (١)، ولما أخذت الرطبة الرابعة فوضعتها في فم علي بن أبي طالب سمعت النداء من الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئا مريئا لك يا علي،

(١) ولا يخفى على أهل الذوق بأخبار أهل البيت أن تهنئة الحور العين في المقام بتلك المخدرة وعظمتها من تهنئة جبرئيل وميكائيل وفيها دلالة على زيادة مزية وشرف للناموس الأعظم فاطمة الزهراء. (من المتن)

فقلت موافقا لقول الله تعالى، ثم ناولت عليا رطبة أخرى، ثم ناولته رطبة أخرى وأنا أسمع قول الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئا مريئا لك يا علي، ثم قمت إجلالا لرب العزة جل جلاله فسمعتة يقول: يا محمد، وعزتي وجلالي لو ناولت عليا من هذه الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت له: هنيئا مريئا بغير انقطاع. [فيا إخواني] فهذا هو الشرف الرفيع والفضل المنيع (١).

بديهي البتة؛ أن العبد إذا أفنى وجوده وتجاوز الأنا في مقام الرضا، فإنه يصير محبوبا عند الخالق، ويصير - بالاستحقاق - محلا لتوجهه وعطفه، ويستحق - تفضلا - العناية الزائدة منه، ولما كان كرم الله سبحانه غير محدود بحد، صار خطاب «هنيئا» لأمير المؤمنين غير منقطع إلى يوم القيامة، ولا بد أن تكون مرتبة الإنسان القابل لهذا النوع من الفيوضات الإلهية مرتبة لا تقاس بها مرتبة أي أحد غيره.

ناشدتك أن تتأمل كيف أن أمير المؤمنين يهز باب خير فيهتز عرش الله غضبا لعلي كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لصفية: «يا صفية! إن عليا عظيم عند الله، وإنه

لما هز الباب اهتز الحصن، فاهتزت السماوات السبع والأرضون السبع واهتز عرش الرحمان غضبا لعلي (عليه السلام) (٢).

ولما سأله عمر فقال: يا أبا الحسن! لقد اقتلعت منيعا ولك ثلاثة أيام خميصا، قلعتها بقوة بشرية. فقال (عليه السلام): «قلعتها بقوة الهية» (٣).

خود چه خبير كه خبير گردون * پيش از دست و پنجه بود زبون (٤)

(١) مدينة المعاجز ١ / ٣٤٤ ح ٢٢٣ التاسع عشر والمائة عن المنتخب للطريحي: ٢٠ - ٢٢.

(٢ و ٣) البحار ٢١ / ٤٠ ح ٣٧ باب ٢٢ عن مشارق الأنوار للبرسي.

(٤) يقول: ما قيمة خبير لدى علي (عليه السلام) الذي يخضع له الكون والفلک!؟

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «سيف علي (عليه السلام) أثقل من مدائن لوط (عليه السلام) على يد جبرئيل» (١).

وروى السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز:

قال جبرئيل: لما أمرني ربي أن أرمي قوم لوط، حملت مدائنهم وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا على ريشة من جناحي ورفعتها، حتى سمعت حملة العرش صياح ديكتهم وبكاء أطفالهم، ووقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر ولم أثقل بها، ولما ضرب علي ضربته الهاشمية في خيبر وكر امرت أن أقبض فاضل سيفه حتى لا يشق الأرض ويصل إلى الثور الحامل لها فيشطره شطرين، فتنقلب الأرض بأهلها، فكان فاضل سيفه علي أثقل من مداين لوط، هذا وإسرافيل و ميكائيل قد قبضا عضده في الهواء (٢).

بديهي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان أخص الخواص عند الله بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،

وكان متمحضا وخالصا في عبادته للحق تعالى ومظهرا لقدرة الله وقوته؛ لذا كان أتم وأكمل مظهر لهذه المظاهر لقابلية المحل، فكيف لا تكون ضربته - والحال هذه -

أثقل على جبرئيل من مدائن لوط!؟

ويشهد لذلك قوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (٣) (٤) ولا تظن - والعياذ بالله - أنني أريد أن أقول أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الله الذي قتل

(١) البحار ٢١ / ٤٠ ح ٣٧ باب ٢٢ عن مشارق الأنوار للبرسي.

(٢) مدينة المعاجز ١ / ٤٢٦ ح ٢٨٧ الثالث والسبعون ومائة عن البرسي مشارق أنوار اليقين، البحار

٢١ / ٤٠ ح ٣٧، حلية الأبرار ١ / ٣٠٩.

(٣) الأنفال: ١٧.

(٤) في تفسير العياشي ٢ / ٥٧ ح ٣٤ والبرهان ٣ / ٢٩٢ ح ٩ عن عمرو بن أبي المقدام عن علي بن الحسين

قال: ناول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قبضة من تراب التي رمى بها في وجه

المشركين فقال الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

مرحب، وإنما قتله أمير المؤمنين (عليه السلام) بقدره الله وإذنه، وقلع باب خيبر
بالقدرة
الربانية.

والمراد بالقوة الربانية في هذا المورد بالخصوص التأييدات الخاصة الخارجة
عن الوضع والقوة البشرية التي شملته (عليه السلام) في ذلك الوقت، وإلا فإن القوة لله
جميعاً،

ولا توجد أية قوة مستقلة عن الله تبارك وتعالى، وهذه التأييدات الخاصة التي
تشمله في الموارد الخاصة بمقتضى المصالح الخاصة غير تلك التأييدات والشؤونات
التي أعطاها الله له من دون الناس، وهذه بنفسها مزية شرف فوق شرف، ويشهد
له الحديث الشريف «إن لنا مع الله حالات... إلى آخره».

ومن التأييدات التي شملته (عليه السلام) خاصة ملاحظته لكتيبة معاوية الشهباء في
صفين، وكانوا عشرين ألف، كما روى السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز عن
السيد المرتضى في كتاب عيون المعجزات: روى أصحاب الحديث عن عبد الله بن
عباس أنه قال: عقلت النساء أن يأتين بمثل علي بن أبي طالب، فوالله ما سمعت وما
رأيت رئيساً يوازن به، والله لقد رأيت به بصفين وعلى رأسه عمامة بيضاء، وكان
عينه سراج سليلط أوعينا أرقم، وهو يقف على شردمة من أصحابه يحثهم على
القتال، إلى أن انتهى إلي وأنا في كنف من الناس وقد خرج خيل لمعاوية المعروف
بالكتيبة الشهباء؛ عشرون ألف دراع على عشرين ألف أشهب متسرلين
الحديد، متراصين كأنهم صفحة واحدة، ما يرى منهم إلا الحدق تحت المغافر،
فاقشعر أهل العراق لما عاينوا ذلك. فلما رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحالة
منهم

قال: «مالكم يا أهل العراق؟ إن هي إلا جثث ماثلة (١) فيها قلوب ضائرة، ورجل

(١) كذا في النسخة وأظن أنا الحقير أن «ماثلة» ليس صحيحاً والصحيح «هائلة» وهو من تصحيف
الكتاب. (من المتن)

جراد زفت بها ریح عاصب، ولفيف سداه الشيطان ولحمته الضلالة، وصرخ بهم ناعق البدعة ففتنهم، ما هم إلا جنود البغاة، وضحضة المكائر، لو مستم سيوف أهل الحق تهافتوا تهافت الفراش في النار، ولرأيتموهم كالجراد في اليوم الريح العاصف، ألا فاستشعروا الخشية وتجليبوا السكينة وادرعوا اللامة وقلقوا السيوف في الأغمداد قبل السل، وانظروا الخزر، وأطعنوا الوخز، وناقحوا بالطبي وصلوا السيوف بالخطى، وعاودوا أنفسكم الكر، واستحوا من الفر، فإنكم بعون الله ومع ابن عم رسول الله ووصيه، فإنه عار باقي الأعقاب عند ذوي الأحساب وفي الفرار النار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم نفسا، واطووا عن أحبائكم كشحا، وامشوا إلى الموت قدما، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه، وإن الشيطان راقد في كسره نافج حضنيه، مفترش ذراعيه، قد قدم للوثبة يدا وأخر للنكوص رجلا، فاصدقوا له صدما حتى ينجلي الباطل عن الحق وأنتم الأعلون. ألا فاثبتوا في الماكب وعضوا على النواجذ، فإنه أنبا للسيوف عن الهام، فاضربوا بالصوارم فشدوا فها أنا شاد.

فحمل على الكتبية وحملهم (عليه السلام) حتى خالطهم، فلما دارهم دور الرحي المسرعة وثار العجاج، فما كنت أرى إلا رؤوسا بادرة وأبدانا طافحة وأيد طائحة، وقد أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) وسيفه يقطر دما وهو يقول: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون.

وروي أن من نجا منهم رجعوا إلى عند معاوية فلامهم على الفرار بعد ان أظهر التحسر والحزن على ما حل بتلك الكتبية، فقال كل واحد منهم: كيف كنت رأيت عليا وقد حمل علي، وكلمما التفت ورائي وجدته يقفو أثري، فتعجب معاوية

وقال لهم: ويلكم إن عليا لواحد، كيف كان وراء جماعة متفرقين (١)؟!
كان الكلام في أن تلك السيدة المخدرة تغذت كثيرا من أغذية الجنة، بل لولا
أن الله أراد لهم أن يشتركوا نوع اشتراك في هذه الدنيا بالحالة البشرية، فيأكلوا مما
يأكل الناس ويلبسوا مما يلبسون، وليبلغوا أحكام الله وهم في شيء من المماثلة
بينهم وبين الخلق، لتكون أخلاقهم وأفعالهم - كنبى ووصي - في الأمور المعاشية
سنة بين قومهم، ولولا ذلك لما جعل الله أطعمة هؤلاء الأنوار الطيبة وأكسيثهم من
الدنيا بتاتا، ولجعل رزقهم في الدنيا من الجنة ما داموا فيها، لما عندهم عند الله من
المنزلة والمقام؛ وذلك أن الله اختار هذه الأنوار على جميع الكائنات كما في الحديث
الصحيح المسند عن أبي سلمة (٢): قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) يقول: ليلة أسري

بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)
فقلت: (والمؤمنون كل آمن بالله) (٣) فقال تعالى: صدقت يا محمد من خلفت في
أمتك؟ قلت: خيرها. قال الله تعالى: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم. قال: يا محمد
إنني اطلعت على الأرض إطلاعة فاخترتك منها، فشققت لك اسما من أسمائي فلا
أذكر في موضع إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية
فاخترت منها عليا وشققت له اسما من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي، يا محمد إنني
خلقتك وخلقنا عليا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نوري،
وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين،

(١) البحار ٣٢ / ٦٠٥ ج ٤٧٨ عن تفسير فرات.

(٢) وقد مرت الإشارة إليه سابقا في خصيصة إبداع نور فيض فاطمة. (من المتن)

(٣) البقرة: ٢٨٥.

ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أن عبدا من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحدا لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم... (١)

وروى عن سلمان حديثا شريفا جامعا لفضائل المعصومين الأربعة عشر وفيه أفضل مناقب فاطمة الطاهرة، لأنه يتضمن التصريح بأن أي عبادة لا تنفع بدون ولاية فاطمة، ويفيد أن ولاية بعض الأنوار دون البعض لا تنفع أيضا، فلو أقر عبد بالتوحيد ونبوة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأقر بإمامة أحد عشر من الأئمة

المعصومين وأنكر إمامة واحد منهم، أو أقر بإمامتهم جميعا وأنكر محبة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أو أنكر عصمتها، أكبه الله على منخرجه في النار وكان عمله هباء بمفاد

الحديث الآتي وبنص آية التطهير، ومن أنكر عصمة السيدة فاطمة ينكر صريح آية التطهير، ومن ينكر صريح القرآن فهو كافر ألبتة، ويكفي شيعة فاطمة هذا الحديث يتمسكوا بذيل عصمتها وطهارتها وكذا تكفيهم آية التطهير. وأخبار اختيار الله تعالى لهذه الأنوار الطاهرة من دون الخلق متواترة متكاثرة إلى ما شاء الله.

روى شاذان عن سلمان، قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما نظر إلي

قال: يا سلمان إن الله عز وجل لم يبعث نبيا ولا رسولا إلا جعل له اثني عشر نقيبا. قال: قلت: يا رسول الله قد عرفت هذا من الكتابين.

قال: يا سلمان، فهل علمت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟

(١) البرهان ١ / ٢٨٦ ح ٤ ذيل الآية الكريمة عن كتاب مقتضب الأثر وفي الحديث تامة.

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا سلمان خلقتني الله من صفاء نوره، فدعاني فأطعته، وخلق من نوري عليا فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي (عليه السلام) فاطمة، فدعاهما فأطعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين، فدعاهما فأطعاه، فسمانا الله عز وجل بخمسة أسماء من أسمائه: فالله محمود وأنا محمد، والله العلي وهذا

علي، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين.

ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة، فدعاهم فأطعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنية أو أرضا مدحية أو هواء أو ماء أو ملكا أو بشرا، وكنا بعلمه أنوارا نسبحه ونسمع له ونطيع.

فقال سلمان: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما لمن عرف هؤلاء؟

فقال: يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم، فوالى وليهم وتبرأ من عدوهم، فهو والله منا يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن.

قلت: يا رسول الله يكون إيمان بهم بغير معرفتهم وأسمائهم وأنسابهم؟ فقال: لا يا سلمان.

فقلت: يا رسول الله فأنى لي بهم؟

قال: قد عرفت إلى الحسين، ثم سيد العابدين علي بن الحسين، ثم ابنه محمد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم ابنه جعفر بن محمد لسان الله الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبورا في الله، ثم علي بن موسى الرضا لأمر الله، ثم محمد بن علي الجواد المختار من خلق الله، ثم علي بن محمد الهادي

إلى الله، ثم الحسن بن علي الصامت الأمين العسكري، ثم ابنه حجة بن الحسن الناطق القائم بأمر الله.

قال سلمان: فبكيت (١) ثم قلت: يا رسول الله أدع لي بإدراكهم.

قال: يا سلمان إنك مدرّكهم وأمثالك ومن تولاهم بحقيقة المعرفة.

قال سلمان: فشكرت الله كثيرا، ثم قلت: يا رسول الله مؤجل في إلى أن أدركهم.

فقال: يا سلمان إقرأ (إذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا* ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) (٢).

قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي، فقلت: يا رسول الله بعهد منك؟

فقال: إي والذي أرسل محمدا، إنه بعهد مني وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة وكل من هو منا ومظلوم فينا، إي والله يا سلمان، ثم ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الإيمان محضا ومحض الكفر محضا، حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والتراث (ولا يظلم ربك أحدا) (٣) ونحن تأويل هذه الآية (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض فجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين* ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (٤).

(١) في البحار «فسكت» بدل «بكيت».

(٢) الإسراء: ٥ و ٦.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) القصص: ٥ و ٦.

قال سلمان: فقامت بين يدي رسول الله وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه (١).

ما أحسن هذا الحديث وما أكثر ما فيه من بشائر للموالين لأهل البيت (عليهم السلام)، وكم من فضيلة فيه لفاطمة الطاهرة (عليها السلام) نذكر بعضها:
الاولى: إن نور فاطمة مخلوق من نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام)، فيكون لها سهم في نور النبوة ونور الولاية معا.

الثانية: إن نور الحسين مخلوق من نور النبي وعلي وفاطمة (عليهم السلام)، وإن فاطمة (عليها السلام) مشتق منها نور الحسين (عليهما السلام).

الثالثة: إن اسمها المبارك مشتق من اسم الباري تعالى كأسماء الأنوار الأربعة. أنظر إلى الشرف إلى أي مدى يبلغ، ثم تأمل جيدا واحكم بالإنصاف.

الرابعة: إن نور تلك الطيبة الطاهرة مخلوق - كنور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - قبل خلق الخلق.

الخامسة: إن إيمان المؤمن لا يكتمل حتى يعرف هؤلاء الأطياب والاقتراء بهم، ومنهم فاطمة الزهراء (عليها السلام).

السادسة: إجابتها (عليها السلام) دعوة الحق وإطاعته لما خلق الله نورها، وكذا رجعتها مع سائر الأئمة للانتقام والاقتصاص وأخذ الثأر والانتقام للظلامنة من ظالمهم.

ويعلم مدى ما بلغه شرفها (عليها السلام) من اشتقاق نورها من نور رسول الله، بل اتحاد نوريهما، وأن من آذاها أدنى أذية فقد آذى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثله، بل بأشد منه.

(١) البحار ٢٥ / ٦ ح ٩ باب ١.

الحديث السادس من الأربعين حديثاً من صحاح العامة: ويؤيد ما ذكرنا ما ورد في الجزء الرابع من صحيح مسلم - بحذف الإسناد - : إنه سمع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو على المنبر يقول: «إن بني هاشم بن مغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا إذن لهم، ثم لا إذن لهم، إلا إن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، وإنما ابنتي بضعة مني يرييني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها» (١). أنظر إلى ما لفاطمة عند الله من العزة والمنزلة بحيث لا يأذن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لآل المغيرة أن يزوجوا ابنتهم من أمير المؤمنين (عليه السلام) ما دامت فاطمة (عليها السلام) عنده ومعلوم أن النبي ما فعل ذلك لعلقة الأبوة، وإنما لما لها من القدر والمنزلة عند الله، ولا يقاس فعل النبي هذا بفعل السائرين لأنه (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (٢) وصريح قوله تعالى: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) (٣) إن إرادة النبي وعدم إرادته هي عين إرادة الله وعدم إرادته، والله لا يحب من لا يحب فاطمة، ويعادي من عاداها، ويحب من يحبها ويعرفها، وإن كانت معرفتها حق المعرفة قضية غير ممكنة، لذا قيل في وجه تسميتها «وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها» (٤). أنظر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو صاحب الولاية الإلهية العامة يفتخر في

(١) صحيح مسلم ٢ / ٤٦٦ ح ٩٣ باب ١٥.

(٢) النجم: ٤.

(٣) الإنسان: ٣٠.

(٤) البحار ٤٣ / ٦٥ ح ٥٨ باب ٣ عن تفسير فرات قال محمد بن القاسم بن عبيد معننا عن أبي عبد الله (عليه السلام)، أنه قال: «(إننا أنزلناه في ليلة القدر) الليلة فاطمة والقدر الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها».

خطبته بزواجه بالزهراء (عليها السلام) فيقول: «أنا زوج خير النسوان، فهل يفوقني أحد؟!» (١) يفتخر بذلك وعوالم الإمكان طرا تفتخر بوجوده المبارك، وكان - وهو حجة الله الأكبر - يرى في فاطمة بعد أبيها التسلية والعزاء لكل ما يتعرض له من ظلم الظالمين وسطوة الغاصبين.

وبعبارة أخرى: إنه كان يرى في البضعة الأحمدية خلفا يقوم مقام نعمة وجود الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان يشكر الله سبحانه شكرا لا ينتهي على تلك

النعمة الموهبة والمكرمة المبذولة ويؤدي حقها بحقه، ومن جملة شكره حق الشكر لتلك النعمة الموهوبة ما رواه علي بن الحسين المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب في إثبات الوصية من خطبة له (عليه السلام)، ننقل بعض عباراتها، قال (عليه السلام):

«فوالله لأقولن قولاً لا تطيقه أن يقوله أحد من خلقك، أنا علم الهدى، وكهف التقى، ومحل السخى وبحر الندى وطود النهى، ومعدن العلم، ونور في ظلم الدجى، وخير من آمن واتقى، وأكمل من تقمص وارتدى، وأفضل من شهد النجوى بعد النبي المصطفى، وما ازكي نفسي ولكن بنعمة ربي احدث، أنا صاحب القبلتين، وحامل الرايتين، فهل يوازي في أحد؟ وأنا أبو السبطين، فهل يساوى بي بشر؟ وأنا زوج خير النسوان، فهل يفوقني أحد؟» (٢) إلى آخرها. والشاهد في العبارة الأخيرة.

وعد جماعة من علماء السنة والجماعة مصاحبة أمير المؤمنين لفاطمة (عليهما السلام) منقبة من مناقبه وفضيلة من فضائله العظيمة، قال القاضي عضد: «من فضائل

(١) البحار ٢٥ / ٣٣ ح ٤٦ باب ١.

(٢) البحار ٢٥ / ٣٣ ح ٤٦ باب ١.

علي (عليه السلام) مصاحبته لفاطمة سيدة نساء العالمين» والحق أنه شرف عظيم وفق العقيدة الحقة للفرقة الإمامية، ولكن لا بالشكل الذي ذهب إليه بعض أهل الخلاف من الإستدلال به على أفضليتها على أمير المؤمنين ضمن شواهد ضعيفة أخرى ادعوها لإثبات مرادهم.

أنظر إلى ما لها من منزلة وقدر عند رسول الله، بحيث أنها كانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قام إجلالا لها ورحب بها وقبل يدها وأجلسها مكانه، روت

عائشة في حديث: «كانت إذا دخلت عليه رحب بها وقبل يديها وأجلسها مجلسه، وإذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وقبلت يديه» (١).

فما حال من آذى عزيزا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وكم سيكون عسيرا على النبي أن

يحب أحدا ويعزه إلى هذا الحد ثم يؤذى ويظلم، وقد قال تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) (٢). لقد نزلت في من يؤذي فاطمة وأبائها وبعلمها وأبنائها الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم القيامة، وتشمل من آذاهم ومن قدم عليهم غيرهم.

وقال أهل الخبر أن الآية نزلت فيمن غصب حق أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ حق فاطمة وآذاها، وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): من آذاها في حياتي كمن آذاها بعد

وفاتي (٣)، ومن آذاها بعد مماتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني ومن

(١) البحار ٣٧ / ٧١ ح ٣٨ باب ٥٠.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) انتبه قوله هنا لو جمع مع ذكر في صدر الكلام في ذيل هذا الحديث من خبر استئذان بني المغيرة فكأنه يكون أن أمير المؤمنين (عليه السلام) آذاها - والعياذ بالله - في حياته، وعمر وأبو بكر لعنهم الله آذوها بعد مماته وهم

جميعا والعياذ بالله سواء؟؟؟؟!!!

آذاني فقد آذى الله» (١) وهذا معنى قول الله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله... الآية).

والأحاديث في معنى البضعة كثيرة جدا، سنذكر بعضها في المواضع المناسبة لتعرف أن من لا يكسب رضا فاطمة فهو أفقر من الشيطان، فلا تتهاون في الأمر بعد تصريح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة

ويرضى لرضى فاطمة» فهل هناك مجال للكلام بعد هذا؟ وكذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق علي أمير المؤمنين أيضا.

جعلنا الله من محبيها وأعازنا الله من سخطها، ونسأل الله البراءة من أعدائها في الدنيا والآخرة، والحشر مع شيعتها في جنات الخلد؛ اللهم أجب ما سألناك، إنك سميع الدعاء وإنك حميد مجيد.

(١) والحديث عن ابن عباس في عاشر البحار. (من المتن)

الخصيصة السابعة والأربعون
في ذكر بقية الأربعين حديثا المروية في صحاح العامة
الحديث السابع: في كتاب مسلم بحذف الإسناد عن عروة بن الزبير عن
عائشة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): دعى ابنته فسارها فضحكت، فسئلهما
عائشة،

فقلت: إذا إني لبذرة، فلما توفي رسول الله قالت فاطمة: «إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرني بموته

فبكيت ثم أخبرني أنني أول أهله لحوقا به فضحكت» (١) تم الحديث.
والبذرة الذي يفشي السر ويظهر ما سمعه.

الحديث الثامن: في الكتاب المذكور عن مسروق عن عائشة قالت: فأقبلت
فاطمة تمشي ومشيتها مشية رسول الله، فلما رآها رحب بها، فقال: مرحبا بابنتي
فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها... (٢) إلى آخر الحديث.
الحديث التاسع: في الكتاب المذكور سألت عائشة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ماذا
أسر إليك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضحكت؟ فقالت: بشرني أبي: «ألا
ترضين أن تكوني

سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت لذلك (٣).
الحديث العاشر: في الجمع بين الصحاح الستة عن الزبير بن عبد الله في

(١ و ٢) صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٤ ح ٢٤٥٠.

(٣) صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٥ ح ٢٤٥٠.

الكراس الخامس في باب مناقب فاطمة (عليها السلام)، عن صحيح أبي داود السجستاني المعروف بسنن أبي داود بحذف الإسناد، قال لها رسول الله: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ فقلت: فأين مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): مريم سيدة نساء عالمها وآسية سيدة نساء عالمها» (١).

الحديث الحادي عشر: في الكتاب المذكور في الجزء الثالث في باب مناقب فاطمة (عليها السلام)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»؛ وروي عن عائشة أنها قالت: ما رأيت من الناس أحدا أشبه حديثا ومشيا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من فاطمة (٢).

الحديث الثاني عشر: في سنن الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» (٣).
الحديث الثالث عشر: حديث تسيحات الزهراء (عليها السلام) في الجمع بين الصحيحين عن كعب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «معقبات لا يخيب قائلهن وهي دبر كل صلاة ثلاث وثلاثون تسيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وثلاث وثلاثون تكبيرة» (٤).

(١) سنن ابن ماجه ١ / ٥١٨ ح ١٦٢٠؛ ولم أعثر عليه في سنن أبي داود.
(٢) ذكرت مرارا أن تكرر الأحاديث المذكورة في عدة مواضع من هذا الكتاب يرجع إلى تعدد طرقها واختلاف روايتها وما نرويه في هذا الموضع من الأحاديث الأربعين بغرض ذكر الأحاديث المتفق عليه بين علماء العامة المدونة في صحاحهم الستة وهي في غاية الاعتبار في الاستدلال والاحتجاج. (من المتن)
(٣) سنن الترمذي ٥ / ٧٠٣ ح ٣٨٧٨.
(٤) سنن الترمذي ٥ / ٤٧٩ ح ٣٤١٢.

وأعتقد - أنا الحقير أن أحد التسبيحات أربعة وثلاثون ولعلها التسبيحة الأخيرة ليتم عدد المائة.

الحديث الرابع عشر: في مسند أحمد بن حنبل: إن أبا بكر وعمر خطبا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة (عليها السلام)، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنها صغيرة» فخطبها علي (عليه السلام) فزوجها إياه (١).

الحديث الخامس عشر: في مسند أحمد بن حنبل عن عبد الله ابن أبي رافع عن أم سلمة قالت: اشتكت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرضها، فأصبحت يوما كأمثل ما كانت، فخرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) من البيت فقالت فاطمة: يا أمته

اسكبي لي ماء فأغتسل، قالت أم سلمة: فسكبت لها فاغتسلت وقامت كأحسن ما كانت، ثم قالت: هاتي ثيابي الجدد، فأعطيتها فلبستها، ثم جاءت إلى البيت الذي كانت فيه، فقالت: قدمي الفراش إلى وسط البيت، فقدمته فاضطجعت واستقبلت، فقالت: يا أمته إنني مقبوضة الآن، وإنني قد اغتسلت فلا يكشفني أحد، فقبضت في مكانها، فجاء علي بن أبي طالب فأخبرته، فقال: لا والله لا يكشفها أحد، ثم حملها بغسلها ذلك فدفنها (٢).

الحديث السادس عشر: في صحيح الترمذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من

أحب هذين؛ يعني حسنا وحسينا، وأباهما وامهما كان معي في الجنة» (٣). وفي رواية، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ألا وإن أباهما في الجنة، وامهما في الجنة،

(١) المستدرک علی الصحیحین ٢ / ١٨١ ح ٢٧٠٥.

(٢) مسند أحمد ٦ / ٤٦١ ح ٢٧٦٥٦.

(٣) سنن الترمذي ٥ / ٣٠٥ ح ٣٨١٦.

وجدهما في الجنة، وجدتهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالتهما في الجنة، وعمهما
في الجنة، وعمتهما في الجنة، وهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة، ومن أحب من
أحبهما في الجنة» (١).

عجبا!! أي بشارة هذه لمحبي أهل البيت فضلا عن كونها فضيلة من فضائلهم
المختصة بهم دون غيرهم لا يشاركهم فيها أحد من سكان السماوات والأرض.
روى المفضل بن عمر عن جعفر بن محمد سلام الله عليه، عن النبي (صلى الله عليه
 وآله وسلم) في

خطبة في مناقب أمير المؤمنين قال: «اختص (٢) الله عليا بثلاث خصال لم يعطها
أحدا من الأولين والآخرين فاعرفوها: فإنه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم،
أيد الله به الدين، ونصر به الإسلام، ونصر به نبيكم». فقام عمر وقال: ما هذه الخصال التي أعطها الله عليا ولم يعطها أحدا من
الأولين والآخرين؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اختص عليا بأخ مثل نبيكم محمد خاتم النبيين،
ليس

لأحد أخ مثلي، واختصه بزوجة مثل فاطمة، ولم يختص أحد بزوجة مثلها،
واختصه بابنين مثل الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وليس لأحد ابنان
مثلهما، فهل تعلمون له نظيرا أو تعرفون له شبيها؟... إن عليا سيد المتقين
وأمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين، لا يبغضه من قريش إلا دعي، ولا من العرب
إلا شقي، ولا من سائر الناس إلا بغى، ولا من سائر النساء إلا سلققية (٣).

(١) انظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر ١٣٥ - ١٣٦ ح ١٧٣.

(٢) في مدينة المعاجز ٢ / ٢٦٩: «إن الله اختص عليا...».

(٣) السلققية: المرأة التي تحيض من دبرها، وهو عيب كبير في النساء كالأبنة في الرجال. (من المتن)

إن الله عز وجل جعل عليا علما للناس بين المهاجرين والأنصار وبين خلقه وبينه، فمن عرفه ووالاه كان مؤمنا، ومن جهله ولم يواله ولم يعاد من عاداه كان ضالا به، أفأمنتُم يا معاشر المسلمين؟ - يقولها ثلاثا - قالوا: آمنا وأسلمنا يا رسول الله، فآمنوا بعلي بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، فأنزل الله على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) (١).

فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمشهد من أصحابه: لم يحبك يا علي من أصحابي

إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا منافق شقي، وأنت يا علي وشيعتك الفائزون يوم القيامة؛ إن شيعتك يردون علي الحوض بيض وجوههم، وشيعة عدوك من أمتي يردون علي الحوض سود الوجوه، فتسقى أنت وشيعتك وتمنع عدوك، فأنزل الله تعالى: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) (٢) بموالاته علي ومعاداة علي (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون* وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) (٣).

فلما نادى بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال المنافقون: ألا إن محمدا لم يزل يرفع بضع

علي ويتلو علينا آية عن القرآن بعد آية ترجيحنا له علينا، ثم اجتمعوا ليلا عند اثنين من الصحابة، فقالوا: إن محمدا اختدعنا من ديننا الذي كنا عليه في الجاهلية، فقال: من قال لا إله إلا الله فله مالنا وعليه ما علينا، والآن قد خالف هذا القول إلى غيره قام خطيبا فقال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر فتحملناها له، ثم قال: علي سيد

(١) المائدة: ٤١.

(٢) آل عمران: ١٠٦.

(٣) آل عمران: ١٠٧.

العرب، ثم فضله على جميع العالمين من الأولين والآخرين، فقال: علي خير البشر، ومن أبي فقد كفر، ثم قال: فاطمة سيدة نساء العالمين، ثم قال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة [وأبوهما خير منهما]، ثم قال: حمزة سيد الشهداء وجعفر ذو الجناحين يطير بهما مع الملائكة حيث يشاء... فجمع خصال الخير ومنازل الفضل والشرف في الدنيا والآخرة له ولأهل بيته خاصة... فقال النضر بن الحارث: إذا كان غدا اجتمعوا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أقبل أنا وأتقاضاه ما

وعدنا به في بدء الإسلام وأنظر ما يقول ثم نحتج. فلما أصبحوا فعلوا ذلك، فأقبل النضر بن الحارث فسلم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

يا رسول الله إذا كنت أنت سيد ولد آدم، وأخوك سيد العرب، وابنتك فاطمة سيدة نساء العالمين، وابنك الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعمك حمزة سيد الشهداء، وابن عمك ذو الجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وعمك العباس جلدة بين عينيك وصنو أبيك، وشيبة له السدانة، فما لسائر قومك من قريش وسائر العرب، فقد أعلمتنا في بدء الإسلام أنا إذا كنا آمننا بما تقول كان لنا مالك وعلينا ما عليك.

فأطرق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طويلا ثم رفع رأسه، فقال: أما أنا والله ما فعلت

بهم هذا بل الله فعل بهم هذا، فما ذنبي؟! فولى النضر بن الحارث وهو يقول: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» (١) فأنزل الله: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - إلى قوله - وهم يستغفرون) (٢).

(١) الأنفال: ٣٢.

(٢) الأنفال: ٣٣.

فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى النضر بن الحارث وتلا عليه الآية، فقال: يا

رسول الله إني قد أسررت ذلك جميعه أنا ومن لم تجعل له ما جعلته لك ولأهل بيتك من الشرف والفضل في الدنيا والآخرة، فقد أظهر الله ما أسررنا به، أما أنا فأسألك أن تأذن لي أن أخرج من المدينة فإني لا أطيق المقام بها، فوعظه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن

ربك كريم فإن أنت صبرت وتصابرت لم يخلك من مواهبه، فارض وسلم فإن الله يمتحن خلقه بضروب من المكاره ويخفف عمن يشاء وله الخلق والأمر، مواهبه عظيمة وإحسانه واسع، فأبى الحارث وسأله الإذن، فأذن له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

فأقبل إلى بيته وشد على راحلته ركبها مغضبا وهو يقول: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم». فلما صار بظهر المدينة وإذا بطير في مخلبه حجر، فأرسلها الله فوقعت على هامته ثم دخلت في دماغه وخرجت من جوفه، ووقعت على ظهر راحلته وخرجت من بطنها، فاضطربت الراحلة وسقطت وسقط النضر بن الحارث من عليها ميتين، فأنزل الله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين) بعلي وفاطمة والحسن والحسين وآل محمد (ليس له دافع * من الله ذي المعارج) (١) (٢). فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك للمنافقين الذين اجتمعوا في بيت رجل (٣)

من قریش ليلا مع النضر بن الحارث فتلى عليهم الآية وقال: اخرجوا إلى صاحبكم الفهري حتى تنظروا إليه.

(١) المعارج: ١ - ٣.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٣٤٣ و ٣٤٤.

(٣) في المصدر «اجتمعوا عند عمر».

فلما رأوه انتحبوا وبكوا وقالوا: من أبغض عليا وأظهر بغضه قتله بسيفه
ومن خرج من المدينة بغضا لعلي، فأنزل الله عليه ما ترى (لئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل) (١) من شيعة علي، مثل سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار
وأشباههم من ضعفاء الشيعة.

فأوحى الله إلى نبيه ما قالوا، فلما انصرفوا إلى المدينة أعلمهم رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحلفوا بالله كاذبين أنهم لم يقولوا، فأنزل الله فيهم
(يحلفون بالله ما قالوا

ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) (٢) وهموا بظاهر القول لرسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنا قد آمننا وسلمنا لله وللرسول فيما أمرنا من طاعة
علي (وهموا بما لم

ينالوا) (٣) من قتل محمد ليلة العقبة وإخراج ضعفاء الشيعة من المدينة بغضا لعلي
وتغيضا عليه (وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) (٤) بسيف علي
في حروب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفتوحه (فإن يتوبوا يك خيرا لهم
وإن يتولوا يعذبهم

الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) (٥).
فلما تلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... قال لهم: معاشر المهاجرين
والأنصار ما بال

أصحابي إذا ذكر لهم إبراهيم وآل إبراهيم تهللت وجوههم وانتشرت قلوبهم، وإذا
ذكر محمد وآل محمد تغيرت وجوههم وضائق صدورهم، ثم تلا: (أم يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم

(١) المنافقون: ٨.

(٢) التوبة: ٧٤.

(٣) التوبة: ٧٤.

(٤) التوبة: ٧٤.

(٥) التوبة: ٧٤.

ملكا عظيما) (١) كما آتينا محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) (٢).

ثم قال: إن الله تبارك وتعالى لم يعط إبراهيم شيئا وآل إبراهيم إلا أعطى محمدا وآل محمد مثله - ونحن في الحقيقة آل إبراهيم، فإن الله ما اصطفى نبيا إلا اصطفى آل

ذلك النبي، فجعل منهم الصديقين والشهداء والصالحين، هذا جبرئيل (عليه السلام) يتلو علي من ربي ما توهمتم وانطويتم وأسررتم وأعلنتم فيما بينكم من أمر النبي محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم تلا عليهم: (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس

نقيرا) (٣). فحلفوا بالله كاذبين أنهم لم يسروا ولم يعلنوا فيما بينهم وإنما (نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) (٤). أي لو كنت عندهم يا رسول الله ما حلفوا بالله كاذبين. (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون* ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (٥) (٦).

تبين من هذه الآيات بالمطابقة والصراحة أن إنكار ولاية علي وفاطمة والحسنين صلوات الله عليهم ومعاداتهم هي نفس الكفر والنفاق، والمنافق والكافر موعودان بالدرك الأسفل من الجحيم، وهو أسفل مقامات أهل النار.

(١) النساء: ٥٤.

(٢) النساء: ٥٥.

(٣) النساء: ٥٣.

(٤) المنافقون: ١.

(٥) المنافقون: ٢ - ٣.

(٦) مدينة المعاجز ٢ / ٢٧٨ ح ٥٤٥.

روى ابن شهر آشوب عن مناقب إسحاق العدل قصة الخطيب الملعون الذي سب حجة الله الأكبر أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنبر أيام خلافة هشام فخرجت كف

من القبر النبوي المطهر، وسمع من القبر صوت يقول: «.. ويلك من امرئ (أكفرت بالذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) (١) وخرج من الكف دخان أعمى بصر الخطيب وبصيرته ولم تمض ثلاثة أيام حتى ورد الهاوية (٢). وروى الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإختصاص مثله في حق غيره: عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن ربيع بن محمد، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «لما أخرج علي (عليه السلام) وقف عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا بن عم (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) (٣)، فخرجت يد من قبر رسول الله يعرفون أنها يده، وسمعوا صوتا يعرفون أنه صوته نحو شخص معروف: يا هذا (أكفرت بالذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) (٤) (٥)؟ ومن الواضح أن إنكار الولاية قولاً أو فعلاً كفر صريح؛ لأن إشاعة الأحكام النبوية في زمان حضور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيابه في عهدة الولاية، وعلى الولي والخليفة أن ينشر أنوار الأحكام النبوية ويوصلها إلى الخلق، فمن صد عن تبليغ الأحكام وستر النور الإلهي، ومنع الخلق عن الإستضاءة بأنوار الأحكام فقد ستر نفسه ومنع حظه من الإيمان، بل منع غيره وستره إلى يوم القيامة عن الإسلام

(١) الكهف: ٣٧.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٣٤٤.

(٣) الأعراف ١٥٠.

(٤) الكهف: ٣٧.

(٥) الإختصاص ٢٧٥.

والإيمان، وصار في الواقع سببا لكفر من صده، وهذا هو معنى الكفر.
وسياتي الكلام مفصلا في غضب حقوق علي وفاطمة في الخصائص بعد
الرحلة إن شاء الله تعالى.

والغرض من هذا البيان الإشارة إلى أن لا فرق بين ولاية علي وفاطمة (عليهما السلام)
وبين الإيمان، فولايتهما عين الإيمان وعداوتهما عين الكفر، ولولا عداوتهما لما خلق
الله الظلمة؛ لأن الكفر والنفاق وجدا من حسد وعناد أهل بيت الظلمة، حسدوا
أهل البيت وخالفوهم، ولولا ذلك لكان العالم محض النور والهداية، فالنور يلد
النور، والظلمة لا تلد إلا الظلمة «وكل إلى كل مضاف ومنسب».

ولشدة نورانية هذه الأنوار الطيبة صارت كل المضافات والمنسوبات إليها
نورانية أيضا نتيجة المجاورة، كما روى في المناقب:

أن عليا استقرض من يهودي شعيرا، فاسترهنه شيئا، فدفع علي (عليه السلام) إليه
ملاءة فاطمة (عليها السلام) رهنا، وكانت من الصوف، فأدخلها اليهودي إلى داره
ووضعها

في بيته، فلما كانت الليلة دخلت زوجة اليهودي البيت الذي فيه الملاءة بشغل،
فرأت نورا ساطعا في البيت أضاء به كله، فانصرفت إلى زوجها وأخبرته بأنها
رأت في ذلك البيت ضوء عظيم، فتعجب اليهودي وقد نسي أن في بيته ملاءة فاطمة،
فنهض مسرعا ودخل البيت فإذا ضياء الملاءة ينشر شعاعها كأنه يشتعل من بدر
منير قريب، فأنعم النظر في موضع الملاءة فعلم أن ذلك النور من ملاءة فاطمة (عليها
السلام)،

فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدو إلى أقربائها، فاجتمع ثمانون من
اليهود فرأوا ذلك فأسلموا كلهم (١).

(١) البحار ٤٣ / ٣٠ ح ٣٦ باب ٣.

«بأبي أنتم وأمي، بكم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا» (١).

ومن شرف فاطمة (عليها السلام) علم فاطمة (عليها السلام)، حيث أن الله تبارك وتعالى أعطاها

من العلم ما لم يعطه أحدا من نساء العالمين من الأولين والآخرين. قال (عليه السلام): «إن الله

تعالى أعطى عشرة أشياء لعشرة من النساء: التوبة لحواء (عليها السلام) زوجة آدم (عليه السلام)،

والجمال لسارة زوجة إبراهيم (عليه السلام)، والحفاظ لرحمة زوجة ايوب (عليه السلام)، والحرمة

لآسية زوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف (عليه السلام)، والعقل لبليقيس زوجة

سليمان (عليه السلام)، والصبر لبرحانة أم موسى (عليه السلام)، والصفوة لمريم أم عيسى (عليه السلام)، والرضا

لخديجة زوجة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، والعلم لفاطمة زوجة المرتضى (عليه السلام)» (٢).

ولا تظن أن فاطمة (عليها السلام) اختصها الله بالعلم فلم تشارك البواقي في ما آتاهن، كلا، إن الله اختصها بالعلم دون الأخريات وشركها بالتسعة الباقية، بل أخذت

منها نصيبها على أتم وأكمل وجه (وما تفرق فيهن جميعا اجتمع فيها وحدها). وروي: كان رسول الله يهتم لعشرة أشياء، فأمنه الله تعالى منها وبشره بها:

لفراقه من وطنه، فأنزل الله تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) (٣).

ولتبدل القرآن بعد كما فعل بسائر الكتب، فنزل: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٤).

(١) الزيارة الجامعة؛ البحار ١٠٢ / ١٣٢ ح ٤ باب ٨.

(٢) البحار ٤٣ / ٣٤ ح ٣٩ باب ٣.

(٣) القصص: ٨٥.

(٤) الحجر: ٩.

ولامته من العذاب، فنزل: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (١).
ولظهور الدين، فنزل: (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٢).
وللمؤمنين بعده، فنزل: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (٣).
ولخصمائهم، فنزل: (لا يخزي الله النبي والذين آمنوا) (٤).
وللشفاعة، فنزل: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (٥).
وللفتنة بعده على وصيه، فنزل: (فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون) (٦)
يعني بعلي.
ولثبات الخلافة في أولاده، فنزل: (لنستخلفنهم في الأرض) (٧).
ولابنته حال الهجرة، فنزل: (يذكرون الله قياما وقعودا) (٨).
ويكفي في علم فاطمة الحديث المذكور في جهازها (عليها السلام)، حيث قالت
لأمير المؤمنين: «يا علي أخبرك أم تخبرني؟» والحديث طويل ذكرناه في ما سبق
مفصلاً.
ولفاطمة الطاهرة عدة فضائل خاصة بها لا تدانيها فضيلة قط، منها: أنها

-
- (١) الضحى: ٥.
(٢) الصف: ٩.
(٣) إبراهيم: ٢٧.
(٤) التحريم: ٨.
(٥) الضحى: ٥.
(٦) الزخرف: ٤١.
(٧) النور: ٥٥.
(٨) آل عمران: ١٩١.

ورث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل شيء، ومنها: أن الله جعل نسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منها، وجعلها الكوثر والماء المعين للذرية الطاهرة ولم يخصصها الله بهذه الكرامة إلا من حيث فضلها وما علمه من إخلاصها في النية والعمل في العبادة، وتعظيم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

لها دليل واضح وبرهان لا تحصى على منزلتها وشأنها، فما معنى أن يقوم لها النبي إجلالا وإكراما ويجلسها مجلسه ويقبل رأسها ويقبل يدها؟ فلو لم يكن لتلك الطاهرة المطهرة مكانة خاصة عند الله لما صنع بها النبي كل ما صنع؛ لأن فاطمة ابنته وقد أمر الله الولد بتعظيم الوالد، ولم يأمر الوالد بتعظيم الولد، وهذه الأمة مأمورة جميعا بتعظيم الآباء، فتعظيم النبي لابنته لا بد أن يكون من باب الاستحقاق الذي أعطاه الله لفاطمة شرفا ومكانة، والنبي يتبع الأمر الإلهي ويفعل ما يريد الله (إن هو إلا وحي يوحى) (١).

ولو لم تكن فاطمة مشرفة بشرف خاص عند الله ومؤيدة تأييدا خاصا، لما أمكنها أن تطوى على الجوع وهي طفلة صغيرة حتى يصفر لونها ثم لا تجزع بل لا تظهر ذلك.. ماذا أقول؟! إني أكتب شيئا وأنت تقرأ شيئا آخر، ليت الموت أعدمني الحياة.

روى المجلسي في عاشر البحار عن عمران بن الحصين، قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالسا إذ أقبلت فاطمة وقد تغير وجهها من الجوع، فقال لها: ادني،

فدنت منه فرفع النبي يده حتى وضعها على صدرها في موضع القلادة، وكانت فاطمة صغيرة، ثم قال: اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضعة، لا تجع فاطمة (عليها السلام)،

(١) النجم: ٤.

فرايت الدم على وجهها كما كانت الصفرة (١).
وهل ثمة فضيلة أعظم من أن يسئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن معنى «حي على
خير العمل» فيقول: «خير العمل بر فاطمة وولدها» (٢).
وفي رواية أخرى قال: «خير العمل الولاية» (٣).
بديهي أن يكون البر بها (عليها السلام) ومحبة أولادها خير العمل، لأنها سلمت أمرها
إلى الله، وأفنت نفسها في مقام رضا الله، وأوصلت نفسها إلى رتبة الكمال حتى صار
رضا الله رضاها، وتحملت هي وأولادها المرارة والتعب في سبيل إقامة دين الله،
واتخذت الله وكيلا في أعمالها، فأعطاها الله هذه الموهبة، وأكرمها بهذه الكرامة.
في المناقب: روي أن فاطمة (عليها السلام) تمت وكيلا عند غزاة علي (عليه السلام)،
فنزل (رب

المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا) (٤) (٥).
وتفويض الأمر إلى الله يؤدي إلى هذه النتائج، فيرى جماعة من الصحابة
فاطمة نائمة والرحى تدور، أو يرونها تصلي والمهد يهتز، هنيئا لها ولمن أحبها،
وسحقا وتعسا لمن أبغضها.
روي أبو حامد الإسفرايني عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم):

«أول شخص يدخل الجنة فاطمة» (٦).

(١) البحار ٤٣ / ٢٧ ح ٢٩ باب ٣.

(٢) البحار ٤٣ / ٤٤ ح ٤٤ باب ٣.

(٣) نفس المصدر.

(٤) المزمّل: ٩.

(٥) المناقب ٣ / ٣٧٢ فصل في منزلتها عند الله تعالى.

(٦) البحار ٣٧ / ٧٠ ح ٣٨ باب ٥٠.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لما خلق الله الجنة خلقها من نور وجهه، ثم أخذ ذلك

النور فقذفه، فأصابني ثلث النور، وأصاب فاطمة ثلث النور، وأصاب عليا وأهل بيته ثلث النور، فمن أصابه ذلك النور اهتدى إلى ولاية آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن

لم يصبه من ذلك النور ضل عن ولاية آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١).
فأنفع شيء للخلق محبة فاطمة وآل فاطمة واتباعهم، كما روي في الحديث (٢) عن عبد الله جندب، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أسأله عن

تفسير هذه الآية - يعني آية النور - فكتب إلي الجواب: أما بعد؛ فإن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم)

كان أمين الله في خلقه؛ فلما قبض النبي كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولود الإسلام، وما من فئة تضل مئة وتهدى مئة إلا ونحن نعرف سائقها وقائدها وناعقها، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة، نحن الآخذون بحجزة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)،

ونبينا أخذ بحجزة ربنا - والحجزة النور - وشيعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك ومن تبعنا نجى، والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتبعنا وتابع أوليائنا مؤمن، لا يحبنا كافر ولا يبغضنا مؤمن، ومن مات وهو يحبنا كان حقا على الله أن يبعثه معنا، نحن النور لمن تبعنا وهدى لمن اهتدى بنا، ومن لم يكن منا فليس من

(١) البحار ٢٣ / ٣٠٨ ح ٦ باب ١٨.

(٢) أشرنا إلى الحديث سابقا في الخصيصة الثامنة عشر، والغرض من ذكره هنا الاستشهاد به على موضوع آخر. (من المتن)

الإسلام في شيء، وبنا فتح الله الدين وبنا يختمه، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، وبنا آمنكم الله من الغرق في بحركم، ومن الخسف في بركم، وبنا نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم وعند الصراط وعند الميزان وعند دخول الجنة.

مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة، والمشكاة في قنديل، فنحن المشكاة فيها مصباح، المصباح محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (المصباح في زجاجة) من عنصره الطاهر

(الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية) لا دعوية ولا منكرة (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) القرآن (نور على نور) إمام بعد إمام (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) (١). فالنور علي (عليه السلام)، يهدي الله لولايتنا من أحب، وحق على الله أن يبعث

ولينا مشرقا وجهه، منيرا برهانه، ظاهرة عند الله حجته، حقا على الله أن يجعل أوليائنا المتقين مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٢)... إلى آخر الحديث، نقلنا منه موضع الحاجة.

فمن مات وهو يحب أهل البيت كان حقا على الله أن يحشره معهم، وأي أمر أهم وأنفع في الدين من محبتهم والتمسك بحبلهم، لكن عليك أن تعلم معنى المحبة. فالمحب يجب أن يطيع المحبوب ويتبعه لكي لا يؤذيه ويجعله في أوليائه، فإذا تحققت محبة فاطمة - وهي برزخ الولاية والنبوة - فلا شك حينئذ من تحقق الدين وحصول رضا الله؛ لأن هذه الأنوار لا تتخطى حقيقة أمر الله طرفة عين أبدا (لا

(١) النور: ٣٥.

(٢) تفسير البرهان ٥ / ٣٨٩ ح ١٠ عن تفسير علي بن إبراهيم.

يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (١) ومحبتهم وتابعتهم تابع لأمر الله، ومعنى الدين هو إطاعة أمر الله، ومن يطع روح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبضعته ونفسه فقد أطاع الله،

ومن أطاع الله فهو موحد ومسلم ومؤمن كامل الإيمان (٢).
[كلام في معنى الدين والإسلام]

وما دام الكلام قد وصل بنا إلى هنا، فلا بأس في ذكر مختصر في معنى «الدين والإسلام» ليكون المكلفون والعوام على بصيرة في دينهم، ويتبصرون بالتحقيق في الملازمة بين الدين وقبول الولاية ومحبة أهل البيت، ونختم هذه الخبيصة بهذا البيان النافع جدا ليعلم الناس ما هو الدين ومن أين يأخذون معالم دينهم. كتب أحمد بن حاتم ماهويه وأخوه إلى أبي الحسن الثالث يسأله «ممن آخذ معالم ديني؟» فكتب (عليه السلام) إليه: «خذ معالم دينك ممن ثبت في محبتنا، ورسخ قدمه في أمرنا».

فالمرجع من كان أكثر حبا لهم ورسوخا في أمرهم وإتباعا لهم. والاصطلاحات المتداولة «الدين» و «الملة» و «المذهب» و «الشريعة» و «السنة» و «المنهاج» و «الإيمان» و «الإسلام» جميعها ذات معان متقاربة لا تنفك بعضها عن البعض، وكلها ترجع إلى معنى واحد، وهو السير والسلوك إلى الله والمشى إلى رضا الله، ولكل واحدة من هذه الكلمات منزل حسب مورد الاستعمال، والمراد الجهة

(١) الأنبياء: ٢٧.

(٢) وقد ذكرنا سابقا مكررا الأحاديث المعبرة التي تدل بوضوح على أن فاطمة وعلي روح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفسه، ويشهد له آية المباهلة (أنفسنا وأنفسكم...). (من المتن)

الجامعة وهي الشرع الأقدس وما أراده النبي المقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) من كل واحد بعينه ولم يرض منه خلافه.

أما الدين فقد عرفه بعضهم بأنه: هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل.

وقيل: هو وضع إلهي لأولي الألباب يتناول الاصول والفروع.

ووردت لفظة «دين» في الروايات بمعان كثيرة:

منها: الإسلام كما قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) (١)، وكذا يقول الميت في قبره «الإسلام ديني».

ومنها: الطريقة، قال تعالى: (لكم دينكم ولي دين) (٢).

ومنها: الجزاء، قال تعالى: (مالك يوم الدين) (٣)، وقال تعالى: (يومئذ

يوفيهم الله دينهم) (٤)، وقال تعالى: (إن الدين لواقع) (٥).

ومنها: الطاعة، قال تعالى: (لا يدينون دين الحق) (٦) ولها معاني أخرى

أعرضنا عن ذكرها لأنها ليست موضع حاجة.

وقد جمع سيد الأولياء أمير المؤمنين (عليه السلام) كل معاني الكلمة في عبارة واحدة،

فقال: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال التوحيد نفي الصفات

عنه» (٧).

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) الكافرون: ٦.

(٣) الفاتحة: ٤.

(٤) النور: ٢٥.

(٥) الذاريات: ٦.

(٦) التوبة: ٩.

(٧) البحار ٤ / ٢٤٧ ح ٥ باب ٤، عن نهج البلاغة.

أما معنى الملة: فهو ما يجعله الله وينسب إلى أحد الأنبياء، فلا يقال ملة الله بل ملة إبراهيم أو ملة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعرفوا الملة بأنها: «هي الطريقة التي يدعو النبي بها إلى الله» ووردت في القرآن بمعنى الدين، قال تعالى: (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) (١) أي تدين النصارى بالتثليث، وقال تعالى: (ملة أياكم إبراهيم) (٢)، وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «بعثت على الملة السمحة السهلة» فتكون الملة والدين مترادفين، والظاهر أنهما ليسا مترادفين وإنما بينهما عموم مطلق، لأن الملة منسوبة غالبا إلى نبي، والدين منسوب إلى الله، وقد يكون هذا هو التغير الجزئي الذي يفرق بين هذين الكليين.

والمذهب ينسب إلى الإمام، وهو ما يلهم به من قبل الله ويعلمه إياه الرسول، ومن هنا فرق البعض بين أصول الدين وأصول المذهب، ومنه أيضا سمي المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري، وهذا لا يعني - والعياذ بالله - أن يكون بينه وبين دين الله وملة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرق ولو بمقدار ذرة، حاشا، فهذه النسبة نتجت من انتشار الأخبار وذويع الأحكام النبوية في عهد جعفر بن محمد (عليه السلام) عن طريق بيانات هذا الإمام الصادق بشكل واسع لم تكن انتشرت مثله في الأزمنة السابقة.

وللشريعة معان عديدة، منها الفتح والخضوع والظهور والوضوح والدين والطريق والمورد الذي يؤخذ منه الماء، وجميع هذه المعاني تناسب المقصود، فالطريق المستقيم الواضح إنما هو الإطاعة والخضوع لهذه الطريقة عملا واعتقادا مما يلتزمه أهل الشرع والواضع لها الله تبارك وتعالى.

(١) ص: ٧.
(٢) الحج: ٧٨.

فالشريعة هي الصراط لأحكام الله، وهو معنى المنهاج أي الطريق إلى الله، وقد ذكرهما الله جل وعلا مترادفين، قال تعالى: (شرعة ومنهاجا) (١) وقال تعالى: (على شريعة من الأمر) (٢) أي السنة والسيره.

والسنة في اصطلاح أهل الشرع ما يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره بالأصالة أو غيرها، قال تعالى: (وقد خلت سنة الأولين) (٣) أي طريقتهم. والإسلام له معان واستعمالات كثيرة، فقد يطلق الإسلام ويراد منه ما يقابل الكفر، وقد يطلق ويراد منه الإيمان.

والأول هو الشهادة بالوحدانية والرسالة، ويتحقق بالتلفظ بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» فيحقت بذلك دمه ويجوز نكاحه ويأخذ الميراث ويحكم بطهارته، وإن كان للبعض كلام في طهارته وجواز نكاحه. والثاني: الإعتقاد بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإقرار بالولاية. والأول ليس له أجر أخروي، وإنما يعود عليه أجر عمله في الدنيا من باب (إن الله لا يضيع عمل عامل منكم) (٤).

والثاني له أجر أخروي لأنه مؤمن ويجب أن يكون إيمانه إقرارا باللسان واعتقادا بالجنان وعملا بالأركان.

والنسبة بين المؤمن والمسلم هي نسبة العموم والخصوص المطلق، والإيمان بمثابة الكعبة، والإسلام بمنزلة المسجد الحرام، فمن دخل الكعبة فهو في الحرم ولا

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) الحاثية: ١٨.

(٣) الحجر: ١٣.

(٤) آل عمران: ١٩٥.

عكس، وللإيمان مراتب مثل المرقاة.
فعلى الناس جميعا الإطاعة واتباع الشرع والتمسك بالعروة الوثقى للولاية
ليزداد حبهم لأهل هذا البيت يوما فيوما، وهم محل معرفة الله، وهذا هو حقيقة
الدين والإيمان، وبدونه فكل شيء لا شيء.
با تو همه كارها مهيا است* بي تو همه هيچ حاصل من (١)
وقد ذكرت مرارا أن المراد ليس المحبة لفظا؛ لأن المحبة تلزم الإقتفاء
والإتباع، ولا يكفي مجرد الإدعاء بأنك تحب فاطمة وعليها، وإنما يجب عليك أن
تعمل - ما استطعت - بما يحبون ويرغبون فيه، فتكون أنت أيضا محبا لما أحبوا،
وراغبا فيما رغبوا، وعاملا بما عملوا ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وتعرض عما
أعرضوا عنه، وتهرب مما هربوا منه.
أنظر إلى ما كتبه العلامة المجلسي (رحمه الله) في المجلد الخامس عشر من البحار في
الإيمان والكفر، وما رواه هناك من أخبار لها صلة بالموضوع ولو صعب على العامي
فهم هذا الكتاب، ففي أواخر كتاب حق اليقين مطالب نافعة في هذا الباب، وهي
يقينا بيان لحقيقة الدين، ومطالعتها نافعة جدا فراجع. ومن مات على دين
المجلسي (رحمه الله) فهو مصيب وصاحب دين وملة ومذهب وشريعة وسنة وقد وجد
طريق النجاة (٢)!!! وكم هو مؤسف أن يعدل البعض عن هذه الطريقة المستقيمة،
ويدعون إلى التسويات النفسانية والوساوس الشيطانية، ويعتقدون ببعض

(١) يقول: إن كنت معك تهيأ لي كل شيء، ولو كنت بدونك عجزت عن فعل شيء.
(٢) اللهم أحييني على ما أحييت عليه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمتني على ما مات عليه علي بن أبي
طالب (عليه السلام).

المزخرفات والمهملات، فيزداد جهلهم يوماً بعد يوم، وليس لهؤلاء من حيلة إلا أن يصرفهم مقلب القلوب عن بعض الانحرافات الدينية، وخير لهم أن ندعو لهم بدعاء الإمام الرضا سلام الله عليه الذي دعاه لأخيه يزيد بن إسحاق لما اختار مذهب الواقفية، فانصرف عن هذا الإعتقاد ببركة دعاء الإمام (عليه السلام) «اللهم خذ بسمعه ومجامع قلبه حتى ترده إلى الحق» (١). فهذه النفوس الشريرة لا يهديها إلا نظر أئمة الهدى إليها، سيما في هذا الزمان الذي تكالبت فيه جنود إبليس وجيوش النفس الخبيثة من كل حدب وصوب، وتسئلوا إلى الدين وأخذ يهدمون أساسه كل بطريقته الخاصة، كما فعلوا من قبل حينما غصبوا حقوق فاطمة بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)،

فأخذ الدين بالضعف والإضمحلال يوم جاءت الصديقة الطاهرة إلى مسجد أبيها، وقالت: «يا معشر البقية ويا عماد الملة ويا حضنة الإسلام، ما هذه الفترة في حقي والسنة عن ظلامتي؟ مات رسول الله» (٢)... إلى آخر الخطبة. منذ ذلك اليوم انقلب الإسلام، ولولا ذاك لما تمنى حجة الله الأكبر الموت، ولما قال في بعض خطبه: «ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم والله ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل الحق متاريك للبغي، مضوا قدما على الطريقة، واجتمعوا على المحجة، فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة البادرة». وهذه العبارة دليل على إعراض الناس في زمانه عن الدين، لأنهم أعرضوا عن إمامته وولايته واتبعوا أغراضهم الدنيوية باتباع غيره، وبديهي أن الإعراض عنه كفر، والإقبال عليه إيمان، ويشهد له الحديث الشريف «ولاية علي بن أبي

(١) البحار ٤٨ / ٢٧٣ ح ٣٤ باب ١٠.

(٢) خطبة الزهراء (عليها السلام).

طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي» (١). ولنعم ما قال عبد المطلب:
يعيب الناس كلهم زمانا * وما لزماننا عيب سوانا
يعيب زماننا والعيب فينا * ولو نطق الزمان بنا هجانا

وكما ترى فإن الزمان لا يوبخ، وإنما يوبخ أهل الزمان، والدنيا مذمومة
باعتبار ذم أهلها، وباعتبار حب أهل الدنيا للدنيا، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في
ذكر

الدنيا: «دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها،
هي مسجد أحياء الله ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها
الرحمة وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونعت
نفسها وأهلها وشوقتهم بسرورها الفاني إلى السرور الباقي، وحذرت ببلائها
الماضي البلاء الغابر التالي ترغيبا وترهيبا، فيا أيها الذام المغتر بتغيريها، المتخذع
لأباطيلها متى غرتك؟ أممصارع آباءك للبللى أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى» (٢).
وقال ابن المعتز: الدنيا دار التأديب والتعريف، ومضمار التهذيب التي
بمكروهاها يوصل إلى محبوب الآخرة، وميدان الأعمال السائقة بأصحابها إلى
الجنان ودرجة الفوز، التي يرقى فيها المتقرب إلى دار الخلد والرضوان، وهي
الواعظة لمن عقل، والناصحة لمن قبل، وبساط المهل ورباط العمل، وقاصمة
الجبارين، وملحفة الرغم بمعاطس المتكبرين، وكاسية التراب أبدان المختالين،
وصارعة المغترين، ومفرقة أموال الباخلين، وقاتلة القتالين، والعادلة بالموت على

(١) البحار ٣٩ / ٢٤٦ ح ١ باب ٨٧.

(٢) البحار ٧٣ / ١٢٩ ح ١٣٥ باب ١٢٢.

العادلين، ومهبط القرآن المبين، ومسجد العابدين، وأم النبيين، والحسنات فيها مضاعفة، والسيئات بآلامها ممجوجة، ومع عسرها يسرنا والله تعالى ضمن أرزاق أهلها، وأقسم في كتابه بما فيها، ورب طيبة من نعيمها قد حمد الله عليها، فتلقته أيدي الكتبة وحبب بها الجنة، ورب مال من زينتها وجه إلى معروفها، فكان جوازا على الصراط، وكم نائبة من نوائبها وحادثه من حوادثها قد نبهت الفطنة، وأزكت القريحة، وأفادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الأجر.

وقال محمد بن حامد الخوارزمي في هذا الباب بعبارة مختصرة
تذم دنيا إن تأملتها * وجدت منها ثمن الجنة
وقال محمود الوراق:

هي الدنيا وزخرفها * ولكن ما مصائرها
لئن غرت منابرها * فقد وعظت مقابرها
وإن غشت مواردها * فقد نصحت مصادرها
وقال بديع الزمان الهمداني:

يقولون الزمان به فساد * لقد فسدوا وما فسد الزمان
ويبدو أن أبناء كل زمان يشكون وضعهم ولا تجد فيهم شاكرا.
تولى زمان لعبنا به * وهذا زمان بنا يلعب
وقال آخر:

هذا الزمان الذي كنا نحذره * منها يحدث عن كعب ومسعود
إن دام هذا ولم يحدث به غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال ابن لنكك:

نحن والله في زمان غشوم* لو رأيناه في المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال* حق من مات منهم أن يهنا
ومعلوم؛ أن الزمان والدهر يختلف باختلاف أهله، فإذا كانوا أخيارا
متخلقين بأخلاق الله كانوا سعداء راضين برضا الله، يرضى بعضهم عن بعض،
يرون كل مكروه حسنا لأنه بعين الله وعنايته، يتحملون الشدائد ويدفعونها
بالصبر، ويصلون إلى المقامات العالية بالصبر على المكاره، قال تعالى: (إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب) (١)، ولنعم ما قال الشاعر:
بنى الله للأخيار بيتا سماؤه* هموم وأحزان وحيطانه الضر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه* وقال لهم مفتاح بابكم الصبر
وقال الآخر في الصبر على مكاره الدهر والحث عليه:
عليك بالصبر فيما قد بليت به* فالصبر يذهب ما في الصدر من حرج
كم ليلة من عموم الدهر مظلمة* قد ضاء من بعدها صبح من الفرج
وروي أن «الصبر نصف الإيمان، واليقين كله» (٢).
وقيل: «من وطن نفسه على الصبر لم يجد للأذى مسا».
وقال الله تعالى: (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) (٣).
وقال تعالى أيضا: (وبشر الصابرين) (٤).

(١) الزمر: ١٠.

(٢) البقر: ٨٢ / ١٣٧ ح ٢٢ باب ١٨.

(٣) الإنسان: ١٢.

(٤) البقرة: ١٥٥.

وقال تعالى أيضا: (وتمت كلمة ربك الحسنی علی بنی إسرائيل بما صبروا) (١).
وقال حكيم: الصبر صبران: صبر علی ما تحب، وصبر علی ما تكره،
والإنسان الكامل من يجمعهما، وتابع الصبر يتبعه النصر، ولكن تحمل الصبر أمر
عسير، بل هو من خاصة الخصيصين، والصبر كأسه مر وعاقبته العسل، والصبر
علی الحرمان من النعم واللذائذ أهون من الصبر علی عذاب الله، وعلی المؤمن
الاقتداء بإمامه.

أنظر إلى من خلقت السماء والأرض وما بينهما لأجلهم - يعني الوجود
المقدس النبوي والعلوي والفاطمي - كيف صبروا علی شدائد الزمان وقضوا
حياتهم في الحرمان، حتى تغيرت ألوانهم من شدة الفاقة، ولم يزايلوا الصبر حتى
تعجبت منهم ملائكة السماء، وهم يزدادون كل يوم إعراضا عن الدنيا، ويرون
الدنيا - باعتبار علائقها - مكروها - وتضادت طباعهم معها، مع أنهم كانوا في عالم
البشرية وذلك لاتصالهم بمقام القرب وعلاقتهم بالنشأة الآخرة والنعم الباقية،
فغلبت عادتهم الملكوتية الطبيعة البشرية حتى اضمحلت، كما ورد في الحديث
«علي ممسوس في ذات الله» (٢).

وإعراض أهل البيت (عليهم السلام) عن الدنيا كان ناتجا عن معرفتهم أن الله لم يجعل
هذه النعم الفانية لهم لحقارتها؛ فهي أقل من أن تكون موضع رضاء الرب،
فأعرضوا عنها؛ لذا ورد في الحديث الذي رواه ابن شهر آشوب في المناقب أن
«فاطمة الزهراء (عليها السلام) سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتما،
فقال: ألا أعلمك ما هو خير

(١) الأعراف: ١٣٥.

(٢) حلية الأولياء ١ / ٦٨.

من الخاتم؟ إذا صليت صلاة الليل فاطلبي من الله عز وجل خاتما فإنك تنالين حاجتك. قالت: فدعت ربها تعالى، فإذا بهاتف يهتف: يا فاطمة الذي طلبت مني تحت المصلى، فرفعت المصلى فإذا الخاتم ياقوتة لا قيمة له، فجعلته في أصبعها وفرحت، فلما نامت في ليلتها رأت في منامها كأنها في الجنة، فرأت ثلاثة قصور لم تر في الجنة مثلها، قالت: لمن هذه القصور؟ قالوا: لفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالت:

فكأنها دخلت قصرا من ذلك ودارت فيه، فرأت سريرا قد مال على ثلاثة قوائم، فقالت: ما لهذا السرير قد مال على ثلاث؟ قالوا: لأن صاحبه طلبت من الله تعالى خاتما فنزع أحد القوائم وصيغ لها خاتم وبقي السرير على ثلاث قوائم، فلما أصبحت دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقصت القصة، فقال النبي: يا معاشر آل

عبد المطلب ليس لكم الدنيا إنما لكم الآخرة وميعادكم الجنة، ما تصنعون بالدنيا فإنها زائلة فرارة» (١)... إلى آخر الحديث.

إذا كان إدراك النعمة في الدنيا يوجب ترك النعمة في الأخرى حتى لفاطمة الصديقة الطاهرة فكيف بي أنا وأنت؟ وإذا قيل يوم القيامة إن هؤلاء أذهبوا طبياتهم في حياتهم الدنيا ولا نصيب لهم في الجنة فماذا سنجيب؟! وهل سيبقى لنا شيء سوى الحرمان؟ ولعل هذا الحديث إرشاد لي ولك مثل سائر الأحاديث الواردة عنهم (عليهم السلام)، من قبيل «إياك أعني واسمعي يا جارة». تأمل أيها العاقل! أن العلة الغائية من خلق السماء والأرض هو النبي وابنته وصهره وأولاده، ولطالما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن هؤلاء روحي وجسمي» ومع ذلك أي

مشقة تحملوا في هذه الدار في حين كانت الخلافة الظاهرية والباطنية إليهم وخزائن

(١) المناقب ٣ / ٣٨٧ في معجزاتها.

الأرض بأيديهم، ويوم كان بإمكان أمير المؤمنين أن يأخذ من الملك ما يشاء طوعا وكرها ولكنه كان يقول: «ولقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها» (١). وكانت الأموال تجتمع عند أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام خلافته الظاهرية كالتل، فيجلس إليها يوزعها على المستحقين، حتى إذا فرغ منها فرش رداءه وصلى ركعتين وخاطب الأرض: اشهدي لابن أبي طالب ماذا فعل، ثم يطوي هو والحسان جياعا، ويخرج إلى العمل ليأكل من كد يمينه. وعلى المؤمن أن يقتدي بإمامه ويتأسى بمقتداه، قال (عليه السلام): طلق الدنيا ثلاثا واتخذ زوجا سواها * إنها زوجة سوء لا تبالي من أتاها (٢) وللشريف الرضي (٣):

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى * أكابد هما بؤسه لا ينجلي
أكل شريف قد علا بجدوده * حرام عليه العيش غير محلل
فقلت نعم يا بن الحسين رميتكم * بسهم عنادي حين طلقني علي
ولا يظن أحد أن الدنيا لم تقبل عليهم «فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عرضت عليه جبال
تهامة ذهبا وفضة فأبى (صلى الله عليه وآله وسلم)» (٤). وقال الشاعر مشيرا إلى هذا المعنى:

أقر عينا وأبكاها ندى وأباها * عسجدا وحكاها داجي الظلم
ونعم ما قال الشاعر أيضا:
مادر دهر چرا كينه نورزد با من * داده ناخواستته أو را پدر من سه طلاق (٥)

(١) البحار ٤٠ / ٣٤٦ ح ٢٩ باب ٩٨.

(٢) البحار ٤٠ / ٣٢٨ ح ١٠ باب ٩٨.

(٣) ونسبها البعض للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) وهو خطأ. (من المتن)

(٤) البحار ٤٢ / ٢٧٦ ح ٥٨ باب ١٢٧.

(٥) يقول: لماذا لا تعاديني أم الدهر، فلقد طلقها أبي ثلاث مرات!

وكذا أقبلت على ولي الله الأعظم وعرضت نفسها عليه ثلاثا فطلقها ثلاثا. وفي ذلك نكتتان: أحدهما أنها طلبته وأرادت وصله والاقتراب منه ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يطلقها، والأخرى أن طلقها ثلاثا طلاق بائن لا رجعة فيه.

والمراد من طلاقها الإغماض عن لذائذها، كما ورد في تطليق عائشة حين أوصى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي (عليه السلام) أن طلق عائشة أو غيرها من أزواجي إن خلعت

طاعتك، يعني أخلع عنها شرف أمومة المؤمنين فلا تكون أما لأمتي، والطلاق في هذه الموارد من هذا القبيل، أي إني هجرت الدنيا وألقيت حبها على غاربها، وتركتها لأهلها الذين لا حظ لهم في الآخرة.

وفي الحديث أن حواء أعطيت لآدم فطلب الشيطان الدنيا فصارت في حبالته؛ ولذا تجد الناس أكثرهم أبناء الدنيا، والشيطان وأشبه شيء بهذين الأبوين، فيا طالب زخارف الدنيا أنظر إلى عاقبة ما تطلب، وانظر إلى مطلوبك وأبيك وأمك من هما؟! وانظر إلى المعرضين عن الدنيا وزخرفها كيف فازوا بساحة القرب الإلهي الذي لا بديل له.

وأروي لإخواني المؤمنين - لمحض الذكرى - إحدى الدفعات التي عرضت الدنيا نفسها على ولي الله الأعظم، ثم أرجع إلى الموضوع ثانية. ففي كتاب عوالم العالم: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان في بعض حيطان فدك وفي

يده مسحة فهجمت عليه امرأة من أجمل النساء، فقالت: يا بن أبي طالب إن تزوجني أغنك عن هذه المسحة وأدلك على خزائن الأرض ويكون لك الملك ما بقيت.

قال لها: فمن أنت حتى أخطبك من أهلك؟
قالت: أنا الدنيا.

فقال (عليه السلام): إرجعي فاطلبي زوجا غيري فلست من شأني، فأقبل على مسحاته وأنشأ:

لقد خاب من غرته دنيا دنية * وما هي إن غرت قرونا بطائل
أتتنا على زي العروس بثنية * وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غري سواي فإنني * عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فإن محمدا * رهين بفقر بين تلك الجنادل
وهي ها أتني بالكنوز ودرهما * وأموا قارون ملك القبائل
أليس جميعا للفناء مصيرنا * ويطلب من خزائنها بالطوائل
فغري سواي إنني غير راغب * لما فيك من عز وملك ونائل
وقد قنعت نفسي بما قد رزقته * فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فإني أخاف الله يوم لقائه * وأخشى عذابا دائما غير زائل (١)
فإذا كان أهل بيت العصمة يتنفرون عن الدنيا ويتحاشونها إلى هذا الحد،
فلماذا نتحب نحن إلى هذا العدو الغدار، ونخالف أحبائنا الحقيقيين، ونفكر بالفقر
ونخشى عاره؟!

والفقر بمعناه الظاهري هو فقدان ما يحتاج إليه، وحقيقته هو الاحتياج إلى الحق، فالأنبياء والأولياء أفقر الفقراء إلى الله، فقراء في الدنيا لرحمة الله بهم، وليس فقرهم - والعياذ بالله - من باب عدم اللطف، وأنت ترى أن الأغنياء غالبا طغاة

(١) البحار ٤٠ / ٣٢٨ ح ١٠ باب ٩٨ عن المناقب.

غافلون عن الآخرة لاشتغالهم بزخارف الدنيا وزينة المال وأهواء النفس ولذائدها، مثلهم كمثل الطفل يشتغل باللعب ويغفل عن معرفة الله، وحكمهم حكم الحيوانات السائمة، وبديهي أن الخفة والراحة أفضل من الثقل والتورط؛ ولنعم ما قال الشيخ سعدي الشيرازي:

توانگری كشدت سوی کبر و نخوت و ناز * خوش است فقر که دارد هزار عجز و نیاز (۱)

كل هذه البيانات لتعرف لماذا كانت فاطمة الزهراء - مع ما لها من الشأن - تلبس عباءة مرقوعة، وتتيقن أن فقر تلك المخدرة وأهل البيت نعمة موهوبة أنعم بها الله عليهم تلطفاً وتحننا، وهذا بنفسه امتياز اختص الله به ذلك الكوكب الدرّي من دون نساء العالمين اللواتي لم يجعل الله لهن استحقاق هذه المنة، فلا تجد فيهن واحدة بلغت ما بلغته تلك المخدرة في الصبر، ولا بلغت في الإيمان مبلغها، بل الكل يستطعمون فئات موائدها.

والآن نبدأ بذكر بقية الأربعين حديثاً من صحاح العامة، ونشرع في خصيصة أخرى إن شاء الله تعالى.

الحديث السابع عشر: روى أبو بكر الخوارزمي عن بلال بن حمّامة، قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج ذات يوم إلى الناس ووجهه كدارة القمر، فسأله عبد الرحمن بن عوف، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي

(۱) يقول: القدرة تحرك للكبر والنخوة والغرور؛ أما الفقر فما أحسنه لأنه يجعلك تحس بأنواع العجز والفاقة.

وابنتي، بأن الله تعالى زوج عليا بفاطمة، وأمر الرضوان خازن الجنان أن يهز شجرة طوبى، فهزها فتشرت رقاقا بعدد محبي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من نور، فإذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلق، فلا يبقى محب لأهل البيت إلا ورفعت إليه صكا فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابنتي سبب فكاك رقاب الرجال والنساء من أمتي من النار» (١).

والحديث بشارة عظيمة عجيبة للمحبين، وقد مر سابقا ذكره بسند آخر. الحديث الثامن عشر: في مسند أحمد بن حنبل وأبي داود عن أنس بن مالك، أن بلالا أبطأ عن صلاة الصبح، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أجلسك؟ قال:

مررت بفاطمة (عليها السلام) وهي تطحن والصبى في حجرها، فاشتغلت بالرحى فذلك

أجلسني. قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): رحمتها رحمك الله (٢). الحديث التاسع عشر: في مسند أحمد وأبي داود عن ثوبان، قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأول من يقدم عليه إذا قدم من سفره فاطمة. قال: فقدم (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزاة، فأتاها وقد علق مسحا أو ستر على بابها، ورأى على الحسن والحسين (عليهما السلام) قليين من فضة، فرجع ولم يدخل

عليها، فلما رأت فاطمة ذلك ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القليين من الصبيين فقطعتهما، فبكى الصبيان فقسمته بينهما، فانطلقا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهما يبكيان، فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهنما وقال: يا ثوبان! إذهب بهذا إلى فلان أهل بيت بالمدينة واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين

(١) الصواعق المحرقة ١٧٣ باب ١١ ف ١ الآية الرابعة عشرة.

(٢) البحار ٤٣ / ٦٧ ح ٦٣ باب ٣.

من عاج، فإن هؤلاء أهل بيتي، ولا أحب أن يأكلوا طبيباتهم في حياتهم الدنيا» (١).
يتبين من هذا الحديث أن إدراك أي نعمة في دار الدنيا يؤدي إلى الحرمان
منها في الآخرة. والنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يرضى لفاطمة والحسينين
- مع شدة رحمته

بهم - أن يتورطوا بحطام الدنيا مهما كان جزئيا ضئيلا ليس له قيمة. والحال أن
الدنيا والآخرة جميعا لهم، ومنعه إياها ناتج عن شدة محبته لفاطمة (عليها السلام)،
بحيث لا

يريد لها أن تفقد أي نعمة من النعم الباقية التي قدرها الله لها في الآخرة، فميزها بهذه
الخصيصة وهي من الشؤون الخاصة بفاطمة والحسينين.

فماذا يطمع أولئك الذين انغمسوا في المعاصي عمرا، فما انتبهوا لحظة من
الغفلة، وعاشوا في الأبراج المشيدة والقصور العاجية، وغرقوا بالدر والمجوهرات،
فما هو نصيبهم في الآخرة؟! لا أدري كيف تقاس هذه الحياة بهذا الحديث؟!
آه.. آه.. تأمل جيدا هل أنت في حلم أو أنها أحاديث نبوية مروية في
مصادر موثقة وبطرق صحيحة أكتبها أنا وتقرأها أنت؟ نرجو من الله أن ينبهنا عن
نومة الغافلين بفضله ومنه.

الحديث العشرون: روى الحافظ أبو سعيد في شرف النبوة عن أبي أيوب
الأنصاري مرفوعا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: «إذا كان يوم القيامة
نادى مناد من بطنان

العرش: يا أهل الجمع! نكسوا رؤوسكم وعضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت
محمد على الصراط ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع» (٢).
الحديث الحادي والعشرون: في ينابيع المودة عن الحافظ الغساني مرفوعا

(١) البحار ٤٣ / ٨٩ ح ١٠ باب ٤.

(٢) البحار ٤٣ / ٥٣ ح ٤٨ باب ٣.

عن جابر، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال (صلى الله عليه وآله وسلم):
«ابنتي فاطمة (عليها السلام) حوراء إنسية لم تحض ولم
تطمث، إنما سماها الله فاطمة لأن الله فطمها وفطم ولدها ومحبيها عن النار» (١).
الحديث الثاني والعشرون: في مسند أحمد بن حنبل عن علي (عليه السلام)، عن
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: «يا فاطمة! إني وإياك وهذين - يعني حسنا
وحسينا - وهذا في
مكان واحد» (٢).

الحديث الثالث والعشرون: في شرف النبوة عن عائشة، قالت: قلت: يا
رسول الله! مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها، كأنك تريد أن تلعق
عسلا؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «لما اسري بي إلى السماء أدخلني جبرائيل
الجنة فناولني تفاحة
فأكلتها فصارت نطفة في ظهري، فلما نزلت من السماء واقعت خديجة، ففاطمة من
تلك النطفة، فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلها» (٣).
وفي حديث أنه قال: «إذا اشتقت إلى تلك الثمار التي أطعمني جبرئيل قبلت
فاطمة، فأصبت من تقبيلها رائحة تلك الثمار التي أكلتها» (٤).
الحديث الرابع والعشرون: قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (قالت
هو من عند الله) (٥): إن فاطمة (عليها السلام) أعدت للنبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) في زمن قحط رغيفين
وبضعة لحم ووضعت في طبق، فلما أتاها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحضرت
الطبق وكشفت عن
الطبق فوجدته مملواً خبزاً ولحماً، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنى لك
هذا؟ قالت: هو من

-
- (١) ينابيع المودة ٢ / ١٢١ رقم ٣٥٤ باب ٥٦.
(٢) الرياض النضرة ٢ / ١٨٣ عن أحمد في المسند.
(٣) البحار ٤ / ٣ ح ٤ باب ١.
(٤) البحار ٨ / ١٤٢ ح ٦٢ باب ٢٣.
(٥) آل عمران: ٢٧.

عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) «الحمد لله الذي جعلك

شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل» ثم جمع بعلها وولداها وأهل بيته وأكلوا وأشبعوا والطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها صلوات الله عليها (١). وروى المرحوم المجلسي مرفوعا (٢) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أقام أياما لم يطعم طعاما

- أف لك يا دنيا - حتى شق ذلك عليه - بحسب الطبيعة البشرية - وطاف في منازل أزواجه، فلم يصب عند واحدة منهن شيئا، فأتى فاطمة فقال: يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟ فقالت: لا والله بأبي أنت وأمي، فلما خرج من عندها بعث إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وغطت عليها، وقالت: لآثرن بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعا

محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرجع إليها

فقالت: بأبي أنت وأمي قد أتانا الله بشيء فخبأته، قال: هلمي، فأنته فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزا ولحما، فلما نظرت إليه بهتت، فعرفت أنها كرامة من الله عز وجل، فحمدت الله وصلت على نبيه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من أين لك هذا يا بنية؟

فقالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فحمد الله عز وجل وقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء العالمين في بني إسرائيل في وقتهم، فإنها كانت إذا رزقها الله تعالى فسألت عنه قالت: (هو من عند الله إن الله يرزق من

(١) البحار ٤٣ / ٢٩ ح ٣٥ باب ٣.

(٢) في البحار: ويأسناده عن أحمد بن محمد الثعلبي عن عبد الله بن حامد عن أبي محمد المزني عن أبي يعلى

الموصلبي عن سهل بن زنجلة الرازي عن عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن محمد بن المنكر عن جابر بن عبد الله أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)...

يشاء بغير حساب) (١). فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي ثم أكل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته جميعاً

وشبعوا وبقيت الجفنة كما هي. قالت فاطمة: فأوسعت منها على جميع جيراني... (٢) الحديث الخامس والعشرون: رواه الأندلسي عن الصادق (عليه السلام): «لولا أن الله خلق أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن لفاطمة (عليها السلام) كفؤ على وجه الأرض» (٣).

الحديث السادس والعشرون: أورده الثعلبي في تفسير قول ابن عمر: لعلي ثلاثة، ولو كان لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويج فاطمة (عليها السلام)

وإعطاء الراية، وآية النجوى (٤). وهذا الشرف شرفه الله به أعني تزويج فاطمة (عليها السلام)

مأخوذ من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث مبسوط. الحديث السابع والعشرون: في صحيح البخاري وصحيح مسلم وفي تفسير الثعلبي ومسند أحمد بن حنبل في هذه الآية: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) (٥). قالوا: يا رسول الله! من قرابتك الذين فرض الله علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما (٦).

الحديث الثامن والعشرون: عن أنس وأبي عروة الأسلمي والخدري أنه لما نزلت آية التطهير جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين صباحاً إلى باب فاطمة و [هو] يتلو هذه

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) البحار ٤٣ / ٦٨ ح ٦٠ باب ٣.

(٣) ينابيع المودة ٢ / ٢٤٤ رقم ٦٨٦ باب ٥٦.

(٤) البحار ٣٥ / ٣٧٧ ح ١ باب ١٨.

(٥) الشورى: ٢٣.

(٦) البحار ٢٣ / ٢٣٢ باب ١٣ عن البخاري ومسلم والثعلبي ومسند أحمد.

الآية ويقول: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سألكم (١).
وفي رواية: تسعة أشهر يسلم عليهم ويدعو لهم بالصلاة.
الحديث التاسع والعشرون: في تفسير الشيرازي، عن عمدة علماء العامة في
قوله تعالى: (واسئلو أهل الذكر) (٢) قال: أهل الذكر محمد وعلي وفاطمة
والحسن والحسين (عليهم السلام)، وهم أهل العلم والعقل والبيان، والله ما سمي
المؤمن مؤمنا
إلا كرامة لأمر المؤمنين (٣).
الحديث الثلاثون: روى الحافظ عن ابن عباس قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم):
«رأيت ليلة المعراج هذه الكلمات مكتوبة على سرادق العرش: لا إله إلا الله محمد
رسول الله، علي حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، علي
باغضهم لعنة الله» (٤).
الحديث الحادي والثلاثون: في كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر، عن
علي (عليه السلام) أنه قال: «أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أول من
يدخل الجنة أنا وأنت
وفاطمة والحسن والحسين. فقلت: يا رسول الله! فمحبونا؟ قال: ورائكم» (٥).
الحديث الثاني والثلاثون: قال الطبري في الرياض النضرة أنه قال
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «رأيت في ليلة زفاف فاطمة (عليها السلام) أن
جبرئيل نزل بسبعين ألف من
الملائكة، فقلت: ما أهبطكم؟ قالوا: جئنا نرف فاطمة على زوجها، فكبر جبرئيل

-
- (١) انظر البحار ٣٧ / ٧٩ ح ٤٨ باب ٥٠.
(٢) النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧.
(٣) شواهد التنزيل ١ / ٣٢٤.
(٤) المناقب للخوارزمي ٣٠٢ ح ٢٩٧.
(٥) الصواعق المحرقة ١٥٣ باب ١١، ف ١، الآية السادسة.

وميكائيل والملائكة، فصار التكبير سنة في الفرياض من تلك الليلة» (١).
الحديث الثالث والثلاثون: قال الأوزاعي: أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما
بيد

فاطمة (عليها السلام) وقال: «من عرف هذه فقد عرفني، ومن لم يعرفها فهي فاطمة
بنت

محمد، وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله» (٢).

الحديث الرابع والثلاثون: روى النسفي - وهو من أكابر علماء العامة - : إن
ناقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) العضباء تكلمت حين الوفاة مع فاطمة الطاهرة،
وقالت:

السلام عليك يا بنت رسول الله! ألك حاجة إلى أبيك فإني ذاهبة إليه؟ فبكت
فاطمة وجعلت رأس الناقة في حجرها حتى ماتت الناقة في تلك الساعة، فكفنتها
في عباءة ودفنتها، ثم كشفوا عنها بعد ثلاثة أيام فلم يجدوها. قال النسفي: فنطقها
لها من بعض كراماتها، فإنها لم تنطق إلا لها ولأبيها، وكان نطقها لأبيها إذ قالت يا
رسول الله: كنت لرجل من اليهود أخرج أرعى فينادي لي النبات: إلي فإنك
لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا كان الليل نادى السباع بعضهم بعضا: لا
تقربوها فإنها لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

الحديث الخامس والثلاثون: أيضا روى النسفي عن علي (عليه السلام)، قال: قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للحسن والحسين (عليهما السلام): أنتما كفتا
الميزان، وفاطمة لسانه، ولا تعدل
الكفتان إلا باللسان، ولا يقوم اللسان إلا على الكفتين، أنتما الأمان ولا مكما
الشفاعة...» إلى آخر الحديث.

(١) البحار ٤٣ / ١٠٤ ح ١٥ باب ٥.

(٢) لقد مر هذا الحديث وبعض الأحاديث الأخرى التي ذكرناها، والغرض من ذكرها مرة أخرى إتمام
الأربعين حديثا المتفق عليها بين الفريقين، وبيان أن العامة تسلم أيضا بفضيلة فاطمة (عليها السلام). (من
المتن)

الحديث السادس والثلاثون: أيضا روى النسفي عن ابن عباس: بينا أهل النعيم يتنعمون بنعيمهم، إذ سطع لهم نور فظنوه شمسا، فقالوا: إن ربنا يقول: (لا يرون فيها شمسا) (١) فيقول رضوان: هذا علي وفاطمة ضحكا فأشرقت الجنان من ضحكهما (٢).

الحديث السابع والثلاثون: قال في حديث طويل: «إن الله تبارك وتعالى بنى جنة لعلي وفاطمة (عليهما السلام)» (٣) وسيأتي شرحه في الخصائص بعد الرحلة إنشاء الله تعالى.

الحديث السابع والثلاثون: روى النسفي بحذف الأسانيد: أن فاطمة سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون صداقها شفاعاة الأمة يوم القيامة ولها الشفاعاة.

الحديث الثامن والثلاثون: في نزهة المجالس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: «أنا

الشمس، وعلي القمر، وفاطمة الزهرة، والفرقدان الحسن والحسين» (٤).
الحديث الأربعون: فيه أيضا بحذف الأسانيد، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله فطم

ابنتي فاطمة وولديها ومن أحبهم من النار» (٥).
تمت الأربعون حديثا من كتب السنة والجماعة في فضل فاطمة الطاهرة، وهيهات أن يضم كتاب فضل فاطمة الطاهرة ومناقبها أوراق الدفاتر، أو تدرکها عقولنا الناقصة.

(١) الإنسان: ١٣.

(٢) البحار ٣٥ / ٢٤١ ح ١ باب ٦.

(٣) كفاية الطالب ٣٢٠ - ٣٢١ باب ٨٩.

(٤) البحار ١٦ / ٩١ ح ٢٣ باب ٦؛ و ٢٤ / ٧٤ ح ٩ باب ٣٠.

(٥) البحار ٤٣ / ١٨ ح ١٨ باب ٢؛ و ٦٨ / ١٣٣ ح ٦٦ باب ١٨؛ والصواعق المحرقة ١٦٠ باب ١١

ف ١ الآية

العاشرة.

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا * تمسك في اخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاق العالمين مناقبا * محاسنهم تجلى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى * وطاعتهم ود وودهم تقوى (١)
لقد أعطاهم الله العز كل العز، لأنهم ما فتروا لحظة عن العبودية، واستهانوا
بالتعب، وأفنوا أنفسهم في سبيل الله، ولم يتغافلوا قط، فشملتهم العناية
السبحانية والمواهب الرحمانية بالفضل والكرم.. فهنيئا لهم.

ولم يقتصر الأمر على أهل البيت فحسب بل إن الله أعطى خدامهم
والمنسويين إليهم من الخصائص ما لم يعطه لسائر الخلق، فقد روى في الصحيفة
الرضوية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «دعاء أطفال ذريتي مستجاب ما لم
يقارنوا
الذنوب» (٢). رواه أيضا السيد علي بن طاووس - طاب ثراه - عن كتاب ربيع
الأبرار للزمخشري.

وروى القطب الراوندي في الخرايج والجرايح: دعاء أطفال ذريتي مستجاب
ما لم يقترفوا الذنوب وروى: ما لم يقاربوا الذنوب والمعنى واحد.
وروي في بعض الكتب أن رجلا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في منامه
وهو يقول:

أمض إلى فلان المجوسي وقل له: قد أجيبت الدعوة [فامتنع الرجل من أداء
الرسالة لثلا يظن المجوسي أنه يتعرض] له، وكان الرجل في الدنيا في سعة [فرأى
الرجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثانيا وثالثا] فأصبح فأتى المجوسي وقال
له في خلوة من

(١) نظم درر السمطين ١٨ و ١٩.

(٢) صحيفة الإمام الرضا (عليه السلام) ١١٣ ح ٦٩، وفيه «يقاربوا»؛ البحار ٩٣ / ٣٥٧ ح ١٤ باب ٢٢.

الناس: أنا رسول رسول الله إليك، وهو يقول لك: قد أجيبت الدعوة.
فقال له: أتعرفني؟

قال: نعم.

قال: فإني أنكرك دين الإسلام ونبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
فقال: أنا أعرف هذا، وهو الذي أرسلني مرة ومرة ومرة.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ودعا أهله وأصحابه
فقال لهم: كنت على ضلال ورجعت إلى الحق، فأسلموا فمن أسلم فما في يده فهو له،
ومن أبي فليزرع مالي عنده.

قال: فأسلم القوم وأهله، وكانت له ابنة مزوجة من ابن ابنه، ثم قال لي:
أتدري ما الدعوة؟

قلت: لا وأنا أريد أن أسألك الساعة.

فقال: لما زوجت ابنتي صنعت طعاما ودعوت الناس إليه فأجابوا، وكان إلى
جانبنا قوم أشرف فقراء لا مال لهم، فأمرت غلماني أن يبسطوا لي حصيرا في
وسط الدار. قال: فسمعت صببية تقول لأمها: يا أماه قد أذانا المجوسي برائحة
طعامه. قال: فأرسلت إليهن بطعام كثير وكسوة ودراهم للجميع، فلما نظروا إلى
ذلك قالت الصبية للباقيات: والله ما نأكل حتى ندعو له، فرفعن أيديهن وقلن:
حشرك الله مع جدنا رسول الله، وأمن بعضهم، فتلك الدعوة التي أجيبت (١) (٢).

والشرف الحاصل لذوي العلاقة بفاطمة الطاهرة متفرع على الشرف

(١) تذكرة الخواص ٣٣١.

(٢) ذكرت هذا المطلب مفصلا في كتاب «جنة النعيم» في أحوال الذرية الطاهرة.

الأصلي الذي جعله الله في ذلك الأصل الطاهر.
إذا ولد المولود من نسل أحمد* لقد زيد من أصل المكارم واحد
بوجه بط اگرچه دينه بود* آب درياش تا بسينه بود
وعلى عامة الناس احترام هذه السلسلة العالية وتجليل الذرية الطيبة،
ونعوذ بالله من أن يتلى أحد بتحقيهم وعدم احترامهم. قال ابن الجوزي: فرخ
البط عوام.

وروى في فضائل السادات عن رئيس المؤرخين المرحوم الأردبيلي (رحمه الله) أنه
كان يقوم أحيانا أثناء الدرس والمباحثة، فسئل عن السبب، فقال: يواجهني
أحيانا طفل علوي وهو يلعب مع الصبيان، فأستحي أن أكون جالسا ويكون هذا
الطفل واقفا!!

ولا يقال: إن المراد هم أولاد فاطمة من بطنها بلا واسطة، لأن قوله «ما لم
يقارنوا الذنوب» يفيد عموم الذرية، وذلك أن أولادها المباشرين معصومون بلا
شك، لا يرتكبون المعصية، لا في الصغر ولا في الكبر فلا تصدق العبارة في حقهم.
بديهي؛ أن تعظيم هذه السلسلة الفاطمية - من حيث الانتساب والانتهاج
إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنهم بضعة منه (صلى الله عليه وآله وسلم) - من
أعظم المثوبات والقربات التي توجب

رضا الله والنبي بشرط ملاحظة هذا المعنى من كونهم جزء من هذه الأسرة وأفرادا
من هذه الزمرة الشريفة، وأنهم الأغصان والأفنان لتلك الشجرة النبوية المقدسة،
فكما قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض فينبغي تقبيله، فإن السادة بمثابة يمين
النبي الشريفة.

روى في كتاب المناقب: «... وجاء أبو حنيفة يسمع منه، وخرج أبو عبد الله

يتوكأ على عصا، فقال له أبو حنيفة: يا بن رسول الله ما بلغت من السن وتحتاج معه إلى عصا؟ قال: هو كذلك، ولكنها عصا رسول الله أردت التبرك بها، فوثب أبو حنيفة وقال له: أقبلها يا بن رسول الله، فحسر أبو عبد الله (عليه السلام) عن ذراعه وقال له:

والله لقد علمت أن هذا بشر رسول الله، وأن هذا من شعره فما قبلته وتقبل عصا (١). ولنعم ما قال الشاعر:

يعظمون له أعواد منبره * وتحت أرجلهم أولاده وضعوا
ولكثر ما أوصى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعظيم الذرية الطاهرة فقد روى

المرحوم ثقة المحدثين محمد بن يعقوب الكليني في الكافي، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب

خطبة قال في آخرها: «أيها الناس! عظموا أهل بيتي في حياتي ومن بعدي وأكرمهم وفضلوهم، فإنه لا يحل لأحد يقوم من مجلسه إلا لأهل بيتي...» (٢) الخ. وقال في حديث آخر: «لا يقوم أحد لأحد إلا لهاشمي». وقال في حديث آخر: «يقوم الرجل للرجل، إلا بنو هاشم فإنهم لا يقومون».

وروى في جامع الأخبار: «من رأى أولادي ولم يقم بين يديه فقد جفاني، ومن جفاني فهو منافق».

وجاء في بعض المصادر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من رأى أولادي فلم يقم قياما

ابتلاه الله بداء لا دواء له».

ويستفاد من الأخبار أن القيام إنما هو للسادة خاصة، وقد نهى رسول

(١) المناقب ٤ / ٢٦٩ في علمه (عليه السلام) - يعني الإمام الصادق (عليه السلام) - .

(٢) البحار ٣٦ / ٢٩٥ ج ١٢٤ باب ٤١ .

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقام للرجل إذا دخل في المجلس.
روى في كتاب فضائل السادات أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يكره أن يقام له،
وكان إذا قدم
لا يقومون لعلمهم بكرهته ذلك، فإذا فارقهم قاموا حتى يدخل (صلى الله عليه وآله
وسلم) منزله لما
يلزمهم تعظيمه (١).

يستفاد من هذا الحديث أنهم كانوا إذا قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اتبعوه
وقاموا تعظيماً له.

أجل؛ تعظيم المؤمن لمحض عزة الإيمان جيد، ويعد تعظيماً للشعائر ورعاية
لحرمة الله. قال الشهيد: ويجوز تعظيم المؤمن بما جرت به العادة وإن لم يكن
منقول عن السلف لدلالة العمومات عليه، قال الله تعالى: (ومن يعظم حرمات الله
فهو خير له عند ربه) (٢).

وفي الحديث: أن عيسى (عليه السلام) قام وقبل أقدام الحواريين، وقال: تواضعوا
للعالم الرباني كما تواضعت لكم، ثم قال: التواضع يزيد الحكمة، والتكبر ينقصها،
واعلموا أن الذنوب تنبت على الأرض لا على الجبل (٣).

فلا بد أن يكون الملحوظ في القيام والتعظيم تلك العلقة الشريفة، فإن كان
سيدا فداعي التعظيم علاقة النسب النبوي، وإن كان مؤمناً فلاقتفائه آثار النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم)

واستقرار وديعة الإيمان فيه، فلا يقوم بحجة السيادة والإيمان ويكون الداعي في
الواقع الجلال والجمال والأغراض الأخرى، فإن قام للداعي الثاني فإنه يذهب
بثلاثي دينه؛ ففي الحديث القدسي: «من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه» (٤).

(١) البحار ٧٦ / ٣٨ ح ٣٥ باب ١٠٠.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) انظر البحار ٢ / ٦٢ ح ٥ باب ١٢.

(٤) البحار ٧٨ / ٥٦ ح ١١٨ باب ١٦.

وإذا كان التواضع للداعي الأول فلا بد أن يكون للفقير والغني على حد سواء صورة ومعنى، لا كمثل بعض التواضعات المعهودة في زماننا التي يواجه بها السادة الفقراء صورة وظاهرا وهي في الواقع إهانة.

ولا يجوز التواضع لغير الطائفتين المذكورتين (١) من قبيل التواضعات المعتادة في هذا الزمان، الناشئة جميعا من حب الجاه والنخوة والتظاهر بالشؤونات والاعتبارات الدنيوية الموجبة للفتنة والفساد والمحن العظيمة؛ والمتواضع والمتواضع له كلاهما في ضلال، ألا ينبغي على الناس الاقتداء بسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) (٢) وهو الأرف بأمرته من ألف والد شفيق، فلم يتغافلوا عن اتباعه في مكارم الأخلاق، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم لفاطمة الطاهرة.

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - بأمر السماء - بتعظيم السادة وتكريم الذرية الطاهرة، فمن أكرمهم بهذه النية فقد أكرم الكل بإكرامه الجزء، وكذا يكون إكرام المؤمن من باب العلة المعنوية، ولا سبيل إلى التعظيم في غير هذين الموردين. وسيأتي مفصلا إن شاء الله ثواب تحليل السلسلة المقدسة وشؤوناتها.

أجل؛ لقد نهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن التمثل، وهو القيام بين يدي الجبارة.

نعم؛ إن الله جل وعلا جعل كل خير وهداية متطفلا على وجود هذه الأسرة الكريمة، وجعل سبب نجات العالم منوطا بهذه العصاة الفاطمية الطيبة، وبهم بدأ وبهم يختم، ولا يصل أحد إلى أي خير إلا بواسطتهم، ولو اختار أحد أي مذهب أو

(١) يقصد (رحمه الله) السادة والمؤمنين.

(٢) الأحزاب: ٢١.

طريق سوى مسلك إطاعة فاطمة ومحبتها فسوف لن يصل إلى أي فيض أو خير، إذ لم يجعل الله تبارك وتعالى له إلى ذلك سبيلا؛ قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (١) ومتابعتم تلازم مودتهم.

ويشهد لما ذكرنا ما رواه المجلسي في المجلد العاشر عن الصديقة الصغرى زينب الكبرى؛ قالت زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام): «لما ضرب ابن ملجم - أجمه الله من النار - أبي صلوات الله عليه، رأيت أثر الموت منه، قلت: يا أبة! حدثني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك.

فقال صلوات الله عليه: يا بنية! الحديث كما حدثك أم أيمن، وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبرا صبرا، فوالذي فلق الحبة وبرئ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أخبرنا بهذا الخبر، أن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحا فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته ويقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم البغية، وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار، إلا من اعتصم بهذه العصاة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم، حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وهو كذوب، أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر».

وروى الحديث عن علي بن الحسين (عليه السلام) ثم قال في آخره: «خذي إليك، أما

(١) آل عمران: ٣١.

لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً» (١).
والخلاصة: إن الله تعالى جعل بقدرته الكاملة الشمس والقمر - مثلاً -
للإشراق والإشعاع على الأجسام، فتتربى الأجسام وتنمو بواسطة هذين النيرين
الأعظمين وتصبح مرئية مشهورة وترتفع عنها الظلمة الصورية، وكذا خلق هذه
الأنوار الحقّة وابتدعها لتشرق وتشتع بنور الهداية على النفوس المؤمنة والهيكل
الرحمانية فتستضيء قوالب قلوبهم بنور قبول الولاية حسب القابليات شدة
وضعفاً، فيمشي الخلق كل حسب مقدار معرفته في سبيل الهداية، ويختارون
الصراط المستقيم - وهو معرفتهم واتباع أحكامهم - ويعتقدون بهذه الأنوار أنها
باب معرفة الله تبارك وتعالى، فمن زاغ عنهم ولم يجعلهم دليلاً وحجة لمعرفة الله ولم
يقتف آثارهم ويتبع أحكامهم، فقد سار في وادي التيه حتى يرد البرهوت ويهوى
من هناك في الهاوية. ومن جعل تلك الأنوار الطيبة دليلاً إلى الله واقتفى آثارهم
واتبع أحكامهم ولم يتخط تعاليمهم، فقد سلك سبيل الهداية وصار عارفاً بالصفات
الإلهية الكمالية، كل بحسبه درجات بعضها فوق بعض، وكلما كان اتباع آل محمد
أكثر، والجهد المبذول في اقتنائهم أشد، كان معرفة النورانية أكثر والله يعطي كلا
حسب قابليته واستعداده، فيعطي الطفل الرضيع ثدي الأم، والفرخ الماء والحب،
والزنبور التدبير والترتيب، والعنكبوت بيته المنسوج، وإلى ما شاء الله مما يحير
العقول ويجعلها عاجزة عن إدراكها، وهداية كل شيء بحسبه، وهداية هذا الخلق
بهذه الوسيلة، وهو الذي يعطي كل مستحق حقه، فلو أنك كفرت بأنعم الله، وهي
أتم وأكمل النعم، وهي نعمة الوجود المقدس النبوي والفاطمي والعلوي؛ قال

(١) البحار ٢٨ / ٦٠ ح ٢٣ باب ٢.

تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) (١) فإن عبدت الشيطان خسرت غاية الخسران (وذلك هو الخسران المبين) (٢).
والناس على هذه الشاكلة كثيرون، ولك في قوم موسى مثل بين، فقد رفضوا نبوة موسى واتخذوا العجل إلها.
أجارنا الله من سوء العاقبة، ونسأل الله أن يمن علينا بالهداية ويجعلنا من محبي فاطمة وأبيها وبعليها وبنيتها بالنبي وآله.

(١) المائة: ٣.

(٢) الحج: ١١.

الخصيصة الثامنة والأربعون
في بيان أولاد تلك المخدرة والخصوصيات التي جعلها الله
لها في نسلها، ومختصر عن أحوال الإمام الحسن
أولاد البضعة الأحمدية هم: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم والمحسن
الذي أسقط سلام الله عليهم أجمعين.
قال صاحب المناقب: ولدت فاطمة (عليها السلام) الحسن ولها اثنتا عشرة سنة (١).
ومما شرف الله به فاطمة الطاهرة (عليها السلام) أن جعل نسب أولادها إلى الرسول
الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).
قال المجلسي (رحمه الله): وجدت في بعض كتب المناقب أخبرنا علي بن أحمد
القاضي، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه أحمد بن الحسين، عن أبي عبد الله
الحافظ، عن أبي محمد الخراساني، عن أبي بكر بن أبي العوام، عن أبيه، عن جرير
بن عبد الحميد، عن شيبه بن نعام، عن فاطمة بنت الحسين (عليها السلام)، عن فاطمة
الكبرى، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كل بني ام ينتمون إلى
عصبتهم إلا ولد

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣ / ٣٥٧.

فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم» (١).
وكذا في كتاب الدلائل لمحمد بن جرير الطبري، عن إبراهيم بن أحمد
الطبري، عن محمد بن أحمد القاضي التنوخي، عن إبراهيم [بن] عبد السلام، عن
عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن شيبه بن نعام، عن فاطمة الصغرى، عن
فاطمة الكبرى (عليها السلام)، قالت: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لكل نبي
عصبة ينتمون إليه، وإن

فاطمة عصبتي (٢) التي تنتمي إلي» (٣).
ولا شك ولا شبهة في أن الحسن والحسين أولاد رسول الله من صلبه بالأدلة
الصحيحة الصريحة - التي سأذكر بعضها - بل وجدت في حديث أن الله تبارك
وتعالى يخاطب نبيه بعد أن ولدت فاطمة الحسن (عليه السلام)، فيقول: «يا محمد!
سم ابنك
هذا باسم ابن هارون» - وسيأتي الحديث مفصلاً - والقرآن الكريم يدل على هذا
المعنى أيضا.

روى يحيى بن يعمر العامري، قال: بعث إلي الحجاج فقال: يا يحيى أنت
الذي تزعم أن ولد علي من فاطمة ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قلت له:
إن أمنتني
تكلمت. قال: فأنت آمن. قلت له: نعم أقرأ عليك كتاب الله، إن الله يقول:
(ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا) إلى أن قال: (وزكريا ويحيى وعيسى
وإلياس كل من الصالحين) (٤) وعيسى كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول

(١) البحار ٤٣ / ٢٢٨ ح ١ باب ٩.
(٢) كذا رأيت في النسخة وهو كما رواه المجلسي في البحار وأظن - أنا الحقير - أن الحديث «وإن بني
فاطمة

عصبتي» ولكن لفظة «بني» سقطت لغفلة الكاتب عنها. (من المتن)

(٣) البحار ٤٣ / ٢٢٨ ح ١ باب ٩.

(٤) الأنعام: ٨٥.

وقد نسبته الله تعالى إلى إبراهيم (عليه السلام)... قال: صدقت فلا تعودن لذكر هذا ولا نشره (١).

وجاء الحديث مرسلًا أطول من هذا عن عامر الشعبي - وهو من أجلاء علماء العامة ومن تابعي التابعين - قال: بعث إلي الحجاج ذات ليلة فخشيت، فقامت فتوضأت وأوصيت، ثم دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور والسيف مسلول، فسلمت عليه فرد علي السلام، فقال: لا تخف فقد أمنتك الليلة وغدا إلى الظهر وأجلسني عنده، ثم أشار فأتي برجل مقيد بالكبول والأغلال فوضعه بين يديه، فقال: إن هذا الشيخ يقول: إن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

ليأتيني بحجة من القرآن وإلا لأضربن عنقه. فقلت: يجب أن تحل قيده فإنه إذا احتج فإنه لا محالة يذهب، وإن لم يحتج فإن السيف لا يقطع هذا الحديد، فحلوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك وقلت: كيف يجد حجة على ذلك من القرآن. فقال له الحجاج: اثيني بحجة من القرآن على ما ادعيت وإلا ضربت عنقك، فقال له: انتظر، فسكت ساعة، ثم قال له مثل ذلك، فقال: انتظر، فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) إلى قوله: (وكذلك نجزي المحسنين) (٢). ثم سكت وقال للحجاج: إقرأ ما بعده، فقرأ (وزكريا ويحيى وعيسى) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى؟ قال: إنه كان من ذريته. قال: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنته

(١) البحار ٤٣ / ٢٢٨ ح ١ باب ٩.

(٢) الأنعام: ٨٤.

فنسب إليه مع بعده، فالحسن والحسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع قربهما منه، فأمر له بعشرة آلاف دينار...

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب علي أن آتي هذا الشيخ فأتعلم من معاني القرآن؛ لأنني كنت أظن أنني أعرفها، فإذا أنا لا أعرفها، فأتيتها فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرقها عشرا عشرا ويتصدق بها، ثم قال: هذا كله ببركة الحسن والحسين (عليهما السلام)، لئن كنا أغمنا واحدا لقد أفرحنا ألفا

وأرضينا الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).
ويؤيد المراد أيضا ما روي عن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين؟
قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
قال: فبأي شيء احتججتهم عليهم؟

قلت: بقول الله في عيسى بن مريم (ومن ذريته داود) إلى قوله: (وكل من الصالحين) (٢) فجعل عيسى من ذرية إبراهيم، واحتججنا عليهم بقوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) (٣) قال فأبي شيء قالوا؟

قال: قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب.
قال: فقال أبو جعفر (عليه السلام): والله يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله آية

(١) البحار ٤٣ / ٢٢٩ ح ١ باب ٩.

(٢) الأنعام: ٨٤ - ٨٥.

(٣) آل عمران: ٦١.

تسمي لصلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يردها إلا كافر.
قال: قلت: جعلت فداك وأين؟

قال: حيث قال الله: (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) إلى قوله: (وحلائل أبنائك الذين من أصلابكم) (١) فسلهم يا أبا الجارود هل يحل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نكاح حليلتهما، فإن قالوا: نعم فكذبوا والله، وإن قالوا: لا، فهما

والله ابنا رسول الله لصلبه وما حرمت عليه إلا للصلب (٢).
وقال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح قول حجة الله الأكبر أمير المؤمنين (عليه السلام)

في بعض أيام صفين حين رأى ابنه الحسن (عليه السلام) يتسرع إلى الحرب: «أمسكوا (٣) عني هذا الغلام فإنني أنفس بهذين - يعني الحسن والحسين - عن الموت

لثلاثين قطع بهما نسل رسول الله» فإن قلت: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما ابنا رسول الله وولد رسول الله وذرية رسول الله ونسل رسول الله؟ قلت: نعم، لأن الله سماهم أبناءه في قوله تعالى: (ندع أبناءنا وأبنائككم) (٤) وإنما عني الحسن والحسين، ولو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات، وسمى الله تعالى عيسى ذرية إبراهيم، ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل (٥).

وما أجود استدلال ابن أبي الحديد حيث استدل بعدة طرق:

(١) النساء: ٢٣.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٣٢ ح ٨ باب ٩.

(٣) في البحار «أملكوا».

(٤) آل عمران: ٦١.

(٥) البحار ٤٣ / ٢٣٤ ذيل ح ١٠ باب ٩.

منها: صريح قول أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال: «.. لثلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)». وقوله (عليه السلام) حجة. ومنها: صريح القرآن الكريم في قوله تعالى: (وأبناءنا) فسماهما تبارك وتعالى «أبناء».

ومنها: الإستدلال بكلام الله تبارك وتعالى، حيث سمي عيسى ذرية إبراهيم. ومنها: اتفاق أهل اللغة على أن ولد البنات من نسل الرجل.

وأدلة هذا الباب في الأخبار كثيرة تتجاوز حد الاستقصاء، ذكرها العامة والخاصة ولا ينكر هذا الأمر إلا مكابر لاحظ له في الإيمان.

نعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، وحرفوا الكلم عن مواضعها، ونسوا الله رب الأرباب، وراموا غير باب الله أبوابا، واتخذوا من دون الله أربابا. والآن; أنظر كيف أن الله تبارك وتعالى أحاط بالموجودات الكائنة بعلمه قبل خلق السماوات والأرض، وجعل وجود صاحب مقام الخاتمية أشرف الموجودات جميعا، وخلع عليه الأنوار الطاهرة لخلعة «لولاك»، وجعل ابنته فاطمة الطاهرة والنقطة الجامعة للنبوّة والإمامة وزوجة خليفته ووليه، وجعل عقدها في السماء، وجعلها لشرفها وطهارتها الذاتية أم أئمتها ووعاء للخلافة، وأعطاهها أمومة أحد عشر إماما، فجعلهم من نسل تلك البضعة الأحمدية، وجعلهم قوائم دينه، وحتم في علمه الأزلي الأبدي أن يكون كوثر كثرة الذرية النبوية الذي سموه «الأبتر» من هذا النور الطاهر الذي يمثل روح النبوة ونفسها وجسدها. وشرفهم بأية التطهير وجعل مودة أهل البيت - بنته وبعلمها وأولادها - أجر الرسالة، وجعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلهم كممثل سفينة نوح، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «مثل أهل

بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» (١).
وجعلهم مظاهر أسرار التنزيل، ومصادر أنوار التأويل، ومعارض الحق،
ومناهج الصدق، فلو لم يكونوا لضاعت الأحكام والسنن وتعطلت جميعها؛ لأنهم
أدلاء الإيمان، وأمناء الرحمن، والشموس المشرقة، والبدور الطالعة، والآيات
المحكّمة الفائقة، وكلمات الله البالغة، الامناء على الأسرار والحقائق، والخلفاء على
الخلايق، سبقوا في الشرف والفخار على الأنبياء الكبار.. فأبي واحدة من هذه
المفاخر لم تزل منها فاطمة الطاهرة بحسب القابلية والفعلية؟ لو أنها لم تكن مصدرا
لهذه الكرامات والشرف؟! أجل؛ انحسرت عنها خصوصيات الإمامة لوجود
مثل أمير المؤمنين وهو أولى بها، وقد زوي عن الخلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)
لتقدم

بعض أبناء لاحسي القصاص عليه، فأقصى أسد معارك الدين.

خلق الله للحروب رجالا* ورجالا لقصعة وثرید

مع أن وجوده للخلافة الإلهية العامة كالزند للنار، والينبوع للماء، ولكن
الأطماع وحب الرئاسة الدنيوية دفعتهم فغصبوا حقوق فاطمة، وأخذوا منها فذك
والعوالي، والله جعلها ملكا طلقا لفاطمة، فجعلوا الأحاديث وزوروا من أجل
تحقيق مآربهم ونظم باطلهم، وهم يعلمون أن الناس من ذوي الأطماع والهمم
السافلة مثلهم كمثل الكلب:

إن الكلاب إذا رأت ذا ثروة* خضعت لديه وحركت أذناها

فصدوا هذه الأنوار الطيبة عن أداء الوظيفة وبسط العدل وإقامة منار الهداية
في أطراف الأرض وسد باب الظلم.

(١) ينابيع المودة ٢ / ١١٨ رقم ٣٤٠ و ٣٤١ باب ٥٦.

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة* ومن إسائة أهل السوء إحسانا
وهكذا أراد الله أن تكون غيرة الحق تتلألاً بوجودهم، وأن يشرق وجه
الإسلام بخلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) الحققة ومحبة فاطمة الطاهرة وأولادها أئمة
أهل

الدين، وتضمحل بهم ظلمات الباطل، ويستظل الخلق بظل إحسانهم، فيصيروا في
رياض الأمن والأمان، وتجتمع للأمة المرحومة كل مراتب المحاسن بولاية هذه
الأنوار الطيبة، وأحسن تلك المحاسن اليمن والصلاح والإيمان، ولو اجتمع أهل
العالم على ولاية وإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) لما خلق الله النار، ولصارت الدنيا
حظيرة

قدس وروحا وريحانا وجنة نعيم (ويل لهم مما يكسبون) (١) ويشهد لذلك قوله
تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٢).

وهذه الأنوار الطيبة مرآة كاملة للوجود النبوي الأقدس، ومظهر لصفات
الرسول الأكرم وأفعاله، فغيروا نعمة الله العظمى، وحرموها بتغييرهم من الرحمة
الواسعة، وظلوا كبني إسرائيل في وادي التيه والحيرة «وأين الثريا من يد
المتناول».

أجل؛ ليس هذا موضع الحديث عن غضب حقوق أهل البيت، والكلام في
خصوصيات أبناء فاطمة الطاهرة من بطنها، وذكر فضائلها وهي الناموس الأكبر
التي جعلها الله تعالى وعاء للإمامة والخلافة.

في الجملة؛ فإن أول أولادها الإمام الحسن (عليه السلام)، وقد اختلفوا في تاريخ

(١) البقرة: ٧٩.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

ولادته (عليه السلام)، ولعل منشأ الخلاف هو الاختلاف في تاريخ زفافها (عليها السلام) (وقد مر ذكر الأقوال في ذلك في خصيصة سابقة). وخلاصته: ذهب البعض إلى أن سنة زفافها كانت في السنة الأولى من الهجرة، وأن ولادتها الإمام الحسن (عليه السلام) في السنة الثانية الهجرية (١)، وذهب آخرون إلى أن زفافها في السنة الثانية وولادته (عليه السلام) في السنة الثالثة (٢). وروي أن ولادته كانت في السنة الرابعة للهجرة. قال صاحب ناسخ التواريخ (رحمه الله): دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة الطيبة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وكان زفاف فاطمة في السادس من ذي الحجة في السنة الأولى من الهجرة، وولد الإمام الحسن (عليه السلام) يوم الثلاثاء النصف من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، والعلم عند الله. وروى المجلسي عن أحمد بن الحسن القطان عن الحسن بن علي السكري، عن الجوهري، عن الضبي، عن حرب بن ميمون، عن الثمالي، عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: لما ولدت فاطمة الحسن (عليه السلام)، قالت لعلي (عليه السلام): سمه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخرج (٣) إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في خرقة صفراء (٤)، ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي (عليه السلام): هل سميته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل. فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط فآقرئه السلام وهنئه، وقل له: إن عليا منك

(١) إعلام الوري ١ / ٤٠٢.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣ / ٣٥٧.

(٣) «فأخرجته إليه سلمى بنت عميس أو أسماء بنت عميس - على اختلاف من الرواية -». (من المتن)

(٤) ولعل النهي لمخالفة النصارى مخالفة كلية لأنهم يلفون المولود بخرقة صفراء. (من المتن)

بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل (عليه السلام) فهناه من الله

عز وجل ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر، قال: لساني عربي، قال: سمه الحسن، فسماه الحسن (١)... وفي رواية: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وأدخل لسانه في

فيه، فجعل الحسن (عليه السلام) يمضه.

وفي رواية: إنه ولد - كجده وأبيه - طاهرا مطهرا مقطوع السرة، ولما ولد سبح وهلل وقرأ القرآن.

وروى المجلسي - قريبا من مضمون الحديث السابق - عن الرضا (عليه السلام) بحذف

الأسانيد، عن آبائه، عن علي بن الحسين (عليهما السلام)، عن أسماء بنت عميس، قالت:

قبلت (٢) جدتك فاطمة (عليها السلام) بالحسن والحسين (عليهما السلام)، فلما ولد الحسن (عليه السلام) جاء

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا أسماء هاتي ابني (٣) فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا أسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء،

فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إليه، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لعلي (عليه السلام): بأي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله، قد كنت

أحب أن أسميه حربا!! فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ولا أسبق أنا باسمه ربي.

ثم هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد! العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك، سم ابنك هذا باسم ابن هارون.

(١) البحار ٤٣ / ٢٣٨ ح ٣ باب ١١.

(٢) يقال: قبل المرأة - كعلم - قبالة، كانت قابلة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة.

(٣) لاحظ الحديثين هذا والذي سبقه حيث يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ابني» ويقول الله لجبرئيل «ابن

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)». (من المتن)

(٥٦٥)

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وما اسم ابن هارون؟ قال: شبر. قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لسانى عربى، قال جبرئيل (عليه السلام): سمه الحسن. قالت أسماء: فسماه الحسن، فلما كان يوم سابعه علق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذا ودينارا، وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقا، وطفى رأسه بالخلوق - وهو مركب من العطور - (١)...

وما دام الحديث قد جرنا إلى هذا الموضوع فلا بأس بالتطرق باختصار إلى بعض آداب الولادة والمولود:

[كلام في آداب الولادة والمولود]

إعلم؛ أن العقيقة للمولود من المستحبات المؤكدة، بل قال بعض العلماء بوجوبها، والأفضل أن تكون يوم السابع كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للحسن، وهي على الأب إلى ما قبل البلوغ، وعلى الولد من البلوغ إلى آخر العمر، وروي في أحاديث كثيرة أن المولود مرتين بعقيقته (٢)، فإن لم يعق كان عرضة للبلاء، ولو لم يعق إلى زمان الأضحية، فالأضحية تجزي عن العقيقة. ويستحب أن تعطى القابلة الفخذ، ولو ولدت بدون قابلة، فيعطى الفخذ للأم تعطيه لمن تشاء. ويستحب أن يأكل من لحم العقيقة عشرة من المسلمين على الأقل، ولا يأكل منها الأبوان.

(١) البحار ٤٣ / ٢٣٨ ح ٤ باب ١١.

(٢) البحار ١٦ / ١٥٥ ح ٤ باب ٨.

وإذا أراد أن ينحر بعيرا، فلا بد أن يكون قد أتم خمس سنين ودخل في السادسة، وإذا كان ماعزا فلا بد أن يكون قد أتم السنة ودخل في الثانية، وإذا كان ضأنا فلا بد أن يكون ذا ستة أشهر فصاعدا، ولا بد أن يكون كاملا لا نقص فيه ولا عيب، وإذا كان المولد ذكرا يعق عنه ذكر، وإذا كان أنثى يعق عنها بأنثى، والسنة أن تطبخ ولا توزع لحما غير مطبوخ، وأقله أن يطبخ بالماء والملح، ويستحب أن يقرأ عند ذبحها بعض الأدعية المأثورة.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب، فإن الله عز وجل

قال لمريم بنت عمران: (وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (١) قيل: يا رسول الله فإن لم يكن أبان الرطب؟ قال سبع تمرات من تمرات المدينة، فإن لم يكن فسبع تمرات من تمرات أمصاركم، فإن الله تبارك وتعالى قال: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني، لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاما إلا كان حليما، وإن كانت جارية كانت حليلة (٢).

وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): يحنك المولود بماء الفرات، ويقام في أذنه (٣)،

فإن لم يكن فبماء السماء (٤).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): حنكوا أولادكم بالتمر، فكذا فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

بالحسن والحسين (عليهما السلام) (٥).

(١) مريم: ٢٥.

(٢) البحار ٦٣ / ١٣٥ ح ٤١ باب ٣.

(٣) الوسائل ٢١ / ٤٠٧ ح ٢٧٤٢٤ باب ٣٦.

(٤) الوسائل ٢١ / ٤٠٧ ح ٢٧٤٢٥ باب ٣٦.

(٥) البحار ١٠ / ١١٥ ح ١ باب ٧.

ويستحب التهئة بالولد كما هنا الإمام الصادق (عليه السلام) رجلا ولد له غلام، فقال: «رزقك الله شكر الواهب، وبارك لك في الموهوب وبلغ به أشده، ورزقك الله بره» (١).

وذكر المجلسي عدة آيات تيسر ببركتها الولادة المتعسرة:
روى ابن إدريس في السرائر عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، قال: إذا عسر على المرأة ولدها، فاكتب لها في رق: (بسم الله الرحمن الرحيم * كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) (٢) (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) (٣) (إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك ما في بطني محررا) (٤) (٥).

وقال الباقر (عليه السلام): إذا تعسرت الولادة على المرأة، فاقرأ عليها (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (٦) ثم ارفع صوتك بهذه الآية: (والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (٧) كذلك

-
- (١) الوسائل ٢١ / ٣٨٦ ح ٢٧٣٦٩ باب ٢٠.
(٢) الأحقاف: ٣٥.
(٣) النازعات: ٤٦.
(٤) آل عمران: ٣٥.
(٥) البجار ٩٢ / ١١٩ ح ٦ باب ٩٤.
(٦) مريم: ٢٣ - ٢٥.
(٧) النحل: ٧٨.

اخرج أيها الطلق اخرج بإذن الله فإنها تبرأ من ساعتها بعون الله تعالى (١).
وفي تسمية المولود قال الإمام محمد الباقر: أصدق الأسماء ما سمي
بالعبودية (٢) «مثل عبد الله»، وخير الأسماء اسم النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله
وسلم).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): سموا أولادكم قبل أن يولدوا... وقد سمي رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محسنا قيل أن يولد (٣).
فإن لم يدر أذكر أم أنثى، فليسم ثم ليغير فيما بعد إن كان خلاف الاسم (٤)؛ أما
ما هي الحكمة من ذلك فليس هذا موضع بيانه «وأهل البيت أدري بما في البيت». وحق
الولد على الوالد أن يختار له اسما حسنا، مثل أحمد ومحمد وعلي
وفاطمة وحسن وحسين وما شابه ذلك، ولا يسميه بأسماء أعداء الله والأسماء التي
نهى عنها أهل البيت (عليهم السلام)، مثل الحكم وحكيم وخالد ومالك وحاتم، ولا
يختار

له كنية مذمومة، مثل أبو عيسى وأبو الحكم وأبو مالك وأبو القاسم إذا كان اسمه
محمدا لا مطلقا؛ لئلا يجتمع في شخص واحد الاسم والكنية معا.
[في تسمية الحسن وكنيته (عليه السلام)]
سمى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المولود السعيد حسنا بأمر الله تعالى، وقد اشتقه
الله من اسمه

(١) البحار ٩٢ / ١١٦ ح ٢ باب ٩٤.

(٢) الوسائل ٢١ / ٣٩١ باب ٢٣ ح ٢٧٣٨١.

(٣) الوسائل ٢١ / ٣٨٧ ح ٢٧٣٧٢ باب ٢١.

(٤) في الحديث في الوسائل ٢١ / ٣٨٧ ح ٢٧٣٧٢ باب ٢١: «فإن لم تدر ما أذكرا أم أنثى فسموهم
بالأسماء

التي تكون للذكر والأنثى، فإن أسقاطكم إذا لقوكم في القيامة ولم تسموهم يقول السقط لأبيه: ألا سميني
وقد سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محسنا قبل الولادة».

«المحسن»، وقد سماه الله بهذا الاسم - كرامة له ولأبيه وأمه وجده لما خلق نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل خلق العالم وآدم بأربعة عشر ألف سنة - على رواية - .

واسم الحسن في الكتب السماوية «قيدار»، والقيدار هو الثاني من الأوصياء والأول من العترة.

وله ألقاب كثيرة: منها الولي، السيد، الحبيب، شبر، التقي، العالم، السبط، الشبل، طور سينين، أول آل العبا، لتقدم ذكره في آية المباهلة (ندع أبناءنا) (١). وكنيته: أبو محمد، كناه بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لشدة محبته له. وشمائله المباركة: كان أبيض مشرباً بحمرة، في صفاء الياقوت والورد، عيناه سوداوان، وجهه كدارة القمر، أجعد الشعر، أزج الحاجب، حاجبه كالقوس، وكان في صدره خيط شعر إلى سرتة، وكان عنقه كابر يق فضة، له مفاصل قوية، عريض ما بين المنكبين، ربع القامة، أعضائه متناسقة، محبوب الحركات، يأخذ بمجامع القلوب والأنظار، أحسن الناس وجهاً، أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من

رأسه إلى السرة، وأشبههم بأمر المؤمنين من السرة فما دون.

حضنته أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب، روي عن أم الفضل زوجة العباس أنها قالت: قلت: يا رسول الله صلى الله عليك، رأيت في المنام كأن عضواً من أعضائك في حجري. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): تلد فاطمة غلاماً فتكفليته، فوضعت فاطمة

الحسن فدفعه إليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرضعته بلبن قثم بن العباس (٢). ومدة عمره الشريف ثمان وأربعين سنة في المشهور، وقيل: سبع وأربعين

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٤٢ ح ١٤ باب ١١.

وتسعة أشهر ويوم واحد، وقيل: ستة أشهر وأربعة أيام، وقيل: ستة أشهر وخمسة أيام، وفيه أقوال أخرى، والاختلاف بينها يسير لا حاجة للتطويل بذكرها.

ومدة إمامته عشر سنين وثلاثة أيام في المشهور، وفيه أقوال آخر تختلف إختلافا يسيرا ناشئا عن الاختلاف في تاريخ الميلاد والوفاة. مكث مع جده سبع سنين، ومع أبيه ثلاثين سنة، وبعد أبيه عشر سنين، وقيل: بقي بعد أبيه تنمة عمره الشريف أحد عشر سنة وسبع شهور وأربعة عشر يوما، كانت خلافته الظاهرية في ستة شهور منها، وقضى الباقي منها مصالحا لمعاوية قهرا، فانقلبت الخلافة الإلهية العامة إلى خلافة الشجرة الملعونة. واعترض بعض المنافقين بعقولهم الشيطانية على صلح الحسن (عليه السلام) مع معاوية، وقالوا إنه صلح لا صلاح فيه. وقولهم ناتج عن الجهل وعدم الإدراك، لأن الإمام كان مضطرا إلى هذا الصلح، ولو لم يصلح لآلت الأمور إلى ما هو أسوء مع النفاق الذي استحوذ على أصحابه إلا القليل منهم، ويكفي لمن أنكر على الإمام (عليه السلام)

صلحه الحديث التالي:

عبد الله بن بريدة، عن ابن عباس، قال: انطلقت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فننادى

على باب فاطمة ثلاثا، فلم يجبه أحد، فمال إلى الحائط فقعد فيه وقعدت إلى جانبه، فبينما هو كذلك إذ خرج الحسن بن علي قد غسل وجهه وعلقت عليه سبحة، قال: فبسط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يديه ومدها، ثم ضم الحسن إلى صدره وقبله

وقال: إن ابني هذا سيد، ولعل الله عز وجل يصلح به بين فئتين من المسلمين (١).

(١) البحار ٤٣ / ٢٩٨ ح ٦١ باب ١٢.

وفي كشف الغمة: قال ابن طلحة: روى مرفوعا إلى أبي بكر... قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (١). وروى أيضا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إن هذا ريحانتي، وإن ابني هذا سيد، وعسى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. تبين من هذه الأحاديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أخبر أمير المؤمنين بقتال المارقين والقاسطين والناكثين ومدحه على ذلك، كذلك أخبر الحسن (عليه السلام) بصلح معاوية ومدحه على ذلك، وكما اقتضت الحكمة إيجاب الجهاد على أمير المؤمنين (عليه السلام)، اقتضت إيجاب الصلح على الحسن (عليه السلام)، وأنى يكون لأحد إدراك الحكمة في أسرار آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك لأن أقوالهم وأفعالهم ذات مقامات ظاهرة وباطنة، وعقول وأغلب الناس عاجزة عن إدراك الأحكام الظاهرة فضلا عن إدراك الحكم الباطنة. وأما الأسرار الخفية فلا سبيل إلى إدراكها بحال. وما يدرينا لماذا صالح الإمام الحسن معاوية ورأى في صلحه مرآة للسعادة؟ ولماذا قام الإمام الحسين ورأى فوز الأمة وفلاحها في الشهادة؟ إنهم يعملون بأمر الله ورضاه، وليس لأحد أن يبلغ تلك الأسرار الربانية والحكم الإلهية، كيف لا والله تبارك وتعالى قاهر وغالب وقادر على أن يبيد الكفار ولا يمهل المشركين الأشرار!! إن الخوض في هذه الصحراء المترامية والسير في هذه السبيل اللامتناهية ليس من صالحنا.

(١) البحار ٤٣ / ٢٩٨ ح ٦٢ باب ١٢ عن الكشف.

ولا يخفى البتة أنهم أوصياء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي (ما ينطق عن الهوى) (١)

وأهل البيت أدري بما في البيت، ولتذهب كل الخيالات الواهية بعد النص النبوي الصريح «هما إمامان إن قاما وإن قعدا» (٢).

وبغض النظر عما مضى، انظر إلى موقف الإمام (عليه السلام) حسب الأمور البشرية العادية وضمن تلك الظروف الموضوعية التي كانت في زمانه من النفاق المستشري بين أصحابه إلا القليل منهم، من قبيل عدي بن حاتم وقيس بن سعد بن عبادة، وأمثالهم، أما الباقيون فظاهرا في معسكر الإمام الحسن (عليه السلام) وباطنا مع معاوية، فإذا أمرهم الإمام بالتجمع والاستعداد للحرب تقدموا خطوة ورجعوا خطوتين، هؤلاء هم الذين تجمعوا في معسكر النخيلة ودير عبد الرحمن وشكلوا جيش الإمام (عليه السلام)، وهم الذين سحبوا البساط من تحته (عليه السلام) لما أحسوا بتزلزل الموقف ونهبوا أمواله، وهم الذين كاتبوا معاوية وبثوا جواسيسه وعيونهم في كل مكان وتصوروا أنهم يدعمون ملكه ويشدون أزره ويغرونه بالحسن (عليه السلام)..

فلما نظر الحسن (عليه السلام) رأى حوله جيشا من المنافقين يحيطون به بأجسادهم وهم عسكر لمعاوية الذي استهواهم واستمالهم بجيفة الدينار والدرهم، وقادتهم يقاتلون بدافع حب الجاه والمنصب والنياشين، فلا فائدة في حرب قوامها هذا العسكر سوى التفريط بالدماء وإبادة العديد المعدود من خواص الإمام (٣) وقتل الكثير ممن خرج على الإمام (عليه السلام) ومال إلى معاوية فهلك بذلك، فيلزم منه إبادة لما

(١) النجم: ٣.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٩١ ح ٥٤ باب ١٢.

(٣) ولكن قتل الكثير من النفوس الخبيثة من أصحاب معاوية الخارجة عن الإسلام بخروجها على إمامها يلزم منه قتل الكثير من المسلمين أيضا. (من المتن)

في أصلا بهم من الذراري التي قد تكون نطفًا طاهرة من الموحدين، وهكذا تجد ما لا نهاية له من المصالح المنظورة..

فكيف يقاتل الإمام الحسن (عليه السلام) جيش معاوية الجرار؟! إن يقاتل بقوة الإمامة، فليس هذا هو المطلوب منه، والله تبارك وتعالى أولى بإبادتهم واستئصال شافتهم. أو يقاتلهم بالقوة الحربية البشرية المتيسرة له؟! وهذا أيضا غير ممكن مع ذلك الجيش المنافق، والأمر منكشف للإمام (عليه السلام) من اختلاف كلمة أهل الكوفة،

وهو يعلم أن لا وفاء لهم، وأنهم جيش غدر وخيانة لو قاتل بهم آل الأمر إلى معاوية؛ لذا جلس في الكوفة شهرين لا يذكر معاوية ولا يذكر الحرب والجهاد، حتى تكلم الناس، وأرسل ابن عباس كتابا من البصرة فاضطر - من أجل إتمام الحجة - إلى تجهيز الجيش لئلا تكون حجة لأهل الكوفة عند الله تبارك وتعالى، وهو يعلم أن رؤوس أهل الكوفة بايعوه ولكنهم أرسلوا المكاتيب المتواترة إلى معاوية يسترضونه ويقرعون أبوابه...

والآن؛ أحكم بالإنصاف، كيف يمكن الجهاد والتضحية وتقويم الدين المبين بهذه الزمرة التي لا دين لها؟!

روي أنه جاء الناس إلى الحسن (عليه السلام) أيام تجهيز الجيش وقالوا: أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك، فقال (عليه السلام): كذبتم والله، ما

وفيتم لمن كان خيرا مني، فكيف تفون لي؟! وكيف أطمئن إليكم ولا أثق بكم؟! إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن، فوافوا إلى هناك (١). ولم يف أحدهم بالعهد ولكن الخصم ألقى الحجة والإمام (عليه السلام) يعلم أنه لا يفني،

(١) البحار ٤٤ / ٤٣ ح ٤ باب ١٩.

إلا أنه أراد دفع حجتهم فأمرهم بالجهاد ليتم بدوره الحجة عليهم، ثم رأى المصلحة في الصلح لما رأى من غدرهم وخيانتهم ومكرهم، وعلم أن لا مكسب من الحرب سوى الفساد العام.

أنظر إلى هؤلاء الأصحاب كيف وصل بهم الأمر من عدم الحياء، بحيث كان الإمام (عليه السلام) مطروحا على فراشه يقاسي الجراح ولكنه يرى الصلح مع معاوية خيرا

من الحديث معهم!!

روى زيد بن وهب الجهني قال: لما طعن الحسن بن علي (عليه السلام) بالمدائن أتيته وهو متوجع، فقلت: ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحIRON؟ فقال: أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لئن آخذ من معاوية عهدا أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيعوا أهل بيتي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلما، فوالله لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ويمن علي فيكون سبة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحي منا والميت (١).

قال: قلت: تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لهم راع؟ قال: وما أصنع يا أخا جهينة؟! إني والله أعلم بأمر قد أدى به إلي عن ثقاته: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لي ذات يوم وقد رأني فرحا: يا حسن أتفرح؟ كيف بك

إذا رأيت أباك قتيلا؟ أم كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية وأميرها الرحب البلعوم، الواسع الأعفاج، يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في

(١) البحار ٤٤ / ٢٠ ح ٤ باب ١٨.

الأرض عاذر، ثم يستولي على غربها وشرقها، تدين له العباد، ويطول ملكه، يستن بسنن البدع والضلال، ويميت الحق وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقسم المال في

أهل ولايته ويمنعه من هو أحق به، ويذل في ملكه المؤمن، ويقوي في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين أنصاره دولاً، ويتخذ عباد الله خوفاً، ويدرس في سلطانه الحق، ويظهر الباطل، ويلعن الصالحون، ويقتل من ناواه على الحق، ويدين من والاه على الباطل.

فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان و كلب من الدهر و جهل من الناس، يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره وينصره بآياته ويظهره على الأرض، حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، حتى لا يبقى كافر إلا آمن، ولا طالح إلا صلح، وتصطليح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه (١). وبالرغم من ذلك كله فقد ألقى (عليه السلام) على قومه خطاباً إتماماً للحجة لئلا يبقى للناس عليه حجة، فقام: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما والله، ما ثننا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة، ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر [في شيب] السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودينكم أمام دينكم، وكنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم خائناً (٢). ثم أصبحتم تصدون قتيلين، قتيلاً بصفين تبكون عليهم وقتيلاً بنهروان

(١) البحار ٤٤ / ٢٠ ح ٤ باب ١٨ عن الإحتجاج:

(٢) في البحار «علينا» بدل «خائناً».

تطلبون بثارهم، فأما الباكي فخاذل وأما الطالب فتائر، وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الحياة قبلناه منه وأغضينا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله وحاكمناه إلى الله». فنادى القوم بأجمعهم: بل التقية والحياة. فاضطر الإمام (عليه السلام) إلى الصلح ثم أنشأ يقول: لئن سائني دهر عزمت تصبرا* وكل بلاء لا يدوم يسير وإن سرنى لم أبتهج بسروره* وكل سرور لا يدوم حقير (١) ولما سمع معاوية بتخاذل جيش الإمام (عليه السلام) بعث إليه برسائل يتودد فيها إليه، منها: «يا ابن عم لا تقطع الرحم الذي بيني وبينك، فإن الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك» ثم بعث إليه بكتب أهل العراق التي أرسلوها إلى معاوية يدعوه فيها إلى القدوم، ويعاهدونه أنه إذا اقترب منهم سلموه الإمام (عليه السلام) مكتوفا أو يقتلوه (٢).

فلما رأى الإمام موقف عسكريه صالح وهو يعلم أن ليس في جيشه المتشكل من أربعين ألف مقاتل من يفي إلا أقل القليل، ولو حارب بهم لأسلموه في أول حملة وقطعوه إربا إربا، فقام الإمام خطيبا وقال: «ويلكم والله إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإني أظن أنني إن وضعت يدي في يده فاسالته لم يتركني أدين لدين جدي، وإني أقدر أن أعبد الله عز وجل وحدي، ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعل الله

(١) البحار ٤٤ / ٥٧ ح ٦ باب ١٩.

(٢) البحار ٤٤ / ٤٤ ح ٤ باب ١٩.

لهم فلا يسقون ولا يطعمون، فبعدا وسحقا لما كسبته أيديهم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)» (١).

فدلع الناس ألسنة النفاق بالاعتذار، فكتب الإمام (عليه السلام) إلى معاوية كتابا قال فيه: «أما بعد؛ فإن خطبي انتهى اليأس من حق أحييته وباطل أمته وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، وإنني أعتزل هذا الأمر واخليه لك وإن كان تخليتي إياه شرا لك في معادك، ولي شروط اشترطتها لا تبهظنك إن وفيت لي بها بعهد ولا تخف إن غدرت» وكتب الشروط في كتاب آخر فيه يمينه بالوفاء وترك الغدر وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق حتى لم ينفع الندم (٢) والسلام».

ثم كتب (عليه السلام) كتاب الصلح إلى معاوية هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الخلفاء

الراشدين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده، عهدا بل يكون

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) قصد الإمام (عليه السلام) بالناهض النادم الزبير الذي خرج على الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الجمل وقصد

بالقاعد النادم عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي قعد عن نصرته أمير المؤمنين (عليه السلام) في حرب الفقة الباغية ثم

ندم على ذلك وقال: إني لا آسى على شيء أسفي على أني لم أقتل الفقة الباغية مع علي (عليه السلام)، وكذا قصد

بالناهض النادم عائشة، حيث روي عنها أن رجلا لامها على خروجها فقالت: قضي القضا وجفت الأقلام والله أن لو كان لي من رسول الله عشرون ذكرا كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فثكلتهم بموت وقتل كان أيسر علي من خروجي على علي ومسعاي الذي سعيت، فإلى الله أشكو، ومن القاعدين النادمين سعد بن أبي وقاص. (من المتن)

الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه، وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غائلة

سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق، شهد بذلك الله وكفى به شهيدا وفلان وفلان...» (١).

وبعد أن كتب كتاب الصلح قام خطيبا في الناس مرة أخرى لإتمام الحجة عليهم فقال: «خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتم، حتى صار إلى كرامة الله، بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منكم لا تغروني من ديني ونفسي».

ثم دفع الكتاب إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمه هند بنت أبي سفيان، وأضاف على الكتاب شروطا أخرى، منها ترك سب الإمام علي (عليه السلام) في القنوت والترحم عليه، وأن لا يسميه أمير المؤمنين وأن يفرق

معاوية في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وأن لا يقيم عند معاوية شهادة (٢). ومن شروط الصلح أيضا: أن يدفع معاوية للحسن (عليه السلام) خمسين ألف درهم

(١) البحار ٤٤ / ٣٤ ح ١ باب ١٩.

(٢) البحار ٤٤ / ٢ ذيل ح ٢ باب ١٨.

سنويا، وأن يكون خمسة آلاف درهم من المال الموجود في بيت مال الكوفة للإمام (عليه السلام)، وأن لا يأخذ معاوية شيئا من بيت مال الكوفة، وأن يدفع للحسن (عليه السلام)

جميع خراج دار الحرب ليدفعها (عليه السلام) إلى أبناء المستشهدين في الجمل والصفين، وأن يدفع معاوية مائة ألف دينار خالصة...

فعاهده على ذلك معاوية وحلف بالوفاء به وشهد بذلك جماعة، فقام الحسن (عليه السلام) خطيبا في الناس وقال: «أيها الناس إنكم لو طلبتم ما بين جابلقا وجابرسا رجلا جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما وجدتموه غيري وغير أخي، وأنتم

تعلمون أن الله بجدي هداكم، وبه أنقذكم من الضلالة، وحماكم من الجهالة، وأعزكم بعد الذلة، وكثركم بعد القلة، وأن معاوية نازعني حقا هو لي، فتركته لصالح الأمة وحقق دماؤها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمتم، وقد رأيت أن أسالمة وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) (١)».

ثم قال: «يا أهل العراق إنما سخي عليكم (عنكم) بنفسي ثلاث: قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي».

ودخل الحسين (عليه السلام) على أخيه باكيا ثم خرج ضاحكا، فقال له مواليه: ما هذا؟ قال: العجب من دخولي على إمام أريد أن أعلمه، فقلت: ماذا دعاك إلى تسليم الخلافة؟ فقال: الذي دعا أباك فيما تقدم (٢). فلو أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قاتل ولم يبائع لأباد الناس جميعا إلا ثلاثة أو أربعة،

(١) البحار ٤٤ / ٣٠ ح ٩ باب ١٨.

(٢) البحار ٤٤ / ٥٦ ذيل ح ٦ باب ١٩.

والباقى إما أن يقتل ويهوى إلى أسفل السافلين وإما أن يرتد، فتموت الكلمة الطيبة وتضيع أتعاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو خلاف مقتضى الرحمة الإلهية الواسعة ونبوة

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاضطر (عليه السلام) إلى السكوت عن حقه وبقي صفر الكف مكتوف اليدين،

رعاية للمصالح العامة وملاحظة للنطف المودعة في الأصلاب وما ستحمله الأرحام، فتوجهوا إلى الله ابتغاء مرضاته وصبروا على ما تجرعوا جراء غضب حقوقهم، وتحملوا لوم السفهاء واعتراضات الجهلة من القوم، وهي أشد بمراتب على الحسن (عليه السلام) من الجرح الذي غاص في فخذه، حيث خاطبه بعضهم ب «يا مذل

المؤمنين».

روي عن أبي سعيد عقيصا، قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام): يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟

فقال: يا أبا سعيد! أأستحجة الله تعالى ذكره على خلقه وإمامهم عليهم بعد أبي؟

قلت: بلى.

قال: أأست الذي قال رسول الله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟

قلت: بلى.

قال: «فأنا إمام لو قمت أو قعدت، يا أبا سعيد! علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبني حمزة وبني الأشجع ولأهل مكة حين انصرف من

الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل. يا أبا سعيد! إذا

كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة في ما أتيت ملتبسا، ألا ترى الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى (عليه السلام) فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه،

حتى

أخبره فرضي، هكذا أسخطتم علي بجهلكم وجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدا إلا قتل» (١).

وبالجملة لما تم الصلح توجه قيس بن سعد (رحمه الله) مع أربعة آلاف كانوا معه في «مسكن» إلى النخيلة، وتوجه الإمام الحسن (عليه السلام) من المدائن إلى النخيلة أيضا،

ووافاهم هناك معاوية مع جيشه وكان يوم الجمعة، فأمر معاوية أن يجتمع الناس وصعد المنبر، فقال: ما اختلف أمر أمة بعد نبينا إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها، فلما قال هذه المقالة ندم فاستثنى وقال «إلا هذه الأمة فإنها...». وهكذا أراد الله تبارك وتعالى أن ينتشر ويذيع هذا الكلام على لسان رئيس الباطل والضلالة لتتم الحجة.

ولم يف معاوية بأي شرط من الشروط، ونقض عهده في ذلك المجلس وأعلن غدره، حيث أنه قال في خطبته تلك: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له، ثم سار حتى دخل الكوفة (٢). وبعد أن دخل الكوفة سأل الإمام الحسن أن يخطب الناس فامتنع، فناشده

(١) البحار ٤٤ / ١ ح ٢ باب ١٨.

(٢) البحار ٤٤ / ٤٩ ح ٥ باب ١٩.

أن يفعل ليشد أركان حكمه، فوضع له كرسي فجلس عليه ثم قال: «الحمد لله الذي توحد في ملكه، وتفرد في ربوبيته، يؤتي الملك من يشاء وينزعه عن من يشاء، والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديما وحديثا أحسن البلاء، إن شكرتم أو كفرتم. أيها الناس إن رب علي (عليه السلام) كان أعلم بعلي حين قبضه إليه، وقد اختصه بفضل لم تعهدوا بمثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيئات هيات طال ما قلبتم له الامور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم، وعدوكم في بدر وأخواتها، جرعكم رنقا وسقاكم علقما وأذل رقابكم، وأشرككم بريقكم، فليستم بملومين على بغضه، وأيم الله لا ترى أمة محمد خصبا ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدوا عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء رغبتكم وحيف حكمكم. ثم قال: يا أهل الكوفة! لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله، نكال على فجار قريش، لم يزل آخذا بحناجرها، جاثما على أنفاسها ليس بملومة في أمر الله، ولا بالسروفة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعاه فأجاب، وقاده فأتبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته». فلما أتم الإمام (عليه السلام) خطبته ندم معاوية ندما شديدا، لأنه أراد من خطبة الحسن ما يشيد به أركان حكمه فانقلب الأمر عليه، فقال: أخطأ عجل أو كاد، وأصاب مثبت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن (١) (عليه السلام).

(١) البحار ٤٤ / ٤٢ ذيل ح ٣ باب ١٩.

فانزعج معاوية من كلام الحسن أيما انزعاج، فصعد المنبر وقال: إن الحسن بن علي رأني للخلافة أهلا، ولم ير نفسه لها أهلا (١)، ثم أخذ يزخرف القول بما لا يليق ذكره هنا.

وكان الحسن والحسين (عليهما السلام) حاضرين، فقام الحسين (عليه السلام) ليرد عليه، فأخذ

بيده الحسن فأجلسه، ثم قام فقال: «أيها الذاكر عليا أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وامي فاطمة وامك هند، وجدتي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة وجدتك قيلة (٢)، فلعن الله أحمنا ذكرا والأمننا حسبا وشرفا قديما وحديثا، وأقدمنا كفرا ونفاقا» فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين (٣). ولم يكن لمن حضر المسجد بد من أن يقولوا آمين، لأنهم يعرفون حسب الطرفين ونسبهم، وليس خفي على أحد دناءة نسب معاوية ولؤمه وقبائحه؛ ولنعم ما قال الشاعر:

كل عيوب الورى به اجتمعت * وهو بأضعاف ذاك منفرد
أجمل أوصافه النميمة والكذب * ونقل الحديث والحسد
فلما أمن الناس على كلام الإمام (عليه السلام) شرع الإمام (عليه السلام) في بيان مكارمه

ومناقبه ليقطع الحجة على معتذر أنه لا يعرفه، ومكارم الإمام هي مكارم الصديقة الطاهرة، فهذا الدر من ذاك المعدن، وهذا النور من ذاك النور، ترعرع ونشأ في حجرها الطيب الطاهر.

(١) البحار ٤٤ / ٦٢ ح ١٢ باب ١٩.

(٢) كتبها لسان الملك «قتيلة» ولعله تصحيف وإني رأيتها في عدة مواضع «قيلة» فأثبتها كذلك. (من المتن)

(٣) البحار ٤٤ / ٤٩ ح باب ١٩.

أجل؛ قام الحسن (عليه السلام) فحمد الله تعالى بما هو أهله، ثم ذكر المباهلة فقال:
فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأنفس بأبي، ومن الأبناء بي وبأخي،
ومن النساء

بأمي، وكنا أهله، ونحن آله، وهو منا ونحن منه. ولما نزلت آية التطهير جمعنا
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كساء لأم سلمة رضي الله عنها خيري، ثم
قال: «اللهم هؤلاء

أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» فلم يكن أحد في
الكساء غيري وأخي وأبي وأمي، ولم يكن أحد تصيبه جنابة في المسجد ويولد فيه
إلا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي، تكرمة من الله لنا وتفضيلا منه لنا، وقد
رأيتم مكان منزلنا من

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمر بسد الأبواب فسدها وترك بابنا، فقيل له
في ذلك فقال: أما

أنني لم أسدها وأفتح بابي، ولكن الله عز وجل أمرني أن أسدها وأفتح بابي.
وإن معاوية زعم لكم أنني رأيت للخلافة أهلا ولم أر نفسي لها أهلا، فكذب
معاوية، نحن أولى بالناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه (صلى الله عليه وآله
وسلم) ولم نزل أهل

البيت مظلومين منذ قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالله بيننا وبين من ظلمنا
حقنا، وتوثب

على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمنا ما جعل لها
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يعني فدكا).
وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
لأعطتهم

السماء قطرها، والأرض بركتها، وما طمعت فيها يا معاوية، فلما خرجت من
معدنها تنازعتها قريش بينها، فطمعت فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء؛ أنت
وأصحابك، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما ولت أمة أمرها رجلا
وفيهم من هو أعلم

منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا، حتى يرجعوا إلى ما تركوا، فقد تركت بنو
إسرائيل هارون وهم يعلمون أنه خليفة موسى فيهم واتبعوا السامري، وقد تركت

هذه الأمة أبي وبايعوا غيره وقد سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:
أنت مني بمنزلة
هارون من موسى إلا النبوة، وقد رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصب أبي
يوم غدير خم،
وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.
وقد هرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قومه وهو يدعوهم إلى الله تعالى
حتى دخل
الغار، ولو وجد أعوانا ما هرب، وقد كف أبي يده حين ناشدهم، واستغاث فلم
يغث، فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، وجعل الله
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعوانا، وكذلك أبي
وأنا في سعة من الله
حين خذلتنا هذه الأمة وبايعوك يا معاوية، وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها
بعضا.
أيها الناس، إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب أن تجدوا رجلا ولده نبي
غيري وأخي لم تجدوا، وإني قد بايعت هذا (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى
حين) (١) (٢).
واستقرت السلطنة لمعاوية سنة إحدى وأربعين للهجرة، فتربع على عرش
الملك وبقي في الكوفة عدة أيام، بايعه أهلها الخونة وضيعهم وشريفهم وسلموا
عليه بإمرة المسلمين، وتصلوا عن بيعة خليفة الله في الأرض، واتبعوا ضلالات
معاوية، وكذا فعلوا بأبيه من قبل، وهم يعلمون أنه أولى بالخلافة حسبا ونسبا،
وأنه ومعاوية متباينان، فكل زينة في حسب الحسن وعلو في نسبه يقابلها خلاف
ذلك لمعاوية، كما قال هو نفسه (عليه السلام): «أنا شعبة من خير الشعب، آبائي أكرم
العرب،

(١) الأنبياء: ١١١.

(٢) البحار ٤٤ / ٦٢ ح ١٢ باب ١٩.

لنا الفخر والنسب والسماحة عند الحسب، من خير شجرة أنبتت فروعاً نامية وأثماراً زاكية وأبداناً قائمة، فينا أصل الإسلام وعلم النبوة، فعلونا حين شمش بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع منا العز، نحن بحور زاخرة لا تنزف، وجبال شامخة لا تقهر» (١).

كيف لا يكون بينهما تباين ذاتي والإمام (عليه السلام) أمه بضعة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

التي قال فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضب فاطمة» (٢)

وأبوه نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنص الوارد في عدة موارد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو حجة

الله والإمام على الخلق كافة وبشرا وجنا بنص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً، حيث

قال فيه وفي أخيه «هما إمامان إن قعدا وإن قاما». ومعاوية الطليق بن الطلقاء

بالاتفاق، وأمّهاته من ذوات الأعلام، أين الثرى والثريا، والآن ينازع هذا

المغمور ذلك العلم في أمر الخلافة، فيطيعه الناس الخبيثاء عبيد الدنيا ويعرضون عن

الحق، وبديهي أن هذا النوع من الناس يستحقون إماماً مثل معاوية، ليأخذ القائد

والسائق والتابع بعضهم بأيدي بعض ويهوي الجميع في أسفل السافلين موضع

التقاء المنافقين «وكل إلى كل مضاف ومنتسب».

ولو تأملت جيداً لوجدت أن كل الكدورات الحاصلة في الدنيا فعلاً،

والظلمات التي تتراكم بعضها فوق بعض ناتجة عن غصب حقوق الولاية التي

وقعت بيد من ليس لها بأهل، وهكذا هو ديدن الناس، والوتيرة واحدة؛ وإذا كان

معاوية إمام الناس وهو فاسق لا يعرف العدالة، فكيف سينشر العدل في الناس؟! *

(١) البحار ٤٤ / ٩٣ ح ٨ باب ٢٠.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٠ ح ٨ باب ٣.

[كلام في الإمامة]

ومن البديهي أن إمام الخلق لا بد أن يكون معصوما فضلا عن العدالة، ونقصد به الإمام الحق، وإلا فالأئمة قسمان: إمام عدل وإمام جور، مثل علي (عليه السلام)

ومعاوية، وإمام ضلال وإمام هدى، وإمام بر وإمام فاجر، والإمام الفاجر ليس إماما عند الله، ولكن الناس يسمونه إماما بدوافع الأغراض الدنيوية والشهوات الملعونة الشيطانية.

قال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون إلى النار) (١).

وقال تعالى في الإمام العادل: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (٢).

وقرأ البعض: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (٣) «خير أئمة» (٤).

وعلى هذه القراءة فالمراد هم الأئمة الطاهرون الذين نعتقد بهم - نحن الإمامية - أنهم حجج الله وأن غيرهم أئمة الضلال، و (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) (٥).

ونأمل أن يقول الشيعة غدا يوم القيامة «هدانا الله بولاية هذا» أي علي بن أبي طالب (عليه السلام).

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) البحار ٢٤ / ١٥٣ ح ٥ باب ٤٦.

(٥) الأعراف: ٤٣.

وقال تعالى: (إنما أنت منذر) وعلي (لكل قوم هاد) (١) (أولئك هدى الله فبهدهم اقتده) (٢) قال (عليه السلام): إنا من أهل هذه الآية. ولما كان الإمام الحسن إمام عدل وأهل هداية، وجب أن يكون متبوعاً، واتباعه بر واتباع معاوية ظلم، وعلي معاوية أن يدخل في طاعته (عليه السلام)، ومخالفته

للإمام ولأبيه من قبل كفر صريح (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي) (٣) وقال تعالى: (فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى) (٤) والآية ظاهرة، بل صريحة في أن مخالفة الهادي والإمام المنصوب شقاوة وضلال.

ومن هذه البيانات تبين وجوب عصمة الإمام، وأن من أهم الواجبات على الناس إدراك هذه القضية والاعتقاد بها، وذلك لأن الاختلاف في أمر الإمامة شديد؛ لاختلاف الأغراض والأهواء، والناس ليسوا معصومين، فلربما تورطوا في الخطأ وترك الواجب، فلا بد من رئيس مطاع يرفع عن الناس الجهالة، ويأدب الجاني، ويأخذ الحق للمظلوم من الظالم. وهذا أمر واجب بحكم العقل والنقل، وهو أقرب للصالح، ولو لم يكن كذلك لراج الهرج والمرج بين الناس، وفسد على الناس معاشهم، ومنكر ذلك جاهل مكابر؛ وهذا الرئيس الذي يقوم بهذا الدور في المجتمع لا بد أن يكون معصوماً، لئلا يحتاج إلى من هو دونه رتبة، وإلى من هو ليس بمعصوم، ويجب أن يكون أفضل رعيته في الظاهر والباطن، وأن يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر بأمر الله، ويبلغ الأحكام عن الله ويعظ

(١) الرعد: ٧.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) يونس: ٣٥.

(٤) طه: ١٢٣.

الناس، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (١).
والعدل صفة جامعة تنطوي فيها الصفات، والعدل هو الحياة والجور هو الممات، وفي العدل ملاك وفي الجور هلاك، والعدل قوام الرعية وصلاح البرية. ولو لم يبق في الدنيا إلا يوم لبعث الله حجته ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

ولا يمكن للإمام أن يعدل بين الناس ما لم يكن هو بنفسه عادلاً أولاً؛ وهل يليق لادعاء الخلافة والإمامة من أمثال معاوية وهو ليس عادلاً بل ظالم وغاصب، فقد غصب حقوق فاطمة الطاهرة وجعل لذلك حديثاً يخالف الكتاب والسنة تقوله على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»

وخلع اليد المتصرفه وطلب منها البيعة ثم يناقشها في البيعة؟! وهل يليق بمثل هذا النكرة أن يكون خليفة على من نزلت في حقه آية التطهير وزكى الله نفسه القدسية في كتابه العزيز، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومن نصبه بعده النبي

بأمر الله تبارك وتعالى.

وقد حكم العقل وأفاد النقل أن تمام أفعال هؤلاء الأنوار الطيبة حجة، وأقوالهم فصل الخطاب، وليس للجاهل أن يتصور هذه الاعتراضات المهملة.***

أجل؛ كان الكلام في الخصوصيات التي أعطاه الله لفاطمة الطاهرة (عليها السلام). ومنها: الرحمة العظيمة التي تلتطف بها الله على أولادها من بطنها، حيث حرم عليهم النار.

(١) النحل: ٩٠.

روى ابن شاهين عن حذيفة وابن مسعود قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
إن فاطمة

أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار (١)؛ وفسر الحديث ب «من ولدته
بنفسها» وهو المروي عن الرضا (عليه السلام).
وهذه خصيصة خاصة بتلك الذات الطاهرة المطهرة، وربما قيل: أن كل
مؤمن محض الإيمان فهو مخلوق من طينتهم، فيكون شريكهم في هذا الأمر.
ومن خصوصياتها وشرفها أيضا تفرع الوجود الحسيني (عليه السلام) من وجودها
الطاهر، وأنها هي الحجر الطيب الزكي الذي ربي هذه الدرة اليتيمة وصار وعاء
لهذا النور الطاهر. وبهذه المناسبة لا بأس بذكر شيء من أحوال سيد الشهداء في
الخصيصة الآتية، لأنه ثمرة من ثمار هذه الأرض الطيبة.
«جعلنا الله من محبيها ومحبي ذريتها الطيبين من الآن إلى يوم الدين».

(١) البحار ٤٣ / ٢٠ ح ٦ باب ٣.

الخصيصة التاسعة والأربعون
في بيان ولادة الحسين (عليه السلام) وشؤون فاطمة الطاهرة
في هذا المولود السعيد
في كتاب المناقب: ولد الحسين عام الخندق بالمدينة يوم الخميس، أو يوم
الثلاثاء لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، بعد أخيه بعشرة أشهر
وعشرين يوماً، واسمه في التوراة شبير، وفي الإنجيل طاب، وكنيته أبو عبد الله،
وألقابه الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث (١).
وقيل: الرشيد، والطيب، والوفي، والسيد، والزكي، والمبارك، والتابع
لمرضاة الله، ولكن أعلاها ما لقبه به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله
عنه وعن أخيه: إنهما
سيدا شباب أهل الجنة، وكذلك السبط، فإنه صح عن رسول الله أنه قال: «حسين
سبط من الأسباط» (٢).
وروي:.. فلما ولد الحسين (عليه السلام) أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل أنه ولد
لمحمد
ابن، فاهبط إليه فهناه وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم

(١) البحار ٤٣ / ٢٣٧ ح ١ باب ١١ عن المناقب.
(٢) البحار ٤٣ / ٢٣٧ ح ٢ باب ١١ عن الكشف.

ابن هارون، قال: فهبط جبرئيل (عليه السلام) فهناه من الله تبارك وتعالى، ثم قال: إن عليا

منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون، قال: وما اسمه؟ قال: شبير. قال: لساني عربي، قال: سمه الحسين، فسماه الحسين.

قال الفيروزآبادي: شبر كيقم وشبير كقمير ومشير كمحدث أبناء هارون (عليه السلام)، وبأسمائهم سمى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين والمحسن (١) (وهو السقط).

وفي رواية أخرى عن الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن أحمد بن صالح التميمي، عن عبد الله بن عيسى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)

قال: أهدى جبرئيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اسم الحسين بن علي وخرقة حرير من ثياب الجنة (٢).

وروى عكرمة قال: لما ولدت فاطمة الحسن، جاءت به إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

فسماه حسنا، فلما ولدت الحسين جاءت به إليه، فقالت: يا رسول الله هذا أحسن من هذا، فسماه حسينا (٣).

وروى البرقي - بحذف الأسناد - عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: أقبل جيران أم أيمن إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالوا: يا رسول الله إن أم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تنزل تبكي حتى أصبحت.

قال: فبعث رسول الله إلى أم أيمن، فجاءته فقال لها: يا أم أيمن لا أبكي الله عينك، إن جيرانك أتوني وأخبروني أنك لم تنزل الليل تبكين أجمع، فلا أبكي الله عينك، ما الذي أبكاك؟

(١) البحار ٤٣ / ٢٣٨ ح ٣ باب ١١.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٤١ ح ١١ باب ١١.

(٣) البحار ٤٣ / ٢٤٢ ح ١٢ باب ١١.

... قالت: رأيت في ليلتي هذه كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي.
فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): نامت عينك يا أم أيمن، تلد فاطمة
الحسين فتربينه
وتلبينه (١)، فيكون بعض أعضائي في بيتك.
فلما ولدت فاطمة الحسين (عليه السلام) فكان يوم السابع، أمر رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) فحلق
رأسه، وتصدق بوزن شعره فضة، وعق عنه، ثم هيأته أم أيمن ولفته في برد
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم أقبلت به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) فقال: مرحبا بالحامل والمحمول،
يا أم أيمن هذا تأويل رؤياك، وكان حملته (عليه السلام) ستة أشهر (٢).
وروي أن صفية بنت عبد المطلب قالت: لما سقط الحسين (عليه السلام) من بطن أمه
وكنت وليتها، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عمة! هلمي إلي ابني.
فقلت: يا رسول الله! إنا لم ننظفه بعد.
فقال: يا عمة! أنت تنظفينه، إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهره» (٣).
وروي عنها أيضا في موضع آخر: لما سقط الحسين (عليه السلام) من بطن أمه فدفعته
إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لسانه في
فيه، وأقبل الحسين على لسان رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمصه. قالت: فما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلا
لبنا وعسلا، ثم بال
الحسين عليه، فقبل النبي بين عينيه، ودفعه إلي وهو يبكي ويقول: «لعن الله قوما
هم قاتلوك يا بني - ثلاثا - . قالت: فقلت: فذاك أبي وأمي من يقتله؟ قال (صلى الله
عليه وآله وسلم):
يقتله بقية الفئة الباغية من بني أمية لعنهم الله (٤).

(١) تلبينه: أي تسقيه اللبن.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٤٢ ح ١٥ باب ١١.

(٣) البحار ٤٣ / ٢٤٣ ح ١٦ باب ١١.

(٤) البحار ٤٣ / ٢٤٣ ح ١٧ باب ١١.

ومن المعلوم عند أهل العلم ما لهذا المولود السعيد ولأمه فاطمة الطاهرة من الفضل عند الله، بحيث أمر الله تبارك وتعالى جبرئيل أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنئ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الله عز وجل ومن جبرئيل (١). وروى المجلسي حديثاً عن الصادق (عليه السلام) في قصة هبوط جبرئيل ومروره بجزيرة

من جزائر البحر والتقائه بفطرس، ونجاته ببركة الحسين (عليه السلام) وقصة فطرس معروفة.

وروى في ذيل حديث آخر:.. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتيه في كل يوم،

فيضع لسانه في فم الحسين، فيمصه حتى يروى، فأنبت الله عز وجل لحمه من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يرضع من فاطمة (عليها السلام) ولا من غيرها لبنا قط (٢).

وكذا قصة دردائيل ونجاته ببركة الحسين (عليه السلام)، كما روي عن مجاهد عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن لله تبارك وتعالى ملكاً يقال له:

دردائيل، كان له ستة عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح هواء، والهواء كما بين السماء والأرض. فجعل يوماً يقول في نفسه: أفوق ربنا جل جلاله شيء؟ فعلم الله تبارك وتعالى ما قال، فزاده أجنحة مثلها فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح، ثم أوحى الله عز وجل إليه أن: طر؛ فطار مقدار خمسمائة عام فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، فلما علم الله عز وجل أتعابه، أوحى إليه: أيها الملك عد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقي شيء، ولا أوصف بمكان، فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة.

(١) البحار ٤٣ / ٢٤٣ ح ١٨ باب ١١.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٤٥ ح ٢٠ باب ١١.

فلما ولد الحسين بن علي (صلوات الله عليهما).. أوحى الله إلى مالك خازن النيران، أن أحمد النيران على أهلها لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأوحى إلى رضوان خازن الجنان أن زحرف الجنان وطيبها لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في دار الدنيا، وأوحى إلى حور العين أن تزين وتزاورن لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في دار الدنيا، وأوحى إلى الملائكة أن قوموا صفوفًا بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل (عليه السلام) أن أهبط إلى نبيي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في ألف قبيل، في القبيل ألف ألف ملك، على خيول بلق مسرجة ملجمة عليها قباب الدر والياقوت، معهم ملائكة يقال لهم الروحانيون، بأيديهم حراب من نور، أن هنتوا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بمولوده، وأخبره يا جبرئيل أني قد سميته الحسين، وعزه وقل له: يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقتله شرار أمتك على شرار الدواب، فويل للقاتل وويل للسائق وويل للقائد، قاتل الحسين أنا منه بريء، وهو مني بريء، لأنه لا يأتي أحد يوم القيامة إلا وقاتل الحسين أعظم جرما منه، قاتل الحسين يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أن مع الله إلها آخر، والنار أشوق إلى قاتل الحسين من أطاع الله إلى الجنة.

قال: فبينما جبرئيل يهبط من السماء إلى الأرض، إذ مر بدردائيل فقال له دردائيل: يا جبرئيل ما هذه الليلة في السماء؟ هل قامت القيامة على أهل الدنيا؟! قال: لا ولكن ولد لمحمد مولود في دار الدنيا، وقد بعثني الله عز وجل إليه لأهناه بمولوده. فقال الملك له: يا جبرئيل، بالذي خلقتك وخلقني، إن هبطت إلى محمد فاقرأه مني السلام وقل له: بحق هذا المولود عليك إلا ما سألت الله ربك أن يرضى عني ويرد علي أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة، فهبط جبرئيل على

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنأه كما أمره الله عز وجل وعزاه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): تقتله أمتي؟! قال: نعم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما هؤلاء بأمتي، أنا بريء منهم والله بريء منهم. قال

جبرئيل: وأنا بريء منهم يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فدخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة، وهنأها وعزاها فبكت فاطمة (عليها السلام) وقالت: يا ليتني لم ألدته، قاتل الحسين في النار، وقال

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا أشهد بذلك يا فاطمة، ولكنه لا يقتل حتى يكون منه إمام تكون منه الأئمة الهادية بعده، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): الأئمة بعدي الهادي علي، والمهتدي حسن،

والناصر الحسين، والمنصور علي بن الحسين، والشافع محمد بن علي، والنفاع جعفر بن محمد، والأمين موسى بن جعفر، والرضا علي بن موسى، والفعال محمد بن علي، والمؤتمن علي بن محمد، العلام الحسن بن علي، ومن يصلي خلفه عيسى ابن مريم، فسكنت فاطمة من البكاء، ثم أخبر جبرئيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقضية الملك

وما أصيب به. قال ابن عباس: فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - الحسين وهو ملفوف في خرق

من صوف - فأشار به إلى السماء، ثم قال: «اللهم بحق هذا المولود عليك، لا بل بحقك عليه وعلى جديه محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، إن كان للحسين من علي من فاطمة عندك قدر، فارض عن دردائيل ورد عليه أجنحته ومكانه من صفوف الملائكة»، فاستجاب الله دعاءه وغفر للملك، والملك لا يعرف في الجنة إلا بأن يقال: هذا مولى الحسين بن علي بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال المجلسي: لعل هذا.. كان بمحض خطور البال من غير اعتقاده بكون الباري تعالى ذا مكان، أو المراد بقوله فوق ربنا شيء، فوق عرش ربنا إما مكانا أو رتبة، فيكون ذلك منه تقصيرا في معرفة عظمته وجلاله (١)...

(١) البحار ٤٣ / ٢٤٨ ح ٢٤ باب ١١.

أجل؛ ولد الحسين (عليه السلام) في الثالث وقيل: الخامس من شعبان في السنة الرابعة للهجرة في المدينة الطيبة. واسم الحسين مشتق من الحسن. وروي... فلما ولدت الحسين (عليه السلام) جاءت به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت: يا رسول الله هذا أحسن من ذاك؛ فسماه حسينا (١). ولكن اسم هذين العظيمين جعله الله على عرش عظمتهم (حسنا وحسينا) قبل أن يولدا، كما ورد بذلك الحديث كثيرا، وهما اسما ابنا هارون.

روى عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: قدم راهب على قعود له فقال: دلوني على منزل فاطمة، فدلوه عليه، فقال لها: يا بنت محمد أخرجي إلي ابنيك، فأخرجت إليه الحسن والحسين، فجعل الراهب يقبلهما ويكي ويقول: اسمهما في التوراة شبير وشبير، وفي الإنجيل طاب وطيب، ثم سأل عن صفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما ذكروه، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

وحكى أبو الحسين النسابة: كأن الله عز وجل حجب هذين الإسمين عن الخلق - يعني حسنا وحسنا - حتى يسمي بهما ابنا فاطمة (عليها السلام)، فإنه لا يعرف أن

أحدا من العرب تسمى بهما في قديم الأيام إلى عصرهما، لا من ولد نزار ولا اليمن، مع سعة أفخاذهما وكثرة ما فيهما من الأسماء، وإنما يعرف فيهما حسن بسكون السين، وحسين بفتح الحاء وكسر السين على مثال حبيب، فأما حسن بفتح الحاء والسين فلا تعرفه إلا اسم جبل معروف، قال الشاعر:
لام الأرض ويل ما أجت * بحث أضر بالحسن السبيلا

(١) البحار ٤٣ / ٢٤٢ ح ١٢ باب ١١.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٥٢ ح ٢٩ باب ١١.

وهذه فضيلة من فضائلهما أن وهبهما الله كرامة لفاطمة الطاهرة، ولم يجعل لهما سمياً من قبل، ولم يكن غيرهما نبت لحمه من عضو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) روى المجلسي أنه اعتلت فاطمة لما ولدت الحسين (عليه السلام) وجف لبنها... فكان يأتيه فيلقمه إبهامه فيمصها، فيجعل الله له في إبهام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رزقا يغذوه... فنبت لحمه من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

وروى عن برة ابنة أمية الخزاعي، قالت: لما حملت فاطمة (عليها السلام) بالحسن خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض وجوهه، فقال لها: إنك ستلدين غلاماً قد هنأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أصير إليك، قالت: فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن (عليه السلام) وله ثلاث ما أرضعته، فقلت لها: أعطني حتى أرضعه، فقالت: كلا، ثم أدركتها رقة الأمهات فأرضعته، فلما جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لها: ماذا صنعت؟ قالت: أدركني عليه رقة الأمهات فأرضعته، فقال: أباي الله عز وجل إلا ما أراد. فلما حملت بالحسين (عليه السلام) قال لها: يا فاطمة إنك ستلدين غلاماً قد هنأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أجيء إليك لو أقمت شهراً، قالت: أفعل ذلك، وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض وجوهه، فولدت فاطمة الحسين (عليه السلام) فما أرضعته حتى جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لها: ما صنعت؟ قالت: ما أرضعته، فأخذه فجعل لسانه في فمه فجعل الحسين يمص، حتى قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إيهما حسين، ثم قال: أباي الله إلا ما يريد، هي فيك وفي ولدك - يعني الإمامة - (٢). وفي كتاب عيون المعجزات للمرتضى: روي أن فاطمة ولدت الحسن

(١) البحار ٤٣ / ٢٥٤ ح ٣١ باب ١١.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٥٤ ح ٣٢ باب ١١.

والحسين من فخذها الأيسر، وروي أن مريم ولدت المسيح من فخذها الأيمن.
وحديث هذه الحكاية في كتاب الأنوار (١).
وهذه خصيصة لم تثبت بعد فاطمة لامرأة من نساء العالمين، سوى ما ثبت
لمريم (عليها السلام).
ويكفي في جلالة فاطمة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شرى حزنها بحزنه،
وأكرمها وأعزها
بإيثارها على نفسه، فرضي لنفسه أن يحزن لثلاث فاطمة.
روى في تفسير النقاش بإسناده عن سفیان الثوري، عن قابوس بن أبي
ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كنت عند النبي وعلى فخذ الأيسر ابنه
إبراهيم، وعلى فخذ الأيمن الحسين بن علي، وهو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا،
إذ هبط جبرئيل بوحي من رب العالمين. فلما سري عنه قال: أتاني جبرئيل من
ربي فقال: يا محمد! إن ربك يقرء عليك السلام، ويقول: لست أجمعها لك، فإنه
أحدهما بصاحبه، فنظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى إبراهيم فبكى ونظر إلى
الحسين فبكى،
وقال: «إن إبراهيم أمه أمة، ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة
وأبوه علي ابن عمي، لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي
وحزنت أنا عليه، وأنا أوثر حزني على حزنهما، يا جبرئيل تقبض إبراهيم وفديته
للحسين». قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي إذا رأى الحسين مقبلا قبله وضمه
إلى صدره ورشف ثناياه وقال: «فديت من فديته بابني إبراهيم» (٢).
وهذا الحديث دليل على خصوصية فاطمة الطاهرة، بحيث يكون أولادها

(١) البحار ٤٣ / ٢٥٦ ح ٣٤ باب ١١.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٦١ ح ٢ باب ١٢ عن المناقب.

أعز وأكرم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أولاده الصليبيين، وليس ذلك إلا لعزة تلك المخدرة وعزة الحسين وجاهه عند الله.
وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: أمرني ربي أن أحب حسينا وأحب من يحبه (١).

وروى الحميري ومحمد العطار - بحذف الإسناد - عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «يا علي! لقد أذهلني هذان الغلامان؛ يعني الحسن والحسين أن أحب بعدهما أحدا أبدا، إن ربي أمرني أن أحبهما وأحب من يحبهما» (٢).

وفي حديث آخر عن أبي ذر الغفاري، قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبل الحسين بن علي وهو يقول: من أحب الحسن والحسين لم تفتح النار وجهه ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا أن يكون ذنبا يخرج من الإيمان (٣).
وعالج أرض فيها جبال من الحصى أو أرمل متصل بعضها ببعض، أعلاها يتصل بالدهناء - والدهناء أرض قرب اليمامة - وأسفلها في نجد. وقيل: رمل عالج محيط بأكثر أرض العرب.

وفي بعض الأخبار عبر عن محبة الحسنين بالعروة الوثقى، روى جابر عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أراد أن يتمسك بعروة الله الوثقى التي قال الله عز وجل في كتابه، فليوال علي بن أبي طالب والحسن والحسين، فإن

(١)

(٢) البحار ٤٣ / ٢٦٩ ح ٢٦ باب ١٢.

(٣) البحار ٤٣ / ٢٦٩ ح ٢٩ باب ١٢.

الله تبارك وتعالى يحبهما من فوق عرشه» (١).
كما أن بغضهما (عليهما السلام) يوجب الشقاوة الأبدية، روى المجلسي عن النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم)،
قال: «من أبغض الحسن والحسين (عليهما السلام) جاء يوم القيامة وليس على وجهه
لحم، ولم
تنله شفاعتني» (٢).

وفي رواية أخرى: «من أحب هذين - يقصد الحسنين (عليهما السلام) - وأباهما
وامهما

فهو معي في درجتي يوم القيامة» (٣).

والغرض من هذا البيان ذكر أن مراتب هذه الأنوار الطيبة التي كرمها الله
وأعلا شرفها، فجعل كل خير مترشح عن وجود فاطمة المقدس ووجود أبي
فاطمة وبعلى فاطمة وأولاد فاطمة، بل جعل حسن كل شيء وكمال موقوفا
عليهم، وجعل أفضل شيء وأفضل زينة لعباده الجنة وزين الجنة، بالحسنين.
روى أبو عوانة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: «الحسن والحسين
شرفا العرش،

وإن الجنة قالت: يا رب أسكنتني الضعفاء والمساكين، فقال لها الله: ألا ترضين أني
زينت أركانك بالحسن والحسين؟ قال: فماست الجنة كما تميم العروس فرحا» (٤).
وهذه مرتبة ما فوقها مرتبة تتصور قط، أن يكون أولاد فاطمة وفضلها
كبدها زينة لعرش رب العزة، وأن يولد من بطنها الطاهر أولاد يكونون سببا لنجاة
الخلق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن عاداهم عاداه الله وحرمه من فضله العميم
ورحمته الواسعة، فهل يتصور ثمة منزلة وفضيلة وخصيصة تفوق هذه المنزلة؟!

(١) البحار ٤٣ / ٢٧٠ ح ٣١ باب ١٢.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٧٠ ح ٣٢ باب ١٢.

(٣) البحار ٣٧ / ٣٧ ح ٥ باب ٥٠.

(٤) البحار ٤٣ / ٢٧٥ ح ٤٤ باب ١٢.

روى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آخذا بيد

الحسن والحسين فقال: «إن ابني هذين ريبتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين، وسئلت الله لهما ثلاث؛ فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سئلت الله أن يجعلهما طاهرين مطهرين زكيين فأجابني إلى ذلك، وسئلت الله أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما النار فأعطاني ذلك، وسئلت الله أن يجمع الأمة على محبتهما، فقال: يا محمد! إنني قضيت قضاء وقدرت قدرا، وإن طائفة من أمتك ستفي لك بدينك في اليهود والنصارى والمجوس، وسيخفرون ذمتك في ولدك، وإنني أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك ألا أحله محل كرامتي، ولا أسكنه جنتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي يوم القيامة» (١).

ومن الواضح جدا أن ذكر فضائل الحسين إنما هو ذكر لفضائل فاطمة الطاهرة (عليها السلام)؛ لأن فضائلها (عليها السلام) من جهتين: أحدهما ذاتية أصلية من حيثيات نفس

تلك الذات المطهرة. والأخرى خارجية من جهة أولادها وأبيها وبعلمها، وهي عين الكمال، وتعد من خصائصها ومناقبها أيضا.

ولا يظن قاصر النظر أن هذه البيانات خارجة عن مناقبها، بل هي لتلك المخدرة نور على نور «وقد زيد طيب فرعها على طيب أصلها، وهي غصن الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، بل هي الشجرة بنفسها، ورسول الله أصلها، وأمير المؤمنين ساقتها، والأئمة المعصومين أغصانها، والشيعَة أوراقها، وعلومهم أثمارها، وهي روعي لها الفداء أصل ماهية الشجرة بنفسها وتقويتها.

(١) البحار ٤٣ / ٢٧٦ ح ٤٧ باب ١٢.

روى العياشي عن الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة - إلى قوله تعالى - ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) (١) الآية «إنها مثل ضربه الله لأهل بيت العصمة والطهارة ولمن عاداهم من أهل البغي والخسارة» (٢).

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال: «هي شجرة، رسول الله أصلها، وأمير المؤمنين فرعها، والأئمة من ذريتها أغصانها، وعلم الأئمة أثمارها، وشيعتهم المؤمنون أوراقها» ثم قال (عليه السلام): «والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، وإن المؤمن

ليموت فيسقط ورقة منها...» (٣) الخ.

وفي كتاب المعاني قال: «غصن الشجرة فاطمة (عليها السلام)، وثمرتها أولادها وورقها (٤) هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها» (٥).

فإذا كانت تلك المخدرة والدة الأئمة النقباء النجباء، وهم فروع هذه الشجرة الطاهرة وأغصانها، فقد تعين أنها (عليها السلام) هي الشجرة. ويكفيها مزية وفضيلة أن أبناءها ينتمون إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بواسطتها،

وأنى تكون مزية فوق هذه المزية؟

ولو تأملت هذه الأخبار جيدا، ولاحظت أطرافها وما التف بها، لوجدتها

(١) إبراهيم: ٢٦.

(٢) البحار ٢٤ / ١٤٢ ح ٩ باب ٤٤.

(٣) البحار ٩ / ٢١٨ ح ٩٧ باب ١.

(٤) ولا تعارض بين هذه الأخبار ولكل واحدة منها اعتبار في الصحة وكلها مشحونة بالمضامين البليغة.

(من المتن)

(٥) البحار ٩ / ١١٢ باب ١؛ و ٩ / ٢١٨ ح ٩٧ باب ١؛ و ١٦ / ٣٦٣ ح ٦٥ باب ١١.

جامعة لموجبات جميع الفضائل والشرائف، وحائزة على جميع الكمالات النفسانية والفضائل العقلانية التي ما حازها أحد من نساء العالمين من الأولين والآخرين. وهي ولي الله في السماوات والأرض، وهي أشرف من جميع الأنبياء والمرسلين ما خلا والدها خاتم النبيين، ولا يبقى بعدها محل للشرف وعلو الرتبة وسمو المكانة والنبيل، ولم يجعل الله لأحد قبلها ولا بعدها من المزايا والخصائص ما جعله لها (عليها السلام)،

والشرف يكتنفها من كل أقطارها، وبلغ بها المجد ما يعجز عن وصفه الواصفون، ويتتبع في بيانه المتكلمون المفوهون، ولا يخوض بحارها الغواصون المتمرسون. «ومهما ذكر ذكر منها فضيلة، فهي في الحقيقة دون مقدارها، جعلنا الله من العارفين بقصور المدايح بها:

صفاتك لا تحصى ونطقي عاجز* ويقصر ألفاظي كما قال شاعر
وإن قميصا خيط من نسج تسعة* وعشرين حرفا عن معاليك قاصر

الخصيصة الخمسون

في بيان ولادة الحسين (عليه السلام)، وتحقيق في الحديث الشريف

«فاطمة بضعة مني وروحي التي بين جنبي»

لقد أشرنا سابقا إلى معنى «البضعة»، ولنا في هذه الخصيصة تحقيق شريف

يقر عيون الشيعة ولإطلاعهم عليه مزية.

إعلم؛ إن قوله «فاطمة بضعة مني» إشارة لطيفة إلى أن فاطمة (عليها السلام) مرتبة من

مراتب ظهور الوجود النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومقام من مقامات نوره، ولذا

كانت (عليها السلام) تتكلم

بعلوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتخبر عن مكنونات طينة زبدة البشر، ولنعم

ما قيل:

آب از دريا به دريا مى رود * از همانجا كآمد آنجا مى رود (١)

وليكن واضحا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما جعل نسب فاطمة إليه نسبة

الروح،

ونسب علي (عليه السلام) نسبة النفس، فإن هذا لا يعني - كما قد يتصور - أن فاطمة

أشرف

من علي (عليه السلام)، حيث إنه قال: «يا علي أنت نفسي التي بين جنبي»، فجعل عليا

نفسه

وفاطمة روحه، وإن كان ظاهر الإطلاق أن الروح أشرف من النفس وأعلى رتبة،

ولكن أمير المؤمنين قامت به الولاية العامة، وفاطمة الطاهرة تعد تفاصيل الآثار

(١) يقول: الماء يأتي من البحر ويعود إلى البحر، فهو يعود من حيث جاء.

والبحر الفياض الذي تتشعب عنه الأنهار، وأمير المؤمنين (عليه السلام) صاحب مقام لا ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، ولا يلزم من إطلاق الروح على فاطمة، والنفس على علي، أن تكون فاطمة أشرف، بل إن علياً أشرف من فاطمة يقينا، كما أطق على عيسى روح الله مع أن علياً أشرف منه يقينا، وهذه النسبة بالإضافة بلحاظ التعظيم ليس إلا، كما أن إطلاق روح الله على عيسى وروح النبي على فاطمة لا يدل على أفضلية عيسى على فاطمة، فهي أفضل منه بلا شك. وكذا لا مدخلية للذكورة والأنوثة هنا في التفضيل، بل إن الأنوثة في هذا المقام قد تكون باعتبار ما من حيث التنزيل إلى العوالم الكونية - أفضل، ففاطمة (عليها السلام) مظهر التفاصيل الجارية ومنشأ الآثار السارية، فهذه الأنوثة أشرف

من ألف ذكورية، وإلا ففي عالم الأرواح والعقول لا ذكورية ولا أنوثية». فليس في مطلق الذكورية شرف بالنسبة إلى الأنوثية، وما ورد من الآيات والأخبار من أفضلية الرجال على النساء صحيح فيما سوى فاطمة؛ وذلك لأن جلالها لا يثلمه «نقص العقول»، وشهادتها تعادل شهادة العالمين حتى الأنبياء، ولم يكن لها قعود عن الصلاة والصيام «فيدخل النقص على دينها» وقد ورثت جميع موارث أبيها في الأولى والأخرى «فلا يصدق في حقها نقصان الحظ»، والنقص الداخِل على النساء إنما هو من هذه الجهات لا غيرها. وقيل: إن في المرأة ثلثان من القوى النفسانية، وثلث من القوى العقلانية، وفي الرجال عكس ذلك.

وهذه القاعدة لا تجري في تلك المخدرة، بل ليس فيها شيء من الجهات النفسانية بالمرّة بحيث يدخل عليها شيء من النقص، وهي العقل الصرف وصرف

العقل، ولا يتصور في حقها شائبة الكدورات النفسانية، بل هي نور محض لا يخالطه ظلمة ولو مثقال ذرة، وكيف لا تكون كذلك والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يسميها «روحه»، وروح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستحيل أن يتصور فيه جهة النقص، وكذا بعلمها أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي جعله النبي الأكرم بمنزلة «نفسه». والحقيقة المحمدية مظهر لتفاصيل الفيوضات الإلهية، وللرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

عدة مقامات: مقام البيان والمعاني والأبواب والإمامة: والمقام الأول مقام لاهوتي وهو في مرتبة الفؤاد، وهو الجهة العالية من العقل الكلي وهو مقام «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل». وهو مقام تنحدر إليه سيول الفيوضات الإلهية، ولا تصل إلى ساحته طيور عقول الأمة. والمقام الثاني: مقام جبروتي، وهو مرتبة العقل الكلي بنفسه بلحاظ حيثيته، إن هذا المقام مقام الحقيقة المحمدية ومقام «أول ما خلق الله العقل» وهو محل اجماع

الفيوضات السارية، وجبرئيل وسائر الملائكة وحملة العرش دون هذه المرتبة، وهو المقام الذي قال عنه جبرئيل: «لو دنوت أنملة لاحتقرت». اگر يك سر موى برتر پرم * فروغ تجلی بسوزد پرم (۱) وما أجمل ما قيل:

احمد ار بگشايد آن پر خليل * تا ابد مدهوش ماند جبرئيل (۲) والمقام الثالث: المقام الملكوتي، وهو مرتبة النفس الكلية، وجبرئيل من أهل هذه المرتبة.

(۱) يقول: لو دنوت في طيراني قيد شعرة، لأحرقني نور التجلي الساطع.
(۲) يقول: لو أبدى أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قدراته، لاندھش جبرئيل إلى آخر الأبد.

والمقام الرابع: المقام الناسوتي: وهو مرتبة الجسم الكلي في المرتبة البشرية، والنبوة وتبليغ الأحكام الإلهية من صفات هذه المرتبة، وهو مقام (إن أنا إلا بشر يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) (١).

گر به ظاهر مثلکم باشد بشر * با دل یوحی الی دیدهور (٢) وبشريتہ (صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم) أعلى مرتبة من البشرية، ونورانية مراتب بشریتہ غیر البشرية العامة للناس.

وهذه المراتب المذكورة سارية وجارية في باقي الأنوار الأربعة عشر المعصومة، وهم من أجزاء هذه الدائرة العالية، وسكان هذه الرتبة السامية، وإن كان بعضهم مقدم على بعض في المرتبة إلى وجود اتحاد ذواتهم في الحقيقة، كتقدم السراج المشتعل أولاً على السراج المشتعل منه ثانياً، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا

من محمد كالضوء من الضوء» (٣). وقال النبي (صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم): «كنت أنا وعلي من نور واحد» (٤).

ورأيت حديثاً رواه المقدس الأردبيلي، أن النبي (صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم) قال: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام» (٥). وفي رواية العوالم، قال: «قبل آدم بأربعين ألف عام، فلم نزل نتمحض في النور، حتى إذا وصلت إلى حضرة العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم خلق الله الخلائق

(١) فصلت: ٦.

(٢) إني وإن كنت في الظاهر بشراً مثلكم، إلا أن قلبي الذي يوحى إليه منير بالوحي.

(٣) البحار ٢١ / ٢٦ ح ٢٥ باب ٢٢.

(٤) البحار ٣٣ / ٤٨٠ ح ٦٨٦ باب ٢٩.

(٥) البحار ١٥ / ٢٤ ح ٤٢ باب ١.

من نورنا، فنحن صنایع الله، والخلق كلهم صنایع لنا» (١).
وفي حديث آخر: «والخلق بعد صنائعنا» (٢).
وفي رواية أخرى قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا من علي، وعلي مني». والأخبار من هذا القبيل كثيرة جدا، وهم (عليهم السلام) في الظاهر بشر وفي الباطن أنوار «فتعجز عن درك معانهم العقول والأفهام ولا يبلغ إليهم طالحات الأوهام». وبديهي أن إطلاق الروح والنفس على علي وفاطمة بمعنى ترتيب الأحكام والآثار والرتبة، وإلا فنفس علي غير نفس الرسول، وروح فاطمة غير روح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذا هو معنى «حسين مني، وأنا من حسين» وإن كان الحسين (عليه السلام) دم الرسول ولحمه، ما نبت لحمه إلا من بدن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). روى المجلسي وغيره عن الصادق (عليه السلام)، قال: لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أنثى، وكان يؤتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيضع إبهامه في فيه فيمص منه ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه» (٣) ولم يعيش مولود قط لستة أشهر غير الحسين بن علي ويحيى بن زكريا. وروي عن ثامن الأئمة (عليه السلام) أنه قال: يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه فيمصه فيحتزي به، ولم يرضع من أنثى (٤).
ولد الحسين (عليه السلام) - كما قال البعض - عام الخندق في المدينة يوم الخميس الثالث من شعبان في السنة الرابعة للهجرة بعد أخيه الحسين (عليه السلام) بعشرة أشهر

(١) انظر: البحار ٢٤ / ٨٨ ح ٤ باب ٣٣؛ و ٣٥ / ٢٩ ح ٢٥ باب ١.

(٢) البحار ٥٣ / ١٧٨ ح ٩ باب ٣١.

(٣) البحار ٤٤ / ٢٣٣ ح ١٧ باب ٣٠.

(٤) البحار ٣٦ / ١٥٨ ح ١٣٧ باب ٣٩.

وعشرين يوما، وروي بستة أشهر، وهي مدة الحمل، وعاش مع جده الأعظم ستة سنين وعدة أشهر، وكان عمره الشريف كما قيل: سبعا وخمسون سنة وخمسة أشهر، وقيل: ستة وخمسون سنة وخمسة أشهر.. وقيل: ثمان وخمسون سنة. وقيل: ولد لخمس ليال خلون من شعبان، والثالث هو الأشهر، وقيل: في النصف من رمضان، وقيل: آخر شهر ربيع الأول علي اختلاف الروايات. ولما حملت فاطمة الطاهرة بالحسين (عليه السلام) أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فاطمة (عليها السلام):

إن الله يبشرك بغلام تقتله أمتي من بعدي، فقالت فاطمة: ليس لي حاجة فيه يا أبة.. فقال: لا بد أن يكون فيه الإمامة والوراثة والخزانة، فقالت: رضيت عن الله عز وجل (١).

وروى المجلسي عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لما حملت فاطمة (عليها السلام) بالحسين (عليه السلام)، جاء جبرئيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إن فاطمة ستلد ولدا تقتله أمتك من بعدك، فلما حملت فاطمة بالحسين كرهت حملة، وحين وضعته كرهت وضعه».

ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): «هل رأيتم في الدنيا أما تلد غلاما فتكرهه، ولكنها كرهته لأنها علمت أنه سيقتل».

قال: وفيه نزلت هذه الآية: (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) (٢).

قال المجلسي: لعل المراد ب «لما حملت» أي لما قرب حملها، فلا يتعارض مع

(١) البحار ٤٣ / ٢٤٥ ح ٢٠ باب ١١.

(٢) الأحقاف: ١٥.

قوله «لما حملت» في الحديث الثاني، ويكون المعنى أن جبرئيل هبط قبل حملها وأخبره (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).
قالت أسماء: ... فلما كان بعد حول (يعني من ولادة الحسن (عليه السلام)) ولد الحسين (عليه السلام) وجاءني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا أسماء هلمي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ووضعته في حجره فبكى، فقالت أسماء: فقلت: فذاك أبي وأمي مم بكأوك؟
قال: على ابني هذا.
قلت: إنه ولد الساعة يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي.
ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا، فإنها قريبة عهد بولادته.
ثم لعلي (عليه السلام): أي شيء سميت ابني هذا؟
قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله.
فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ولا أسبق باسمه ربي عز وجل.
ثم هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد! العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: علي منك كهارون من موسى، سم ابنك باسم ابن هارون.
قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وما اسم ابن هارون؟
قال: شبير.
قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لساني عربي.
قال جبرئيل: سمه الحسين، فسماه الحسين.

(١) البحار ٤٤ / ٢٣١ و ٢٣٢ ح ١٦ باب ٣٠.

فلما كان يوم سابعه عق عنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكبشين أملحين، وأعطى القابلة

فخذاً وديناراً، ثم حلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقاً وطلّى رأسه بالخلوق. والخلوق: طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة (١).

وذكر أنه لم يكن بين الحسنين إلا الحمل (٢).

وإذا كان كذلك فهو من خصائصها (عليها السلام) التي لم تجعل لغيرها من النساء. وروي: أهدى جبرئيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اسم الحسين (عليه السلام) وخرقة حرير من ثياب الجنة (٣).

وروي: لما ولدت فاطمة الحسن جاءت به إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسماه حسناً، فلما

ولدت الحسين جاءت به إليه، فقالت: يا رسول الله هذا أحسن من هذا، فسماه حسينا (٤). فيكون «الحسين» تصغير لغرض التعظيم.

وروت فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت أبي بكر، عن صفية بنت عبد المطلب، قالت: لما سقط الحسين من بطن أمه، وكنت وليتها (عليها السلام)، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عمه هلمي إلي ابني. فقلت: يا رسول الله إنا لم ننظفه بعد، فقال: يا

عمه أنت تنظفينه؟ إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهره (٥).

ويشهد لهذا آية التطهير وفقرات بدیعة في زيارة الجامعة.

(١) البحار ٤٣ / ٢٩٣ ح ٤ باب ١١.

(٢) البحار ٤٣ / ٢٩٣ ح ٤ باب ١١.

(٣) البحار ٤٣ / ٢٤١ ح ١١ باب ١١.

(٤) البحار ٤٣ / ٢٤٢ ح ١٢ باب ١١.

(٥) البحار ٤٣ / ٢٤٣ ح ١٦ باب ١١.

وفي زيارة الجامعة برواية السيد ابن طاووس: «إن الله طهركم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن كل ريبة ورجاسة ودناءة ونجاسة» (١). وفي هذا البيان سلب للنجاسة الصورية والمعنوية عنهم (عليهم السلام). ويمكن أن يقال: إن أصل النجاسة ومنشأها غالبا من الجهات النفسانية واتباع الشهوات ومخالفة الأوامر وارتكاب المعاصي، وليس في هذه الأنوار الطيبة جهة نفسانية، وليس لارتكاب المعاصي سبيل إليهم بالمرّة ولو مثقال ذرة. ومن المسلم أن الأخبار الواردة في طهارة أجساد الأئمة الأطهار محمولة على الأجزاء الظاهرية والباطنية من كل حيثية؛ لأنه لو كان المراد من الطهارة ظاهر الجسد، فهو صادق في حق كل مسلم، فأى مزية وفضيلة تكون لهم على الآخرين؟! * * *

[في طهارة دماء الأئمة وأبوالهم]

وقد وردت أخبار متواترة في هذا الباب، كما وردت أخبار في أن بولهم ونحوه لم تكن له رائحة كريهة، بل كان معطرا، وكانت الأرض مأمورة ببلعه، وهو من خصائص الأئمة المعصومين، وإن كانوا (عليهم السلام) يغسلون من أبوالهم ودمائهم،

وكانوا مأمورين بذلك، وكانت الأحكام واجبة عليهم، وهذا لا ينافي طهارة أبوالهم وعدم نجاستها بالنجاسة المعروفة المستلزمة للخبثاة، وأما النجاسة بمعنى وجوب الغسل ولزوم الاحتراز بملاحظة المصالح الخارجية، فهي أعم من النجاسة والطهارة بالذات، ومن كون المعصوم في غاية النظافة وإن كان إطلاق النجاسة في

(١) البحار ١٠٠ / ٢٠٨ ح ٨ باب ٦.

هذه الصورة مستهجننا في الأنظار بلحاظ انصراف الأنظار من إطلاق النجاسة -
من جهة الغلبة - إلى الخبائث، والمعصومون نور محض بالتمام، منزهون - بلا شك -
عن النجاسات والأرجاس وجميع العيوب.
قال بحر العلوم في منظومته «الدرة النجفية»:
والسر في فضل صلاة المسجد * قبر لمعصوم به مستشهد
بقطرة من دمه مطهرة * طهره الله بعبد ذكره
وهي بيوت أذن الله بأن * ترفع حتى يذكر اسمه الحسن
ويؤيده ما رواه المجلسي في البحار، عن الراوندي في قصص الأنبياء،
والحسن بن بسطام في طب الأئمة، عن أبي طيبة الحجام، قال: حجمت رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعطاني دينارا وشربت دمه، فلما اطلع على ذلك، قال
(صلى الله عليه وآله وسلم): «ما حملك
على ذلك؟» قلت: أتبرك به. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أخذت أمانا من
الأوجاع والأسقام
والفقر والفاقة، والله لا تمسك النار أبدا» (١).
فلا يمكن أن يقاس الأئمة الطاهرين بالسائرين في شؤونهم الخاصة. فسيدة
النساء طاهرة مطهرة من الطمث والأرجاس والنجاسات.
كار پاكان را قياس از خود مگير * گرچه باشد در نوشتن شیر شیر
آن یکی شیر است کآدم می خورد * و آن یکی شیر است کآدم می درد (٢)
ومن ولدتهم طاهرون مطهرون، أيضا ولحمها وجلدها من لحم الرسول

(١) البحار ١٧ / ٣٣ ح ١٦ باب ١٤.
(٢) يقول: لا تقل عملك إلى عمل الأطهار، فإن كلمة «شیر = طيب» وإن شابها في الكتابة كلمة «شیر
=
أسد»، فإن أحدهما أسد مفترس والآخر سائل يشربه الإنسان!

وجلده، والطهارة الظاهرية والمعنوية للحم الرسول وجلده ودمه من أوضح
الواضحات، وهذا لا ينافي وجوب تطهيره (صلى الله عليه وآله وسلم) من دمه.
ونهي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا طيبة الحجام في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «لا تعد لمثل هذا» أو
«إياك وأن تعود لمثل هذا، إن الدم كله حرام» يمكن أن يحمل على التحذير، لئلا
تصير عادة، ولكي لا يشرب دم الإمام للاستشفاء فتوفر أسباب الفساد؟!!!
قال الصدوق في «اعتقاداته»: إنما لم يكن الإمام (عليه السلام) ظل، لأن هيكله المبارك
من عالم النور فلا يكون له ظل.
وفي كشف الغمة عن ثامن الأئمة في علامات الإمام: منها: لا يكون له ظل.
وفي خبر آخر: لا يرى له ظل.
فإذا أحرز مقام نورانية الأئمة (عليهم السلام) في هذا العالم، وتعقل أنهم أشرف من
الملك، صار تصور طهارة دمائهم وما يخرج منهم سهلا يسيرا.
جمله عالم زين سبب گمراه شد * کم کسی زابدال حق آگاه شد
همسرى با أوليا برداشتند * جسم دیدند آدمي انگاشتند
این ندانستند ایشان از عمی * هست فرقی در میان بی منتها
زين حسن تا آن حسن فرقیست ژفت * این نجا در زن نشیند آن بگفت (۱)
وفي الزيارة الجامعة: «عصمکم الله من الزلل، وآمنکم من الفتن، وطهرکم
من الدنس، وأذهب عنکم الرجس، وطهرکم تطهیرا».

(۱) يقول: لقد ضل أهل العالم جميعا، لأن القليل عرفوا أبدال الحق.
ومع أنهم عاشروا الأولياء، إلا أنهم إذا شاهدوا جسم آدمي تخيلوا أن فيه آدميا.
لكنهم من عماهم لم يدركوا أن هناك فرقا بلا حدود بينهما.
وأن «حسن» هذا يختلف عن «حسن» ذلك،

والنجاسات عند العرفاء أربعة أقسام:

الأول: نجاسة الأحداث والأنجاس

الثاني: نجاسة المعصية

الثالث: نجاسة الصفات الرذيلة

الرابع: نجاسة التعلق بما سوى الله وبأسباب الأعراض، والانصراف عنه

تبارك وتعالى.

موانع چون در این عالم چهار است * طهارت کردن از وی هم چهار است

نخستین پاکی از احداث و انجاس * دوم از معصیت و از شر وسواس

سوم پاکی ز اخلاق ذمیمه است * که با وی آدمی همچون بهیمه است

چهارم پاکی سر است از غیر * که آنجا منتهی می گرددش سیر

هر آنکس کرد حاصل این طهارات * بود بی شك سزاوار مناجات (۱)

والواقع أن موضوع الأرجاس هي النفس الأمارة واللوامة، فإذا اضمحلت

شؤون النفس في شؤون القوة العاقلة، وغلبت آثار النفس الناطقة، صار ذا نفس

قدسية كالملائكة، وصار طاهرا مطهرا في الواقع، وإن كان بحسب الظاهر يغسل

عنه دم بدنه وما يخرج منه أو يأمر بتطهيره. روي في باب الغسل: سئل الإمام (عليه

السلام):

إذا مات الإمام، فهل على من مسه قبل غسله غسل؟ قال: لا غسل على مس بدن

الإمام والشهيد، لا قبل الغسل ولا بعده.

(۱) يقول: الموانع والعوائق في هذا العالم أربعة، والطهارة منها في أربعة أمور.

الأول: الطهارة من الخبث والنجاسات، والثاني: الطهارة من المعصية وشر الوسواس.

الثالث: الطهارة من الأخلاق الذميمة، التي تجعل الانسان كالبهيمة.

الرابع: طهارة السر من غير الله تعالى، وهو منتهى السير والسلوك.

أوليا چون أنبيا نور حق اند * در بحار نور حق مستغرق اند
هم مقرب هم مقرب داده اند * قرب دیده قرب را آماده اند (۱)
«خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محققين حتى من علينا بكم فجعلكم في
بيوت أذن الله أن ترفع» بل الإمام هو الجسد النوراني والبدن الرباني.
صورتش دیدی زمعنی غافلئ * از صدف دری گزین گر عاقلئ
کاین صدفهای قوالب در جهان * گرچه جمله زنده اند از بهر جان
لیک اندر هر صدف نبود گهر * چشم بگشا در دل هر یک نگر (۲)
وفي المجلد العاشر من البحار، عن عمار، أن ابن عباس رأى النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) في
منامه يوما بنصف النهار وهو أشعث أغبر في يده قارورة فيها دم، فقال: يا رسول
الله ما هذا الدم؟ قال: دم الحسين (۳)...
وفي خبر آخر عن أم سلمة، قالت: إنني ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) منذ زمن
ورأيته ظهر عاشورا أشعث أغبر، وفي يديه قارورتين فيهما شيء أحمر فسألته
عنهما فقال: في يدي اليمنى دم نحر الحسين (عليه السلام) وفي يدي اليسرى دم
أصحابه.
وفي ذيل خبر الجمال، قالت فاطمة: «أتأذن لي أن آخذ من دم شيبته
وأخضب به ناصيتي وألقى الله عز وجل وأنا مخضبة بدم ولدي الحسين؟ فقال (صلى
الله عليه وآله وسلم)

(۱) يقول: الأولياء - كالأنبياء - هم نور الحق تعالى، وهم مستغرقون في بحار نور الحق.
فهم مقربون ومقربون لله تعالى، إذ شاهدوا القرب فهبأوا الآخرين لمقام القرب.
(۲) يقول: لقد رأيت الصورة فغفلت عن المعنى، ولو كنت عاقلا لفضلت الدر على الصدف.
فهذه الأصداف قوالب في هذا العالم، مع أنها حية بأجمعها بالروح.
إلا أن كل صدف لا يحوي درا، فافتح عينيك وتأمل باطن كل صدف.
(۳) البحار ٤٥ / ٢٣١ ح ٣ باب ٤٢.

لها: خذي ونأخذ يا فاطمة»، فرأيتهم يأخذون من دم شيبته، وتمسح به فاطمة ناصيتها، والنبى وعلي والحسن يمسحون به نحورهم وصدورهم وأيديهم إلى المرافق (١).

وفي المجلد العاشر من البحار في زيارة الناحية المقدسة للإمام العسكري (عليه السلام):

«السلام على عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع المرمي الصريع المتشطح دما، المصعد دمه في السماء» (٢).

وأيضاً في العاشر عن الباقر (عليه السلام)، قال: «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض» (٣).

ولا يخفى على الخبير البصير أن سيد الشهداء - أرواحنا له الفداء - رمى بعض الدماء إلى السماء ولم يسقط منها قطرة إلى الأرض، وفي الزيارة «إن دمك سكن في أعلى عليين» (٤).

وفي ذيل خبر المناقب أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لسيد الشهداء في منامه ليلة

عاشوراء «وهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء» (٥).

وبالجملة؛ فكما أن جميع حالات وصفات وذوات وأبدان وأجسام الأئمة (عليهم السلام) تختلف عن سائر الأئمة، فكذلك دماؤهم وأبوالهم وما يخرج منهم يختلف

أيضاً. فهم يتطهرون بحسب الظاهر، وأما في الباطن فهم طاهرون مطهرون.

(١) البحار ٤٥ / ٣١٨ ح ١٤ باب ٤٦.

(٢) البحار ٤٥ / ٦٦ ح ٣ باب ٣٧.

(٣) البحار ٤٥ / ٤٦ باب ٣٧.

(٤) انظر: البحار ١٠١ / ١٥٢ ح ٣ باب ١٨؛ و ١٠١ / ٢٦٦ ح ٤٢ باب ١٨.

(٥) البحار ٤٥ / ٣ باب ٣٧.

«وأسماءكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور، فما أحلى أسماءكم». بل يمكن أن يقال: إن كل ما ومن كان طاهرا فهو ببركة وجود هؤلاء المطهرين، والآثار المرتبة على وجودهم أقوى وأفضل من الشمس والمطر والمياه والبحر، ولا بد أن يكون دم الإمام طاهرا لكي تدخره الملائكة في السماء، والخور العين في الجنان.

وكيف لا يكون طاهرا والحال أن كل قطرة قطرت منه على أرض صارت مسجدا، وصارت شفاء للأمراض المزمنة، وسببا لقبول الصلوات الواجبة؟!
چه مهر بود که بسرشت دوست در گل * چه گنج بود که بنهاد یار در دل تو
بدست خویش چهل صبح باغبان ازل * نماند تخم گلی تا نکشت در گل تو (۱)

وفي كشف الغمة عن الرضا (عليه السلام) في حديث طويل في علامات الإمام - ننقل منه موضع الحاجة - قال (عليه السلام): «للإمام علامات: يولد مختونا، يكون مطهرا، وإذا

وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعا صوته بالشهادتين» (۲).
وفي خبر آخر: وقع على رجليه رافعا صوته بالشهادتين.
وفي خبر البحار: يولد من فخذ أمه الأيمن (۳).
وفي خبر آخر: يضع يده اليسرى على الأرض ويشير بسبابة اليمنى إلى

(۱) يقول: أي محبة أودعها الحبيب في طينتك؛ وأي كنز أخفاه الحبيب في قلبك!
إن زارع الأزل لم يدع بذر ورد إلا وزرعه بيده في طينتك طوال أربعين صباحا.
(۲) انظر البحار ۲۵ / ۱۱۶ ح ۱ باب ۴.
(۳) البحار ۵۱ / ۲۶ ح ۳۷ باب ۱.

السماء، ويقول: لبيك، فسئل الإمام عن ذلك فقال: إذا ولد الإمام ينادي مناد من السماء باسم الإمام واسم أبيه وأمه، فيقول الإمام: لبيك.
وفي الخبر: مكتوب على عضد الإمام الأيمن: (جاء الحق وزهق الباطل) (١)
وعلى عضده الأيسر (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) (٢) (٣).
وفي رواية: إذا ولد سجد وسطع منه نور، ويولد وله أسنان نابثة، وهو تام الخلقة.

وقد ولد صاحب مرتبة الشهادة خامس آل العبا وجميع العلامات متوفرة فيه.

وإن أحصنت مريم نفسها* وجاءت بعيسى كبدر الدجى
فقد أحصنت فاطم بعدها* وجاءت بسبطي نبي الهدى
اللهم بحق فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسر المستودع فيها أن تصلي على محمد وآله الطاهرين والأئمة المعصومين ما بقي السماوات والأرضين، وتغفر لمؤلفه ومتممه [ومترجمه] ولوالديه يا أرحم الراحمين.
وقد فرغت من تميم جزء الخصيصة الأخيرة من خصائص الفاطمية في ليلة ثامن عشر من شعبان المعظم سنة ١٣١٨.

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) الأنعام: ١١٥.

(٣) انظر البحار ٥١ / ١٩ ح ٢٧ باب ١.